مجاني الأدب

في

حدائق العرب

المطبعة الكاثوليكية - بيروت

مجاني الأدب

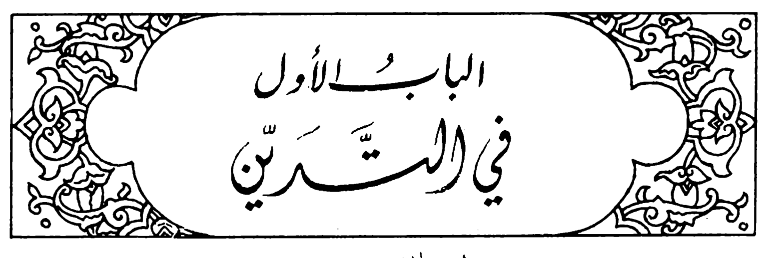
في

حدائق العرب

للأب لويس شيخو اليسوعي

الجزء الرابع

المطبعة الكاثوليكية
بيروت



عظمة الخالق وجبروته

١ سُبْحَانَ مَنْ تَقَدَّسَتْ سُبُحَاتُ جَمَالِهِ عَنْ سِمَةِ الْحُدُوثِ وَالزَّوَالِ. وَتَنَزَّهَتْ سُرَادِقَاتُ جَلالِهِ عَنْ وَصْمَةِ التَّغَيُّرِ وَالِانْتِقَالِ. تَلأْلأَتْ عَلَى صَفَحَاتِ الْمَوْجُودَاتِ أَنْوَارُ جَبَرُوتِهِ وَسُلْطَانِهِ. وَتَهَلَّلَتْ عَلَى وَجَنَاتِ الْكَائِنَاتِ آثَارُ مَلَكُوتِهِ وَإِحْسَانِهِ. تَحَيَّرَتِ الْعُقُولُ وَالأَفْهَامُ فِي كِبْرِيَاءِ ذَاتِهِ. وَتَوَلَّهَتِ الأَذْهَانُ وَالأَوْهَامُ فِي بَيْدَاءِ عَظَمَةِ صِفَاتِهِ. دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ. وَشَهِدَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ نِظَامُ مَصْنُوعَاتِهِ

(شرح مواقف الايجي للجرجاني)

٢ أَلْعَظَمَةُ لَكَ وَالْكِبْرِيَاءُ لِجَلالِكَ يَا قَائِمَ الذَّاتِ. وَمُفِيضَ الْخَيْرَاتِ. وَوَاجِبَ الْوُجُودِ وَوَاهِبَ الْعُقُولِ وَفَاطِرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ. وَمُبْدِيَ الْحَرَكَةِ وَالزَّمَانِ. وَمُبْدِعَ الْحِينِ وَالْمَكَانِ. وَفَاعِلَ الأَرْوَاحِ وَالأَشْبَاحِ وَجَاعِلَ النُّورِ وَالظُّلُمَاتِ. وَمُحَرِّكَ الأَفْلاكِ الْمُدَبِّرَاتِ. وَمُزَيِّنَهَا بِالنُّجُومِ الثَّوَابِتِ وَالسَّيَّارَاتِ. وَمُقَرِّرَ الأَرْضِ وَمُمَهِّدَهَا لِأَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ وَأَصْنَافِ الْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ. دَامَ حَمْدُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ. وَتَعَالَى ذِكْرُكَ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ. لا إِلَاهَ إِلَّا أَنْتَ وَسِعَتْ رَحْمَتُكَ. وَكَثُرَتْ آلاؤُكَ وَنَعْمَاؤُكَ. أَفِضْ عَلَيْنَا أَنْوَارَ مَعْرِفَتِكَ. وَطَهِّرْ نُفُوسَنَا عَنْ

كُدُورَاتِ مَعْصِيَتِكَ • وَأَمْطِرْ عَلَيْنَا سَحَائِبَ فَضْلِكَ وَمَرْحَمَتِكَ وَاضْرِبْ عَلَيْنَا سُرَادِقَاتِ عَفْوِكَ وَمَغْفِرَتِكَ • وَأَدْخِلْنَا فِي حِفْظِ عِنَايَتِكَ وَمَكْرُمَتِكَ

(عجائب المخلوقات للقزويني)

٣ متن الشيبانية في التوحيد

سَأَحْمَدُ رَبِّي طَاعَةً وَتَعَبُّدَا وَأَنْظِمُ عِقْدًا فِي ٱلْعَقِيدَةِ أَوْحَدَا
وَأَشْهَدُ أَنَّ ٱللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ تَعَزَّزَ قِدْمًا بِٱلْبَقَا وَتَفَرَّدَا
هُوَ ٱلْأَوَّلُ ٱلْمُبْدِي بِغَيْرِ بِدَايَةٍ وَآخِرُ مَنْ يَبْقَى مُقِيمًا مُؤَبَّدَا
سَمِيعٌ بَصِيرٌ عَالِمٌ مُتَكَلِّمٌ قَدِيرٌ يُعِيدُ ٱلْعَالَمِينَ كَمَا بَدَا
مُرِيدٌ أَرَادَ ٱلْكَائِنَاتِ لِوَقْتِهَا قَدِيمٌ فَأَنْشَا مَا أَرَادَ وَأَوْجَدَا
إِلَاهٌ عَلَى عَرْشِ ٱلسَّمَاءِ قَدِ ٱسْتَوَى وَبَايَنَ مَخْلُوقَاتِهِ وَتَوَحَّدَا
فَلَا جِهَةٌ تَحْوِي ٱلْإِلَاهَ وَلَا لَهُ مَكَانٌ تَعَالَى عَنْهُمَا وَتَمَجَّدَا
إِذِ ٱلْكَوْنُ مَخْلُوقٌ وَرَبِّي خَالِقٌ لَقَدْ كَانَ قَبْلَ ٱلْكَوْنِ رَبًّا وَسَيِّدَا
وَلَا حَلَّ فِي شَيْءٍ تَعَالَى وَلَمْ يَزَلْ مَلِيًّا غَنِيًّا دَائِمَ ٱلْعِزِّ سَرْمَدَا
وَلَيْسَ كَمِثْلِ ٱللهِ شَيْءٌ وَلَا لَهُ شَبِيهٌ تَعَالَى رَبُّنَا أَنْ يُحَدَّدَا
وَمَنْ قَالَ فِي ٱلدُّنْيَا يَرَاهُ بِعَيْنِهِ فَذَلِكَ زِنْدِيقٌ طَغَا وَتَمَرَّدَا
وَلَكِنْ يَرَاهُ فِي ٱلْجِنَانِ عِبَادُهُ كَمَا صَحَّ فِي ٱلْأَخْبَارِ نَرْوِيهِ مُسْنَدَا

٤ رُوِيَ أَنَّ ٱلزَّمَخْشَرِيَّ سَأَلَ ٱلْإِمَامَ ٱلْغَزَّالِيَّ عَنْ قَوْلِ ٱلْقَائِلِ: ٱلرَّحْمَانُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَى • فَأَجَابَ:

قُلْ لِمَنْ يَفْهَمُ عَنِّي مَا أَقُولْ أُتْرُكِ ٱلْبَحْثَ فَذَا شَرْحٌ يَطُولْ

ثَمَّ سِرٌّ غَامِضٌ مِنْ دُونِهِ ضُرِبَتْ بِالسَّيفِ أَعْنَاقُ ٱلفُحُول
أَنْتَ لَا تَعرِفُ إِيَّاكَ وَلَمْ تَدرِ مَنْ أَنتَ وَلَا كَيفَ ٱلوُصُولْ
لَا وَلَا تَدْرِي صِفَاتٍ رُكِّبَتْ فِيكَ حَارَتْ فِي خَفَايَاهَا ٱلعُقُولْ
أَيْنَ مِنْكَ ٱلرُّوحُ فِي جَوهَرِهَا هَلْ تَرَاهَا أَوْ تَرَى كَيفَ تَجُولْ
أَنْتَ أَكْلَ ٱلخُبْزِ لَا تَعرِفُهُ كَيْفَ يَجْرِي فِيكَ أَمْ كَيفَ يَؤُولْ
فَإِذَا كَانَتْ طَوَايَاكَ ٱلَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ بِهَا أَنْتَ جَهُولْ
كَيْفَ تَدْرِي مَنْ عَلَى ٱلعَرْشِ ٱسْتَوَى لَا تَقُلْ كَيْفَ ٱسْتَوَى كَيْفَ ٱلوُصُولْ
فَهْوَ لَا كَيْفٌ وَلَا أَيْنٌ لَهُ هُوَ رَبُّ ٱلكَيْفِ وَٱلكَيْفُ يَحُولْ
وَهْوَ فَوقَ ٱلفَوْقِ لَا فَوقٌ لَهُ وَهْوَ فِي كُلِّ ٱلنَّوَاحِي لَا يَزُولْ
جَلَّ ذَاتًا وَصِفَاتٍ وَعَلَا وَتَعَالَى رَبُّنَا عَمَّا نَقُولْ

٥ قصيدة لاحمد البرعي في الاستدلال على الحق تعالى

كُلُّ شَيْءٍ مِنكُمْ عَلَيْكُمْ دَلِيلُ وَضَحَ ٱلْحَقُّ وَٱسْتَبَانَ ٱلسَّبِيلُ
أَحْدَثَ ٱلخَلْقَ بَيْنَ كَافٍ وَنُونٍ مَنْ يَكُونُ ٱلْمُرَادُ حِينَ يَقُولُ
مَنْ أَقَامَ ٱلسَّمَاءَ سَقْفًا رَفِيعًا يَرْجِعُ ٱلطَّرْفُ عَنْهُ وَهْوَ كَلِيلُ
وَدَحَا ٱلْأَرْضَ فَهْيَ بَحْرٌ وَبَرٌّ وَوُعُورٌ مَجْهُولَةٌ وَسُهُولُ
وَجِبَالٌ مُنِيفَةٌ شَامِخَاتٌ وَعُيُونٌ مَعِينَةٌ وَسُيُولُ
وَرِيَاحٌ تَهُبُّ فِي كُلِّ جَوٍّ وَسَحَابٌ يَسْقِي ٱلْجِهَاتِ ثَقِيلُ
وَدَرَارٍ بِكُمْ وَشَمْسٌ وَبَدْرٌ وَنُجُومٌ طَوَالِعٌ وَأُفُولُ
حِكْمَةٌ تَاهَتِ ٱلبَصَائِرُ فِيهَا وَٱعْتَرَاهَا دُونَ ٱلذُّهُولِ ذُهُولُ

فَالسَّمَاوَاتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْعَرْشُ وَٱلْكُرْ سِيُّ وَٱلْحُجْبُ ذِكْرُهَا ٱلتَّهْلِيلُ
مُمْسِكُ ٱلطَّيْرِ فِي ٱلْهَوَاءِ وَمُحْيِي ٱلْحُوتِ فِي ٱلْمَاءِ فَهْوَ كَافٍ كَفِيلُ
سَرْمَدِيُّ ٱلْبَقَا أَخِيرٌ قَدِيمٌ قَصُرَتْ عَنْ مَدَى عُلَاهُ ٱلْعُقُولُ
حَيْثُ لَمْ يَشْتَمِلْ عَلَيْهِ مَكَانٌ يَحْتَوِيهِ أَوْ غُدْوَةٌ وَأَصِيلُ
مَنْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلْمُلُوكُ عَبِيدٌ وَلَهُ ٱلْعِزُّ وَٱلْعَزِيزُ ذَلِيلُ
كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ يَفْنَى وَيَبْلَى وَهْوَ حَيٌّ سُبْحَانَهُ لَا يَزُولُ
أَلِفَتْ بِرَّهُ ٱلْبَرَايَا فَهُمْ فِي رَحْمَةٍ ظِلُّهَا عَلَيْهِمْ ظَلِيلُ
سَيِّدِي أَنْتَ مَقْصِدِي وَمُرَادِي أَنْتَ حَسْبِي وَأَنْتَ نِعْمَ ٱلْوَكِيلُ
أَحْيِ قَلْبِي بِمَوْتِ نَفْسِي وَصِلْنِي وَأَنِلْنِي إِنَّ ٱلْكَرِيمَ يُنِيلُ
وَأَجِرْنِي مِنْ كُلِّ خَطْبٍ جَلِيلٍ قَبْلَ قَوْلِ ٱلْوُشَاةِ صَبْرٌ جَمِيلُ
وَٱفْتَقِدْنِي بِرَحْمَةٍ وَأَقِلْنِي مِنْ عِثَارِي فَإِنَّنِي مُسْتَقِيلُ
كَيْفَ يَظْمَا قَلْبِي وَعَفْوُكَ بَحْرٌ زَاخِرٌ طَافِحٌ عَرِيضٌ طَوِيلُ
رَبِّ صَفْحًا فَإِنَّ ذَنْبِي كَبِيرٌ وَٱصْطِبَارِي عَلَى ٱلْعَذَابِ قَلِيلُ
وَٱلرَّجَا فِيكَ وَٱلرِّضَا مِنْكَ فَضْلٌ وَلَكَ ٱلْمَنُّ وَٱلْعَطَاءُ ٱلْجَزِيلُ

٦ نخبة من متن بدء الامالي في التوحيد

يَقُولُ ٱلْعَبْدُ فِي بَدْءِ ٱلْأَمَالِي لِتَوْحِيدٍ بِنَظْمٍ كَٱللَّآلِي
إِلَاهُ ٱلْخَلْقِ مَوْلَانَا قَدِيمٌ وَمَوْصُوفٌ بِأَوْصَافِ ٱلْكَمَالِ
هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْمُدَبِّرُ كُلَّ أَمْرٍ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُقَدِّرُ ذُو ٱلْجَلَالِ
صِفَاتُ ٱللهِ لَيْسَتْ عَيْنَ ذَاتٍ وَلَا غَيْرًا سِوَاهُ ذَا ٱنْفِصَالِ

صِفَاتُ ٱلذّاتِ وَٱلْأَفْعَالِ طُرًّا قَدِيمَاتٌ مَصُونَاتُ ٱلزَّوَالِ
نُسَمِّي ٱللهَ شَيْئًا لَا كَٱلْأَشْيَا وَذَاتًا عَنْ جِهَاتِ ٱلسّتِ خَالِ
وَلَيْسَ ٱلْإِسْمُ غَيْرًا لِلْمُسَمَّى لَدَى أَهْلِ ٱلْبَصِيرَةِ خَيْرِ آلِ
وَمَا إِنْ جَوْهَرٌ رَبِّي وَجِسْمٌ وَلَا كُلٌّ وَبَعْضٌ ذُو ٱشْتِمَالِ
وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ فَوْقَ ٱلْعَرْشِ لٰكِنْ بِلَا وَصْفِ ٱلتَّمَكُّنِ وَٱتِّصَالِ
وَمَا ٱلتَّشْبِيهُ لِلرَّحْمَانِ وَجْهًا فَصُنْ عَنْ ذَاكَ أَصْنَافَ ٱلْأَهَالِي
وَلَا يَمْضِي عَلَى ٱلدَّيَّانِ وَقْتٌ وَأَحْوَالٌ وَأَزْمَانٌ بِحَالِ
وَمُسْتَغْنٍ إِلَاهِي عَنْ عِبَادٍ تَفَرَّدَ ذُو ٱلْجَلَالِ وَذُو ٱلْمَعَالِي
يُمِيتُ ٱلْخَلْقَ طُرًّا ثُمَّ يُحْيِي فَيَجْزِيهِمْ عَلَى وَفْقِ ٱلْخِصَالِ
لِأَهْلِ ٱلْخَيْرِ جَنَّاتٌ وَنُعْمَى وَلِلْكُفَّارِ إِدْرَاكُ ٱلنَّكَالِ
وَلَا يَفْنَى ٱلْجَحِيمُ وَلَا ٱلْجِنَانُ وَلَا أَهْلُوهُمَا أَهْلُ ٱنْتِقَالِ
يَرَاهُ ٱلْمُؤْمِنُونَ بِغَيْرِ كَيْفٍ وَإِدْرَاكٍ وَضَرْبٍ مِنْ مِثَالِ
فَيَنْسَوْنَ ٱلنَّعِيمَ إِذَا رَأَوْهُ فَيَا خُسْرَانَ أَهْلِ ٱلْإِعْتِزَالِ

٧ قصيدة للبرعي في الحق سبحانهُ

أَغِيبُ وَذُو ٱللَّطَائِفِ لَا يَغِيبُ وَأَرْجُوهُ رَجَاءً لَا يَخِيبُ
وَأَسْأَلُهُ ٱلسَّلَامَةَ مِنْ زَمَانٍ بُلِيتُ بِهِ نَوَائِبُهُ تُشِيبُ
وَأُنْزِلُ حَاجَتِي فِي كُلِّ حَالٍ إِلَى مَنْ تَطْمَئِنُّ بِهِ ٱلْقُلُوبُ
وَلَا أَرْجُو سِوَاهُ إِذَا دَهَانِي زَمَانُ ٱلْجَوْرِ وَٱلْجَارُ ٱلْمُرِيبُ
فَكَمْ لِلّٰهِ مِنْ تَدْبِيرِ أَمْرٍ طَوَتْهُ عَنِ ٱلْمُشَاهَدَةِ ٱلْغُيُوبُ

وَكَمْ فِي ٱلْغَيْبِ مِنْ تَيْسِيرِ عُسْرٍ وَمِنْ تَفْرِيجِ نَائِبَةٍ تَنُوبُ
وَمِنْ كَرَمٍ وَمِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ وَمِنْ فَرَجٍ تَزُولُ بِهِ ٱلْكُرُوبُ
وَمَا لِي غَيْرَ بَابِ ٱللهِ بَابٌ وَلَا مَوْلًى سِوَاهُ وَلَا حَبِيبُ
كَرِيمٌ مُنْعِمٌ بَرٌّ لَطِيفٌ جَمِيلُ ٱلسِّتْرِ لِلدَّاعِي مُجِيبُ
حَلِيمٌ لَا يُعَاجِلُ بِٱلْخَطَايَا رَحِيمٌ غَيْمُ رَحْمَتِهِ يَصُوبُ
فَيَا مَلِكَ ٱلْمُلُوكِ أَقِلْ عِثَارِي فَإِنِّي عَنْكَ أَنْأَتْنِي ٱلذُّنُوبُ
وَأَمْرَضَنِي ٱلْهَوَى لِهَوَانِ حَظِّي وَلٰكِنْ لَيْسَ غَيْرَكَ لِي طَبِيبُ
وَعَانَدَنِي ٱلزَّمَانُ وَقَلَّ صَبْرِي وَضَاقَ بِعَبْدِكَ ٱلْبَلَدُ ٱلرَّحِيبُ
وَعَدِّ ٱلنَّائِبَاتِ إِلَى عَدُوِّي فَإِنَّ ٱلنَّائِبَاتِ لَهَا نُيُوبُ
وَآنِسْنِي بِأَوْلَادِي وَأَهْلِي فَقَدْ يَسْتَوْحِشُ ٱلرَّجُلُ ٱلْغَرِيبُ
وَلٰكِنِّي نَبَذْتُ زِمَامَ أَمْرِي لِمَنْ تَدْبِيرُهُ فِيهِ عَجِيبُ
هُوَ ٱلرَّحْمٰنُ حَوْلِي وَٱعْتِصَامِي بِهِ وَإِلَيْهِ مُبْتَهِلًا أُنِيبُ
إِلٰهِي أَنْتَ تَعْلَمُ كَيْفَ حَالِي فَهَلْ يَا سَيِّدِي فَرَجٌ قَرِيبُ
وَكَمْ مُتَمَلِّقٍ يُخْفِي عِنَادًا وَأَنْتَ عَلَى سَرِيرَتِهِ رَقِيبُ
وَحَافِرِ حُفْرَةٍ لِي هَارَ فِيهَا وَسَهْمُ ٱلْبَغْيِ يَدْرِي مَنْ يُصِيبُ
وَمُمْتَنِعِ ٱلْقُوَى مُسْتَضْعِفٍ بِي قَصَمْتَ قُوَاهُ عَنِّي يَا حَسِيبُ
وَذِي عَصَبِيَّةٍ بِٱلْمَكْرِ يَسْعَى إِلَى سَعْيٍ بِهِ يَوْمٌ عَصِيبُ
فَيَا دَيَّانَ يَوْمِ ٱلدِّينِ فَرِّجْ هُمُومًا فِي ٱلْفُؤَادِ لَهَا دَبِيبُ
وَصِلْ حَبْلِي بِحَبْلِ رِضَاكَ وَٱنْظُرْ إِلَيَّ وَتُبْ عَلَيَّ عَسَى أَتُوبُ

وَرَاعِ حِمَايَتِي وَتَوَلَّ نَصْرِي ... وَشُدَّ عُرَايَ إِنْ عَرَتِ ٱلْخُطُوبُ
وَأَفْنِ عِدَايَ وَأَقْرِنْ نَجْمَ حَظِّي ... بِسَعْدٍ مَا لِطَالِعِهِ غُرُوبُ
وَأَلْهِمْنِي لِذِكْرِكَ طُولَ عُمْرِي ... فَإِنَّ بِذِكْرِكَ ٱلدُّنْيَا تَطِيبُ
فَظَنِّي فِيكَ يَا سَنَدِي جَمِيلٌ ... وَمَرْعَى ذَوْدِ آمَالِي خَصِيبُ

٨ قصيدة لهُ في الابتهال الى الله تعالى

قِفْ بِٱلْخُضُوعِ وَنَادِ رَبَّكَ يَاهُو ... إِنَّ ٱلْكَرِيمَ يُجِيبُ مَنْ نَادَاهُ
وَٱطْلُبْ بِطَاعَتِهِ رِضَاهُ فَلَمْ يَزَلْ ... بِٱلْجُودِ يُرْضِي طَالِبِينَ رِضَاهُ
وَٱسْأَلْهُ مَسْأَلَةً وَفَضْلًا إِنَّهُ ... مَبْسُوطَتَانِ لِسَائِلِيهِ يَدَاهُ
وَٱقْصِدْهُ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ فَكُلُّ مَنْ ... يَرْجُوهُ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ كَفَاهُ
شَمِلَتْ لَطَائِفُهُ ٱلْخَلَائِقَ كُلَّهَا ... مَا لِلْخَلَائِقِ كَافِلٌ إِلَّا هُو
فَعَزِيزُهَا وَذَلِيلُهَا وَغَنِيُّهَا ... وَفَقِيرُهَا لَا يَرْتَجُونَ سِوَاهُ
مَلِكٌ تَدِينُ لَهُ ٱلْمُلُوكُ وَيَلْتَجِي ... يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَقْرُهُمْ بِغِنَاهُ
هُوَ أَوَّلٌ هُوَ آخِرٌ هُوَ ظَاهِرٌ ... هُوَ بَاطِنٌ لَيْسَ ٱلْعُيُونُ تَرَاهُ
حَجَبَتْهُ أَسْرَارُ ٱلْجَلَالِ فَدُونَهُ ... تَقِفُ ٱلظُّنُونُ وَتَخْرَسُ ٱلْأَفْوَاهُ
صَمَدٌ بِلَا كُفْءٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ ... أَبَدًا فَمَا ٱلنُّظَرَاءُ وَٱلْأَشْبَاهُ
شَهِدَتْ غَرَائِبُ صُنْعِهِ بِوُجُودِهِ ... لَوْلَاهُ مَا شَهِدَتْ بِهِ لَوْلَاهُ
وَإِلَيْهِ أَذْعَنَتِ ٱلْعُقُولُ فَآمَنَتْ ... بِٱلْغَيْبِ تُؤْثِرُ حُبَّهَا إِيَّاهُ
سُبْحَانَ مَنْ عَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِوَجْهِهِ ... وَلَهُ سُجُودٌ أَوْجُهٌ وَجِبَاهُ
طَوْعًا وَكَرْهًا خَاشِعِينَ لِعِزِّهِ ... وَلَهُ عَلَيْهَا ٱلطَّوْعُ وَٱلْإِكْرَاهُ

سَلْ عَنْهُ دَارَاتِ ٱلْوُجُودِ فَإِنَّهَا تَدْعُوهُ مَعْبُودًا لَهَا رَبَّاهُ
مَا كَانَ يُعْبَدُ مِنْ إِلَاهٍ غَيْرُهُ وَٱلْكُلُّ تَحْتَ ٱلْقَهْرِ وَهُوَ إِلَاهُ
أَبْدَى بِحُكْمِ صُنْعِهِ مِنْ نُطْفَةٍ بَشَرًا سَوِيًّا جَلَّ مَنْ سَوَّاهُ
وَبَنَى ٱلسَّمَاوَاتِ ٱلْعُلَى وَٱلْعَرْشَ وَٱلْكُرْسِيَّ ثُمَّ عَلَا ٱلْجَمِيعَ عُلَاهُ
وَدَحَا بَسِيطَ ٱلْأَرْضِ فَرْشًا مُثْبِتًا بِٱلرَّاسِيَاتِ وَبِٱلنَّبَاتِ حُلَاهُ
تَجْرِي ٱلرِّيَاحُ عَلَى ٱخْتِلَافِ هُبُوبِهَا عَنْ إِذْنِهِ وَٱلْفُلْكُ وَٱلْأَمْوَاهُ
رَبٌّ رَحِيمٌ مُشْفِقٌ مُتَعَطِّفٌ لَا يَنْتَهِي بِٱلْحَصْرِ مَا أَعْطَاهُ
كَمْ نِعْمَةٍ أَوْلَى وَكَمْ مِنْ كُرْبَةٍ أَجْلَى وَكَمْ مِنْ مُبْتَلًى عَافَاهُ
فَإِذَا بُلِيتَ بِغُرْبَةٍ أَوْ كُرْبَةٍ فَٱدْعُ ٱلْإِلَاهَ وَقُلْ سَرِيعًا يَاهُو
لَا مُحْسِنُ ٱلظَّنِّ ٱلْجَمِيلِ بِهِ يَرَى سُوءًا وَلَا رَاجِيهِ خَابَ رَجَاهُ
وَلِحِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يُعْصَى فَلَمْ يَعْجَلْ عَلَى عَبْدٍ عَصَى مَوْلَاهُ
يَأْتِيهِ مُعْتَذِرًا فَيَقْبَلُ عُذْرَهُ كَرَمًا وَيَغْفِرُ عَمْدَهُ وَخَطَاهُ

٩ وللبرعي في حمد الله

لَكَ ٱلْحَمْدُ يَا مُسْتَوْجِبَ ٱلْحَمْدِ دَائِمًا عَلَى كُلِّ حَالٍ حَمْدَ فَانٍ لِدَائِمِ
وَسُبْحَانَكَ ٱللَّهُمَّ تَسْبِيحَ شَاكِرٍ لِمَعْرُوفِكَ ٱلْمَعْرُوفِ يَاذَا ٱلْمَرَاحِمِ
فَكَمْ لَكَ مِنْ سِتْرٍ عَلَى كُلِّ خَاطِئٍ وَكَمْ لَكَ مِنْ بِرٍّ عَلَى كُلِّ ظَالِمِ
وَجُودُكَ مَوْجُودٌ وَفَضْلُكَ فَائِضٌ وَأَنْتَ ٱلَّذِي تُرْجَى لِكَشْفِ ٱلْعَظَائِمِ
وَبَابُكَ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ مُؤَمِّلٍ وَبِرُّكَ مَمْنُوحٌ لِكُلِّ مُصَادِمِ
فَيَا فَالِقَ ٱلْأَصْبَاحِ وَٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَى وَيَا قَاسِمَ ٱلْأَرْزَاقِ بَيْنَ ٱلْعَوَالِمِ

وَيَا كَافِلَ ٱلْحِيتَانِ فِي لُجِّ بَحْرِهَا ... وَمُؤْنِسَ فِي ٱلْآفَاقِ وَحْشِ ٱلْبَهَائِمِ
وَيَا مُحْصِيَ ٱلْأَوْرَاقِ وَٱلنَّبْتِ وَٱلْحَصَى ... وَرَمْلِ ٱلْفَلَا عَدًّا وَقَطْرَ ٱلْغَمَائِمِ
إِلَيْكَ تَوَسَّلْنَا بِكَ ٱغْفِرْ ذُنُوبَنَا ... وَخَفِّفْ عَنِ ٱلْعَاصِينَ ثِقْلَ ٱلْمَظَالِمِ
وَحَبِّبْ إِلَيْنَا ٱلْحَقَّ وَٱعْصِمْ قُلُوبَنَا ... مِنَ ٱلزَّيْغِ وَٱلْأَهْوَاءِ يَا خَيْرَ عَاصِمِ
وَدَمِّرْ أَعَادِينَا بِسُلْطَانِكَ ٱلَّذِي ... أَذَلَّ وَأَفْنَى كُلَّ عَاتٍ وَغَاشِمِ
وَمُنَّ عَلَيْنَا يَوْمَ يَنْكَشِفُ ٱلْغِطَا ... بِسَتْرِ خَطَايَانَا وَمَحْوِ ٱلْجَرَائِمِ

١٠ وله ايضاً من قصيدة في الرجاء بالله

لِكُلِّ خَطْبٍ مُهِمٍّ حَسْبِيَ ٱللهُ ... أَرْجُو بِهِ ٱلْأَمْنَ مِمَّا كُنْتُ أَخْشَاهُ
وَأَسْتَغِيثُ بِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ ... وَمَا مَلَاذِي فِي ٱلدَّارَيْنِ إِلَّا هُو
ذُو ٱلْمَنِّ وَٱلْمَجْدِ وَٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ وَمَنْ ... يَدْعُوهُ سَائِلُهُ رَبَّاهُ رَبَّاهُ
لَهُ ٱلْمَوَاهِبُ وَٱلْآلَاءُ وَٱلْمَثَلُ ٱلْـ ... أَعْلَى ٱلَّذِي لَا يُحِيطُ ٱلْوَهْمُ عَلْيَاهُ
أَلْقَادِرُ ٱلْآمِرُ ٱلنَّاهِي ٱلْمُدَبِّرُ لَا ... يَرْضَى لَنَا ٱلْكُفْرَ وَٱلْإِيمَانُ يَرْضَاهُ
مَنْ لَا يُقَالُ بِحَالٍ عَنْهُ كَيْفَ وَلَا ... لِفَضْلِهِ كَمْ تَعَالَى رَبُّنَا ٱللهُ
وَلَا يُغَيِّرُهُ مَرُّ ٱلدُّهُورِ وَلَا ... كَرُّ ٱلْعُصُورِ وَلَا ٱلْأَحْدَاثُ تَغْشَاهُ
وَلَا يُعَبَّرُ عَنْهُ بِٱلْحُلُولِ وَلَا ... بِٱلِٱنْتِقَالِ دَنَا أَوْ نَاءَ حَاشَاهُ
أَنْشَا ٱلْعَوَالِمَ أَعْلَامًا بِقُدْرَتِهِ ... وَأَغْرَقَ ٱلْكُلَّ مِنْهُمْ بَحْرُ نُعْمَاهُ

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

لَبِسْتُ ثَوْبَ ٱلرَّجَا وَٱلنَّاسُ قَدْ رَقَدُوا ... فَقُمْتُ أَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ مَا أَجِدُ
وَقُلْتُ يَا عُدَّتِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ ... وَمَنْ عَلَيْهِ لِدَفْعِ ٱلضُّرِّ أَعْتَمِدُ

لَقَدْ مَدَدتُ يَدِي وَٱلضُّرُّ مُشْتَمِلٌ   إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ

١١ قصيدة لعبد الغني النابلسي في الثقة بالله

كُنْ مَعَ ٱللهِ تَرَ ٱللهَ مَعَكْ   وَٱتْرُكِ ٱلْكُلَّ وَحَاذِرْ طَمَعَكْ
وَٱلْزَمِ ٱلْقَنْعَ بِمَنْ أَنْتَ لَهُ   فِي جَمِيعِ ٱلْكَوْنِ حَتَّى يَسَعَكْ
بِٱلصَّفَا عَنْ كَدَرِ ٱلْحِسِّ فَغِبْ   وَٱطْرَحِ ٱلْأَغْيَارَ وَٱتْرُكْ خُدَعَكْ
لَا تُمَوِّهْ بِكَ وَٱطْلُبْ مِنْكَ مَا   فَرَّ مِنْ يَوْمٍ بِشَانٍ ضَيَّعَكْ
نُورُكَ ٱللهُ بِهِ كُنْ مُشْرِقًا   وَٱحْذَرِ ٱلْأَضْدَادَ تُطْفِي شَمْعَكْ
وَٱعْبُدِ ٱللهَ بِكَشْفٍ وَٱصْطَبِرْ   وَعَلَى ٱلْكَشْفِ تَوَقَّ جَزَعَكْ
لَا تَقُلْ لَمْ يَفْتَحِ ٱللهُ وَلَا   تَطْلُبِ ٱلْفَتْحَ وَحَرِّرْ وَرَعَكْ
كَيْفَمَا شَاءَ فَكُنْ فِي يَدِهِ   لَكَ إِنْ فَرَّقَ أَوْ إِنْ جَمَعَكْ
فِي ٱلْوَرَى إِنْ شَاءَ خَفْضًا ذُقْتَهُ   وَإِذَا شَاءَ عَلَيْهِمْ رَفَعَكْ
وَإِذَا ضَرَّكَ لَا نَافِعَ مِنْ   دُونِهِ وَٱلضُّرُّ لَا إِنْ نَفَعَكْ
وَإِذَا أَعْطَاكَ مَنْ يَمْنَعُهُ   ثُمَّ مَنْ يُعْطِي إِذَا مَا مَنَعَكْ
لَيْسَ يُوقِيكَ أَذَاهُ أَحَدٌ   وَإِنِ ٱسْتَنْصَرْتَ فِيهِ شَيَّعَكْ
إِنَّمَا أَنْتَ لَهُ عَبْدٌ فَكُنْ   جَاعِلًا بِٱلْقُرْبِ مِنْهُ وَلَعَكْ
كُلَّمَا نَابَكَ أَمْرٌ ثِقْ بِهِ   وَٱحْتَرِزْ لِلْغَيْرِ تَشْكُو وَجَعَكْ
لَا تُؤَمِّلْ مِنْ سِوَاهُ أَمَلًا   إِنَّمَا يَسْقِيكَ مَنْ قَدْ زَرَعَكْ
لَيْتَ لَوْ تَشْعُرُ مَاذَا كُنْتَ مِنْ   قَبْلِ مَا مَوْلَى ٱلْمَوَالِي ٱخْتَرَعَكْ
كُنْتَ لَا شَيْءَ وَأَصْبَحْتَ بِهِ   خَيْرَ شَيْءٍ بَشَرًا قَدْ طَبَعَكْ

تَابِعًا كُنْ دَائِمًا أَنتَ وَلَا تَتَمَنَّ أَنَّهُ لَوْ تَبِعَكْ
وَدَعِ ٱلتَّدْبِيرَ فِي ٱلْأَمْرِ لَهُ وَٱصْنَعِ ٱلْمَعْرُوفَ مَعْ مَنْ صَنَعَكْ
وَٱحْتَفِظْ حُرْمَةَ مَنْ يُبْصِرُ إِنْ رُمْتَ فِعْلًا أَوْ تُنَادِي سَمِعَكْ
كُنْ بِهِ مُعْتَصِمًا وَٱخْضَعْ لَهُ لَا تُعَانِدْ فِيهِ وَٱهْجُرْ بِدَعَكْ

١٢ قَالَ إِبْرٰهِيمُ بْنُ جعمان فِي هٰذَا ٱلْمَعْنَى :

قَصْدِي رِضَاكَ بِكُلِّ وَجْهٍ أَمْكَنَا فَٱمْنُنْ عَلَيَّ بِذَاكَ مِنْ قَبْلِ ٱلْفَنَا
وَلَئِنْ رَضِيتَ فَذَاكَ غَايَةُ مَطْلَبِي وَٱلْقَصْدُ كُلُّ ٱلْقَصْدِ بَلْ كُلُّ ٱلْمُنَى
لَوْ أَبْذِلَنْ رُوحِي فِدًى لِرَأَيْتُهَا أَمْرًا حَقِيرًا فِي جَنَابِكَ هَيِّنَا
وَبَقِيتُ فِي خَجَلٍ كَعَبْدٍ قَدْ جَنَى وَٱلْكُلُّ مِلْكُكُمُ فَمَا مِنِّي أَنَا
وَلَقَدْ تَفَضَّلْتُمْ بِإِيجَادِي كَمَا أَنْعَمْتُمُ أَيْضًا بِكَوْنِي مُؤْمِنَا
لَوْلَا تَطَوُّلُكُمْ عَلَيَّ وَفَضْلُكُمْ مَا كُنْتُ مَوْجُودًا وَلَا مِنِّي ثَنَا
مَنْ ذَا ٱلَّذِي يَسْعَى وَيَشْكُو فَضْلَكُمْ لَوْ عُمِّرَ ٱلْأَبَدِينَ يَشْكُرُ مُعْلِنَا
وَأَنَا ٱلْمُسَيْكِينُ ٱلَّذِي قَدْ جَاءَكُمْ لِلْعَفْوِ مِنْكُمْ طَالِبًا وَلَقَدْ جَنَى
فَبِٱسْمِكُمْ وَبِعِزِّكُمْ وَبِجَاهِكُمْ مُنُّوا عَلَيَّ وَأَذْهِبُوا عَنِّي ٱلْعَنَا

قَالَ ٱبْنُ دَقِيقِ ٱلْعِيدِ :

لَمْ يَبْقَ لِي أَمَلٌ سِوَاكَ فَإِنْ يَفُتْ وَدَّعْتُ أَيَّامَ ٱلْحَيَاةِ وَدَاعَا
لَا أَسْتَلِذُّ بِغَيْرِ وَجْهِكَ مَنْظَرًا وَسِوَى حَدِيثِكَ لَا أُرِيدُ سَمَاعَا

١٣ قصيدة للبابي في التوسّل والاستعطاف

هَوَتِ ٱلْمَشَاعِرُ وَٱلْمَدَا رِكُ عَنْ مَعَارِجِ كِبْرِيَائِكْ

يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ قَدْ بَهَرَ ٱلْعُقُولَ سَنَا بَهَائِكْ
أُثْنِي عَلَيْكَ بِمَا عَلِمْتُ وَأَيْنَ عِلْمِي مِنْ ثَنَائِكْ
مُتَحَجِّبٌ فِي غَيْبِكَ ٱلْ أَحْمَى مَنِيعٌ فِي عَلَائِكْ
وَظَهَرْتَ بِٱلْآثَارِ وَٱلْ أَفْعَالِ بَادٍ فِي جَلَائِكْ
عَجَبًا خَفَاؤُكَ مِنْ ظُهُو رِكَ أَمْ ظُهُورُكَ مِنْ خَفَائِكْ
مَا ٱلْكَوْنُ إِلَّا ظُلْمَةٌ قَبَسَ ٱلْأَشِعَّةَ مِنْ ضِيَائِكْ
بَلْ كُلُّ مَا فِيهِ فَقِيرٌ مُسْتَمِيحٌ مِنْ عَطَائِكْ
مَا فِي ٱلْعَوَالِمِ ذَرَّةٌ فِي جَنْبِ أَرْضِكَ أَوْ سَمَائِكْ
إِلَّا وَوُجْهَتُهَا إِلَيْكَ بِٱلِافْتِقَارِ إِلَى غَنَائِكْ
فَٱنْظُرْ إِلَى مَنْ يَسْتَغِيـ ثُكَ عَائِذًا بِكَ مِنْ بَلَائِكْ
قَذَفَتْ بِهِ مِنْ شَاهِقٍ أَيْدِي ٱمْتِحَانِكَ وَٱبْتِلَائِكْ
وَسَطَتْ عَلَيْهِ لَوَازِمُ ٱلْ أَمْكَانِ صَدًّا عَنْ فِنَائِكْ
وَرَمَتْهُ فِي ظُلَمِ ٱلْعَنَا صِرِ وَٱلطَّبَائِعِ فِي شَبَائِكْ
فَإِذَا ٱرْعَوَى أَوْكَادَ نَا دَتْهُ ٱلْقُيُودُ إِلَى وَرَائِكْ
فَٱلْطُفْ بِهِ فِيمَا جَرَى فِي طَيِّ عِلْمِكَ مِنْ قَضَائِكْ
وَٱسْلُكْ بِهِ سَنَنَ ٱلْهِدَا يَةِ فِي مَعَارِجِ أَصْفِيَائِكْ

١٤ قَالَ أَبُو ٱلْأَسْوَدِ ٱلدُّؤَلِيُّ :

وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ ٱلْحَوَائِجِ حَاجَةً فَٱدْعُ ٱلْإِلَاهَ وَأَحْسِنِ ٱلْأَعْمَالَا
فَلَيُعْطِيَنَّكَ مَا أَرَادَ بِقُدْرَةٍ فَهُوَ ٱللَّطِيفُ لِمَا أَرَادَ فَعَالَا

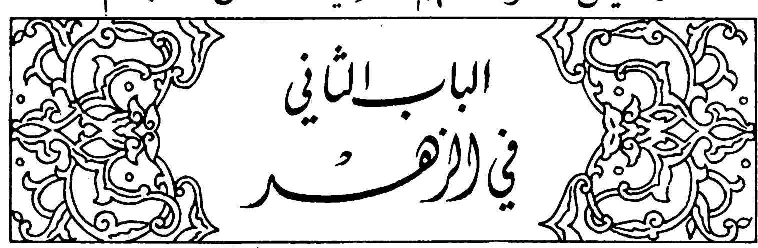
إنَّ ٱلعِبَادَ وَشَأْنَهم وَأُمورَهمْ ... بِيَدِ ٱلإِلَاهِ يُقَلِّبُ ٱلأَحْوالَا
فَدَعِ ٱلْعِبَادَ وَلَا تَكُنْ بِطِلَابِهِمْ ... لَهِجًا تُضَعْضِعُ لِلْعِبَادِ سُؤَالَا

قَالَ أَبُو ٱلفَتْحِ ٱلبُسْتِيُّ :

تُقَى ٱللهِ وَٱلْزَمْ هُدَى دِينِهِ ... وَمِنْ بَعْدِ ذَا فَٱلْزَمِ ٱلْفَلْسَفَهْ
وَلَا تَغْتَرِرْ بِأُنَاسٍ رَضُوا ... مِنَ ٱلدِّينِ بِٱلزُّورِ وَٱلسَّفْسَفَهْ
وَدَعْ عَنْكَ قَوْمًا يَعِيبُونَهَا ... فَفَلْسَفَةُ ٱلْمَرْءِ فَلُّ ٱلسَّفَهْ

لَمَّا حَضَرَتِ ٱلْوَفَاةُ أَبَا ٱلْحَسَنِ ٱلْهَمَدَانِيَّ أَنْشَدَ لِنَفْسِهِ :

قَالُوا غَدًا نَأْتِي دِيَارَ ٱلْحِمَى ... وَيَنْزِلُ ٱلرَّكْبُ بِمَغْنَاهُمُ
وَكُلُّ مَنْ كَانَ مُطِيعًا لَهُمْ ... أَصْبَحَ مَسْرُورًا بِلُقْيَاهُمُ
فَقُلْتُ لِي ذَنْبٌ فَمَا حِيلَتِي ... بِأَيِّ وَجْهٍ أَتَلَقَّاهُمُ
قَالُوا أَلَيْسَ ٱلْعَفْوُ شَأْنَهُمُ ... لَاسِيَّمَا عَمَّنْ تَرَجَّاهُمُ



الزهد في الدنيا والانقطاع الى الله

١٥ (مِنَ ٱلنَّهْجِ) خَلَقَ ٱللهُ ٱلْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ • لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ • فَقَسَّمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ وَوَضَعَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ • فَٱلْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ ٱلْفَضَائِلِ • مَنْطِقُهُمُ ٱلصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمُ ٱلِٱقْتِصَادُ وَمَشْيُهُمْ

ٱلتَّوَاضُعُ. غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى ٱلْعِلْمِ ٱلنَّافِعِ لَهُمْ. نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي ٱلْبَلَاءِ كَٱلَّتِي نَزَلَتْ فِي ٱلرَّخَاءِ. لَوْلَا ٱلْأَجَلُ ٱلَّذِي كَتَبَ ٱللهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى ٱلثَّوَابِ. وَخَوْفًا مِنَ ٱلْعِقَابِ. عَظُمَ ٱلْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَٱلْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ. وَهُمْ وَٱلنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مُعَذَّبُونَ. أَرَادَتْهُمُ ٱلدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا. لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ ٱلْقَلِيلَ وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ ٱلْكَثِيرَ. فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ. وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ. إِذَا زُكِّيَ أَحَدُهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنِّي. أَللّٰهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ وَٱجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ وَٱغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ. فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي ٱلدِّينِ. وَحَزْمًا فِي لِينٍ. وَإِيمَانًا فِي يَقِينٍ. وَحِرْصًا فِي عِلْمٍ. وَعِلْمًا فِي حِلْمٍ. وَقَصْدًا فِي غِنًى. وَخُشُوعًا فِي عِبَادَةٍ. وَتَجَمُّلًا فِي فَاقَةٍ. وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ. وَطَلَبًا فِي حَلَالٍ. وَنَشَاطًا فِي هُدًى. وَتَحَرُّجًا عَنْ طَمَعٍ. يَعْمَلُ ٱلْأَعْمَالَ ٱلصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ. يُمْسِي وَهَمُّهُ ٱلشُّكْرُ. وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ ٱلذِّكْرُ. يَبِيتُ حَذِرًا وَيُصْبِحُ فَرِحًا. حَذِرًا لِمَا حَذِرَ مِنَ ٱلْغَفْلَةِ. وَفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ ٱلْفَضْلِ وَٱلرَّحْمَةِ. إِذَا ٱسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ. قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى. يَمْزُجُ ٱلْحِلْمَ بِٱلْعِلْمِ وَٱلْقَوْلَ بِٱلْعَمَلِ.

تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ . قَلِيلًا زَلَلُهُ . خَاشِعًا قَلْبُهُ . قَانِعَةً نَفْسُهُ . مَنْزُورًا أُكُلُهُ . سَهْلًا أَمْرُهُ . حَرِيزًا دِينُهُ . مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ . مَكْظُومًا غَيْظُهُ . إِنْ كَانَ فِي ٱلْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي ٱلذَّاكِرِينَ . وَإِنْ كَانَ فِي ٱلذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ ٱلْغَافِلِينَ . يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ . وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ . وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ . بَعِيدًا فُحْشُهُ . لَيِّنًا قَوْلُهُ . غَائِبًا مُنْكَرُهُ . حَاضِرًا مَعْرُوفُهُ . مُقْبِلًا خَيْرُهُ . مُدْبِرًا شَرُّهُ . فِي ٱلزَّلَازِلِ وَقُورٌ . وَفِي ٱلْمَكَارِهِ صَبُورٌ . وَفِي ٱلرَّخَاءِ شَكُورٌ . لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ . وَلَا يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ . يَعْتَرِفُ بِٱلْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ . لَا يُضِيعُ مَا ٱسْتُحْفِظَ . وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ . وَلَا يُنَابِزُ بِٱلْأَلْقَابِ . وَلَا يُضَارُّ بِٱلْجَارِ . وَلَا يَشْمَتُ بِٱلْمَصَائِبِ . وَلَا يَدْخُلُ فِي ٱلْبَاطِلِ . وَلَا يَخْرُجُ مِنَ ٱلْحَقِّ . إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ . وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ . وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ ٱللهُ هُوَ ٱلَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ . نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَٱلنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ وَأَرَاحَ ٱلنَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ . بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ . وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ . لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ وَلَا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

١٦ قصيدة للبرعي في الزهد

أَحْبَابَ قَلْبِي مَضَى زَمَانِي وَنَغَّصَتْ عَيْشِيَ ٱلْهُمُومُ
وَفَرَّقَ ٱلْمَوْتُ أَهْلَ عَصْرِي فَلَا صَدِيقٌ وَلَا حَمِيمُ
وَأَخْلَفَ ٱلدَّهْرُ خَلْفَ سَوْءٍ كَأَنَّنِي بَيْنَهُمْ يَتِيمُ

وَٱلْآنَ حَانَ ٱلرَّحِيلُ مِنِّي وَهٰذِهِ ٱلدَّارُ لَا تَدُومُ
وَمَا تَزَوَّدتُّ غَيْرَ ذَنْبٍ عَذَابُهُ دَائِمٌ أَلِيمُ
يُصَرِّحُ ٱلْوَعْظُ بِي وَقَلْبِي كَأَنَّهُ صَخْرَةٌ صَمِيمُ
أُبَارِزُ ٱللهَ بِٱلْخَطَايَا وَٱللهُ سُبْحَانَهُ حَلِيمُ
فَكَمْ خَلَعْتُ ٱلْعِذَارَ جَهْلًا وَلُمْتُ فِي ٱلْغَيِّ مَنْ يَلُومُ
وَكَمْ تَعَامَيْتُ عَنْ رَشَادِي وَمَنْهَجُ ٱلْحَقِّ مُسْتَقِيمُ
لَا أَنْتَهِي عَنْ قَبِيحِ فِعْلِي وَلَا أُصَلِّي وَلَا أَصُومُ
عَصَيْتُ طِفْلًا وَصِرْتُ أَعْصَى وَٱلشَّيْبُ فِي مَفْرِقِي يَحُومُ
شَيْبٌ وَعَيْبٌ وَحَمْلُ ذَنْبٍ وَٱلذَّنْبُ بَعْدَ ٱلْمَشِيبِ شُومُ
يَا جَامِعَ ٱلْمَالِ مِنْ حَرَامٍ سَيَقْتَضِي مَالَكَ ٱلْغَرِيمُ
وَتَقْتَضِي وِزْرَهُ وَتُلْقَى فِي ٱلنَّارِ يَغْلِي بِهَا ٱلْحَمِيمُ
وَكَيْفَ يَهْنِيكَ صَفْوُ عَيْشٍ خِتَامُهُ عَلْقَمٌ عَقِيمُ
يَا وَاسِعَ ٱللُّطْفِ جُدْ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ مِنْكَ يَا كَرِيمُ
إِنْ قَالَ عَبْدُ ٱلرَّحِيمِ ذَنْبِي فَقُلْ أَنَا ٱلْمُشْفِقُ ٱلرَّحِيمُ
وَإِنْ شَكَا مِنْ خُصُومِ سُوءٍ فَحُلَّ مَا تَعْقِدُ ٱلْخُصُومُ
وَسَامِحِ ٱلْكُلَّ فِي ذُنُوبٍ أَنْتَ بِهَا سَيِّدِي عَلِيمُ

١٧ قَالَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِرَجُلٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَعِظَهُ . لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو ٱلْآخِرَةَ بِلَا عَمَلٍ . وَيُرَجِّي ٱلتَّوْبَةَ بِطُولِ ٱلْأَمَلِ . يَقُولُ فِي ٱلدُّنْيَا بِقَوْلِ ٱلزَّاهِدِينَ . وَيَعْمَلُ فِيهَا بِقَوْلِ ٱلرَّاغِبِينَ . إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ . وَإِنْ

مُنِعَ لَمْ يَقْنَعْ ، يَنْهَى وَلَا يَنْتَهِي ، وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي ، يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ ، وَيُبْغِضُ الْمُذْنِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ ، وَيَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ وَيُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ لَهُ ، إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِمًا وَإِنْ صَحَّ أَمِنَ لَاهِيًا ، يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوفِيَ وَيَقْنَطُ إِذَا ابْتُلِيَ ، إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا مُضْطَرًّا ، وَإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرًّا ، تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا تَظُنُّ وَلَا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ ، يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَدْنَى مِنْ ذَنْبِهِ وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ بِأَكْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ ، إِنِ اسْتَغْنَى بَطِرَ وَفُتِنَ ، وَإِنِ افْتَقَرَ قَنِطَ وَوَهَنَ ، يُقَصِّرُ إِذَا عَمِلَ ، وَيُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ ، إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ الْمَعْصِيَةَ وَسَوَّفَ التَّوْبَةَ ، وَإِنْ عَرَتْهُ مِحْنَةٌ انْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ الْمِلَّةِ ، يَصِفُ الْعِبَرَ وَلَا يَعْتَبِرُ ، وَيُبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَلَا يَتَّعِظُ ، فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ ، وَمِنَ الْعَمَلِ مُقِلٌّ ، يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنَى وَيُسَامِحُ فِيمَا يَبْقَى ، يَرَى الْغُنْمَ مَغْرَمًا ، وَالْغُرْمَ مَغْنَمًا ، يَخْشَى الْمَوْتَ ، وَلَا يُبَادِرُ الْفَوْتَ ، يَسْتَعْظِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا يَحْتَقِرُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ ، فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ ، وَلِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ ، اللَّهْوُ مَعَ الْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ ، يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ ، يُرْشِدُ غَيْرَهُ وَيُغْوِي نَفْسَهُ ، فَهُوَ يُطَاعُ وَيَعْصِي ، وَيَسْتَوْفِي وَلَا يُوفِي ، وَيَخْشَى الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ رَبِّهِ وَلَا يَخْشَى رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ ، قَالَ جَامِعُ النَّهْجِ : كَفَى بِهَذَا الْكَلَامِ مَوْعِظَةً نَاجِعَةً وَحِكْمَةً بَالِغَةً وَبَصِيرَةً لِمُبْصِرٍ وَعِبْرَةً لِنَاظِرٍ مُفَكِّرٍ

(لبهاء الدين)

زهد رجل من بني عباس

١٨ قَالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنِ ٱلْمُعَلِّمِ خَرَجْنَا مِنَ ٱلْمَدِينَةِ حُجَّاجًا فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ بَنِي ٱلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ قَدْ رَفَضَ ٱلدُّنْيَا وَأَقْبَلَ عَلَى ٱلْآخِرَةِ. فَجَمَعَتْنِي وَإِيَّاهُ ٱلطَّرِيقُ فَأَنِسْتُ بِهِ وَقُلْتُ لَهُ: هَلْ لَكَ أَنْ تُعَادِلَنِي فَإِنَّ مَعِي فَضْلًا مِنْ رَاحِلَتِي. فَجَزَانِي خَيْرًا. ثُمَّ أَنِسَ إِلَيَّ فَجَعَلَ يُحَدِّثُنِي فَقَالَ: أَنَا رَجُلٌ مِنْ وُلْدِ ٱلْعَبَّاسِ كُنْتُ أَسْكُنُ ٱلْبَصْرَةَ وَكُنْتُ ذَا كِبْرٍ شَدِيدٍ وَنِعْمَةٍ طَائِلَةٍ وَمَالٍ كَثِيرٍ وَبَذْخٍ زَائِدٍ. فَأَمَرْتُ يَوْمًا خَادِمًا لِي أَنْ يَحْشُوَ لِي فِرَاشًا مِنْ حَرِيرٍ وَمِخَدَّةً بِوَرْدٍ نَثِيرٍ. فَفَعَلَ. فَإِنِّي لَنَائِمٌ إِذَا بِقِمَعِ وَرْدَةٍ قَدْ نَسِيَهُ ٱلْخَادِمُ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَأَوْجَعْتُهُ ضَرْبًا. ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مَضْجَعِي بَعْدَ إِخْرَاجِ ٱلْقِمَعِ مِنَ ٱلْمِخَدَّةِ فَأَتَانِي آتٍ فِي مَنَامِي فِي صُورَةٍ فَظِيعَةٍ فَهَزَّنِي وَقَالَ: أَفِقْ مِنْ غَشْيَتِكَ وَٱنْتَبِهْ مِنْ رَقْدَتِكَ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

يَا خِلُّ إِنَّكَ إِنْ تَوَسَّدْ لَيِّنًا ... وُسِّدْتَ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ صُمَّ ٱلْجَنْدَلِ
فَٱمْهَدْ لِنَفْسِكَ صَالِحًا تَسْعَدْ بِهِ ... فَلَتَنْدَمَنَّ غَدًا إِذَا لَمْ تَفْعَلِ

فَٱنْتَبَهْتُ مَرْعُوبًا. وَخَرَجْتُ مِنْ سَاعَتِي هَارِبًا إِلَى رَبِّي

(مستقطف المستظرف للابشيهي)

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ ٱلْبَكْرِيُّ ٱلشَّنْتَرِينِيُّ فِي ٱلزُّهْدِ:

يَا مَنْ يُصِيخُ إِلَى دَاعِي ٱلشَّقَاةِ وَقَدْ ... نَادَى بِهِ ٱلنَّاعِيَانِ ٱلشَّيْبُ وَٱلْكِبَرُ
إِنْ كُنْتَ لَا تَسْمَعُ ٱلذِّكْرَى فَفِيمَ تُوَى ... فِي رَاسِكَ ٱلْوَاعِيَانِ ٱلسَّمْعُ وَٱلْبَصَرُ

لَيسَ ٱلأَصَمُّ وَلاَ ٱلأَعمى سِوَى رَجُلٍ لَمْ يَهْدِهِ ٱلْهَادِيَانِ ٱلعَيْنُ وَٱلأَثَرُ
لَا ٱلدَّهرُ يَبقَى وَلاَ ٱلدُّنيَا وَلاَ ٱلفَلَكُ ٱلْـ أَعلَى وَلَا ٱلنَّيِّرَانِ ٱلشَّمسُ وَٱلقَمَرُ
لَيَرحَلَنَّ عَنِ ٱلدُّنْيَا وَإِنْ كَرِهَا فِرَاقَهَا ٱلثَّاوِيَانِ ٱلْبَدْوُ وَٱلْحَضَرُ

١٩ قَالَ ٱبْنُ جُبَيرٍ ٱلْكِنَانِيُّ أَحَدُ ٱلرَّاحِلِينَ إِلَى ٱلْمَشْرِقِ:

عَجِبْتُ لِلْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ تُطْمِعُهُ فِي ٱلْعَيْشِ وَٱلأَجَلُ ٱلْمَحْتُومُ يَقْطَعُهُ
يُمْسِي وَيُصْبِحُ فِي عَشْوَاءَ يَخْبِطُهَا أَعْمَى ٱلْبَصِيرَةِ وَٱلآمَالُ تَخْدَعُهُ
يَغْتَرُّ بِٱلدَّهْرِ مَسْرُورًا بِصُحْبَتِهِ وَقَدْ تَيَقَّنَ أَنَّ ٱلدَّهْرَ يَصْرَعُهُ
وَيَجْمَعُ ٱلْمَالَ حِرْصًا لَا يُفَارِقُهُ وَقَدْ دَرَى أَنَّهُ لِلْغَيْرِ يَجْمَعُهُ
تَرَاهُ يُشْفِقُ مِنْ تَضْيِيعِ دِرْهَمِهِ وَلَيْسَ يُشْفِقُ مِنْ دِينٍ يُضَيِّعُهُ
وَأَسْوَأُ ٱلنَّاسِ تَدْبِيرًا لِعَاقِبَةٍ مَنْ أَنْفَقَ ٱلْعُمْرَ فِي مَا لَيْسَ يَنْفَعُهُ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ ٱلْحَسَنِ ٱلْحِمْيَرِيُّ مِنْ قَصِيدَةٍ:

فُؤَادٌ بِأَيْدِي ٱلنَّائِبَاتِ مُصَابُ وَجَفْنٌ لِفَيْضِ ٱلدَّمْعِ فِيهِ مُصَابُ
تَنَاءَتْ دِيَارٌ قَدْ أَلِفْتُ وَجِيرَةٌ فَهَلْ لِي إِلَى عَهْدِ ٱلْوِصَالِ إِيَابُ
وَفَارَقْتُ أَوْطَانِي وَلَمْ أَبْلُغِ ٱلْمُنَى وَدُونَ مُرَادِي أَبْحُرٌ وَهِضَابُ
مَضَى زَمَنِي وَٱلشَّيْبُ حَلَّ بِمَفْرِقِي وَأَبْعَدُ شَيْءٍ أَنْ يُرَدَّ شَبَابُ
إِذَا مَرَّ عُمْرُ ٱلْمَرْءِ لَيْسَ بِرَاجِعٍ وَإِنْ حَلَّ شَيْبٌ لَمْ يُفِدْهُ خِضَابُ

ذو النون والزاهدة

٢٠ قَالَ ذُو ٱلنُّونِ بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ إِذْ بَصُرْتُ بِجَارِيَةٍ عَلَيْهَا أَطْمَارُ شَعَرٍ. فَإِذَا هِيَ نَاحِلَةٌ ذَابِلَةٌ. فَدَنَوْتُ مِنْهَا لِأَسْمَعَ مَا تَقُولُ.

فَرَأَيْتُهَا مُتَّصِلَةَ ٱلْأَحْزَانِ بِٱلْأَشْجَانِ . وَعَصَفَتِ ٱلرِّيَاحُ وَٱضْطَرَبَتِ ٱلْأَمْوَاجُ وَظَهَرَتِ ٱلْحِيتَانُ . فَصَرَخَتْ ثُمَّ سَقَطَتْ إِلَى ٱلْأَرْضِ . فَلَمَّا قَامَتْ نَحَبَتْ ثُمَّ قَالَتْ : سَيِّدِي بِكَ تَقَرَّبَ ٱلْمُتَقَرِّبُونَ فِي ٱلْخَلَوَاتِ . وَلِعَظَمَتِكَ سَبَّحَتِ ٱلنِّينَانُ فِي ٱلْبِحَارِ ٱلزَّاخِرَاتِ . وَلِجَلَالِ قُدْسِكَ تَصَافَقَتِ ٱلْأَمْوَاجُ ٱلْمُتَلَاطِمَاتُ . أَنْتَ ٱلَّذِي سَجَدَ لَكَ سَوَادُ ٱللَّيْلِ وَضَوْءُ ٱلنَّهَارِ . وَٱلْفَلَكُ ٱلدَّوَّارُ وَٱلْبَحْرُ ٱلزَّخَّارُ . وَٱلْقَمَرُ ٱلنَّوَّارُ وَٱلنَّجْمُ ٱلزَّهَّارُ . وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَكَ بِمِقْدَارٍ لِأَنَّكَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْقَهَّارُ . ثُمَّ أَنْشَدَتْ :

يَا مُؤْنِسَ ٱلْأَبْرَارِ فِي خَلَوَاتِهِمْ ... يَا خَيْرَ مَنْ حَطَّتْ بِهِ ٱلنُّزَّالُ

مَنْ ذَاقَ حُبَّكَ لَا يَزَالُ مُتَيَّمًا ... قَرِحَ ٱلْفُؤَادِ مُتَيَّمًا بِٱلْبَالِ

فَقُلْتُ لَهَا : عَسَى أَنْ تَزِيدِينِي مِنْ هٰذَا . فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي . ثُمَّ رَفَعَتْ طَرْفَهَا نَحْوَ ٱلسَّمَاءِ فَقَالَتْ :

أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ حُبَّ ٱلْوِدَادِ ... وَحُبًّا لِأَنَّكَ أَهْلٌ لِذَاكَا

فَأَمَّا ٱلَّذِي هُوَ حُبُّ ٱلْوِدَادِ ... فَحُبٌّ شُغِلْتُ بِهِ عَنْ سِوَاكَا

وَأَمَّا ٱلَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ ... فَكَشْفُكَ ٱلْحُجُبَ حَتَّى أَرَاكَا

فَمَا ٱلْحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي ... وَلٰكِنْ لَكَ ٱلْحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَا

ثُمَّ شَهِقَتْ شَهْقَةً فَإِذَا هِيَ قَدْ فَارَقَتِ ٱلدُّنْيَا (اسواق الاشواق للبقاعي)

ذلّة الدنيا

٢١ قِيلَ لِبَعْضِ ٱلْحُكَمَاءِ : صِفْ لَنَا ٱلدُّنْيَا فَقَالَ : أَمَلٌ بَيْنَ يَدَيْكَ . وَأَجَلٌ مُطِلٌّ عَلَيْكَ . وَشَيْطَانٌ فَتَّانٌ . وَأَمَانِيُّ جَرَّارَةُ ٱلْعِنَانِ . تَدْعُوكَ

فتَسْتَجِيبُ. وَتَزْجُرُهَا فَتَخِيبُ. نَاقِضَةٌ لِلْعَزِيمَةِ مُرْتَجِعَةٌ لِلْعَطِيَّةِ. كُلٌّ مَنْ فِيهَا يَجْرِي. إِلَى مَا لَا يَدْرِي. وَقَالَ أَبُو ٱلْعَرَبِ ٱلصِّقِلِّيُّ:

وَلَا يَغْرُرْكَ مِنْهَا حُسْنُ بُرْدٍ ... لَهُ عَلَمَانِ مِنْ عَلَمِ ٱلذَّهَابِ
فَأَوَّلُهُ رَجَاءٌ مِنْ سَرَابٍ ... وَآخِرُهُ رِدَاءٌ مِنْ تُرَابِ

قَالَ ٱبْنُ قَاضِي مِيلَةَ:

لِدُنْيَاكَ نُورٌ وَلٰكِنَّهُ ... ظَلَامٌ يُحَارُ بِهِ ٱلْمُبْصِرُ
فَإِنْ عِشْتَ فِيهَا عَلَى أَنَّهَا ... كَمَا قِيلَ قَنْطَرَةٌ تُعْبَرُ
فَلَا تَعْمُرَنَّ بِهَا مَنْزِلًا ... فَإِنَّ ٱلْخَرَابَ لِمَا تَعْمُرُ
وَلَا تَذْخَرَنَّ خِلَافَ ٱلتُّقَى ... فَتَفْنَى وَيَبْقَى ٱلَّذِي تَذْخَرُ

٢٢ وَمِنْ جَيِّدِ شِعْرِ أَبِي ٱلْعَتَاهِيَةِ قَوْلُهُ:

وَاعَجَبًا لِلنَّاسِ لَوْ فَكَّرُوا ... وَحَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ أَبْصَرُوا
وَعَبَرُوا ٱلدُّنْيَا إِلَى غَيْرِهَا ... فَإِنَّمَا ٱلدُّنْيَا لَهُمْ مَعْبَرُ
أَلْخَيْرُ مِمَّا لَيْسَ يَخْفَى هُوَ ٱلْـ ... ـمَعْرُوفُ وَٱلشَّرُّ هُوَ ٱلْمُنْكَرُ
وَٱلْمَوْعِدُ ٱلْمَوْتُ وَمَا بَعْدَهُ ٱلْـ ... ـحَشْرُ فَذَاكَ ٱلْمَوْعِدُ ٱلْأَكْبَرُ
لَا فَخْرَ إِلَّا فَخْرُ أَهْلِ ٱلتُّقَى ... غَدًا إِذَا ضَمَّهُمُ ٱلْمَحْشَرُ
لَيَعْلَمَنَّ ٱلنَّاسُ أَنَّ ٱلتُّقَى ... وَٱلْبِرَّ كَانَا خَيْرَ مَا يُذْخَرُ

زوال الدنيا

٢٣ (مِنَ ٱلنَّهْجِ.) وَٱتَّقُوا ٱللّٰهَ عِبَادَ ٱللّٰهِ وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ. وَٱبْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ. وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمُ ٱلسَّيْرُ.

وَٱسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ. وَكُونُوا قَوْمًا صِيحَ بِهِمْ فَٱنْتَبَهُوا. وَعَلِمُوا أَنَّ ٱلدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَٱسْتَبْدَلُوا. فَإِنَّ ٱللهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى. وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ ٱلْجَنَّةِ أَوِ ٱلنَّارِ إِلَّا ٱلْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ. وَإِنَّ غَايَةً تَنْقُصُهَا ٱللَّحْظَةُ وَتَهْدِمُهَا ٱلسَّاعَةُ لَجَدِيرَةٌ بِقِصَرِ ٱلْمُدَّةِ. وَإِنَّ غَائِبًا يَحْدُوهُ ٱلْجَدِيدَانِ ٱللَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ ٱلْأَوْبَةِ. وَإِنَّ قَادِمًا يَقْدَمُ بِٱلْفَوْزِ أَوِ ٱلشِّقْوَةِ لَمُسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ ٱلْعُدَّةِ. فَتَزَوَّدُوا فِي ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلدُّنْيَا مَا تُحْرِزُونَ بِهِ نُفُوسَكُمْ غَدًا. فَٱتَّقَى عَبْدٌ مَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ. فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ. وَٱلشَّيْطَانَ مُوَكَّلٌ بِهِ يُزَيِّنُ لَهُ ٱلْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا. وَيُمَنِّيهِ ٱلتَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا. حَتَّى تَهْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا. فَيَا لَهَا حَسْرَةً عَلَى كُلِّ ذِي عَقْلٍ أَنْ يَكُونَ عُمْرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً. وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى شِقْوَةٍ. نَسْأَلُ ٱللهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ. وَلَا تُقَصِّرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةٌ. وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ نَدَامَةٌ وَلَا كَآبَةٌ. (لبهاء الدين)

قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ:

عَلَيْكُمْ سَلَامُ ٱللهِ إِنِّي مُوَدِّعُ ... وَعَيْنَايَ مِنْ مَضِّ ٱلتَّفَرُّقِ تَدْمَعُ
فَإِنْ نَحْنُ عِشْنَا يَجْمَعُ ٱللهُ بَيْنَنَا ... وَإِنْ نَحْنُ مُتْنَا فَٱلْقِيَامَةُ تَجْمَعُ
أَلَمْ تَرَ رَيْبَ ٱلدَّهْرِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ ... لَهُ عَارِضٌ فِيهِ ٱلْمَنِيَّةُ تَلْمَعُ
أَيَا بَانِيَ ٱلدُّنْيَا لِغَيْرِكَ تَبْتَنِي ... وَيَا جَامِعَ ٱلدُّنْيَا لِغَيْرِكَ تَجْمَعُ

أَرَى ٱلْمَرْءَ وَثَّابًا عَلَى كُلِّ فُرْصَةٍ ... وَلِلْمَرْءِ يَوْمًا لَا مَحَالَةَ مَصْرَعُ
تَبَارَكَ مَنْ لَا يَمْلِكُ ٱلْمُلْكَ غَيْرُهُ ... مَتَى تَنْقَضِي حَاجَاتُ مَنْ لَيْسَ يَشْبَعُ
وَأَيُّ ٱمْرِئٍ فِي غَايَةٍ لَيْسَ نَفْسُهُ ... إِلَى غَايَةٍ أُخْرَى سِوَاهَا تَطَلَّعُ

٢٤ قَالَ أَيْضًا:

طُولُ ٱلتَّعَاشُرِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ مَمْلُولُ ... مَا لِٱبْنِ آدَمَ إِنْ فَتَّشْتَ مَعْقُولُ
يَا رَاعِيَ ٱلشَّاءِ لَا تُغْفِلْ رِعَايَتَهَا ... فَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَا ٱسْتُرْعِيتَ مَسْؤُولُ
إِنِّي لَفِي مَنْزِلٍ مَا زِلْتُ أَعْمُرُهُ ... عَلَى يَقِينِي بِأَنِّي عَنْهُ مَنْقُولُ
وَلَيْسَ مِنْ مَوْضِعٍ يَأْتِيهِ ذُو نَفَسٍ ... إِلَّا وَلِلْمَوْتِ سَيْفٌ فِيهِ مَسْلُولُ
لَمْ يَشْغَلِ ٱلْمَوْتُ عَنَّا مُذْ أُعِدَّ لَنَا ... وَكُلُّنَا عَنْهُ بِٱللَّذَّاتِ مَشْغُولُ
وَمَنْ يَمُتْ فَهُوَ مَقْطُوعٌ وَمُجْتَنَبٌ ... وَٱلْحَيُّ مَا عَاشَ مَغْشِيٌّ وَمَوْصُولُ
كُلُّ مَا بَدَا لَكَ فَٱلْآكَالُ فَانِيَةٌ ... وَكُلُّ ذِي أُكُلٍ لَا بُدَّ مَأْكُولُ

٢٥ قَالَ ٱلْأَسْوَدُ ٱلدَّارِمِيُّ بَعْدَ نَكْبَةِ ٱلْأَكَاسِرَةِ لِآلِ ٱلْمُحَرِّقِ:

مَاذَا نُؤَمِّلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ ... تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادِ
أَهْلُ ٱلْخَوَرْنَقِ وَٱلسَّدِيرِ وَبَارِقٍ ... وَٱلْقَصْرِ ذِي ٱلشُّرُفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ
نَزَلُوا بِأَنْقِرَةٍ يَسِيلُ عَلَيْهِمِ ... مَاءُ ٱلْفُرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ
جَرَتِ ٱلرِّيَاحُ عَلَى رُسُومِ دِيَارِهِمْ ... فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مِيعَادِ
وَلَقَدْ غَنُوا فِيهَا بِأَنْعَمِ عِيشَةٍ ... فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ ٱلْأَوْتَادِ
فَإِذَا ٱلنَّعِيمُ وَكُلُّ مَا يُلْهَى بِهِ ... يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بِلًى وَنَفَادِ

٢٦ وَمِنْ رَقِيقِ مَا جَاءَ فِي ٱلزُّهْدِ قَوْلُ أَبِي ٱلْعَتَاهِيَةِ:

تَعالَى ٱللهُ يا سَلْمَ بْنَ عَمْرٍو أَذَلَّ ٱلْحِرْصُ أَعناقَ ٱلرِّجالِ
هَبِ ٱلدُّنْيا تُساقُ إِلَيْكَ عَفْوًا أَلَيسَ مَصيرُ ذٰلِكَ لِلزَّوالِ
نَعَى نَفْسِي إِلَيَّ مِنَ ٱللَّيالي تَصَرُّفُهُنَّ حالًا بَعْدَ حالِ
فَمالي لَسْتُ مَشْغُولًا بِنَفْسِي ومالي لا أَخافُ ٱلْمَوْتَ مالي
أَمَا فِي ٱلسَّالِفِينَ لِيَ ٱعْتِبارٌ وما لاقَوْهُ لَمْ يَخْطُرْ بِبالي
كَأَنِّي بِٱلْمَنِيَّةِ أَزْعَجَتْني وَنَعْشي بَيْنَ أَرْبَعَةٍ عِجالِ
وَخَلْفِي نِسْوَةٌ يَبْكِينَ بَعْدِي كَأَنَّ قُلوبَهُنَّ عَلى ٱلْمَقالي
وَحَقِّكَ كُلُّ ذا يَفْنَى سَرِيعًا وَلا شَيْءٌ يَدُومُ مَعَ ٱللَّيالي

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَبي طالِبٍ :

إِنَّما نِعْمَةُ دُنْيا مُتْعَةٌ وَحَياةُ ٱلْمَرْءِ ثَوْبٌ مُسْتَعارْ
وَصُرُوفُ ٱلدَّهْرِ فِي أَطْباقِهِ خِلْفَةٌ فِيها ٱرْتِفاعٌ وَٱنْحِدارْ
بَيْنَما ٱلْإِنْسانُ فِي عَلْيائِها إِذْ هَوَى فِي هُوَّةٍ مِنْها فَغارْ

٢٧ قَدْ شَبَّهَ بَعْضُهُمُ ٱلدُّنْيا بِخَيالِ ٱلظِّلِّ فَقالَ :

رَأَيْتُ خَيالَ ٱلظِّلِّ أَعْظَمَ عِبْرَةً لِمَنْ كانَ فِي عِلْمِ ٱلْحَقائِقِ راقِي
شُخُوصًا وَأَشْباحًا يُخالِفُ بَعْضُها لِبَعْضٍ وَأَشْكالًا بِغَيْرِ وِفاقِ
تَجِيءُ وَتَمْضِي بابَةً بَعْدَ بابَةٍ وَتَفْنَى جَمِيعًا وَٱلْمُحَرِّكُ باقِ

وَقالَ شَرَفُ بْنُ أَسَدٍ فِي مَعْناهُ :

يا مَنْ تَمَلَّكَ مُلْكًا لا بَقاءَ لَهُ حَمَّلْتَ نَفْسَكَ آثامًا وَأَوْزارا
هَلِ ٱلْحَياةُ بِذِي ٱلدُّنْيا وَإِنْ عَذُبَتْ إِلَّا كَطَيْفِ خَيالٍ فِي ٱلْكَرَى زارا

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

وَغَايَةُ هٰذِي ٱلدَّارِ لَذَّةُ سَاعَةٍ ... وَيَعْقُبُهَا ٱلْأَحْزَانُ وَٱلْهَمُّ وَٱلنَّدَمْ
وَهَاتِيكَ دَارُ ٱلْأَمْنِ وَٱلْعِزِّ وَٱلتُّقَى ... وَرَحْمَةِ رَبِّ ٱلنَّاسِ وَٱلْجُودِ وَٱلْكَرَمْ

٢٨ قَالَ ٱلْبُسْتِيُّ :

أَقُولُ لِمَنْ لَاحَ ٱلْمَشِيبُ بِفَوْدِهِ ... وَأَلْفَيْتُهُ عَنْ غَيِّهِ لَيْسَ يُقْصِرُ
عَذَلْتُكَ أَنْ أَضْلَلْتَ رُشْدَكَ خَاطِئًا ... وَلَيْلُ ٱلشَّبَابِ ٱلْوَحْفِ دَاجٍ فَمَعْذِرُ
فَهَلْ لَكَ فِي سِنِّ ٱلْكُهُولَةِ عَاذِرٌ ... إِذَا زِغْتَ عَنْ قَصْدٍ وَلَيْلُكَ مُقْمِرُ

قَالَ ٱبْنُ حَاجِبٍ يَذْكُرُ إِيوَانَ كِسْرَى :

يَا مَنْ بَنَى بِشَاهِقِ ٱلْبُنْيَانِ ... أَنَسِيتَ صُنْعَ ٱلدَّهْرِ بِٱلْإِيوَانِ
هٰذِي ٱلْمَصَانِعُ وَٱلدَّسَاكِرُ وَٱلْبِنَا ... وَقُصُورُ كِسْرَانَا أَنُوشِرْوَانِ
كَتَبَ ٱللَّيَالِي فِي ذُرَاهَا أَسْطُرًا ... بِيَدِ ٱلْبِلَى وَأَنَامِلِ ٱلْحِدْثَانِ
إِنَّ ٱلْحَوَادِثَ وَٱلْخُطُوبَ إِذَا سَطَتْ ... أَوْدَتْ بِكُلِّ مُوَثَّقِ ٱلْأَرْكَانِ

ذكر المنية والعواقب

٢٩ قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ :

أَتَيْتُ ٱلْقُبُورَ فَنَادَيْتُهَا ... فَأَيْنَ ٱلْمُعَظَّمُ وَٱلْمُحْتَقَرْ
وَأَيْنَ ٱلْمُذِلُّ بِسُلْطَانِهِ ... وَأَيْنَ ٱلْمُزَكَّى إِذَا مَا ٱفْتَخَرْ
فَنُودِيتُ مِنْ بَيْنِهِمْ لَا أَرَى ... شُخُوصًا لَهُمْ وَلَا مِنْ أَثَرْ
تَفَانَوْا جَمِيعًا فَلَا مُخْبِرٌ ... وَمَاتُوا جَمِيعًا وَمَاتَ ٱلْخَبَرْ
فَيَا سَائِلِي عَنْ أُنَاسٍ مَضَوْا ... أَمَا لَكَ فِيمَا تَرَى مُعْتَبَرْ

تَرُوحُ وَتَغْدُو بَنَاتُ ٱلثَّرَى وَتُمْحَى مَحَاسِنُ تِلْكَ ٱلصُّوَرْ

٣٠ قَالَ سَابِقٌ ٱلبَرْبَرِيُّ وَأَجَادَ:

تَلْهُو وَتَأْمُلُ أَيَّامًا تُعَدُّ لَنَا سَرِيعَةَ ٱلْمَرِّ تَطْوِينَا وَنَطْوِيهَا
كَمْ مِنْ عَزِيزٍ سَيَلْقَى بَعْدَ عِزَّتِهِ ذُلًّا وَضَاحِكَةٍ يَوْمًا سَتُبْكِيهَا
وَلِلْحُتُوفِ تُرَبِّي كُلُّ مُرْضِعَةٍ وَلِلْحِسَابِ بَرَى ٱلْأَرْوَاحَ بَارِيهَا
لَا تَبْرَحُ ٱلنَّفْسُ تُنْعَى وَهْيَ سَالِمَةٌ حَتَّى يَقُومَ بِنَادِي ٱلْقَوْمِ نَاعِيهَا
أَمْوَالُنَا لِذَوِي ٱلْمِيرَاثِ نَجْمَعُهَا وَدُورُنَا لِخَرَابِ ٱلدَّهْرِ نَبْنِيهَا

٣١ وَلِأَبِي ٱلْعَتَاهِيَةِ:

خَانَكَ ٱلطَّرْفُ ٱلطَّمُوحُ أَيُّهَا ٱلْقَلْبُ ٱلْجَمُوحُ
لِدَوَاعِي ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ م دُنُوٌّ وَنُزُوحُ
هَلْ لِمَطْلُوبٍ بِذَنْبٍ تَوْبَةٌ مِنْهُ نَصُوحُ
كَيْفَ إِصْلَاحُ قُلُوبٍ إِنَّمَا هُنَّ قُرُوحُ
أَحْسَنَ ٱللّٰهُ بِنَا أَنَّ م ٱلْخَطَايَا لَا تَفُوحُ
فَإِذَا ٱلْمَسْتُورُ مِنَّا بَيْنَ ثَوْبَيْهِ فَضُوحُ
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ طُوِيَتْ عَنْهُ ٱلْكُشُوحُ
صَاحَ مِنْهُ بِرَحِيلٍ صَائِحُ ٱلدَّهْرِ ٱلصَّدُوحُ
مَوْتُ بَعْضِ ٱلنَّاسِ فِي ٱلْأَرْ ضِ عَلَى قَوْمٍ فُتُوحُ
سَيَصِيرُ ٱلْمَرْءُ يَوْمًا جَسَدًا مَا فِيهِ رُوحُ
بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ حَيٍّ عَلَمُ ٱلْمَوْتِ يَلُوحُ

كُلُّنَا فِي غَفْلَةٍ وَٱلْمَوْتُ يَغْدُو وَيَرُوحُ
لِبَنِي ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلدُّنْيَا غَبُوقٌ وَصَبُوحُ
رُحْنَ فِي ٱلْوَشْيِ وَأَصْبَحْنَ عَلَيْهِنَّ ٱلْمُسُوحُ
كُلُّ نَطَّاحٍ مِنَ ٱلدَّهْرِ لَهُ يَوْمٌ نَطُوحُ
نُحْ عَلَى نَفْسِكَ يَا مِسْكِينُ إِنْ كُنْتَ تَنُوحُ
لَتَمُوتَنَّ وَإِنْ عُمِّرْتَ مَا عُمِّرَ نُوحُ.

٣٢ قَالَ بَهَاءُ ٱلدِّينِ زُهَيْرٌ:

لَيْتَ شِعْرِي لَيْتَ شِعْرِي . أَيُّ أَرْضٍ هِيَ قَبْرِي
ضَاعَ عُمْرِي فِي ٱغْتِرَابٍ وَرَحِيلٍ مُسْتَمِرِّ
وَمَتَى يَوْمُ وَفَاتِي لَيْتَنِي لَوْ كُنْتُ أَدْرِي
لَيْسَ لِي فِي كُلِّ أَرْضٍ جِئْتُهَا مِنْ مُسْتَقَرِّ
بَعْدَ هٰذَا لَيْتَنِي أَعْرِفُ مَا آخِرُ عُمْرِي
وَمَتَى أَخْلُصُ مِمَّا أَنَا فِيهِ لَيْتَ شِعْرِي
وَلَقَدْ آنَ بِأَنْ أَصْحُو فَمَا لِي طَالَ سُكْرِي
أَتُرَى يُسْتَدْرَكُ ٱلْفَا رِطُ مِنْ تَضْيِيعِ عُمْرِي

٣٣ قَالَ آخَرُ:

قَدِّمْ لِنَفْسِكَ خَيْرًا وَأَنْتَ مَالِكُ مَالِكْ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَتَفَانَى وَلَوْنُ حَالِكَ حَالِكْ
لَمْ تَدْرِ نَفْسُكَ حَقًّا أَيَّ ٱلْمَسَالِكِ سَالِكْ

لِجَنَّةٍ أَمْ لِنَارٍ إِلَى مَمَالِكِ مَالِكْ
وَأَنْتَ لَا بُدَّ يَوْمًا بَعْدَ ٱلتَّكَاهُلِ هَالِكْ

قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ فِي وَصْفِ ٱلْمَوْتِ:

كَأَنَّ ٱلْأَرْضَ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيَّا ... وَقَدْ أُخْرِجْتُ مِمَّا فِي يَدَيَّا
كَأَنِّي صِرْتُ مُنْفَرِدًا وَحِيدًا ... وَمُرْتَهَنًا لَدَيْكَ بِمَا عَلَيَّا
كَأَنَّ ٱلْبَاكِيَاتِ عَلَيَّ يَوْمًا ... وَلَا يُغْنِي ٱلْبُكَاءُ عَلَيَّ شَيَّا
ذَكَرْنَ مَنِيَّتِي فَنَعَيْنَ نَفْسِي ... أَلَا أَسْعِدْ أُخَيَّكَ يَا أُخَيَّا

٣٤ قَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ عِنْدَ مَوْتِهِ:

يَا نَفْسُ صَبْرًا لَعَلَّ ٱلْخَيْرَ عُقْبَاكِ ... خَانَتْكِ مِنْ بَعْدِ طُولِ ٱلْأَمْنِ دُنْيَاكِ
مَرَّتْ بِنَا سَحَرًا طَيْرٌ فَقُلْتُ لَهَا ... طُوبَاكِ يَا لَيْتَنِي إِيَّاكِ طُوبَاكِ
إِنْ كَانَ قَصْدُكِ شَرْقًا بِالسَّلَامِ عَلَى ... شَاطِي ٱلْفُرَاتِ ٱبْلِغِي إِنْ كَانَ مَثْوَاكِ
مِنْ مُوثَقٍ بِٱلْمَنَايَا لَا فَكَاكَ لَهُ ... يَبْكِي ٱلدِّمَاءَ عَلَى إِلْفٍ لَهُ بَاكِي
أَظُنُّهُ آخِرَ ٱلْأَيَّامِ مِنْ عُمُرِي ... وَأَوْشَكَ ٱلْيَوْمَ أَنْ يَبْكِي لَهُ بَاكِي

٣٥ وَمَا أَجْوَدَ قَوْلَ ٱبْنِ أَبِي زَمَنِينٍ:

أَلْمَوْتُ فِي كُلِّ حِينٍ يَنْشُرُ ٱلْكَفَنَا ... وَنَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِنَا
لَا تَطْمَئِنَّ إِلَى ٱلدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا ... وَإِنْ تَوَشَّحْتَ مِنْ أَثْوَابِهَا ٱلْحَسَنَا
أَيْنَ ٱلْأَحِبَّةُ وَٱلْجِيرَانُ مَا فَعَلُوا ... أَيْنَ ٱلَّذِينَ هُمُ كَانُوا لَنَا سَكَنَا
سَقَاهُمُ ٱلْمَوْتُ كَأْسًا غَيْرَ صَافِيَةٍ ... فَصَيَّرَتْهُمْ لِأَطْبَاقِ ٱلثَّرَى رُهُنَا
تَبْكِي ٱلْمَنَازِلُ مِنْهُمْ كُلَّ مُنْسَجِمٍ ... بِٱلْمَكْرُمَاتِ وَتَرْثِي ٱلْبِرَّ وَٱلْمِنَنَا

أَلَا يُظَنَّ عَلَى مَعْلُومِهِ حَسَنَا ... حَسْبُ ٱلْحِمَامِ لَوَ ٱبْقَاهُمْ وَأَمْهَلَهُمْ

٣٦ دَخَلَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ ٱلْفَضْلِ عَلَى أَبِي حَفْصٍ ٱلشِّطْرَنْجِيِّ يَعُودُهُ فِي عِلَّتِهِ ٱلَّتِي مَاتَ فِيهَا. فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ :

نَعَى لَكَ ظِلَّ ٱلشَّبَابِ ٱلْمَشِيبُ ... وَنَادَتْكَ بِٱسْمِ سِوَاكَ ٱلْخُطُوبُ

فَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِدَاعِي ٱلْفَنَاءِ ... فَإِنَّ ٱلَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبُ

أَلَسْنَا نَرَى شَهَوَاتِ ٱلنُّفُو ... سِ تَفْنَى وَتَبْقَى عَلَيْهَا ٱلذُّنُوبُ

وَقَبْلَكَ دَاوَى ٱلْمَرِيضَ ٱلطَّبِيبُ ... فَعَاشَ ٱلْمَرِيضُ وَمَاتَ ٱلطَّبِيبُ

يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مَنْ يَتُوبُ ... فَكَيْفَ تَرَى حَالَ مَنْ لَا يَتُوبُ

وَلِأَبِي ٱلْعَتَاهِيَةِ :

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَٱبْنُوا لِلْخَرَابِ ... فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى ٱلذَّهَابِ

أَلَا يَا مَوْتُ لَمْ أَرَ مِنْكَ بُدًّا ... أَتَيْتَ وَمَا تَحِيفُ وَمَا تُحَابِي

كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيبِي ... كَمَا هَجَمَ ٱلْمَشِيبُ عَلَى شَبَابِي

٣٧ وَجَاءَ فِي قَلَائِدِ ٱلْعِقْيَانِ :

أَيْنَ ٱلْمُلُوكُ وَمَنْ بِٱلْأَرْضِ قَدْ عَمَرُوا ... قَدْ فَارَقُوا مَا بَنَوْا فِيهَا وَمَا عَمَرُوا

وَأَصْبَحُوا رَهْنَ قَبْرٍ بِٱلَّذِي عَمِلُوا ... عَادُوا رَمِيمًا بِهِ مِنْ بَعْدِ مَا دَثَرُوا

أَيْنَ ٱلْعَسَاكِرُ مَا رَدَّتْ وَمَا نَفَعَتْ ... وَأَيْنَ مَا جَمَعُوا فِيهَا وَمَا ٱدَّخَرُوا

أَتَاهُمُ أَمْرُ رَبِّ ٱلْعَرْشِ فِي عَجَلٍ ... لَمْ يُنْجِهِمْ مِنْهُ لَا مَالٌ وَلَا وَزَرُ

قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ وَلَهُ ٱلْيَدُ ٱلطُّولَى فِي مَعَانِي ٱلزُّهْدِ :

إِعْمَدْ لِنَفْسِكَ وَٱذْكُرْ سَاعَةَ ٱلْأَجَلِ ... وَلَا تُغَرَّنَّ فِي دُنْيَاكَ بِٱلْأَمَلِ

سَابِقْ حُتُوفَ ٱلرَّدَى وَٱعْمَلْ عَلَى مَهَلٍ ... مَادُمْتَ فِي هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا عَلَى مَهَلِ
وَٱعْلَمْ بِأَنَّكَ مَسْؤُولٌ وَمُفْتَحَصٌ ... عَمَّا عَمِلْتَ وَمَعْرُوضٌ عَلَى ٱلعَمَلِ
لَا تَلْعَبَنَّ بِكَ ٱلدُّنْيَا وَزُخْرُفُهَا ... فَإِنَّهَا قُرِنَتْ فِي ٱلظِّلِّ بِٱلْمَثَلِ
لَا يَحْذَرُ ٱلنَّفْسَ إِلَّا ذُو مُرَاقَبَةٍ ... يُمْسِي وَيُصْبِحُ فِي ٱلدُّنْيَا عَلَى وَجَلِ
مَا أَقْرَبَ ٱلْمَوْتَ مِنْ أَهْلِ ٱلْحَيَاةِ وَمَا ... أَنْجَى ٱللَّبِيبَ بِحُسْنِ ٱلقَوْلِ وَٱلعَمَلِ
مَا أَحْسَنَ ٱلدِّينَ وَٱلدُّنْيَا إِذَا ٱجْتَمَعَا ... وَأَقْبَحَ ٱلْكُفْرَ وَٱلْإِفْلَاسَ بِٱلرَّجُلِ

٣٨ وَلَهُ أَيْضًا :

قَدْ سَمِعْنَا ٱلوَعْظَ لَوْ يَنْفَعُنَا ... وَقَرَأْنَا جُلَّ آيَاتِ ٱلْكُتُبْ
كُلُّ نَفْسٍ سَتُوَافِي سَعْيَهَا ... وَلَهَا مِيقَاتُ يَوْمٍ قَدْ وَجَبْ
جَفَّتِ ٱلْأَقْلَامُ مِنْ قَبْلُ بِمَا ... حَتَمَ ٱللّٰهُ عَلَيْنَا وَكَتَبْ
يَهْرُبُ ٱلْمَرْءُ مِنَ ٱلْمَوْتِ وَهَلْ ... يَنْفَعُ ٱلْمَرْءَ مِنَ ٱلْمَوْتِ ٱلْهَرَبْ
كُلُّ نَفْسٍ سَتُقَاسِي عَاجِلًا ... كُرَبَ ٱلْمَوْتِ فَلِلْمَوْتِ كُرَبْ
أَيُّهَا ذَا ٱلنَّاسُ مَا حَلَّ بِكُمْ ... عَجَبًا مِنْ سَهْوِكُمْ كُلَّ ٱلْعَجَبْ
وَسَقَامٍ ثُمَّ مَوْتٍ نَازِلٍ ... ثُمَّ قَبْرٍ وَنُزُولٍ وَجَلَبْ
وَحِسَابٍ وَكِتَابٍ حَافِظٍ ... وَمَوَازِينٍ وَنَارٍ تَلْتَهِبْ
وَصِرَاطٍ مَنْ يَزِلَّ عَنْ حَدِّهِ ... فَإِلَى خِزْيٍ طَوِيلٍ وَنَصَبْ

قَالَ بَعْضُهُمْ :

تُلَاحِظُنِي ٱلْمَنِيَّةُ مِنْ قَرِيبٍ ... وَتَلْحَظُنِي مُلَاحَظَةَ ٱلرَّقِيبِ
وَتَنْشُرُ لِي كِتَابًا فِيهِ طَيٌّ ... بِخَطِّ ٱلدَّهْرِ أَسْطُرُهُ مَشِيبِي

كِتَابٌ فِي مَعَانِيهِ غُمُوضٌ تَلُوحُ لِكُلِّ أَوَّابٍ مُنِيبِ
أَزَالَ ٱللهُ يَا صَاحِي شَبَابِي فَعُوِّضْتُ ٱلْبَغِيضَ مِنَ ٱلْحَبِيبِ
وَبُدِّلْتُ ٱلتَّكَاسُلَ مِنْ نَشَاطِي وَمِنْ حُسْنِ ٱلنَّضَارَةِ بِٱلشُّحُوبِ
كَذَاكَ ٱلشَّمْسُ يَعْلُوهَا ٱصْفِرَارٌ إِذَا جَنَحَتْ وَمَالَتْ لِلْغُرُوبِ

قَالَ ٱلْإِلْبِيرِيُّ:

كَأَنِّي بِنَفْسِي وَهْيَ فِي ٱلسَّكَرَاتِ تُعَالِجُ أَنْ تَرْقَى إِلَى ٱللَّهَوَاتِ
وَقَدْ زُمَّ رَحْلِي وَٱسْتَقَلَّتْ رَكَائِبِي وَقَدْ آذَنَتْنِي بِٱلرَّحِيلِ حُدَاتِي
إِلَى مَنْزِلٍ فِيهِ عَذَابٌ وَرَحْمَةٌ وَكَمْ فِيهِ مِنْ زَجْرٍ لَنَا وَعِظَاتِ
وَمِنْ أَعْيُنٍ سَالَتْ عَلَى وَجَنَاتِهَا وَمِنْ أَوْجُهٍ فِي ٱلتُّرْبِ مُنْعَفِرَاتِ
وَكَمْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى مَا يَسُرُّهُ وَكَمْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى ٱلْحَسَرَاتِ

في الدهر ونوائبه

٣٩ أَنْشَدَ ٱلْخَلِيفَةُ ٱلْمُعْتَضِدُ لَمَّا حَضَرَتْهُ ٱلْوَفَاةُ قَصِيدَةً مِنْهَا:

وَلَا تَأْمَنَنَّ ٱلدَّهْرَ إِنِّي أَمِنْتُهُ فَلَمْ يُبْقِ لِي خِلًّا وَلَمْ يَرْعَ لِي حَقَّا
قَتَلْتُ صَنَادِيدَ ٱلرِّجَالِ وَلَمْ أَدَعْ عَدُوًّا وَلَمْ أُمْهِلْ عَلَى طَغْيِهِ خَلْقَا
وَأَخْلَيْتُ دَارَ ٱلْمُلْكِ مِنْ كُلِّ نَازِعٍ فَشَرَّدْتُهُمْ غَرْبًا وَمَزَّقْتُهُمْ شَرْقَا
فَلَمَّا بَلَغْتُ ٱلنَّجْمَ عِزًّا وَرِفْعَةً وَصَارَتْ رِقَابُ ٱلْخَلْقِ أَجْمَعُ لِي رِقَّا
رَمَانِي ٱلرَّدَى سَهْمًا فَأَخْمَدَ جَمْرَتِي فَهَا أَنَا ذَا فِي حُفْرَتِي عَاجِلًا أُلْقَى

قَالَ ٱلْإِمَامُ أَبُو مُظَفَّرٍ ٱلْأَبِيوَرْدِيُّ:

يَا مَنْ يُؤَمِّلُ أَنْ يَعِيشَ مُسَلَّمًا جَذْلَانَ لَا يُدْهَى بِخَطْبٍ يُحْزِنُ

أَفرطتَ في شططِ الأماني فاقتصدْ   وٱعلمْ بأنّ من المنى ما يفتِرْ
ليسَ الأمانُ من الزمانِ بممكنٍ   ومنَ المحالِ وجودُ ما لا يمكن
معنى الزمانِ على الحقيقةِ كاسمِهِ   فعلامَ نرجو أنّهُ لا يزمن

٤٠ قصيدة لاسماعيل المقري في التوبة

إلى كم تمادى في غرورٍ وغفلةِ   وكم هكذا نومٌ إلى غيرِ يقظةِ
لقد ضاعَ عمرٌ ساعةٌ منهُ تشترى   بملءِ السما والأرضِ أيّةَ ضيعةِ
أترضى منَ العيشِ الرغيدِ وعيشةٍ   معَ الملإِ الأعلى بعيشِ البهيمةِ
فيا درّةً بينَ المزابلِ أُلقيتْ   وجوهرةً بيعتْ بأبخسِ قيمةِ
أفانٍ بباقٍ تشتريهِ سفاهةً   وسخطًا برضوانٍ ونارًا بجنّةِ
أأنتَ صديقٌ أم عدوٌّ لنفسهِ   فإنّكَ ترميها بكلِّ مصيبةِ
ولو فعلَ الأعدا بنفسكَ بعضَ ما   فعلتَ لمسّتهم لها بعضُ رحمةِ
لقد بعتَها هونًا عليكَ رخيصةً   وكانتْ بهذا منكَ غيرَ حقيقةِ
كلفتَ بها دنيا كثيرٌ غرورُها   تقابلُنا في نصحِها بالخديعةِ
عليكَ بما يجدي عليكَ منَ التقى   فإنّكَ في سهوٍ عظيمٍ وغفلةِ
تصلّي بلا قلبٍ صلاةً بمثلِها   يصيرُ الفتى مستوجبًا للعقوبةِ
تخاطبُهُ إيّاكَ نعبدُ مقبلًا   على غيرِهِ فيها لغيرِ ضرورةِ
ولو ردَّ من ناجاكَ للغيرِ طرفَهُ   تميّزتَ من غيظٍ عليهِ وغيرةِ
فويلكَ تدري من تناجيهِ معرضًا   وبينَ يدَي من تنحني غيرَ مخبتِ
تقولُ معَ العصيانِ ربّي غافرٌ   صدقتَ ولكن غافرٌ بالمشيئةِ

وَرَبُّكَ رَزَّاقٌ كَمَا هُوَ غَافِرٌ فَلِمْ لَمْ تُصَدِّقْ فِيهِمَا بِالسَّوِيَّةِ
فَكَيفَ تُرَجّي ٱلعفوَ مِنْ غَيرِ تَوْبَةٍ وَلَستَ تُرَجّي ٱلرِّزْقَ إِلَّا بِحِيلَةِ
وَهَا هُوَ بِٱلْأَرْزَاقِ كَفَّلَ نفسَهُ وَلَم يَتَكَفَّلْ لِلْأَنَامِ بِجَنَّةِ
وَمَازِلتَ تَسْعَى فِي ٱلَّذِي قَدْ كُفِيتَهُ وَتُهْمِلُ مَا كُلِّفْتَهُ مِنْ وَظِيفَةِ
تُسِيءُ بِهِ ظَنًّا وَتُحْسِنُ تَارَةً عَلَى حَسَبِ مَا يَقْضِي ٱلْهَوَى بِٱلْقَضِيَّةِ

٤١ للبرعي في الاغراء بالتوبة

يَا مُحْسِنًا بِٱلزَّمَانِ ظَنًّا لَمْ تَدْرِ مَا يَفْعَلُ ٱلزَّمَانُ
لَا تَتْبَعِ ٱلنَّفْسَ فِي هَوَاهَا إِنَّ ٱتِّبَاعَ ٱلْهَوَى هَوَانُ
وَاخَجْلَتِي مِنْ عِتَابِ رَبِّي إِنْ قَالَ أَسْرَفْتَ يَا فُلَانُ
إِلَى مَتَى أَنتَ فِي ٱلْمَعَاصِي تَسِيرُ مُرْخًى لَكَ ٱلْعِنَانُ
لَوْ خَوَّفَتْكَ ٱلْجَحِيمُ بَطْشِي لَشَوَّقَتْ قَلْبَكَ ٱلْجِنَانُ
أَنْتَ شُجَاعٌ عَلَى ٱلْمَعَاصِي وَأَنْتَ عَنْ طَاعَتِي جَبَانُ
عِنْدِي لَكَ ٱلصُّلْحُ وَهْوَ بِرِّي وَعِنْدَكَ ٱلسَّيْفُ وَٱلسِّنَانُ
فَٱسْتَحْيِ مِنْ شَيْبَةٍ تَرَاهَا فِي ٱلنَّارِ مَسْجُونَةً تُهَانُ
أَيُّ أَوَانٍ تَتُوبُ فِيهِ هَلْ بَعْدَ قَطْعِ ٱلرَّجَا أَوَانُ
يَا سَيِّدِي هٰذِهِ عُيُوبِي وَأَنْتَ فِي ٱلْخَطْبِ مُسْتَعَانُ
يَا مَنْ لَهُ فِي ٱلْعُصَاةِ شَأْنٌ وَشَأْنُهُ ٱلْعَطْفُ وَٱلْحَنَانُ
يَا مَنْ مَلَا بِرُّهُ ٱلنَّوَاحِي لَمْ يَخْلُ مِنْ بِرِّهِ مَكَانْ
عَفْوًا فَإِنِّي رَهِينُ ذَنْبٍ حَاشَاكَ أَنْ يَغْلَقَ ٱلرِّهَانُ

٤٢ قَالَ حُرَيْثُ بْنُ جَبَلَةَ ٱلْعُذْرِيُّ وَقِيلَ عِثْيَرُ بْنُ لَبِيدٍ ٱلْعُذْرِيُّ:

يَا قَلْبُ إِنَّكَ فِي ٱلْأَحْيَاءِ مَغْرُورُ فَٱذْكُرْ وَهَلْ يَنْفَعَنْكَ ٱلْيَوْمَ تَذْكِيرُ
تُرِيدُ أَمْرًا فَمَا تَدْرِي أَعَاجِلُهُ خَيْرٌ لِنَفْسِكَ أَمْ مَا فِيهِ تَأْخِيرُ
فَٱسْتَقْدِرِ ٱللّٰهَ خَيْرًا وَٱرْضَيَنَّ بِهِ فَبَيْنَمَا ٱلْعُسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ
وَبَيْنَمَا ٱلْمَرْءُ فِي ٱلْأَحْيَاءِ مُغْتَبِطٌ إِذْ صَارَ فِي ٱلرَّمْسِ تَعْفُوهُ ٱلْأَعَاصِيرُ
حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَوَهُّمُهُ وَٱلدَّهْرُ فِي كُلِّ حَالَيْهِ دَهَارِيرُ
يَبْكِي ٱلْغَرِيبُ عَلَيْهِ لَيْسَ يَعْرِفُهُ وَذُو قَرَابَتِهِ فِي ٱلْحَيِّ مَسْرُورُ

قَالَ آخَرُ:

وَيْلِي إِذَا كَانَ ٱلْجَحِيمُ جَزَاءِي مَاذَا يَحِلُّ بِمُهْجَتِي وَبَهَاءِي
يَبْلِي ٱلْعَذَابُ مَحَاسِنِي وَيَشِينُهَا وَيَطُولُ مِنِّي فِي ٱلْجَحِيمِ بُكَاءِي
وَيَقُولُ لِي ٱلْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ يَا عَبْدَ سَوْءٍ أَنْتَ مِنْ أَعْدَاءِي
بَارَزْتَنِي وَعَصَيْتَ أَمْرِي جَاهِلًا وَنَسِيتَ وَعْدِي مَا تَخَافُ لِقَاءِي
وَتَرَى وُجُوهَ ٱلطَّائِعِينَ كَأَنَّهَا بَدْرٌ بَدَا فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءِ
كَشَفُوا ٱلْحِجَابَ فَشَاهَدُوهُ وَأُدْهِشُوا وَكُسُوا نَعِيمًا دَائِمًا بِضِيَاءِ

٤٣ قَالَ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ خَاتِمَةَ مُسْتَغِيثًا بِهِ تَعَالَى:

يَا مَنْ يُغِيثُ ٱلْوَرَى مِنْ بَعْدِمَا قَنِطُوا إِرْحَمْ عِبَادًا أَكُفُّ ٱلْفَقْرِ قَدْ بَسَطُوا
عَوَّدْتَهُمْ بَسْطَ أَرْزَاقٍ بِلَا سَبَبٍ سِوَى جَمِيلِ رَجَاءٍ نَحْوَهُ ٱنْبَسَطُوا
وَعَدْتَ بِٱلْفَضْلِ فِي وِرْدٍ وَفِي صَدَرٍ بِٱلْجُودِ إِنْ أَقْسَطُوا وَٱلْحِلْمِ إِنْ قَسَطُوا
عَوَارِفٌ ٱرْتَبَطَتْ شُمُّ ٱلْأُنُوفِ بِهَا وَكُلُّ صَعْبٍ بِقَيْدِ ٱلْجُودِ يَرْتَبِطُ

يَا مَنْ تَعَرَّفَ بِالْمَعْرُوفِ فَاعْتَرَفَتْ ... بِجَمِّ إِنْعَامِهِ الْأَطْرَافُ وَالْوَسَطُ
وَعَالِمًا بِخَفِيَّاتِ الْأُمُورِ فَلَا ... وَهْمٌ يَجُوزُ عَلَيْهِ لَا وَلَا غَلَطُ
عَبْدٌ فَقِيرٌ بِبَابِ الْجُودِ مُنْكَسِرٌ ... مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُوَافِي حِينَ يَنْضَغِطُ
مَهْمَا أَتَى لِيَمُدَّ الْكَفَّ أَخْجَلَهُ ... قَبَائِحٌ وَخَطَايَا أَمْرُهَا فُرُطُ
يَا وَاسِعًا ضَاقَ خَطْوُ الْخَلْقِ عَنْ نِعَمٍ ... مِنْهُ إِذَا خَطَبُوا فِي شُكْرِهَا خَبَطُوا
وَنَاشِرًا بِيَدِ الْإِجْمَالِ رَحْمَتَهُ ... فَلَيْسَ يَلْحَقُ مِنْهُ مُسْرِفًا قَنَطُ
إِرْحَمْ عِبَادًا بِضَنْكِ الْعَيْشِ مَا لَهُمُ ... غَيْرَ الدُّجُنَّةِ لُحُفٌ وَالثَّرَى بُسُطُ
لَكِنَّهُمْ مِنْ ذُرَى عَلْيَاكَ فِي نَمَطٍ ... سَامٍ رَفِيعِ الذُّرَى مَا فَوْقَهُ نَمَطُ
وَمَنْ يَكُنْ بِالَّذِي يَهْوَاهُ مُجْتَمِعًا ... فَمَا يُبَالِي أَقَامَ الْحَيُّ أَمْ شَحَطُوا
نَحْنُ الْعَبِيدُ وَأَنْتَ الْمَلْكُ لَيْسَ سِوَى ... وَكُلُّ شَيْءٍ يُرَجَّى بَعْدَ ذَا شَطَطُ

قَالَ آخَرُ:

أَقْصَرْتُ عَنْ طَلَبِ الْبَطَالَةِ وَالصِّبَا ... لَمَّا عَلَانِي لِلْمَشِيبِ قِنَاعُ
لِلَّهِ أَيَّامُ الشَّبَابِ وَأَهْلُهُ ... لَوْ أَنَّ أَيَّامَ الشَّبَابِ تُبَاعُ
فَدَعِ الصِّبَا يَا قَلْبُ وَالْهُ عَنِ الْهَوَى ... مَا فِيكَ بَعْدَ مَشِيبِكَ اسْتِمْتَاعُ
وَانْظُرْ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ مُوَدِّعٍ ... فَلَقَدْ دَنَا سَفَرٌ وَحَانَ وَدَاعُ
وَالْحَادِثَاتُ مُوَكَّلَاتٌ بِالْفَتَى ... وَالنَّاسُ بَعْدَ الْحَادِثَاتِ سَمَاعُ

قَالَ بِشْرُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ:

تَعَافُ الْقَذَى فِي الْمَاءِ لَا تَسْتَطِيعُهُ ... وَتَكْرَعُ فِي حَوْضِ الذُّنُوبِ فَتَشْرَبُ
وَتُؤْثِرُ مِنْ أَكْلِ الطَّعَامِ أَلَذَّهُ ... وَلَا تَذْكُرُ الْمِسْكِينَ مِنْ أَيْنَ يَكْسِبُ

وَتَرْقُدُ يَا مِسْكِينُ فَوْقَ نَمَارِقٍ ... وَفِي حَشْوِهَا نَارٌ عَلَيْكَ تَلَهَّبُ
فَحَتَّى مَتَى لَا تَسْتَفِيقُ جَهَالَةً ... وَأَنْتَ ٱبْنُ سَبْعِينَ بِذٰلِكَ تَلْعَبُ

٤٤ قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ:

فَيَا مَنْ بَاتَ يَنْمُو بِٱلْخَطَايَا ... وَعَيْنُ ٱللهِ سَاهِرَةٌ تَرَاهُ
أَمَا تَخْشَى مِنَ ٱلدَّيَّانِ طَرْدًا ... بِجُرْمٍ دَائِمًا أَبَدًا تَرَاهُ
أَتَعْصِي ٱللهَ وَهُوَ يَرَاكَ جَهْرًا ... وَتَنْسَى فِي غَدٍ حَقًّا تَرَاهُ
وَتَخْلُو بِٱلْمَعَاصِي وَهُوَ دَانٍ ... إِلَيْكَ وَلَيْسَ تَخْشَى مِنْ لِقَاهُ
وَتُنْكِرُ فِعْلَهَا وَلَهَا شُهُودٌ ... بِمَكْتُوبٍ عَلَيْكَ وَقَدْ حَوَاهُ
فَيَا حُزْنَ ٱلْمُسِيءِ لِشُؤْمِ ذَنْبٍ ... وَبَعْدَ ٱلْحُزْنِ يَكْفِيهِ حِمَاهُ
فَيَنْدُبُ حَسْرَةً مِنْ بَعْدِ مَوْتٍ ... وَيَبْكِي حَيْثُ لَا يُجْدِي بُكَاهُ
يَعَضُّ يَدَيْهِ مِنْ نَدَمٍ وَحُزْنٍ ... وَيَنْدُبُ حَسْرَةً مَا قَدْ عَرَاهُ
فَبَادِرْ بِٱلصَّلَاحِ وَأَنْتَ حَيٌّ ... لَعَلَّكَ أَنْ تَنَالَ بِهِ رِضَاهُ

ما كُتب على القبور

٤٥ تُوُفِّيَ رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ فَكُتِبَ عَلَى قَبْرِهِ هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتُ:

يَا وَاقِفِينَ أَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُوا ... أَنَّ ٱلْحِمَامَ بِكُمْ عَلَيْنَا قَادِمُ
لَوْ تَنْزِلُونَ بِشِعْبِنَا لَعَرَفْتُمُ ... أَنَّ ٱلْمُفَرِّطَ فِي ٱلتَّزَوُّدِ نَادِمُ
لَا تَسْتَغِرُّوا بِٱلْحَيَاةِ فَإِنَّكُمْ ... تَبْنُونَ وَٱلْمَوْتُ ٱلْمُفَرِّقُ هَادِمُ
سَاوَى ٱلرَّدَى مَا بَيْنَنَا فِي حُفْرَةٍ ... حَيْثُ ٱلْمُخَدَّمُ وَاحِدٌ وَٱلْخَادِمُ

وَمِمَّا وُجِدَ عَلَى قَبْرٍ:

إِنَّ ٱلْحَبِيبَ مِنَ ٱلْأَحْبَابِ مُخْتَلَسُ ... لَا يَمْنَعُ ٱلْمَوْتَ بَوَّابٌ وَلَا حَرَسُ
فَكَيْفَ تَفْرَحُ بِالدُّنْيَا وَلَذَّتِهَا ... يَا مَنْ يُعَدُّ عَلَيْهِ ٱللَّفْظُ وَٱلنَّفَسُ
لَا يَرْحَمُ ٱلْمَوْتُ ذَا جَاهٍ لِعِزَّتِهِ ... وَلَا ٱلَّذِي كَانَ مِنْهُ ٱلْعِلْمُ يُقْتَبَسُ
قَدْ كَانَ قَصْرُكَ مَعْمُورًا لَهُ شَرَفٌ ... فَقَبْرُكَ ٱلْيَوْمَ فِي ٱلْأَجْدَاثِ مُنْدَرِسُ

قَالَ ٱبْنُ ٱلزَّقَّاقِ هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتَ وَأَوْصَى أَنْ تُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ:

أَإِخْوَانَنَا وَٱلْمَوْتُ قَدْ حَالَ دُونَنَا ... وَلِلْمَوْتِ حُكْمٌ نَافِذٌ فِي ٱلْخَلَائِقِ
سَبَقْتُكُمُ لِلْمَوْتِ وَٱلْعُمْرُ طَيَّهُ ... وَأَعْلَمُ أَنَّ ٱلْكُلَّ لَا بُدَّ لَاحِقِي
بِعَيْشِكُمُ أَوْ بِٱضْطِجَاعِيَ فِي ٱلثَّرَى ... أَلَمْ نَكُ فِي صَفْوٍ مِنَ ٱلْعَيْشِ رَائِقِ
فَمَنْ مَرَّ بِي فَلْيَمْضِ بِي مُتَرَحِّمًا ... وَلَا يَكُ مَنْسِيًّا وَفَاءُ ٱلْأَصَادِقِ

٤٦ أَمَرَ أَبُو ٱلصَّلْتِ ٱلْإِشْبِيلِيُّ أَنْ تُكْتَبَ هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتُ عَلَى قَبْرِهِ:

سَكَنْتُكِ يَا دَارَ ٱلْفَنَاءِ مُصَدِّقًا ... بِأَنِّي إِلَى دَارِ ٱلْبَقَاءِ أَصِيرُ
وَأَعْظَمُ مَا فِي ٱلْأَمْرِ أَنِّيَ صَائِرٌ ... إِلَى عَادِلٍ فِي ٱلْحُكْمِ لَيْسَ يَجُورُ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَلْقَاهُ عِنْدَهَا ... وَزَادِي قَلِيلٌ وَٱلذُّنُوبُ كَثِيرُ
فَإِنْ أَكُ مَجْزِيًّا بِذَنْبِي فَإِنَّنِي ... بِشَرِّ عِقَابِ ٱلْمُذْنِبِينَ جَدِيرُ
وَإِنْ يَكُ عَفْوٌ ثَمَّ عَنِّي وَرَحْمَةٌ ... فَثَمَّ نَعِيمٌ زَائِدٌ وَسُرُورُ

حُفِرَتْ هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتُ عَلَى قَبْرِ ٱبْنِ بَاقٍ وَهِيَ مِنْ تَصْنِيفِهِ:

تَرَحَّمْ عَلَى قَبْرِ ٱبْنِ بَاقٍ وَحَيِّهِ ... فَمِنْ حَقِّ مَيْتِ ٱلْحَيِّ تَسْلِيمُ حَيِّهِ
وَقُلْ أَمَّنَ ٱلرَّحْمٰنُ رَوْعَةَ خَائِفٍ ... لِتَفْرِيطِهِ فِي ٱلْوَاجِبَاتِ وَغَيِّهِ
وَإِنِّي بِفَضْلِ ٱللهِ أَوْثَقُ وَاثِقٍ ... وَحَسْبِي وَإِنْ أَذْنَبْتُ حَسْبُ صَفِيِّهِ

٤٧ قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ ٱلْمُقَرِّيُّ ٱلْخَيَّاطُ عَلَى لِسَانِ مَيْتٍ:

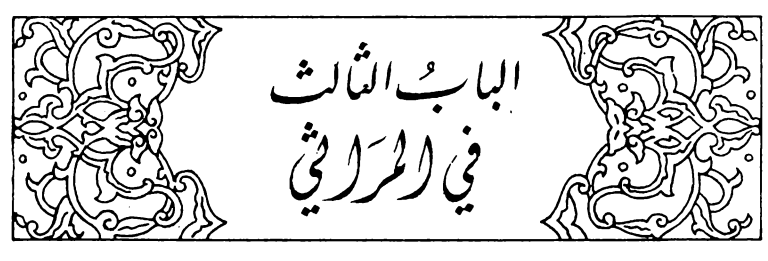
أَيُّهَا ٱلزَّائِرُونَ بَعْدَ وَفَاتِي جَدَثًا ضَمَّنِي وَلَحْدًا عَمِيقَا
سَتَرَوْنَ ٱلَّذِي رَأَيْتُ مِنَ ٱلْمَوْتِ عِيَانًا وَتَسْلُكُونَ طَرِيقَا

نَظَمَ أَسْعَدُ مُصْطَفَى ٱللُّقَيْمِيُّ قَبْلَ مَوْتِهِ تَارِيخًا لِقَبْرِهِ:

قَبْرٌ بِهِ مَنْ أَوْثَقَتْهُ ذُنُوبُهُ وَغَدَا لِسُوءِ فِعَالِهِ مُتَخَوِّفَا
قَدْ ضَاعَ مِنْهُ عُمْرُهُ بِبَطَالَةٍ وَٱلْعَيْشُ مِنْهُ بِٱلتَّكَدُّرِ مَا صَفَا
مَاذَا طَوَى قَبْرُ ٱللُّقَيْمِي أَرِّخُوا مُسْتَمْنِحٌ لِلْعَفْوِ أَسْعَدُ مُصْطَفَى

٤٨ لَمَّا قُتِلَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنٍ ٱلْحِمْيَرِيُّ دُفِنَ فِي صَنْعَاءَ بِمَقْبَرَةٍ وَوُضِعَ فِي سَرِيرِهِ عِنْدَ رَأْسِهِ لَوْحٌ قَدْ كُتِبَتْ فِيهِ هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتُ:

أَنَا ٱبْنُ ذِي يَزَنٍ مِنْ فَرْعِ ذِي يَمَنٍ مَلَكْتُ مِنْ حَدِّ صَنْعَاءَ إِلَى عَدَنِ
جَلَبْتُ مِنْ فَارِسٍ جَيْشًا عَلَى عَجَلٍ فِي ٱلْبَحْرِ أَحْمِلُهُمْ فِيهِ عَلَى ٱلسُّفُنِ
حَتَّى غَزَوْتُ بِهِمْ قَوْمًا مُهَاجِرَةً فِي ٱلْبَرِّ جَاسُوا خِلَالَ ٱلْحَيِّ مِنْ يَمَنِ
بِٱلْخَسْفِ وَٱلذُّلِّ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ ذُوقُوا ثِمَارَ ذَوَاتِ ٱلْحِقْدِ وَٱلْإِحَنِ
فَأَوْقَعُوا بِهِمِ وَٱلدَّهْرُ ذُو دُوَلٍ حَتَّى كَأَنَّ مَغَارَ ٱلْقَوْمِ لَمْ يَكُنِ
حَتَّى إِذَا ظَفِرَتْ نَفْسِي بِمَا طَلَبَتْ وَزَالَ مَا كَانَ فِي قَلْبِي مِنَ ٱلْحَزَنِ
وَنِلْتُ أَكْثَرَ مِمَّا كُنْتُ آمُلُهُ مِنْ قَتْلِيَ ٱلْحَبْشَ حَتَّى طَابَ لِي وَطَنِي
جَاءَ ٱلْقَضَاءُ بِمَا لَا يُسْتَطَاعُ لَهُ دَفْعٌ وَلَا يُشْتَرَى يَا قَوْمُ بِٱلثَّمَنِ
مِنْ بَعْدِ مَا جُبْتُ أَحْوَالًا مُصَرَّمَةً قُطْرَ ٱلْبِلَادِ فَلَمْ أَعْجِزْ وَلَمْ أَهُنِ
قَدْ صِرْتُ مُرْتَهَنًا فِي قَاعِ مُظْلِمَةٍ لِلّٰهِ دَرِّيَ مِنْ ثَاوٍ وَمُرْتَهَنِ



الباب الثالث في المراثي

رثاء اعرابية لابنها

٤٩ قَالَ ٱلْأَصْمَعِيُّ: حَجَّتْ أَعْرَابِيَّةٌ وَمَعَهَا ٱبْنٌ لَهَا فَأُصِيبَتْ بِهِ. فَلَمَّا دُفِنَ قَامَتْ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ مُوجَعَةٌ فَقَالَتْ: وَٱللهِ يَا بُنَيَّ لَقَدْ غَذَوْتُكَ رَضِيعًا. وَفَقَدْتُكَ سَرِيعًا. وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ ٱلْحَالَيْنِ مُدَّةٌ أَلْتَذُّ بِعَيْشِكَ فِيهَا. فَأَصْبَحْتَ بَعْدَ ٱلنَّضَارَةِ وَٱلْغَضَارَةِ وَرَوْنَقِ ٱلْحَيَاةِ وَٱلتَّنَسُّمِ فِي طِيبِ رَوَائِحِهَا تَحْتَ أَطْبَاقِ ٱلثَّرَى جَسَدًا هَامِدًا وَرُفَاتًا سَحِيقًا وَصَعِيدًا جُرُزًا. أَيْ بُنَيَّ قَدْ سَحَبَتِ ٱلدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ ٱلْفَنَا وَأَسْكَنَتْكَ دَارَ ٱلْبِلَى. وَرَمَتْنِي بَعْدَكَ نَكْبَةُ ٱلرَّدَى. أَيْ بُنَيَّ لَقَدْ أَسْفَرَ لِي عَنْ وَجْهِ ٱلدُّنْيَا صَبَاحٌ دَاجٍ ظَلَامُهُ. (ثُمَّ قَالَتْ): أَيْ رَبِّ وَمِنْكَ ٱلْعَدْلُ وَمِنْ خَلْقِكَ ٱلْجَوْرُ. وَهَبْتَهُ لِي قُرَّةَ عَيْنٍ فَلَمْ تُمَتِّعْنِي بِهِ كَثِيرًا بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشِيكًا. ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِٱلصَّبْرِ وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ ٱلْأَجْرَ فَصَدَّقْتُ وَعْدَكَ وَرَضِيتُ قَضَاءَكَ. فَرَحِمَ ٱللهُ مَنْ تَرَحَّمَ عَلَى مَنِ ٱسْتَوْدَعْتَهُ ٱلرَّدْمَ وَوَسَّدْتَهُ ٱلثَّرَى. أَللّٰهُمَّ ٱرْحَمْ غُرْبَتَهُ وَآنِسْ وَحْشَتَهُ وَٱسْتُرْ سَوْءَتَهُ يَوْمَ تَنْكَشِفُ ٱلسَّوْءَاتُ. (فَلَمَّا أَرَادَتِ ٱلرُّجُوعَ إِلَى أَهْلِهَا وَقَفَتْ عَلَى قَبْرِهِ فَقَالَتْ): أَيْ بُنَيَّ إِنِّي قَدْ تَزَوَّدْتُ لِسَفَرِي فَلَيْتَ شِعْرِي مَا زَادُكَ لِبُعْدِ طَرِيقِكَ وَيَوْمِ مَعَادِكَ. أَللّٰهُمَّ إِنِّي

أَسأَلُكَ لَهُ ٱلرِّضَا بِرِضَايَ عَنهُ. ثُمَّ قَالَتِ: أَستَودِعُكَ مَن ٱستَودَعَنِيكَ فِي أَحشَائِي جَنِينًا. وَاثُكلَ ٱلوَالِدَاتِ مَا أَمَضَّ حَرَارَةَ قُلُوبِهِنَّ وَأَقلَقَ مَضَاجِعَهُنَّ وَأَطوَلَ لَيلَهُنَّ وَأَقصَرَ نَهَارَهُنَّ وَأَقَلَّ أُنسَهُنَّ وَأَشَدَّ وَحشَتَهُنَّ. وَأَبعَدَهُنَّ مِنَ ٱلسُّرُورِ وَأَقرَبَهُنَّ مِنَ ٱلأَحزَانِ. فَلَمْ تَزَلْ تَقُولُ هٰذَا وَنَحوَهُ حَتَّى أَبكَتْ كُلَّ مَنْ سَمِعَهَا. وَحَمِدَتِ ٱللّٰهَ وَصَلَّتْ رَكَعَاتٍ عِندَ قَبرِهِ وَٱنطَلَقَتْ

الاحنف بن قيس والراثية

٥٠ لَمَّا دُفِنَ ٱلأَحنَفُ بنُ قَيسٍ بِٱلكُوفَةِ قَامَتِ ٱمرَأَةٌ عَلَى قَبرِهِ فَقَالَتْ: لِلّٰهِ دَرُّكَ مِنْ مُجَنٍّ فِي جَنَنٍ. وَمُدرَجٍ فِي كَفَنٍ. نَسأَلُ ٱلَّذِي فَجَعَنَا بِمَوتِكَ. وَٱبتَلَانَا بِفَقدِكَ. أَنْ يَجعَلَ سَبِيلَ ٱلخَيرِ سَبِيلَكَ. وَدَلِيلَ ٱلرُّشدِ دَلِيلَكَ. وَأَنْ يُوَسِّعَ لَكَ فِي قَبرِكَ. وَيَغفِرَ لَكَ فِي حَشرِكَ. فَلَقَدْ كُنتَ فِي ٱلمَحَافِلِ شَرِيفًا. وَعَلَى ٱلأَرَامِلِ عَطُوفًا. وَلَقَدْ كُنتَ فِي ٱلحَيِّ مُسَوَّدًا. وَإِلَى ٱلخَلِيفَةِ مُوَفَّدًا. وَلَقَدْ كَانُوا لِقَولِكَ مُستَمِعِينَ. وَلِرَأْيِكَ مُتَّبِعِينَ. وَأَنتَ أَهلٌ لِحُسنِ ٱلثَّنَاءِ وَطِيبِ ٱلبَقَاءِ. أَمَا وَٱلَّذِي كُنتَ مِنْ أَجَلِهِ فِي عِدَّةٍ. وَمِنَ ٱلحَيَاةِ إِلَى مُدَّةٍ. وَمِنَ ٱلمِقدَارِ إِلَى غَايَةٍ. وَمِنَ ٱلآثَارِ إِلَى نِهَايَةٍ. ٱلَّذِي رَفَعَ عَمَلَكَ لَمَّا قَضَى أَجَلَكَ. لَقَدْ عِشتَ حَمِيدًا مَودُودًا. وَمُتَّ سَعِيدًا مَفقُودًا. ثُمَّ ٱنصَرَفَتْ وَهِيَ تَقُولُ:

لِلّٰهِ دَرُّكَ يَا أَبَا بَحرٍ ... مَاذَا تَغَيَّبَ مِنكَ فِي ٱلقَبرِ
لِلّٰهِ دَرُّكَ أَيَّ حَشوِ ثَرًى ... أَصبَحتَ مِنْ عُرفٍ وَمِنْ نُكرِ

إِنْ كَانَ دَهْرٌ فِيكَ جَدَّ لَنَا ... حَدَثًا بِهِ وَهَنَتْ قُوَى ٱلصَّبْرِ
فَلَكَمْ يَدٍ أَسْدَيْتَهَا وَيَدٍ ... كَانَتْ تَرُدُّ جَرَائِرَ ٱلدَّهْرِ

ثُمَّ ٱنْصَرَفَتْ. فَقَالَ ٱلنَّاسُ: مَا سَمِعْنَا كَلَامَ ٱمْرَأَةٍ قَطُّ أَبْلَغَ وَلَا أَصْدَقَ مِنْهُ. فَسُئِلَ عَنْهَا فَإِذَا هِيَ ٱمْرَأَتُهُ (زهر الآداب للقيرواني)

٥١ قَالَ أَبُو حِبَالٍ ٱلْبَرَاءُ بْنُ رِبْعِيٍّ ٱلْفَقْعَسِيُّ يَرْثِي إِخْوَتَهُ:

أَبَعْدَ بَنِي أُمِّي ٱلَّذِينَ تَتَابَعُوا ... أُرَجِّي حَيَاةً أَمْ مِنَ ٱلْمَوْتِ أَجْزَعُ
ثَمَانِيَةٌ كَانُوا ذُؤَابَةَ قَوْمِهِمْ ... بِهِمْ كُنْتُ أُعْطِي مَا أَشَاءُ وَأَمْنَعُ
أُولَئِكَ إِخْوَانُ ٱلصَّفَاءِ رُزِئْتُهُمْ ... وَمَا ٱلْكَفُّ إِلَّا إِصْبَعٌ ثُمَّ إِصْبَعُ
لَعَمْرُكَ إِنِّي بِٱلْخَلِيلِ ٱلَّذِي لَهُ ... عَلَيَّ دَلَالٌ وَاجِبٌ لَمُفَجَّعُ
وَإِنِّي بِٱلْمَوْلَى ٱلَّذِي لَيْسَ نَافِعِي ... وَلَا ضَائِرِي فِقْدَانُهُ لَمُمَتَّعُ

٥٢ وَقَالَ أَشْجَعُ بْنُ عَمْرٍو ٱلسُّلَمِيُّ فِي ٱبْنِ سَعِيدٍ:

مَضَى ٱبْنُ سَعِيدٍ حِينَ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقٌ ... وَلَا مَغْرِبٌ إِلَّا لَهُ فِيهِ مَادِحُ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي مَا فَوَاضِلُ كَفِّهِ ... عَلَى ٱلنَّاسِ حَتَّى غَيَّبَتْهُ ٱلصَّفَائِحُ
فَأَصْبَحَ فِي لَحْدٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ مَيِّتًا ... وَكَانَتْ بِهِ حَيًّا تَضِيقُ ٱلصَّحَاصِحُ
سَأَبْكِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَغِضْ ... فَحَسْبُكَ مِنِّي مَا تُجِنُّ ٱلْجَوَانِحُ
فَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَازِعٌ ... وَلَا بِسُرُورٍ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحُ
كَأَنْ لَمْ يَمُتْ حَيٌّ سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ ... عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ ٱلنَّوَائِحُ
لَئِنْ حَسُنَتْ فِيكَ ٱلْمَرَاثِي وَذِكْرُهَا ... لَقَدْ حَسُنَتْ مِنْ قَبْلُ فِيكَ ٱلْمَدَائِحُ

٥٣ وَقَالَ مُوَيْلِكٌ ٱلْمَزْمُومُ يَرْثِي ٱمْرَأَتَهُ أُمَّ ٱلْعَلَاءِ:

أَمُرُّ عَلَى ٱلْجَدَثِ ٱلَّذِي حَلَّتْ بِهِ أُمُّ ٱلعَلَاءِ فَنَادِهَا لَوْ تَسْمَعُ
أَنَّى حَلَلْتِ وَكُنْتِ جِدَّ فَرُوقَةٍ بَلَدًا يَمُرُّ بِهِ ٱلشُّجَاعُ فَيَفْزَعُ
صَلَّى عَلَيْكِ ٱللهُ مِنْ مَفْقُودَةٍ إِذْ لَا يُلَائِمُكَ ٱلْمَكَانُ ٱلْبَلْقَعُ
فَلَقَدْ تَرَكْتِ صَغِيرَةً مَرْحُومَةً لَمْ تَدْرِ مَا جَزَعٌ عَلَيْكِ فَتَجْزَعُ
فَقَدَتْ شَمَائِلَ مِنْ لِزَامِكِ حُلْوَةً فَتَبِيتُ تُسْهِرُ أَهْلَهَا وَتُفَجَّعُ
وَإِذَا سَمِعْتُ أَنِينَهَا فِي لَيْلِهَا طَفِقَتْ عَلَيْكِ شُؤُونُ عَيْنِي تَدْمَعُ

٥٤ وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ يَرْثِي بَنِيهِ:

أَسُكَّانَ بَطْنِ ٱلْأَرْضِ لَوْ يُقْبَلُ ٱلْفِدَا فَدَيْنَا وَأَعْطَيْنَا كُمُ سَاكِنِي ٱلظَّهْرِ
فَيَا لَيْتَ مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا وَلَيْتَ مَنْ عَلَيْهَا ثَوَى فِيهَا مُقِيمًا إِلَى ٱلْحَشْرِ
وَقَاسَمَنِي دَهْرِي بَنِيَّ مُشَاطِرًا فَلَمَّا تَقَضَّى شَطْرُهُ مَالَ فِي شَطْرِي
فَصَارُوا دُيُونًا لِلْمَنَايَا وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ لَهَا دَيْنٌ قَضَوْهُ عَلَى عُسْرِ
كَأَنَّهُمُ لَمْ يَعْرِفِ ٱلْمَوْتُ غَيْرَهُمْ فَثُكْلٌ عَلَى ثُكْلٍ وَقَبْرٌ إِلَى قَبْرِ
وَقَدْ كُنْتُ حَيَّ ٱلْخَوْفِ قَبْلَ وَفَاتِهِمْ فَلَمَّا تُوُفُّوا مَاتَ خَوْفِي مِنَ ٱلدَّهْرِ
فَلِلَّهِ مَا أَعْطَى وَلِلَّهِ مَا حَوَى وَلَيْسَ لِأَيَّامِ ٱلرَّزِيَّةِ كَٱلصَّبْرِ

رَثَى ذُو ٱلْوِزَارَتَيْنِ ٱبْنُ عَبْدِ ٱلْبَرِّ رَجُلًا مَاتَ مَجْذُومًا.

مَاتَ مَنْ كُنَّا نَرَاهُ أَبَدًا سَالِمَ ٱلْعَقْلِ سَقِيمَ ٱلْجَسَدِ
كَانَ مِثْلَ ٱلسَّيْفِ إِلَّا أَنَّهُ حُسِدَ ٱلدَّهْرَ عَلَيْهِ فَصَدِي

٥٥ قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَرْثِي وَلَدًا لَهُ:

قَصَدَ ٱلْمَنُونُ لَهُ فَمَاتَ فَقِيدَا وَمَضَى عَلَى صَرْفِ ٱلْخُطُوبِ حَمِيدَا

بِأَبِي وَأُمِّي هَالِكًا أُفْرِدْتُهُ ... قَدْ كَانَ فِي كُلِّ ٱلْعُلُومِ فَرِيدَا
سُودُ ٱلْمَقَابِرِ أَصْبَحَتْ بِيضًا بِهِ ... وَغَدَتْ لَهُ بِيضُ ٱلضَّمَائِرِ سُودَا
لَمْ نُرْزَهُ لَمَّا رُزِينَا وَحْدَهُ ... وَإِنِ ٱسْتَقَلَّ بِهِ ٱلْمَنُونُ وَحِيدَا
لٰكِنْ رُزِينَا ٱلْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ ... فِي فَضْلِهِ وَٱلْأَسْوَدَ بْنَ يَزِيدَا
وَٱبْنَ ٱلْمُبَارَكِ فِي ٱلرَّقَائِقِ مَعْمَرًا ... وَٱبْنَ ٱلْمُسَيَّبِ فِي ٱلْحَدِيثِ سَعِيدَا
وَٱلْأَخْفَشَيْنِ فَصَاحَةً وَبَلَاغَةً ... وَٱلْأَعْشَيَيْنِ رِوَايَةً وَنَشِيدَا
كَانَ ٱلْوَصِيَّ إِذَا أَرَدْتَ وَصِيَّةً ... وَٱلْمُسْتَفَادَ إِذَا طَلَبْتَ مُفِيدَا
وَلَّى حَفِيظًا فِي ٱلْأَزِمَّةِ حَافِظًا ... وَمَضَى وَدُودًا فِي ٱلْوَرَى مَوْدُودَا
مَا كَانَ مِثْلِي فِي ٱلرَّزِيَّةِ وَالِدًا ... ظَفِرَتْ يَدَاهُ بِمِثْلِهِ مَوْلُودَا
حَتَّى إِذَا بَدَأَ ٱلسَّوَابِقَ فِي ٱلْعُلَى ... وَٱلْعِلْمِ ضُمِّنَ شِلْوُهُ مَلْحُودَا
يَا مَنْ يُفَنِّدُ مِنَ ٱلْبُكَاءِ مُوَلَّهًا ... مَا كَانَ يَسْمَعُ فِي ٱلْبُكَا تَفْنِيدَا
تَأْبَى ٱلْقُلُوبُ ٱلْمُسْتَكِنَّةُ لِلْأَسَى ... مِنْ أَنْ تَكُونَ حِجَارَةً وَحَدِيدَا
إِنَّ ٱلَّذِي بَادَ ٱلسُّرُورُ بِمَوْتِهِ ... مَا كَانَ حُزْنِي بَعْدَهُ لِيَبِيدَا
أَلْآنَ لَمَّا أَنْ حَوَيْتَ مَآثِرًا ... أَعْيَتْ عَدُوًّا فِي ٱلْوَرَى وَحَسُودَا
وَرَأَيْتُ فِيكَ مِنَ ٱلصَّلَاحِ شَمَائِلًا ... وَمِنَ ٱلسَّمَاحِ دَلَائِلًا وَشُهُودَا
أَبْكِي عَلَيْكَ إِذَا ٱلْحَمَامَةُ أَطْرَبَتْ ... وَجْهَ ٱلصَّبَاحِ وَغَرَّدَتْ تَغْرِيدَا
لَوْلَا ٱلْحَيَا أَنِّي أُزَنُّ بِبِدْعَةٍ ... مِمَّا يُعَدِّدُهُ ٱلْوَرَى تَعْدِيدَا
لَجَعَلْتُ يَوْمِي فِي ٱلْمَلَاحَةِ مَأْتَمًا ... وَجَعَلْتُ يَوْمَكَ فِي ٱلْمَوَالِدِ عِيدَا

٥٦ قَالَ ٱلشَّمَرْدَلُ يَرْثِي أَخَاهُ حَكَمًا:

يَقُولُونَ ٱحْتَسِبْ حكَمًا وَرَاحُوا ... بِأَبْيَضَ لَا يَرَاهُ وَلَا يَرَانِي
وَقَبْلَ فِرَاقِهِ أَيْقَنْتُ أَنِّي ... وَكُلُّ بَنِي أَبٍ مُتَفَارِقَانِ
أَخٌ لِي لَوْ دَعَوْتُ أَجَابَ صَوْتِي ... وَكُنْتُ مُجِيبَهُ أَنَّى دَعَانِي
فَقَدْ أَفْنَى ٱلْبُكَاءُ عَلَيْهِ دَمْعِي ... وَلَوْ أَنِّي ٱلْفَقِيدُ إِذًا بَكَانِي
مَضَى لِسَبِيلِهِ لَمْ يُعْطَ ضَيْمًا ... وَلَمْ تَرْهَبْ غَوَائِلَهُ ٱلْأَدَانِي
قَتَلْنَا عَنْهُ قَاتِلَهُ وَكُنَّا ... نَصُولُ بِهِ لَدَى ٱلْحَرْبِ ٱلْعَوَانِ
قَتِيلًا لَيْسَ مِثْلَ أَخِي إِذَا مَا ... بَدَا ٱلْخَفِرَاتُ مَذْهُولَ ٱلْجَنَانِ
وَكُنْتَ سِنَانَ رُمْحِي مِنْ قَنَاتِي ... وَلَيْسَ ٱلرُّمْحُ إِلَّا بِٱلسِّنَانِ
وَكُنْتَ بَنَانَ كَفِّي مِنْ يَمِينِي ... وَكَيْفَ صَلَاحُهَا بَعْدَ ٱلْبَنَانِ
وَكَانَ يَهَابُكَ ٱلْأَعْدَاءُ فِينَا ... وَلَا أَخْشَى وَرَاءَكَ مَنْ رَمَانِي
فَقَدْ أَبْدَوْا ضَغَائِنَهُمْ وَشَدُّوا ... إِلَيَّ ٱلطَّرْفَ وَٱغْتَمَزُوا لَيَانِي
فِدَاكَ أَخٌ نَبَا عَنْهُ غِنَاهُ ... وَمَوْلًى لَا تَصُولُ لَهُ يَدَانِ

٥٧ وَمِنْ رَقِيقِ مَرَاثِي لَبِيدٍ:

بَلِينَا وَمَا تَبْلَى ٱلنُّجُومُ ٱلطَّوَالِعُ ... وَتَبْقَى ٱلْجِبَالُ بَعْدَنَا وَٱلْمَصَانِعُ
وَقَدْ كُنْتُ فِي أَكْنَافِ دَارِ مَضَنَّةٍ ... فَفَارَقَنِي جَارٌ بِأَرْبَدَ نَافِعُ
فَلَا جَزِعٌ إِنْ فَرَّقَ ٱلدَّهْرُ بَيْنَنَا ... فَكُلُّ ٱمْرِئٍ يَوْمًا بِهِ ٱلدَّهْرُ فَاجِعُ
وَمَا ٱلنَّاسُ إِلَّا كَٱلدِّيَارِ وَأَهْلِهَا ... بِهَا يَوْمَ حَلُّوهَا وَغَدَوْا بَلَاقِعُ
وَيَمْضُونَ أَرْسَالًا وَنَخْلُفُ بَعْدَهُمْ ... كَمَا ضَمَّ أُخْرَى ٱلتَّالِيَاتِ ٱلْمُشَايِعُ
وَمَا ٱلْمَرْءُ إِلَّا كَٱلشِّهَابِ وَضَوْئِهِ ... يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

وَمَا ٱلْبِرُّ إِلَّا مُضْمَرَاتٌ مِنَ ٱلتُّقَى   وَمَا ٱلْمَالُ إِلَّا عَارِيَاتٌ وَدَائِعُ
أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي   لُزُومُ ٱلْعَصَا تُحْنَى عَلَيْهَا ٱلْأَصَابِعُ
أُخَبِّرُ أَخْبَارَ ٱلْقُرُونِ ٱلَّتِي مَضَتْ   أَدِبُّ كَأَنِّي كُلَّمَا قُمْتُ رَاكِعُ
فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ ٱلسَّيْفِ أَخْلَقَ جَفْنَهُ   تَقَادُمُ عَهْدِ ٱلْقَيْنِ وَٱلنَّصْلُ قَاطِعُ
فَلَا تَبْعَدَنْ إِنَّ ٱلْمَنِيَّةَ مَوْعِدٌ   عَلَيْنَا فَدَانٍ لِلطُّلُوعِ وَطَالِعُ
أَعَاذِلُ مَا يُدْرِيكَ إِلَّا تَظَنِّيًا   إِذَا رَحَلَ ٱلْفِتْيَانُ مَنْ هُوَ رَاجِعُ
أَتَجْزَعُ مِمَّا أَحْدَثَ ٱلدَّهْرُ بِٱلْفَتَى   وَأَيُّ كَرِيمٍ لَمْ تُصِبْهُ ٱلْقَوَارِعُ
لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي ٱلضَّوَارِبُ بِٱلْحَصَى   وَلَا زَاجِرَاتُ ٱلطَّيْرِ مَا ٱللهُ صَانِعُ

٥٨ لَمَّا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ سَعِيدُ بْنُ حُمَيْدٍ يَرْثِيهِ :

بِأَيِّ يَدٍ أَسْطُو عَلَى ٱلدَّهْرِ بَعْدَ مَا   أَبَانَ يَدِي عَضْبُ ٱلذُّبَابِ بَيْنِ قَاضِبُ
وَهَاضَ جَنَاحِي حَادِثٌ جَلَّ خَطْبُهُ   وَسُدَّتْ عَنِ ٱلصَّبْرِ ٱلْجَمِيلِ ٱلْمَذَاهِبُ
وَمِنْ عَادَةِ ٱلْأَيَّامِ أَنَّ صُرُوفَهَا   إِذَا سَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ سَاءَ جَانِبُ
لَعَمْرِي لَقَدْ غَالَ ٱلتَّجَلُّدَ أَنَّنَا   فَقَدْنَاكَ فَقْدَ ٱلْغَيْثِ وَٱلْعَامُ جَادِبُ
فَمَا أَعْرِفُ ٱلْأَيَّامَ إِلَّا ذَمِيمَةً   وَلَا ٱلدَّهْرَ إِلَّا وَهْوَ بِٱلثَّارِ طَالِبُ
وَلَا لِي مِنَ ٱلْإِخْوَانِ إِلَّا مُكَاشِرٌ   فَوَجْهٌ لَهُ رَاضٍ وَوَجْهٌ مُغَاضِبُ
فَقَدْتُ فَتًى قَدْ كَانَ لِلْأَرْضِ زِينَةً   كَمَا زَيَّنَتْ وَجْهَ ٱلسَّمَاءِ ٱلْكَوَاكِبُ
لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَ ٱلرَّدَى بِكَ فَاتَنِي   وَكُلُّ ٱمْرِئٍ يَوْمًا إِلَى ٱللهِ ذَاهِبُ
لَقَدْ أَخَذَتْ مِنِّي ٱلنَّوَائِبُ حُكْمَهَا   فَمَا تَرَكَتْ حَقًّا عَلَيَّ ٱلنَّوَائِبُ
وَلَا تَرَكَتْنِي أَرْهَبُ ٱلدَّهْرَ بَعْدَهُ   لَقَدْ كَلَّ عَنِّي نَابُهُ وَٱلْمَخَالِبُ

سَقَى جَدَثًا أَمْسَى ٱلْكَرِيمُ ٱبْنُ صَالِحٍ يَحُلُّ بِهِ دَانٍ مِنَ ٱلْمُزْنِ سَاكِبُ
إِذَا بَشَّرَ ٱلرُّوَّادَ بِٱلْغَيْثِ بَرْقُهُ مَرَتْهُ ٱلصَّبَا وَٱسْتَجْلَبَتْهُ ٱلْجَنَائِبُ
فَغَادَرَ بَاقِي ٱلدَّهْرِ تَأْثِيرُ صَوْبِهِ رَبِيعًا زَهَتْ مِنْهُ ٱلرُّبَى وَٱلْمَذَانِبُ

٥٩ قَالَ بَكْرُ بْنُ ٱلنَّطَّاحِ يَرْثِي مَالِكَ بْنَ عَلِيٍّ ٱلْخُزَاعِيَّ وَخَرَجَ عَلَى ٱلشُّرَاةِ لِيُقَاتِلَهُمْ فَأُصِيبَ بِسَهْمٍ :

يَا عَيْنُ جُودِي بِٱلدُّمُوعِ ٱلسِّجَامْ عَلَى ٱلْأَمِيرِ ٱلْيَمَنِيِّ ٱلْهُمَامْ
عَلَى فَتَى ٱلدُّنْيَا وَصِنْدِيدِهَا وَفَارِسِ ٱلدِّينِ وَسَيْفِ ٱلْإِمَامْ
لَا تَذْخَرِي ٱلدَّمْعَ عَلَى هَالِكٍ أَيْتَمَ إِذْ أَوْدَى جَمِيعَ ٱلْأَنَامْ
طَابَ ثَرَى حُلْوَانَ إِذْ ضُمِّنَتْ عِظَامَهُ سَقْيًا لَهَا مِنْ عِظَامْ
أَغْلَقَتِ ٱلْخَيْرَاتُ أَبْوَابَهَا وَٱمْتَنَعَتْ بَعْدَكَ يَا ٱبْنَ ٱلْكِرَامْ
وَأَصْبَحَتْ خَيْلُكَ بَعْدَ ٱلْوَجَى وَٱلْقُرِّ تَشْكُو مِنْكَ طُولَ ٱلْجِمَامْ
إِرْحَلْ بِنَا نَقْرُبْ إِلَى مَالِكٍ كَيْمَا نُحَيِّي قَبْرَهُ بِٱلسَّلَامْ
كَانَ لِأَهْلِ ٱلْأَرْضِ فِي كَفِّهِ غِنًى عَنِ ٱلْبَحْرِ وَصَوْبِ ٱلْغَمَامْ
وَكَانَ فِي ٱلصُّبْحِ كَشَمْسِ ٱلضُّحَى وَكَانَ فِي ٱللَّيْلِ كَبَدْرِ ٱلظَّلَامْ
وَسَائِلٍ يَعْجَبُ مِنْ مَوْتِهِ وَقَدْ رَآهُ وَهْوَ صَعْبُ ٱلْمَرَامْ
قُلْتُ لَهُ عَهْدِي بِهِ مُعْلِمًا يَضْرِبُهُمْ عِنْدَ ٱرْتِفَاعِ ٱلْقَتَامْ
وَٱلْحَرْبُ مَنْ طَارَ لَهَا لَمْ يَكَدْ يُفْلِتُ مِنْ وَقْعِ صَقِيلِ ٱلْحُسَامْ
لَمْ يَنْظُرِ ٱلدَّهْرُ لَنَا إِذْ عَدَا عَلَى رَبِيعِ ٱلنَّاسِ فِي كُلِّ عَامْ
لَنْ يَسْتَقِيلُوا أَبَدًا فَقْدَهُ مَا هَيَّجَ ٱلشَّجْوَ دُعَاءُ ٱلْحَمَامْ

٦٠ وَقَالَ أَيْضًا يَرْثِيهِ :

يَا حُفْرَةً ضَمَّتْ مَحَاسِنَ مَالِكٍ ... مَا فِيكِ مِنْ كَرَمٍ وَمِنْ إِحْسَانِ
لَهْفِي عَلَى ٱلْبَطَلِ ٱلْمُعَرَّضِ خَدُّهُ ... وَجَبِينُهُ لِأَسِنَّةِ ٱلْفُرْسَانِ
خَرَقَ ٱلْكَتِيبَةَ مُعْلَمًا مُتَنَكِّبًا ... وَٱلْمُرْهَفَاتُ عَلَيْهِ كَٱلنِّيرَانِ
ذَهَبَتْ بَشَاشَةُ كُلِّ شَيْءٍ بَعْدَهُ ... فَٱلْأَرْضُ مُوحِشَةٌ بِلَا عُمْرَانِ
هَدَمَ ٱلشُّرَاةُ غَدَاةَ مَصْرَعِ مَالِكٍ ... شَرَفَ ٱلْعُلَا وَمَكَارِمَ ٱلْبُنْيَانِ
قَتَلُوا فَتَى ٱلْعَرَبِ ٱلَّذِي كَانَتْ بِهِ ... تَقْوَى عَلَى ٱللَّزَبَاتِ فِي ٱلْأَزْمَانِ
حَرَمُوا مَعَدًّا مَا لَدَيْهِ وَأَوْقَعُوا ... عَصَبِيَّةً فِي قَلْبِ كُلِّ يَمَانِ
تَرَكُوهُ فِي رَهَجِ ٱلْعَجَاجِ كَأَنَّهُ ... أَسَدٌ يَصُولُ بِسَاعِدٍ وَبَنَانِ
هَوَتِ ٱلْجُدُودُ عَنِ ٱلسُّعُودِ لِفَقْدِهِ ... وَتَمَسَّكَتْ بِٱلنَّحْسِ وَٱلدَّبَرَانِ
لَا يُبْعَدَنَّ أَخُو خُزَاعَةَ إِذْ ثَوَى ... مُسْتَشْهَدًا فِي طَاعَةِ ٱلرَّحْمَانِ
عَزَّ ٱلْغُوَاةُ بِهِ وَذَلَّتْ أُمَّةٌ ... مَحْبُوَّةٌ بِحَقَائِقِ ٱلْإِيمَانِ
وَبَكَاهُ مُصْحَفُهُ وَصَدْرُ حُسَامِهِ ... وَٱلْمُسْلِمُونَ وَدَوْلَةُ ٱلسُّلْطَانِ
وَغَدَتْ تُعَقَّرُ خَيْلُهُ وَتَقَسَّمَتْ ... أَدْرَاعُهُ وَسَوَابِغُ ٱلْأَبْدَانِ
أَفَتَحْمَدُ ٱلدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبَتْ بِمَنْ ... كَانَ ٱلْمُجِيرَ لَنَا مِنَ ٱلْحِدْثَانِ

٦١ قَالَ بَهَاءُ ٱلدِّينِ ٱلْعَامِلِيُّ يَرْثِي وَالِدَهُ :

قِفْ بِٱلطُّلُولِ وَسَلْهَا أَيْنَ سَلْمَاهَا ... وَرَوِّ مِنْ جُرَعِ ٱلْأَجْفَانِ رَيَّاهَا
وَرَدِّدِ ٱلطَّرْفَ فِي أَطْرَافِ سَاحَتِهَا ... وَرَوِّحِ ٱلرُّوحَ مِنْ أَرْوَاحِ أَرْجَاهَا
وَإِنْ يَفُتْكَ مِنَ ٱلْأَطْلَالِ مُخْبِرُهَا ... فَلَا يَفُوتَنْكَ مَرْآهَا وَرَيَّاهَا

رُبُوعُ فَضْلٍ يُضَاهِي ٱلتِّبرَ تُرْبَتُهَا ... وَدَارُ أُنْسٍ يُحَاكِي ٱلدُّرَّ حَصْبَاهَا
عَدَا عَلَى جِيرَةٍ حَلُّوا بِسَاحَتِهَا ... صَرْفُ ٱلزَّمَانِ فَأَبْلَاهُمْ وَأَبْلَاهَا
بُدُورُ تِمٍّ غَمَامُ ٱلْمَوْتِ جَلَّلَهَا ... شُمُوسُ فَضْلٍ سَحَابُ ٱلتُّربِ غَشَّاهَا
فَٱلْمَجْدُ يَبْكِي عَلَيْهَا جَازِعًا أَسِفًا ... وَٱلدِّينُ يَنْدُبُهَا وَٱلْفَضْلُ يَنْعَاهَا
يَا حَبَّذَا أَزْمُنٌ فِي ظِلِّهِمْ سَلَفَتْ ... مَا كَانَ أَقْصَرَهَا عُمْرًا وَأَحْلَاهَا
أَوْقَاتُ أُنْسٍ قَضَيْنَاهَا فَمَا ذُكِرَتْ ... إِلَّا وَقَطَّعَ قَلْبَ ٱلصَّبِّ ذِكْرَاهَا
يَا سَادَةً هَجَرُوا وَٱسْتَوْطَنُوا هَجَرًا ... وَاهًا لِقَلْبِ ٱلْمُعَنَّى بَعْدَكُمْ وَاهَا
رَعْيًا لِلَيْلَاتِ وَصْلٍ بِٱلْحِمَى سَلَفَتْ ... سَقْيًا لِأَيَّامِنَا بِٱلْخَيْفِ سَقْيَاهَا
لِفَقْدِكُمْ شُقَّ جَيْبُ ٱلْمَجْدِ وَٱنْصَدَعَتْ ... أَرْكَانُهُ وَبِكُمْ مَا كَانَ أَقْوَاهَا
وَخَرَّ مِنْ شَامِخَاتِ ٱلْعِلْمِ أَرْفَعُهَا ... وَٱنْهَدَّ مِنْ بَاذِخَاتِ ٱلْحِلْمِ أَرْسَاهَا
يَا ثَاوِيًا بِٱلْمُصَلَّى مِنْ قُرَى هَجَرٍ ... كُسِيتَ مِنْ حُلَلِ ٱلرِّضْوَانِ أَرْضَاهَا
أَقَمْتَ يَا بَحْرُ بِٱلْبَحْرَيْنِ فَٱجْتَمَعَتْ ... ثَلَاثَةٌ كُنَّ أَمْثَالًا وَأَشْبَاهَا
ثَلَاثَةٌ أَنْتَ أَسْدَاهَا وَأَغْزَرُهَا ... جُودًا وَأَعْذَبُهَا طَعْمًا وَأَحْلَاهَا
حَوَيْتَ مِنْ دُرَرِ ٱلْعَلْيَاءِ مَا حَوَيَا ... لَكِنَّ دُرَّكَ أَعْلَاهَا وَأَغْلَاهَا
يَا أَخْمَصًا وَطِئَتْ هَامَ ٱلسُّهَى شَرَفًا ... سَقَاكَ مِنْ دِيَمِ ٱلْوَسْمِيِّ أَسْمَاهَا
وَيَا ضَرِيحًا عَلَا فَوْقَ ٱلسِّمَاكِ عُلًا ... عَلَيْكَ مِنْ صَلَوَاتِ ٱللهِ أَزْكَاهَا
فِيكَ ٱنْطَوَى مِنْ شُمُوسِ ٱلْفَضْلِ آخِرُهَا ... وَمِنْ مَعَالِمِ دِينِ ٱللهِ أَسْنَاهَا
وَمِنْ شَوَامِخِ أَطْوَادِ ٱلْفُتُوَّةِ أَرْ ... سَاهَا وَأَرْفَعُهَا قَدْرًا وَأَنْهَاهَا
فَٱسْحَبْ عَلَى ٱلْفَلَكِ ٱلْعُلْوِيِّ ذَيْلَ عُلًا ... فَقَدْ حَوَيْتَ مِنَ ٱلْعَلْيَاءِ أَعْلَاهَا

عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامُ ٱللهِ مَا صَدَحَتْ عَلَى غُصُونِ أَرَاكِ ٱلدَّوْحِ وَرْقَاهَا

٦٢ قَالَ أَبُو فِرَاسٍ ٱلْحَمْدَانِيُّ يَرْثِي جَابِرَ بْنَ نَاصِرِ ٱلدِّينِ :

أَٱلْفِكْرُ فِيكَ مُقَصِّرُ ٱلْآمَالِ وَٱلْحِرْصُ بَعْدَكَ غَايَةُ ٱلْجُهَّالِ
لَوْ كَانَ يَخْلُدُ بِٱلْفَضَائِلِ فَاضِلٌ وُصِلَتْ لَكَ ٱلْآجَالُ بِٱلْآجَالِ
لَوْ كُنْتَ تُفْدَى لَٱفْتَدَتْكَ سَرَاتُنَا بِنَفَائِسِ ٱلْأَرْوَاحِ وَٱلْأَمْوَالِ
أَوْ كَانَ يَدْفَعُ عَنْكَ بَأْسٌ أَقْبَلَتْ صَرْعًا تَكَدَّسُ بِٱلْقَنَا ٱلْعَسَّالِ
أَعْزِزْ عَلَى سَادَاتِ قَوْمِكَ أَنْ تُرَى فَوْقَ ٱلْفِرَاشِ مُقَلَّبَ ٱلْأَوْصَالِ
وَٱلسُّمْرُ عِنْدَكَ لَمْ تَرِقَّ صُدُورُهَا وَٱلْخَيْلُ وَاقِفَةٌ عَلَى ٱلْأَطْلَالِ
وَٱلسَّابِغَاتُ مَصُونَةٌ لَمْ تُبْتَذَلْ وَٱلْبِيضُ سَالِمَةٌ مَعَ ٱلْأَبْطَالِ
وَإِذَا ٱلْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَمْ يَثْنِهَا حِرْصُ ٱلْحَرِيصِ وَحِيلَةُ ٱلْمُحْتَالِ
مَا لِلْخُطُوبِ وَمَا لِأَحْدَاثِ ٱلنَّوَى أَعْجَلْنَ جَابِرَ غَايَةَ ٱلْإِعْجَالِ
لَمَّا تَسَرْبَلَ بِٱلْفَضَائِلِ وَٱرْتَدَى بُرْدَ ٱلْعُلَى وَٱعْتَمَّ بِٱلْإِقْبَالِ
وَتَشَاهَدَتْ صِيدُ ٱلْمُلُوكِ لِفَضْلِهِ وَأَرَى ٱلْمَكَارِمَ مِنْ مَكَانٍ عَالِ
أَأَبَا ٱلْمُرَجِّي غَيْرُ حُزْنِي دَارِسٌ أَبَدًا عَلَيْكَ وَغَيْرُ قَلْبِي سَالِ
وَلَئِنْ هَلَكْتَ فَمَا ٱلْوَفَاءُ بِهَالِكٍ وَلَئِنْ بُلِيتَ فَمَا ٱلْوِدَادُ بِبَالِ
لَا زِلْتَ مَغْدُوقَ ٱلثَّرَى مَطْرُوقَهُ بِسَحَابَةٍ مَجْرُورَةِ ٱلْأَذْيَالِ
وَحُجِبْنَ عَنْكَ ٱلسَّيِّآتُ وَلَمْ يَزَلْ لَكَ صَاحِبٌ مِنْ صَالِحِ ٱلْأَعْمَالِ

٦٣ قَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ مَعْبَدٍ تَرْثِي خَالِدَ بْنَ نَضْلَةَ :

أَأُمَيْمَ هَيْهَاتِ ٱلصِّبَا ذَهَبَ ٱلصِّبَا وَأَطَارَ عَنِّي ٱلْحِلْمَ جَهْلُ غُرَابِي

أَيْنَ ٱلأُلَى بِٱلْأَمْسِ كَانُوا جِيرَةً أَمْسَوْا دَفِينَ جَنَادِلٍ وَتُرَابِ
مَاتُوا وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ بِحِيلَةٍ لَأَحَدْتُ صَرْفَ ٱلْمَوْتِ عَنْ أَحْبَابِي
مَا حِيلَتِي إِلَّا ٱلْبُكَاءُ عَلَيْهِمِ إِنَّ ٱلْبُكَاءَ سِلَاحُ كُلِّ مُصَابِ

٦٤ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ يَرْثِي أَخَاهُ عَمْرًا :

أَلَا نَوَّهَ ٱلدَّاعِي بِلَيْلٍ فَأَسْمَعَا بِخِرْقٍ كَرِيمٍ كَانَ فِي ٱلنَّاسِ أَرْوَعَا
مَضَى صَاحِبِي وَٱسْتَقْبَلَ ٱلدَّهْرُ صَرْعَتِي وَلَا بُدَّ أَنْ أَلْقَى حِمَامِي فَأُصْرَعَا
كَأَنْ لَمْ نَكُنْ يَا عَمْرُو فِي دَارِ غِبْطَةٍ جَمِيعًا وَلَمْ نَشْرَعْ إِلَى مَوْعِدٍ مَعَا
دَفَعْنَا بِكَ ٱلْأَيَّامَ حَتَّى إِذَا أَتَتْ تُرِيدُكَ لَمْ نَسْطِعْ لَهَا عَنْكَ مَدْفَعَا
فَلَمْ يَبْلَ ذِكْرٌ مِنْكَ كُنْتَ تُجِدُّهُ جَمِيلٌ وَلَكِنَّ ٱلْبِلَى فِيكَ أَسْرَعَا
وَمَا دَنِسَ ٱلثَّوْبُ ٱلَّذِي زَوَّدُوكَهُ وَإِنْ خَانَهُ رَيْبُ ٱلْبِلَى فَتَقَطَّعَا
وَطَابَ ثَرًى أَصْبَحْتَ فِيهِ وَإِنَّمَا يَطِيبُ إِذَا كَانَ ٱلثَّرَى لَكَ مَضْجَعَا

٦٥ أَنْشَدَ مُحْرِزُ بْنُ عَلْقَمَةَ يَرْثِي أَخَاهُ شَرِيكًا :

لَقَدْ وَارَى ٱلْمَقَابِرُ مِنْ شَرِيكٍ كَثِيرَ تَكَرُّمٍ وَقَلِيلَ عَابِ
بِهِ كُنَّا نَصُولُ عَلَى ٱلْأَعَادِي وَنَدْفَعُ مِرَّةَ ٱلْقَوْمِ ٱلْغِضَابِ
صَمُوتٌ فِي ٱلْمَجَالِسِ غَيْرُ عَيٍّ جَدِيرٌ حِينَ يَنْطِقُ بِٱلصَّوَابِ
كَرِيمُ ٱلْخُلْقِ لَا طَبِعٌ غَبِينٌ وَلَا فَحَّاشَةٌ نَزِقُ ٱلسِّبَابِ
كَرِيمٌ مَوَاطِنِ ٱلْأَحْسَابِ عَفٌّ إِذَا ٱلضِّلِّيلُ مَالَ بِهِ ٱلتَّصَابِي
دَلُوفٌ بِٱلْقِرَى وَٱللَّيْلُ قَرٌّ إِلَى ٱلْمُتَسَنِّمِينَ ذُرَى ٱلرِّكَابِ

٦٦ وَقَالَ ٱلْأُبَيْرِدُ ٱلْيَرْبُوعِيُّ يَرْثِي أَخَاهُ بُرَيْدًا وَتُرْوَى لِسَلَمَةَ ٱلْجُعْفِيِّ :

أَقُولُ لِنَفْسِي فِي ٱلْخَلَاءِ أَلُومُهَا ... لَكِ ٱلْوَيْلُ مَا هٰذَا ٱلتَّجَلُّدُ وَٱلصَّبْرُ
أَمَا تَعْلَمِينَ ٱلْخُبْرَ أَنْ لَسْتُ لَاقِيًا ... أَخِي إِذْ أَتَى مِنْ دُونِ أَثْوَابِهِ ٱلْقَبْرُ
فَتًى كَانَ يُدْنِيهِ ٱلْغِنَى مِنْ صَدِيقِهِ ... إِذَا مَا هُوَ ٱسْتَغْنَى وَيُبْعِدُهُ ٱلْفَقْرُ
فَتًى كَانَ يُعْطِي ٱلسَّيْفَ فِي ٱلْحَرْبِ حَقَّهُ ... إِذَا هَتَفَ ٱلدَّاعِي وَيَشْقَى بِهِ ٱلْجُزْرُ
وَسَخَّى بِنَفْسِي أَنَّنِي سَوْفَ أَغْتَدِي ... عَلَى إِثْرِهِ يَوْمًا وَإِنْ نُفِّسَ ٱلْعُمْرُ

٦٧ وَقَالَ أَيْضًا فِيهِ:

تَطَاوَلَ لَيْلِي لَمْ أَنَمْهُ تَقَلُّبًا ... كَأَنَّ فِرَاشِي حَالَ مِنْ دُونِهِ ٱلْجَمْرُ
فَإِنْ تَكُنِ ٱلْأَيَّامُ فَرَّقْنَ بَيْنَنَا ... فَقَدْ بَانَ مِنِّي فِي تَذَكُّرِهِ ٱلْعُذْرُ
أَحَقًّا عِبَادَ ٱللهِ أَنْ لَسْتُ لَاقِيًا ... بُرَيْدًا طَوَالَ ٱلدَّهْرِ مَا لَأْلَأَ ٱلْعُفْرُ
فَتًى إِنْ هُوَ ٱسْتَغْنَى يُخَرِّقُ فِي ٱلْغِنَى ... فَإِنْ قَلَّ مَالًا لَا يُؤَدِّبُهُ ٱلْفَقْرُ
فَلَيْتَكَ كُنْتَ ٱلْحَيَّ فِي ٱلنَّاسِ بَاقِيًا ... وَكُنْتُ أَنَا ٱلْمَيْتَ ٱلَّذِي غَيَّبَ ٱلْقَبْرُ
فَتًى يَشْتَرِي حُسْنَ ٱلثَّنَاءِ بِمَالِهِ ... إِذَا ٱلسَّنَةُ ٱلشَّهْبَاءُ قَلَّ بِهَا ٱلْقَطْرُ
كَأَنْ لَمْ يُصَاحِبْنَا بُرَيْدٌ بِغِبْطَةٍ ... وَلَمْ تَأْتِنَا يَوْمًا بِأَخْبَارِهِ ٱلسَّفْرُ
وَلَمَّا نَعَى ٱلنَّاعِي بُرَيْدًا تَغَوَّلَتْ ... بِيَ ٱلْأَرْضُ فَرْطَ ٱلْحُزْنِ وَٱنْقَطَعَ ٱلظَّهْرُ
عَسَاكِرُ تَغْشَى ٱلنَّفْسَ حَتَّى كَأَنَّنِي ... أَخُو سَكْرَةٍ دَارَتْ بِهَامَتِهِ ٱلْخَمْرُ
إِلَى ٱللهِ أَشْكُو فِي بُرَيْدٍ مُصِيبَتِي ... وَبَثِّي أَحْزَانًا تَضَمَّنَهَا ٱلصَّدْرُ

٦٨ قَالَتِ ٱلْخَنْسَاءُ تَرْثِي أَخَاهَا صَخْرًا:

قَذًى بِعَيْنِكِ أَمْ بِٱلْعَيْنِ عُوَّارُ ... أَمْ أَقْفَرَتْ إِذْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا ٱلدَّارُ
كَأَنَّ عَيْنِي لِذِكْرَاهُ إِذَا خَطَرَتْ ... فَيْضٌ يَسِيلُ عَلَى ٱلْخَدَّيْنِ مِدْرَارُ

تَبْكِي خُنَاسُ عَلَى صَخْرٍ وَحَقَّ لَهَا إِذْ رَابَهَا ٱلدَّهْرُ إِنَّ ٱلدَّهْرَ ضَرَّارُ
لَا بُدَّ مِنْ مِيتَةٍ فِي صَرْفِهَا غِيَرٌ وَٱلدَّهْرُ فِي صَرْفِهِ حَوْلٌ وَأَطْوَارُ
يَا صَخْرُ وَارِدَ مَاءٍ قَدْ تَوَارَدَهُ أَهْلُ ٱلْمَوَارِدِ مَا فِي وِرْدِهِ عَارُ
وَإِنَّ صَخْرًا لَحَامِينَا وَسَيِّدُنَا وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو لَنَحَّارُ
وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ ٱلْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ
لَمْ تَرَهُ جَارَةٌ يَمْشِي بِسَاحَتِهَا لِرِيبَةٍ حِينَ يُخْلِي بَيْتَهُ ٱلْجَارُ
مِثْلُ ٱلرُّدَيْنِيِّ لَمْ تَنْفَدْ شَبِيبَتُهُ كَأَنَّهُ تَحْتَ طَيِّ ٱلْبُرْدِ أُسْوَارُ
طَلْقُ ٱلْيَدَيْنِ بِفِعْلِ ٱلْخَيْرِ مُعْتَمَدٌ ضَخْمُ ٱلدَّسِيعَةِ بِٱلْخَيْرَاتِ أَمَّارُ

٦٩ وَقَالَتْ أَيْضًا:

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ ٱلشَّمْسِ صَخْرًا وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسِ
وَلَوْلَا كَثْرَةُ ٱلْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ أُعَزِّي ٱلنَّفْسَ عَنْهُ بِٱلتَّأَسِّي

٧٠ قَالَ ٱلْمُتَمِّمُ يَرْثِي أَخَاهُ مَالِكًا:

أَعَيْنِيَّ جُودِي بِٱلدُّمُوعِ لِمَالِكٍ إِذَا ذَرَّتِ ٱلرِّيحُ ٱلْكَنِيفَ ٱلْمُرَبَّعَا
فَتًى كَانَ مِقْدَامًا إِلَى ٱلرَّوْعِ رَكْضُهُ سَرِيعًا إِلَى ٱلدَّاعِي إِذَا هُوَ أُفْزِعَا
أَبَى ٱلصَّبْرَ آيَاتٌ أَرَاهَا وَإِنَّنِي أَرَى كُلَّ حَبْلٍ دُونَ حَبْلِكَ أَقْطَعَا
وَإِنِّي مَتَى مَا أَدْعُ بِٱسْمِكَ لَا تُجِبْ وَكُنْتَ جَدِيرًا أَنْ تُجِيبَ وَتُسْمِعَا
سَقَى ٱللهُ أَرْضًا حَلَّهَا قَبْرُ مَالِكٍ ذِهَابَ ٱلْغَوَادِي ٱلْمُدْجِنَاتِ فَأَمْرَعَا
فَإِنْ تَكُنِ ٱلْأَيَّامُ فَرَّقْنَ بَيْنَنَا فَقَدْ بَانَ مَحْمُودًا أَخِي يَوْمَ وَدَّعَا

وَعِشْنَا بِخَيْرٍ فِي ٱلْحَيَاةِ وَقَبْلَنَا ... أَصَابَ ٱلْمَنَايَا رَهْطَ كِسْرَى وَتُبَّعَا
فَتًى كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيِيَّةٍ ... وَأَشْجَعَ مِنْ لَيْثٍ إِذَا مَا تَمَنَّعَا
تَقُولُ ٱبْنَةُ ٱلْعَمْرِيِّ مَا لَكَ بَعْدَمَا ... أَرَاكَ قَدِيمًا نَاعِمَ ٱلْوَجْهِ أَفْرَعَا
فَقُلْتُ لَهَا طُولُ ٱلْإِسَاءَةِ سَاءَنِي ... وَلَوْعَةُ حُزْنٍ تَتْرُكُ ٱلْوَجْهَ أَسْفَعَا

٧١ قَالَ زُهَيْرٌ يَرْثِي بَعْضَ مَنْ يَعِزُّ عَلَيْهِ:

أَرَاكَ هَجَرْتَنِي هَجْرًا طَوِيلًا ... وَمَا عَوَّدْتَنِي مِنْ قَبْلُ ذَاكَا
عَهِدْتُكَ لَا تُطِيقُ ٱلصَّبْرَ عَنِّي ... وَتَعْصِي فِي وَدَادِي مَنْ نَهَاكَا
فَكَيْفَ تَغَيَّرَتْ تِلْكَ ٱلسَّجَايَا ... وَمَنْ هٰذَا ٱلَّذِي عَنِّي ثَنَاكَا
فَلَا وَٱللّٰهِ مَا حَاوَلْتَ غَدْرًا ... فَكُلُّ ٱلنَّاسِ يَغْدُرُ مَا خَلَاكَا
وَمَا فَارَقْتَنِي طَوْعًا وَلٰكِنْ ... دَهَاكَ مِنَ ٱلْمَنِيَّةِ مَا دَهَاكَا
فَيَا مَنْ غَابَ عَنِّي وَهُوَ رُوحِي ... وَكَيْفَ أُطِيقُ مِنْ رُوحِي ٱنْفِكَاكَا
وَلَيْتَكَ لَوْ بَقِيتَ لِضُعْفِ حَالِي ... وَكَانَ ٱلنَّاسُ كُلُّهُمُ فِدَاكَا
يَعِزُّ عَلَيَّ حِينَ أُدِيرُ عَيْنِي ... أُفَتِّشُ فِي مَكَانِكَ لَا أَرَاكَا
خَتَمْتُ عَلَى وَدَادِكَ فِي ضَمِيرِي ... وَلَيْسَ يَزَالُ مَخْتُومًا هُنَاكَا
لَقَدْ عَجِلَتْ عَلَيْكَ يَدُ ٱلْمَنَايَا ... وَمَا ٱسْتَوْفَيْتَ حَظَّكَ مِنْ صِبَاكَا
فَوَا أَسَفِي لِجِسْمِكَ كَيْفَ يَبْلَى ... وَيَذْهَبُ بَعْدَ بَهْجَتِهِ سَنَاكَا
وَمَا لِي أَدَّعِي أَنِّي وَفِيٌّ ... وَلَسْتُ مُشَارِكًا لَكَ فِي بِلَاكَا
تَمُوتُ وَمَا أَمُوتُ عَلَيْكَ حُزْنًا ... وَحَقِّ هَوَاكَ خُنْتُكَ فِي هَوَاكَا
وَيَا خَجَلِي إِذَا قَالُوا مُحِبٌّ ... وَلَمْ أَنْفَعْكَ فِي خَطْبٍ أَتَاكَا

أَرَى ٱلْبَاكِينَ فِيكَ مَعِي كَثِيرًا وَلَيْسَ كَمَنْ بَكَى مَنْ قَدْ تَبَاكَى
وَيَا مَنْ قَدْ نَوَى سَفَرًا بَعِيدًا مَتَى قُلْ لِي رُجُوعُكَ مِنْ نَوَاكَا
جَزَاكَ ٱللهُ عَنِّي كُلَّ خَيْرٍ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ عَنِّي جَزَاكَا
فَيَا قَبْرَ ٱلْحَبِيبِ وَدِدْتُ أَنِّي حَمَلْتُ وَلَوْ عَلَى عَيْنِي ثَرَاكَا
سَقَاكَ ٱلْغَيْثُ تَهْتَانًا وَإِلَّا فَحَسْبُكَ مِنْ دُمُوعِي مَا سَقَاكَا
وَلَا زَالَ ٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي يُزَفُّ عَلَى ٱلنَّسِيمِ إِلَى ذَرَاكَا

٧٢ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ مِنْ رِثَاءٍ فِي بَنِي أُمَيَّةَ:

بَكَيْتُ وَمَاذَا يَرُدُّ ٱلْبُكَا وَقَلَّ ٱلْبُكَاءُ لِقَتْلَى كَدَا
أُصِيبُوا مَعًا فَتَوَلَّوْا مَعًا كَذٰلِكَ كَانُوا مَعًا فِي رَجَا
بَكَتْ لَهُمُ ٱلْأَرْضُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَنَاحَتْ عَلَيْهِمْ نُجُومُ ٱلسَّمَا
وَكَانُوا ضِيَاءِي فَلَمَّا ٱنْقَضَى زَمَانِي بِقَوْمِي تَوَلَّى ٱلضِّيَا

٧٣ وَقَالَ فِيهِمْ أَيْضًا وَتُرْوَى هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتُ لِلْعَبَلِيِّ:

أَفَاضَ ٱلْمَدَامِعَ قَتْلَى كُدًا وَقَتْلَى بِكُثْوَةَ لَمْ تُرْمَسِ
وَقَتْلَى بِوَجٍّ وَبِٱللَّابَتَيْنِ بِيَثْرِبَ هُمْ خَيْرُ مَا أَنْفُسِ
وَبِٱلزَّابِيَيْنِ نُفُوسٌ ثَوَتْ وَأُخْرَى بِنَهْرِ أَبِي فُطْرُسِ
أُولٰئِكَ قَوْمٌ أَنَاخَتْ بِهِمْ نَوَائِبُ مِنْ زَمَنٍ مُتْعَسِ
إِذَا رَكِبُوا زَيَّنُوا ٱلرَّاكِبِينَ وَإِنْ جَلَسُوا زِينَةُ ٱلْمَجْلِسِ
هُمُ أَضْرَعُونِي لِرَيْبِ ٱلزَّمَانِ وَهُمْ أَلْصَقُوا ٱلرَّغْمَ بِٱلْمَعْطَسِ
فَمَا أَنْسَ لَا أَنْسَ قَتْلَاهُمُ وَلَا عَاشَ بَعْدَهُمُ مَنْ نَسِي

٧٤ كَانَ لِابْنِ عَمَّارٍ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ مَعْنٌ فَمَاتَ فَقَالَ يَرْثِيهِ :

يَا مَوْتُ مَالَكَ مُولَعًا بِضِرَارِي ... إِنِّي عَلَيْكَ وَإِنْ صَبَرْتُ لَزَارِي
تَعْدُو عَلَيَّ كَأَنَّنِي لَكَ وَاتِرٌ ... وَأَؤُلُّ مِنْكَ كَمَا يَؤُلُّ فِرَارِي
نَفْسُ ٱلْبَعِيدِ إِذَا أَرَدْتَ قَرِيبَةٌ ... لَيْسَتْ بِنَاجِيَةٍ مَعَ ٱلْأَقْدَارِ
وَٱلْمَرْءُ سَوْفَ وَإِنْ تَطَاوَلَ عُمْرُهُ ... يَوْمًا يَصِيرُ لِحُفْرَةِ ٱلْحَفَّارِ
لَمَّا عَلَا عَظْمِي بِهِ فَكَأَنَّهُ ... مِنْ حُسْنِ بِنْيَتِهِ قَضِيبُ نُضَارِ
فَجَعْتَنِي بِأَعَزِّ أَهْلِي كُلِّهِمْ ... تَعْدُو عَلَيْهِ عِدْوَةَ ٱلْجَبَّارِ
هَلَّا بِنَفْسِي أَوْ بِبَعْضِ قَرَابَتِي ... أَوْقَعْتَ أَوْ مَا كُنْتَ بِٱلْمُخْتَارِ
وَتَرَكْتَ رَبَّتِيَ ٱلَّتِي مِنْ أَجْلِهَا ... عِفْتُ ٱلْجِهَادَ وَصِرْتُ فِي ٱلْأَمْصَارِ

٧٥ قَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ تَرْثِي أَبَاهَا وَأَخَوَيْهَا :

مَنْ حَسَّ لِي ٱلْأَخَوَيْنِ كَٱلْـ ... ـغُصْنَيْنِ أَوْ مَنْ رَاهُمَا
قَرْمَانِ لَا يَتَظَالَمَا ... نِ وَلَا يُرَامُ حِمَاهُمَا
وَيْلِي عَلَى أَبَوَيَّ وَٱلْـ ... ـقَبْرِ ٱلَّذِي وَارَاهُمَا
لَا مِثْلَ كَهْلِي فِي ٱلْكُهُو ... لِ وَلَا فَتًى كَفَتَاهُمَا

٧٦ قَالَ أَعْرَابِيٌّ يَرْثِي ٱبْنَهُ وَكَانَ وَقَعَ صَرِيعًا فِي ٱلْحَرْبِ :

حُسَيْنُ لَا خَيْرَ فِي ٱلدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا ... إِذْ أَنْتَ خَلَّيْتَهَا فِي مَنْ يُخَلِّيهَا
نَعَى ٱلنُّعَاةُ حُسَيْنًا لِي فَقُلْتُ لَهُمْ ... مَالَتْ بِنَا ٱلْأَرْضُ أَوْ زَالَتْ رَوَاسِيهَا
أَلْحَزْمُ وَٱلْعَزْمُ كَانَا مِنْ صَنِيعَتِهِ ... مَا كُلُّ آلَائِهِ يَا قَوْمُ أُحْصِيهَا
نُرْوِي ٱلرِّمَاحَ بِأَيْدِينَا فَنُورِدُهَا ... بِيضًا وَنُصْدِرُهَا حُمْرًا أَعَالِيهَا

لَيْتَ ٱلسَّمَاءَ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا وَقَعَتْ وَٱنْشَقَّتِ ٱلْأَرْضُ فَٱنْجَابَتْ بِمَنْ فِيهَا
لَا أَصْلَحَ ٱللّٰهُ مِنَّا مَنْ يُصَالِحُكُمْ مَا لَاحَتِ ٱلشَّمْسُ فِي أَعْلَى مَجَارِيهَا

رثاء مشاهير العرب

٧٧ قَالَ ٱلْحُسَيْنُ بْنُ مُطَيْرٍ ٱلْأَسَدِيُّ فِي مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ :

أَلِمَّا عَلَى مَعْنٍ وَقُولَا لِقَبْرِهِ سَقَتْكَ ٱلْغَوَادِي مَرْبَعًا ثُمَّ مَرْبَعَا
فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتَ أَوَّلُ حُفْرَةٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ خُطَّتْ لِلسَّمَاحَةِ مَضْجَعَا
وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ ٱلْبَرُّ وَٱلْبَحْرُ مُتْرَعَا
بَلَى قَدْ وَسِعْتَ ٱلْجُودَ وَٱلْجُودُ مَيِّتٌ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضِقْتَ حَتَّى تَصَدَّعَا
فَتًى عِيشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ ٱلسَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعَا
وَلَمَّا مَضَى مَعْنٌ مَضَى ٱلْجُودُ فَٱنْقَضَى وَأَصْبَحَ عِرْنِينُ ٱلْمَكَارِمِ أَجْدَعَا

٧٨ قَالَ ثَابِتُ بْنُ هَارُونَ ٱلرَّقِّيُّ ٱلنَّصْرَانِيُّ يَرْثِي أَبَا ٱلطَّيِّبِ ٱلْمُتَنَبِّيَ:

أَلدَّهْرُ أَخْبَثُ وَٱللَّيَالِي أَنْكَدُ مِنْ أَنْ تَعِيشَ لِأَهْلِهَا يَا أَحْمَدُ
قَصَدَتْكَ لَمَّا أَنْ رَأَتْكَ نَفِيسَهَا بُخْلًا بِمِثْلِكَ وَٱلنَّفَائِسُ تُقْصَدُ
ذُقْتَ ٱلْكَرِيهَةَ بَغْتَةً وَفَقَدْتَهَا وَكَرِيهُ فَقْدِكَ فِي ٱلْوَرَى لَا يُفْقَدُ
قُلْ لِي إِنِ ٱسْتَطَعْتَ ٱلْخِطَابَ فَإِنَّنِي صَبُّ ٱلْفُؤَادِ إِلَى خِطَابِكَ مُكْمَدُ
أَتَرَكْتَ بَعْدَكَ شَاعِرًا وَٱللّٰهِ لَا لَمْ يَبْقَ بَعْدَكَ فِي ٱلْوَرَى مَنْ يُنْشِدُ
أَمَّا ٱلْعُلُومُ فَإِنَّهَا يَا رَبَّهَا تَبْكِي عَلَيْكَ بِأَدْمُعٍ لَا تَجْمُدُ

٧٩ وَرَثَاهُ أَيْضًا أَبُو ٱلْقَاسِمِ ٱلْمُظَفَّرُ بْنُ عَلِيٍّ ٱلْكَاتِبُ :

لَا رَعَى ٱللّٰهُ سِرْبَ هٰذَا ٱلزَّمَانِ إِذْ دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَاكَ ٱللِّسَانِ

مَا رَأَى ٱلنَّاسُ ثَانِيَ ٱلْمُتَنَبِّي أَيُّ ثَانٍ يُرَى لِبِكْرِ ٱلزَّمَانِ
كَانَ مِنْ نَفْسِهِ ٱلْكَبِيرَةِ فِي جَيْشٍ وَفِي كِبْرِيَاءِ ذِي سُلْطَانِ
كَانَ فِي لَفْظِهِ نَبِيًّا وَلٰكِنْ ظَهَرَتْ مُعْجِزَاتُهُ فِي ٱلْمَعَانِي

٨٠ لِأَبِي عَبْدِ ٱلرَّحْمَانِ ٱلْعَطَوِيِّ مِنَ ٱلْمُرَقَّصِ فِي رِثَاءِ ٱبْنِ أَبِي دُؤَادَ :

وَلَيْسَ صَرِيرُ ٱلنَّعْشِ مَا تَسْمَعُونَهُ وَلٰكِنَّهُ أَصْلَابُ قَوْمٍ تَقَصَّفُ
وَلَيْسَ فَتِيقُ ٱلْمِسْكِ مَا تَجِدُونَهُ وَلٰكِنَّهُ ذَاكَ ٱلثَّنَاءُ ٱلْمُخَلَّفُ

وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ :

أَلْيَوْمَ مَاتَ نِظَامُ ٱلْمُلْكِ وَٱللَّسَنِ وَمَاتَ مَنْ كَانَ يُسْتَعْدَى عَلَى ٱلزَّمَنِ
وَأَظْلَمَتْ سُبُلُ ٱلْآدَابِ وَٱحْتَجَبَتْ شَمْسُ ٱلْمَكَارِمِ فِي غَيْمٍ مِنَ ٱلْكَفَنِ

٨١ قَالَ جَرِيرٌ يَرْثِي ٱلْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ :

يَا عَيْنُ جُودِي بِدَمْعٍ هَاجَهُ ٱلذِّكَرُ فَمَا لِدَمْعِكِ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ مُدَّخَرُ
إِنَّ ٱلْخَلِيفَةَ قَدْ وَارَى شَمَائِلَهُ غَبْرَاءُ مَلْحُودَةٌ فِي جُولِهَا زَوَرُ
أَمْسَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ مِثْلَ ٱلنُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا ٱلْقَمَرُ
كَانُوا شُهُودًا فَلَمْ يَدْفَعْ مَنِيَّتَهُ عَبْدُ ٱلْعَزِيزِ وَلَا رَوْحٌ وَلَا عُمَرُ
وَخَالِدٌ لَوْ أَرَادَ ٱلدَّهْرُ فِدْيَتَهُ أَغْلَوْا مُخَاطَرَةً لَوْ يَنْفَعُ ٱلْخَطَرُ
قَدْ شَفَّنِي رَوْعَةُ ٱلْعَبَّاسِ مِنْ فَزَعٍ لَمَّا أَتَاهُ بِدَيْرِ ٱلْقَسْطَلِ ٱلْخَبَرُ

٨٢ قَالَ ٱلشَّبْرَاوِيُّ يَرْثِي ٱلْعَلَّامَةَ ٱلْعَبَّادِيَّ :

يَا طَالِبًا رَاحَةً مِنْ دَهْرِهِ عَبَثًا أَقْصِرْ فَمَا ٱلدَّهْرُ إِلَّا بِٱلْهُمُومِ مَلِي
كَمْ مَنْظَرٍ رَائِقٍ أَفْنَتْ جَمَالَتَهُ يَدُ ٱلْمَنُونِ وَأَعْيَتْهُ عَنِ ٱلْحِيَلِ

وَكَمْ هُمَامٍ وَكَمْ قَرْمٍ وَكَمْ مَلِكٍ تَحْتَ ٱلتُّرَابِ وَكَمْ شَهْمٍ وَكَمْ بَطَلِ
وَكَمْ إِمَامٍ إِلَيْهِ تَنْتَهِي دُوَلٌ قَدْ صَارَ بِٱلْمَوْتِ مَعْزُولًا عَنِ ٱلدُّوَلِ
وَكَمْ عَزِيزٍ أَذَلَّتْهُ ٱلْمَنُونُ وَمَا إِنْ صَدَّهَا عَنْهُ مِنْ مَالٍ وَلَا خَوَلِ
يَا عَارِفًا دَهْرَهُ يَكْفِيكَ مَعْرِفَةً وَإِنْ جَهِلْتَ تَصَارِيفَ ٱلزَّمَانِ سَلِ
هَلْ فِي زَمَانِكَ أَوْ مِنْ قَبْلِهِ سَمِعَتْ أُذْنَاكَ أَنَّ ٱبْنَ أُنْثَى غَيْرُ مُنْتَقِلِ
وَهَلْ رَأَيْتَ أُنَاسًا قَدْ عَلَوْا وَغَلَوْا فِي ٱلْفَضْلِ زَادُوا بِمَا نَالُوا عَنِ ٱلْأَجَلِ
أَوْ هَلْ نَسِيتَ لِدُوا لِلْمَوْتِ أَوْ عَمِيَتْ عَيْنَاكَ عَنْ وَاضِعٍ نَعْشًا وَمُحْتَمِلِ
وَهَلْ رَعَى ٱلْمَوْتُ ذَا عِزٍّ لِعِزَّتِهِ أَوْ هَلْ خَلَا أَحَدٌ دَهْرًا بِلَا خَلَلِ
أَلْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ ٱلنَّاسِ دَاخِلُهُ لٰكِنَّ ذَا ٱلْفَضْلِ مَحْمُولٌ عَلَى عَجَلِ
وَلَيْسَ فَقْدُ إِمَامٍ عَالِمٍ عَلَمٍ كَفَقْدِ مَنْ لَيْسَ ذَا عِلْمٍ وَلَا عَمَلِ
وَلَيْسَ مَوْتُ ٱلَّذِي مَاتَتْ لَهُ أُمَمٌ كَمَوْتِ شَخْصٍ مِنَ ٱلْأَوْغَادِ وَٱلسَّفَلِ
لِأَجْلِ ذَا طَالَ مِنَّا ٱلنَّوْحُ وَٱنْحَدَرَتْ مِنَّا ٱلدُّمُوعُ كَسَيْلٍ وَابِلٍ هَطِلِ
عَلَى إِمَامٍ هُمَامٍ فَاضِلٍ فَطِنٍ حِبْرٍ لَبِيبٍ مَلَاذٍ لِلْعُلُومِ وَلِي
لَهُ يَدٌ وَرَدَتْ بَحْرَ ٱلْهُدَى وَرَوَتْ حَدِيثَهُ عَنْ فُنُونِ ٱلسَّادَةِ ٱلْأُوَلِ
وَكَمْ لَهُ مِنْ تَآلِيفٍ بِجَوْهَرِهَا حَلَّتْ وَمَا ٱحْتَاجَ مَعْنَاهَا إِلَى حُلَلِ

٨٣ قَالَ ٱلْيَزِيدِيُّ بْنُ مُغِيرَةَ ٱلْمُقْرِيُّ يَرْثِي ٱلْكِسَائِيَّ وَمُحَمَّدَ بْنَ ٱلْحَسَنِ وَكَانَا قَدْ خَرَجَا مَعَ ٱلرَّشِيدِ إِلَى خُرَاسَانَ فَمَاتَا فِي ٱلطَّرِيقِ:

تَصَرَّمَتِ ٱلدُّنْيَا فَلَيْسَ خُلُودُ وَمَا قَدْ تَرَى مِنْ بَهْجَةٍ سَيَبِيدُ
سَيُفْنِيكَ مَا أَفْنَى ٱلْقُرُونَ ٱلَّتِي خَلَتْ فَكُنْ مُسْتَعِدًّا فَٱلْفَنَاءُ عَتِيدُ

أَسِيتُ عَلَى قَاضِي ٱلْقُضَاةِ مُحَمَّدٍ فَأَذْرَيْتُ دَمْعِي وَٱلْفُؤَادُ عَمِيدُ
وَقُلْتُ إِذَا مَا ٱلْخَطْبُ أَشْكَلَ مَنْ لَنَا بِإِيضَاحِهِ يَوْمًا وَأَنْتَ فَقِيدُ
وَأَقْلَقَنِي مَوْتُ ٱلْكِسَائِيِّ بَعْدَهُ وَكَادَتْ بِيَ ٱلْأَرْضُ ٱلْفَضَاءُ تَمِيدُ
وَأَذْهَلَنِي عَنْ كُلِّ عَيْشٍ وَلَذَّةٍ وَأَرَّقَ عَيْنِي وَٱلْعُيُونُ هُجُودُ
هُمَا عَالِمَانِ أَوْدَيَا وَتَخَرَّمَا وَمَا لَهُمَا فِي ٱلْعَالَمِينَ نَدِيدُ
فَحُزْنِيَ إِنْ تَخْطُرْ عَلَى ٱلْقَلْبِ خَطْرَةٌ بِذِكْرِهِمَا حَتَّى ٱلْمَمَاتِ جَدِيدُ

٨٤ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي ٱلْعَتَاهِيَةِ يَرْثِي ٱلْأَصْمَعِيَّ:

أَسِفْتُ لِفَقْدِ ٱلْأَصْمَعِيِّ لَقَدْ مَضَى حَمِيدًا لَهُ فِي كُلِّ صَالِحَةٍ سَهْمُ
تَقَضَّتْ بَشَاشَاتُ ٱلْمَجَالِسِ بَعْدَهُ وَوَدَّعَنَا إِذْ وَدَّعَ ٱلْأُنْسُ وَٱلْعِلْمُ
وَقَدْ كَانَ نَجْمَ ٱلْعِلْمِ فِينَا حَيَاتَهُ فَلَمَّا ٱنْقَضَتْ أَيَّامُهُ أَفَلَ ٱلنَّجْمُ

٨٥ قَالَ ٱلْمُعْتَمِدُ يَرْثِي أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ:

إِلَى ٱللهِ أَشْكُو أَسًى عَرَانِي كَوَقْعِ ٱلْأَسَلْ
عَلَى رَجُلٍ أَرْوَعٍ يُرَى مِنْهُ فَضْلُ ٱلْوَجَلْ
شِهَابٌ خَبَا وَقْدُهُ وَعَارِضُ غَيْثٍ أَفَلْ
شَكَتْ دَوْلَتِي فَقْدَهُ وَكَانَ يَزِينُ ٱلدُّوَلْ

٨٦ قَالَ ٱلشِّهَابُ ٱلْمَنْصُورِيُّ يَرْثِي ٱلْإِمَامَ كَمَالَ ٱلدِّينِ ٱلسُّيُوطِيَّ:

مَاتَ ٱلْكَمَالُ فَقَالُوا وَلَّى ٱلْحِجَى وَٱلْجَلَالُ
فَلِلْعُيُونِ بُكَاءٌ وَلِلدُّمُوعِ ٱنْهِمَالُ
وَفِي فُؤَادِي حُزْنٌ وَلَوْعَةٌ لَا تَزَالُ

لِلّهِ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَارَتْهُ تِلْكَ ٱلرِّمَالُ
بَكَى ٱلرَّشَادُ عَلَيْهِ دَمًا وَسُرَّ ٱلضَّلَالُ
قَدْ لَاحَ فِي ٱلْخَيْرِ نَقْصٌ لَمَّا مَضَى وَٱخْتِلَالُ
وَكَيْفَ لَمْ نَرَ نَقْصًا وَقَدْ تَوَلَّى ٱلْكَمَالُ
عُلُومُـهُ رَاسِخَاتٌ تَزُولُ مِنْهَا ٱلْجِبَالُ
بِقَبْرِهِ ٱلْعِلْمُ ثَاوٍ وَٱلْفَضْلُ وَٱلْإِفْضَالُ

٨٧ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ مَعْبَدٍ يَرْثِي يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ:

لَقَدْ عَظُمَتْ فِي ٱلْمُسْلِمِينَ رَزِيَّةٌ غَدَاةَ نَعَى ٱلنَّاعُونَ يَحْيَى فَأَسْمَعُوا
فَقَالُوا وَإِنَّا قَدْ دَفَنَّاهُ فِي ٱلثَّرَى فَكَادَ فُؤَادِي حَسْرَةً يَتَصَدَّعُ
فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ لِعَيْنِي عَبْرَةً وَلَا جَزَعًا إِنَّا إِلَى ٱللّهِ نَرْجِعُ
أَلَا فِي سَبِيلِ ٱللّهِ عِظْمُ رَزِيَّتِي بِيَحْيَى إِلَى مَنْ نَسْتَرِيحُ وَنَفْزَعُ
وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يُؤْتَى فَيُسْأَلُ بَعْدَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ فِي ٱلْعِلْمِ مُقْنِعُ
لَقَدْ كَانَ يَحْيَى فِي ٱلْحَدِيثِ بَقِيَّةً مِنَ ٱلسَّلَفِ ٱلْمَاضِينَ حِينَ تَقَشَّعُوا
فَلَمَّا مَضَى مَاتَ ٱلْحَدِيثُ بِمَوْتِهِ وَأُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ ٱلْعِلْمُ أَجْمَعُ
وَصِرْنَا حَيَارَى بَعْدَ يَحْيَى كَأَنَّنَا رَعِيَّةُ رَاعٍ بَثَّهُمْ فَتَصَدَّعُوا
وَلَيْسَ بِمُغْنٍ عَنْكَ دَمْعٌ سَفَحْتَهُ وَلَكِنْ إِلَيْهِ يَسْتَرِيحُ ٱلْمُفَجَّعُ
لَعَمْرُكَ مَا لِلنَّاسِ فِي ٱلْمَوْتِ حِيلَةٌ وَلَا لِقَضَاءِ ٱللّهِ فِي ٱلْخَلْقِ مَدْفَعُ
وَلَكِنَّمَا أَبْكِي عَلَى ٱلْعِلْمِ إِذْ مَضَى فَمَا بَعْدَ يَحْيَى فِيهِ لِلنَّاسِ مَفْزَعُ
فَقَدْ تَرَكَ ٱلدُّنْيَا وَفَرَّ بِدِينِهِ إِلَى ٱللّهِ حَتَّى مَاتَ وَهُوَ مُمَتَّعُ

٨٨ قَالَ إِسْحَاقُ ٱلْمَوْصِلِيُّ يَرْثِي أَبَاهُ إِبْرٰهِيمَ ٱلْمُغَنِّيَ :

أَقُولُ لَهُ لَمَّا وَقَفْتُ بِقَبْرِهِ عَلَيْكَ سَلَامُ ٱللهِ يَا صَاحِبَ ٱلْقَبْرِ
وَيَا قَبْرَ إِبْرٰهِيمَ حُيِّيتَ حُفْرَةً وَلَا زِلْتَ تُسْقَى ٱلْغَيْثَ مِنْ سُبُلِ ٱلْقَطْرِ
لَقَدْ عَزَّنِي وَجْدِي عَلَيْكَ فَلَمْ يَدَعْ لِقَلْبِي نَصِيبًا مِنْ عَزَاءٍ وَلَا صَبْرِ
وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي مِنْ فِرَاقِكَ لَيْلَةً فَكَيْفَ وَقَدْ صَارَ ٱلْفِرَاقُ إِلَى ٱلْحَشْرِ

٨٩ لَمَّا مَاتَ أَبُو إِسْحَاقَ ٱلصَّابِي رَثَاهُ ٱلشَّرِيفُ ٱلرَّضِيُّ ٱلْمُوسَوِيُّ بِقَوْلِهِ:

أَعَلِمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى ٱلْأَعْوَادِ أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ ٱلنَّادِي
جَبَلٌ هَوَى لَوْ خَرَّ فِي ٱلْبَحْرِ ٱغْتَدَى مِنْ وَقْعِهِ مُتَتَابِعَ ٱلْأَزْبَادِ
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ حَطِّكَ فِي ٱلثَّرَى أَنَّ ٱلثَّرَى يَعْلُو عَلَى ٱلْأَطْوَادِ

٩٠ قَالَ ٱلشِّهَابُ ٱلْمَنْصُورِيُّ يَرْثِي ٱلْعَلَّامَةَ مُحْيِيَ ٱلدِّينِ ٱلْكَافِيَجِيَّ :

بَكَتْ عَلَى ٱلشَّيْخِ مُحْيِي ٱلدِّينِ كَافِيَجِي عُيُونُنَا بِدُمُوعٍ مِنْ دَمِ ٱلْمُهَجِ
كَانَتْ أَسَارِيرُ هٰذَا ٱلدَّهْرِ مِنْ دُرَرٍ تُزْهَى فَبُدِّلَ ذَاكَ ٱلدُّرُّ بِٱلسَّبَجِ
فَكَمْ نَفَى بِسَمَاحٍ مِنْ مَكَارِمِهِ فَقْرًا وَقَوَّمَ بِٱلْإِعْطَاءِ مِنْ عِوَجِ
يَا نُورَ عِلْمٍ أَرَاهُ ٱلْيَوْمَ مُنْطَفِئًا وَكَانَتِ ٱلنَّاسُ تَمْشِي مِنْهُ فِي سُرُجِ
فَلَوْ رَأَيْتَ ٱلْفَتَاوَى وَهْيَ بَاكِيَةٌ رَأَيْتَهَا مِنْ نَجِيعِ ٱلدَّمْعِ فِي لُجَجِ
وَلَوْ سَرَتْ بِثَنَاءٍ عَنْهُ رِيحُ صَبًا لَٱسْتَنْشَقُوا مِنْ شَذَاهَا أَطْيَبَ ٱلْأَرَجِ
يَا وَحْشَةَ ٱلْعِلْمِ مِنْ فِيهِ إِذَا ٱعْتَرَكَتْ أَبْطَالُهُ فَتَوَارَتْ فِي دُجَى ٱلرَّهَجِ
لَمْ يَلْحَقُوا شَأْوَ عِلْمٍ مِنْ خَصَائِصِهِ أَنَّى وَرُتْبَتُهُ فِي أَرْفَعِ ٱلدَّرَجِ
قَدْ طَالَ مَا كَانَ يُقْرِينَا وَيُقْرِئُنَا فِي حَالَتَيْهِ بِوَجْهٍ مِنْهُ مُبْتَهِجِ

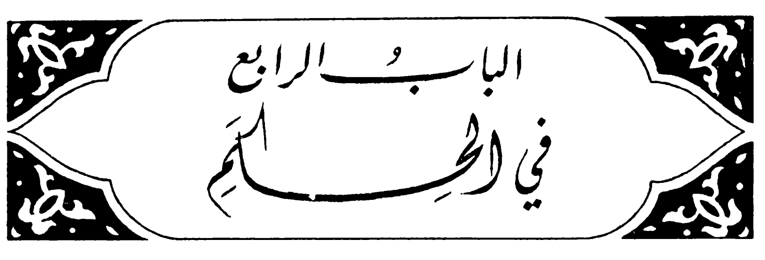
سَقْيًا لَهُ وَكَسَاهُ ٱللَّهُ نُورَ سَنًا مِنْ سُنْدُسٍ بِيَدِ ٱلْغُفْرَانِ مُنْتَسِجِ

٩١ وَقَالَ أَيْضًا يَرْثِي ٱلْحِجَازِيَّ أَبَا ٱلطَّيِّبِ ٱلْخَزْرَجِيَّ :

لَهْفَ قَلْبِي عَلَى أُفُولِ ٱلشِّهَابِ تُحْفَةِ ٱلْقَوْمِ نُزْهَةِ ٱلْأَصْحَابِ
كَانَ فِي مَطْلَعِ ٱلْبَلَاغَةِ يَسْرِي فَتَوَارَى مِنَ ٱلثَّرَى بِحِجَابِ
فَقَدَتْ بِرَّهُ أَيَامَى ٱلْمَعَانِي وَيَتَامَى جَوَاهِرِ ٱلْآدَابِ
هَطَلَتْ أَدْمُعُ ٱلسَّحَابِ عَلَيْهِ وَقَلِيلٌ فِيهِ دُمُوعُ ٱلسَّحَابِ
وَذَوُو ٱلْجَمْعِ أَصْبَحُوا حِينَ وَلَّى كُلُّهُمْ جَامِعًا بِلَا مِحْرَابِ
يَا شِهَابًا طُلُوعُهُ فِي سَمَا ٱلْفَضْلِ م وَلٰكِنْ أُفُولُهُ فِي ٱلتُّرَابِ
لَكَ فِيهَا أَلَّفْتَ تَذْكِرَةٌ مِنْ مَا ٱنْتَقَى دُرَّهُ أُولُو ٱلْأَلْبَابِ
رَوْضَةٌ أَيْنَعَتْ بِفَاكِهَةٍ مِنْ حُسْنِ لَفْظٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابِ
فَسَقَى تُرْبَهَا ٱلرَّبَابُ لِتَهْتَزَّ وَتَرْبُو عَلَى سَمَاعِ ٱلرَّبَابِ
وَرَأَى كَسْرَهُ فَقَابَلَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى بِٱلْجَبْرِ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ

٩٢ قَالَ عِمَادُ ٱلْكَاتِبُ يَرْثِي صَلَاحَ ٱلدِّينِ:

شَمْلُ ٱلْهُدَى وَٱلْمُلْكِ عَمَّ شَتَاتُهُ وَٱلدَّهْرُ سَاءَ وَأَقْلَعَتْ حَسَنَاتُهُ
بِٱللَّهِ أَيْنَ ٱلنَّاصِرُ ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي لِلَّهِ خَالِصَةً صَفَتْ نِيَّاتُهُ
أَيْنَ ٱلَّذِي مَا زَالَ سُلْطَانًا لَنَا يُرْجَى نَدَاهُ وَتُتَّقَى سَطَوَاتُهُ
أَيْنَ ٱلَّذِي شَرُفَ ٱلزَّمَانُ بِفَضْلِهِ وَسَمَتْ عَلَى ٱلْفُضَلَاءِ تَشْرِيفَاتُهُ
أَيْنَ ٱلَّذِي عَنَتِ ٱلْفِرَنْجُ لِبَأْسِهِ ذُلًّا وَمِنْهَا أُدْرِكَتْ ثَارَاتُهُ
أَغْلَالُ أَعْنَاقِ ٱلْعِدَى أَسْيَافُهُ أَطْوَاقُ أَجْيَادِ ٱلْوَرَى حَسَنَاتُهُ



البَابُ الرَّابِعُ
فِي الحِلْمِ

٩٣ قَالَ ٱلْعَسْجَدِيُّ لِبَعْضِ أَصْحَابِ ٱبْنِ ٱلْعَمِيدِ ذِي ٱلْكِفَايَتَيْنِ : كَيْفَ رَأَيْتَ ٱلْوَزِيرَ . فَقَالَ : رَأَيْتُهُ يَابِسَ ٱلْعُودِ ذَمِيمَ ٱلْعُهُودِ سَيِّئَ ٱلظَّنِّ بِٱلْمَعْبُودِ . فَقَالَ ٱلْعَسْجَدِيُّ : أَمَا رَأَيْتَ تِلْكَ ٱلْأُبَّهَةَ وَٱلصِّيتَ وَٱلْمَوَاكِبَ وَٱلتَّجَمُّلَ ٱلظَّاهِرَ وَٱلدَّارَ ٱلْجَلِيلَةَ وَٱلْفَرْشَ ٱلسَّنِيَّ وَٱلْحَاشِيَةَ ٱلْجَمِيلَةَ . فَقَالَ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلُ : ٱلدَّوْلَةُ غَيْرُ ٱلسُّؤْدُدِ . وَٱلسَّلْطَنَةُ غَيْرُ ٱلْكَرَمِ . وَٱلْحَظُّ غَيْرُ ٱلْمَجْدِ . أَيْنَ ٱلزُّوَّارُ وَٱلْمُنْتَجِعُونَ . وَأَيْنَ ٱلْآمِلُونَ وَٱلشَّاكِرُونَ . وَأَيْنَ ٱلْوَاصِفُونَ ٱلصَّادِقُونَ . وَأَيْنَ ٱلْمُنْصَرِفُونَ ٱلرَّاضُونَ . وَأَيْنَ ٱلْهِبَاتُ وَأَيْنَ ٱلتَّفَضُّلَاتُ وَأَيْنَ ٱلْخِلَعُ وَٱلتَّشْرِيفَاتُ . وَأَيْنَ ٱلْهَدَايَا وَأَيْنَ ٱلضِّيَافَاتُ . هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَا تَجِيءُ ٱلرِّئَاسَةُ بِٱلتُّرَّهَاتِ . وَلَا يَحْصُلُ ٱلشَّرَفُ بِٱلْخُزَعْبِلَاتِ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ ٱلشَّاعِرِ :

أَبَا جَعْفَرٍ لَيْسَ فَضْلُ ٱلْفَتَى ‏ إِذَا رَاحَ فِي فَرْطِ إِعْجَابِهِ
وَلَا فِي فَرَاهَةِ بِرْذَوْنِهِ ‏ وَلَا فِي مَلَاحَةِ أَثْوَابِهِ
وَلٰكِنَّهُ فِي ٱلْفَعَالِ ٱلْجَمِيلِ ‏ وَٱلْكَرَمِ ٱلْأَشْرَفِ ٱلنَّابِهِ

٩٤ اِجْتَمَعَ عَامِرُ بْنُ ٱلظَّرِبِ ٱلْعَدْوَانِيُّ وَحُمَمَةُ بْنُ رَافِعٍ ٱلدَّوْسِيُّ عِنْدَ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ حِمْيَرَ . فَقَالَ : لَا تَسَآلَا حَتَّى أَسْمَعَ مَا تَقُولَانِ . فَقَالَ عَامِرٌ لِحُمَمَةَ : أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ أَيَادِيكَ . قَالَ : عِنْدَ ذِي ٱلرُّتْبَةِ

ٱلْعَدِيمِ وَعِنْدَ ذِي ٱلْخُلَّةِ ٱلْكَرِيمِ. وَٱلْمُعْسِرِ ٱلْغَرِيمِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِ ٱلْحَلِيمِ. قَالَ: مَنْ أَحَقُّ ٱلنَّاسِ بِٱلْمَقْتِ. قَالَ: ٱلْفَقِيرُ ٱلْمُخْتَالُ. وَٱلضَّعِيفُ ٱلصَّوَّالُ. وَٱلْغَنِيُّ ٱلْقَوَّالُ. قَالَ: فَمَنْ أَحَقُّ ٱلنَّاسِ بِٱلْمَنْعِ. قَالَ: ٱلْحَرِيصُ ٱلْكَائِدُ وَٱلْمُسْتَمِيدُ ٱلْحَاسِدُ. وَٱلْمُلْحِفُ ٱلْوَاجِدُ. قَالَ: مَنْ أَجْدَرُ ٱلنَّاسِ بِٱلصَّنِيعَةِ. قَالَ: مَنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ. وَإِذَا مُنِعَ عَذَرَ. وَإِذَا مُطِلَ صَبَرَ. وَإِذَا قَدُمَ ٱلْعَهْدُ ذَكَرَ. قَالَ: مَنْ أَكْرَمُ ٱلنَّاسِ عِشْرَةً. قَالَ: مَنْ إِذَا قَرُبَ مَنَحَ. وَإِذَا ظُلِمَ صَفَحَ. وَإِنْ ضُويِقَ سَمَحَ. قَالَ: مَنْ أَلْأَمُ ٱلنَّاسِ. قَالَ: مَنْ إِذَا سَأَلَ خَضَعَ. وَإِذَا سُئِلَ مَنَعَ. وَإِذَا مَلَكَ كَنَعَ. ظَاهِرُهُ جَشَعٌ. وَبَاطِنُهُ طَبَعٌ. قَالَ: فَمَنْ أَجَلُّ ٱلنَّاسِ. قَالَ: مَنْ عَفَا إِذَا قَدَرَ. وَأَجْمَلَ إِذَا ٱنْتَصَرَ. وَلَمْ تُطْغِهِ عِزَّةُ ٱلظَّفَرِ. قَالَ: فَمَنْ أَحْزَمُ ٱلنَّاسِ. قَالَ: مَنْ أَخَذَ رِقَابَ ٱلْأُمُورِ بِيَدَيْهِ. وَجَعَلَ ٱلْعَوَاقِبَ نُصْبَ عَيْنَيْهِ. وَنَبَذَ ٱلتَّهَيُّبَ دُبُرَ أُذُنَيْهِ. قَالَ: فَمَنْ أَخْرَقُ ٱلنَّاسِ. قَالَ: مَنْ رَكِبَ ٱلْخِطَارَ. وَٱعْتَسَفَ ٱلْعِثَارَ. وَأَسْرَعَ فِي ٱلْبِدَارِ قَبْلَ ٱلِٱقْتِدَارِ. قَالَ: مَنْ أَجْوَدُ ٱلنَّاسِ. قَالَ: مَنْ بَذَلَ ٱلْمَجْهُودَ. وَلَمْ يَأْسَ عَلَى ٱلْمَفْقُودِ. قَالَ: مَنْ أَبْلَغُ ٱلنَّاسِ. قَالَ: مَنْ حَلَّى ٱلْمَعْنَى ٱلْمَزِيزَ بِٱللَّفْظِ ٱلْوَجِيزِ. وَطَبَّقَ ٱلْمَفْصِلَ قَبْلَ ٱلتَّحْزِيزِ. قَالَ: مَنْ أَنْعَمُ ٱلنَّاسِ عَيْشًا. قَالَ: مَنْ تَحَلَّى بِٱلْعَفَافِ وَرَضِيَ بِٱلْكَفَافِ. وَتَجَاوَزَ مَا يَخَافُ إِلَى مَا لَا يَخَافُ. قَالَ: فَمَنْ أَشْقَى ٱلنَّاسِ. قَالَ: مَنْ حَسَدَ عَلَى ٱلنِّعَمِ. وَسَخِطَ عَلَى ٱلْقِسَمِ. وَٱسْتَشْعَرَ ٱلنَّدَمَ عَلَى مَا ٱنْحَتَمَ. قَالَ: مَنْ أَغْنَى ٱلنَّاسِ. قَالَ: مَنِ ٱسْتَشْعَرَ

ٱلْيَاسَ. وَأَظْهَرَ ٱلتَّجَمُّلَ لِلنَّاسِ وَٱسْتَكْثَرَ قَلِيلَ ٱلنِّعَمِ. وَلَمْ يَسْخَطْ عَلَى ٱلْقِسَمِ. قَالَ فَمَنْ أَحْكَمُ ٱلنَّاسِ. قَالَ: مَنْ صَمَتَ فَٱدَّكَرَ. وَنَظَرَ فَٱعْتَبَرَ وَوُعِظَ فَٱزْدَجَرَ. قَالَ: مَنْ أَجْهَلُ ٱلنَّاسِ. قَالَ: مَنْ رَأَى ٱلْخُرْقَ مَغْنَمًا. وَٱلتَّجَاوُزَ مَغْرَمًا (لابن عبد ربه)

٩٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَعْجَبُ مَا فِي ٱلْإِنْسَانِ قَلْبُهُ وَلَهُ مَوَادُّ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَأَضْدَادٌ مِنْ خِلَافِهَا. فَإِنْ سَنَحَ لَهُ ٱلرَّجَاءُ أَذَلَّهُ ٱلطَّمَعُ. وَإِنْ هَاجَهُ ٱلطَّمَعُ أَهْلَكَهُ ٱلْحِرْصُ. وَإِنْ مَلَكَهُ ٱلْيَأْسُ قَتَلَهُ ٱلْأَسَفُ. وَإِنْ عَرَضَ لَهُ ٱلْغَضَبُ ٱشْتَدَّ بِهِ ٱلْغَيْظُ. وَإِنْ أُسْعِدَ بِٱلرِّضَا نَسِيَ ٱلتَّحَفُّظَ. وَإِنْ أَتَاهُ ٱلْخَوْفُ شَغَلَهُ ٱلْحَذَرُ. وَإِنِ ٱتَّسَعَ لَهُ ٱلْأَمْنُ ٱسْتَلَبَتْهُ ٱلْغِرَّةُ. وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ ٱلْجَزَعُ. وَإِنِ ٱسْتَفَادَ مَالًا أَطْغَاهُ ٱلْغِنَى. وَإِنْ عَضَّتْهُ فَاقَةٌ بَلَغَ بِهِ ٱلْبَلَاءُ. وَإِنْ جَهَدَ بِهِ ٱلْجُوعُ قَعَدَ بِهِ ٱلضَّعْفُ. وَإِنْ أَفْرَطَ فِي ٱلشِّبَعِ كَظَّتْهُ ٱلْبِطْنَةُ. فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ قَاتِلٌ

٩٦ نخبة من وصية ابن سعيد المغربي لابنه وقد اراد السفر

أُودِعُكَ ٱلرَّحْمَانَ فِي غُرْبَتِكْ مُرْتَقِبًا رُحْمَاهُ فِي أَوْبَتِكْ
فَلَا تُطِلْ حَبْلَ ٱلنَّوَى إِنَّنِي وَٱللهِ أَشْتَاقُ إِلَى طَلْعَتِكْ
وَٱخْتَصِرِ ٱلتَّوْدِيعَ أَخْذًا فَمَا لِي نَاظِرٌ يَقْوَى عَلَى فُرْقَتِكْ
وَٱجْعَلْ وَصَاتِي نُصْبَ عَيْنٍ وَلَا تَبْرَحْ مَدَى ٱلْأَيَّامِ مِنْ فِكْرَتِكْ
خُلَاصَةُ ٱلْعُمْرِ ٱلَّتِي حُنِّكَتْ فِي سَاعَةٍ زُفَّتْ إِلَى فِطْنَتِكْ

فَلِلتَّجَارِيبِ أُمُورٌ إِذَا طَالَعْتَهَا تَشْحَذُ مِنْ غَفْلَتِكْ
فَلَا تَنَمْ عَنْ وَعْيِهَا سَاعَةً فَإِنَّهَا عَوْنٌ إِلَى يَقْظَتِكْ
وَكُلُّ مَا كَابَدْتَهُ فِي النَّوَى إِيَّاكَ أَنْ يَكْسِرَ مِنْ هِمَّتِكْ
فَلَيْسَ يُدْرَى أَصْلُ ذِي غُرْبَةٍ وَإِنَّمَا تُعْرَفُ مِنْ شِيمَتِكْ
وَامْشِ الْهُوَيْنَا مُظْهِرًا عِفَّةً وَابْغِ رِضَا الْأَعْيُنِ عَنْ هَيْئَتِكْ
وَانْطِقْ بِحَيْثُ الْعِيُّ مُسْتَقْبَحٌ وَاصْمُتْ بِحَيْثُ الْخَيْرُ فِي سَكْتَتِكْ
وَلِجْ عَلَى رِزْقِكَ مِنْ بَابِهِ وَاقْصِدْ لَهُ مَا عِشْتَ فِي بُكْرَتِكْ
وَوَفِّ كُلًّا حَقَّهُ وَلْتَكُنْ تَكْسِرُ عِنْدَ الْفَخْرِ مِنْ حِدَّتِكْ
وَحَيْثُمَا خَيَّمْتَ فَاقْصِدْ إِلَى صُحْبَةِ مَنْ تَرْجُوهُ فِي نُصْرَتِكْ
وَلِلرَّزَايَا وَثْبَةٌ مَا لَهَا إِلَّا الَّذِي تَذْخَرُ مِنْ عُدَّتِكْ
وَلَا تَقُلْ أَسْلَمُ لِي وَحْدَتِي فَقَدْ تُقَاسِي الذُّلَّ فِي وَحْدَتِكْ
وَالْتَزِمِ الْأَحْوَالَ وَزْنًا وَلَا تَرْجِعْ إِلَى مَا قَامَ فِي شَهْوَتِكْ
وَلْتَجْعَلِ الْعَقْلَ مِحَكًّا وَخُذْ كُلًّا بِمَا يَظْهَرُ فِي نَقْدَتِكْ
وَاعْتَبِرِ النَّاسَ بِأَلْفَاظِهِمْ وَاصْحَبْ أَخًا يَرْغَبُ فِي صُحْبَتِكْ
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ مُظْهِرٍ نُصْحَهُ وَفِكْرُهُ وَقْفٌ عَلَى عَثْرَتِكْ
إِيَّاكَ أَنْ تَقْرَبَهُ إِنَّهُ عَوْنٌ مَعَ الدَّهْرِ عَلَى كُرْبَتِكْ
وَانْمُ نُمُوَّ النَّبْتِ قَدْ زَارَهُ غِبُّ النَّدَى وَاسْمُ إِلَى قُدْرَتِكْ
وَلَا تُضَيِّعْ زَمَنًا مُمْكِنًا تَذْكَارُهُ يُذْكِي لَظَى حَسْرَتِكْ
وَالشَّرُّ مَهْمَا اسْطَعْتَ لَا تَأْتِهِ فَإِنَّهُ حَوْزٌ عَلَى مُهْجَتِكْ

يَا بُنَيَّ ٱلَّذِي لَا نَاصِحَ لَهُ مِثْلِي وَلَا مَنْصُوحَ لِي مِثْلُهُ . قَدْ قَدَّمْتُ لَكَ فِي هٰذَا ٱلنَّظْمِ مَا إِنْ أَخْطَرْتَهُ بِخَاطِرِكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ رَجَوْتُ لَكَ حُسْنَ ٱلْعَاقِبَةِ إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ تَعَالَى . وَإِنَّ أَخَفَّ مِنْهُ لِلْحِفْظِ وَأَعْلَقَ بِٱلْفِكْرِ وَأَحَقَّ بِٱلتَّقَدُّمِ قَوْلُ ٱلْأَوَّلِ :

يَزِينُ ٱلْغَرِيبَ إِذَا مَا ٱغْتَرَبْ ثَلَاثٌ فَمِنْهُنَّ حُسْنُ ٱلْأَدَبْ
وَثَانِيَةٌ حُسْنُ أَخْلَاقِهِ وَثَالِثَةٌ إِجْتِنَابُ ٱلرِّيَبْ

وَأَصْغِ يَا بُنَيَّ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِي هُوَ يَتِيمَةُ ٱلدَّهْرِ وَسُلَّمُ ٱلْكَرَمِ وَٱلصَّبْرِ :

وَلَوْ أَنَّ أَوْطَانَ ٱلدِّيَارِ نَبَتْ بِكُمْ لَسَكَنْتُمُ ٱلْأَخْلَاقَ وَٱلْآدَابَا

إِذْ حُسْنُ ٱلْخُلُقِ أَكْرَمُ نَزِيلٍ . وَٱلْأَدَبُ أَرْحَبُ مَنْزِلٍ . وَلْتَكُنْ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي أَدِيبٍ مُتَغَرِّبٍ : وَكَانَ كُلَّمَا طَرَأَ عَلَى مَلِكٍ فَكَأَنَّهُ مَعَهُ وُلِدَ وَإِلَيْهِ قَصَدَ . غَيْرُ مُسْتَرِيبٍ بِدَهْرِهِ . وَلَا مُنْكِرٍ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ . وَإِذَا دَعَاكَ قَلْبُكَ إِلَى صُحْبَةِ مَنْ أَخَذَ بِمَجَامِعِ هَوَاهُ فَٱجْعَلِ ٱلتَّكَلُّفَ لَهُ سُلَّمًا وَهُبَّ فِي رَوْضِ أَخْلَاقِهِ هُبُوبَ ٱلنَّسِيمِ . وَحُلَّ بِطَرْفِهِ حُلُولَ ٱلْوَسَنِ وَٱنْزِلْ بِقَلْبِهِ نُزُولَ ٱلْمَسَرَّةِ حَتَّى يَتَمَكَّنَ لَكَ وِدَادُهُ . وَيَخْلُصَ فِيكَ ٱعْتِقَادُهُ . وَطَهِّرْ مِنَ ٱلْوُقُوعِ فِيهِ لِسَانَكَ . وَأَغْلِقْ سَمْعَكَ وَلَا تُرَخِّصْ فِي جَانِبِهِ لِحَسُودٍ لَكَ مِنْهُ يُرِيدُ إِبْعَادَكَ عَنْهُ لِمَنْفَعَتِهِ . أَوْ حَسُودٍ لَهُ يَغَارُ لِتَجَمُّلِهِ بِصُحْبَتِكَ . وَمَعَ هٰذَا فَلَا تَغْتَرَّ بِطُولِ صُحْبَتِهِ وَلَا تَتَمَهَّدْ بِدَوَامِ رَقْدَتِهِ . فَقَدْ يُنَبِّهُهُ ٱلزَّمَانُ . وَيَتَغَيَّرُ مِنْهُ ٱلْقَلْبُ وَٱللِّسَانُ . وَإِنَّمَا ٱلْعَاقِلُ مَنْ جَعَلَ عَقْلَهُ مِعْيَارًا وَكَانَ كَٱلْمِرْآةِ يَلْقَى كُلَّ وَجْهٍ بِمِثَالِهِ

وَفِي أَمْثَالِ ٱلْعَامَّةِ : مَنْ سَبَقَكَ بِيَوْمٍ فَقَدْ سَبَقَكَ بِعَقْلٍ. فَٱحْتَذِ بِأَمْثِلَةِ مَنْ جَرَّبَ. وَٱسْتَمِعْ إِلَى مَا خَلَّدَ ٱلْمَاضُونَ بَعْدَ جُهْدِهِمْ وَتَعَبِهِمْ مِنَ ٱلْأَقْوَالِ. فَإِنَّهَا خُلَاصَةُ عُمْرِهِمْ وَزُبْدَةُ تَجَارِبِهِمْ. وَلَا تَتَّكِلْ عَلَى عَقْلِكَ فَإِنَّ ٱلنَّظَرَ فِي مَا تَعِبَ فِيهِ ٱلنَّاسُ طُولَ أَعْمَارِهِمْ وَٱبْتَاعُوهُ غَالِيًا بِتَجَارِبِهِمْ يُرْبِحُكَ وَيَقَعُ عَلَيْكَ رَخِيصًا. وَإِنْ رَأَيْتَ مَنْ لَهُ عَقْلٌ وَمُرُوءَةٌ وَتَجْرِبَةٌ فَٱسْتَفِدْ مِنْهُ وَلَا تُضَيِّعْ قَوْلَهُ وَلَا فِعْلَهُ. فَإِنَّ فِي مَا تَلْقَاهُ تَلْقِيحًا لِعَقْلِكَ وَحَثًّا لَكَ وَٱهْتِدَاءً. وَلَيْسَ كُلُّ مَا تَسْمَعُ مِنْ أَقْوَالِ ٱلشُّعَرَاءِ يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَتْبَعَهُ حَتَّى تَتَدَبَّرَهُ. فَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِعَقْلِكَ مُصْلِحًا لِحَالِكَ فَرَاعِ ذَٰلِكَ عِنْدَكَ وَإِلَّا فَٱنْبِذْهُ نَبْذَ ٱلنَّوَاةِ. فَلَيْسَ لِكُلِّ أَحَدٍ يُتَبَسَّمُ. وَلَا كُلُّ شَخْصٍ يُكَلَّمُ. وَلَا ٱلْجُودُ مِمَّا يُعَمُّ بِهِ. وَلَا حُسْنُ ٱلظَّنِّ وَطِيبُ ٱلنَّفْسِ مِمَّا يُعَامَلُ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ. وَلِلّٰهِ دَرُّ ٱلْقَائِلِ :

وَمَالِيَ لَا أُوفِي ٱلْبَرِيَّةَ قِسْطَهَا عَلَى قَدْرِ مَا يُعْطِي وَعَقْلِي مِيزَانُ

وَإِيَّاكَ أَنْ تُعْطِيَ مِنْ نَفْسِكَ إِلَّا بِقَدَرٍ. فَلَا تُعَامِلِ ٱلدُّونَ بِمُعَامَلَةِ ٱلْكُفُوءِ وَلَا ٱلْكُفُوءَ بِمُعَامَلَةِ ٱلْأَعْلَى. وَلَا تُضَيِّعْ عُمْرَكَ فِي مَنْ يُعَامِلُكَ بِٱلْمَطَامِعِ وَيُثِيبُكَ عَلَى مَصْلَحَةٍ حَاضِرَةٍ عَاجِلَةٍ بِغَائِبَةٍ آجِلَةٍ. وَلَا تَجْفُ ٱلنَّاسَ بِٱلْجُمْلَةِ وَلَٰكِنْ يَكُونُ ذَٰلِكَ بِحَيْثُ لَا يَلْحَقُ مِنْهُ مَلَلٌ وَلَا ضَجَرٌ وَلَا جَفَاءٌ. فَمَتَى فَارَقْتَ أَحَدًا فَعَلَى حُسْنَى فِي ٱلْقَوْلِ وَٱلْفِعْلِ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي هَلْ أَنْتَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ فَلِذَٰلِكَ قَالَ ٱلْأَوَّلُ : وَلَمَّا مَضَى سَلْمٌ بَكَيْتُ عَلَى سَلْمٍ. وَإِيَّاكَ وَٱلْبَيْتَ ٱلسَّائِرَ :

وَكُنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بِدَارِ قَوْمٍ ... رَحَلْتَ بِخِزْيَةٍ وَتَرَكْتَ عَارَا

وَاحْرِصْ عَلَى مَا جَمَعَ قَوْلُ الْقَائِلِ: ثَلاثَةٌ تُبْقِي لَكَ الْوِدَّ فِي صَدْرِ أَخِيكَ. أَنْ تَبْدَأَهُ بِالسَّلَامِ وَتُوسِعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ. وَاحْذَرْ كُلَّ مَا بَيَّنَهُ لَكَ الْقَائِلُ: كُلُّ مَا تَغْرِسُهُ تَجْنِيهِ إِلَّا ابْنَ آدَمَ. فَإِذَا غَرَسْتَهُ يَقْلَعُكَ. وَقَوْلَ الْآخَرِ: ابْنُ آدَمَ ذِئْبٌ مَعَ الضَّعْفِ أَسَدٌ مَعَ الْقُوَّةِ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَثْبُتَ عَلَى صُحْبَةِ أَحَدٍ قَبْلَ أَنْ تُطِيلَ اخْتِبَارَهُ. (وَيُحْكَى) أَنَّ ابْنَ الْمُقَفَّعِ خَطَبَ مِنَ الْخَلِيلِ صُحْبَتَهُ. فَجَاوَبَهُ أَنَّ الصُّحْبَةَ رِقٌّ وَلَا أَضَعُ رِقِّي فِي يَدَيْكَ حَتَّى أَعْرِفَ كَيْفَ مَلَكَتُكَ. وَاسْتَمِلْ مِنْ عَيْنِ مَنْ تُعَاشِرُهُ وَتَفَقَّدْ فِي فَلَتَاتِ الْأَلْسُنِ وَصَفَحَاتِ الْأَوْجُهِ. وَلَا يَحْمِلْكَ الْحَيَاءُ عَلَى السُّكُوتِ عَمَّا يَضُرُّكَ أَنْ لَا تُبَيِّنَهُ. فَإِنَّ الْكَلَامَ سِلَاحُ السِّلْمِ. وَبِالْأَنِينِ يُعْرَفُ أَلَمُ الْجُرْحِ وَاجْعَلْ لِكُلِّ أَمْرٍ أَخَذْتَ فِيهِ غَايَةً تَجْعَلُهَا نِهَايَةً لَكَ. وَاقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ. مَنْ قَرَّ عَيْنًا بِعَيْشِهِ نَفَعَهُ إِذِ الْأَفْكَارُ تَجْلُبُ الْهُمُومَ. وَتُضَاعِفُ الْغُمُومَ. وَمُلَازَمَةُ الْقُطُوبِ. عُنْوَانُ الْمَصَائِبِ وَالْخُطُوبِ. يَسْتَرِيبُ بِهِ الصَّاحِبُ. وَيَشْمَتُ الْعَدُوُّ وَالْمُجَانِبُ. وَلَا تَضُرُّ بِالْوَسَاوِسِ إِلَّا نَفْسَكَ لِأَنَّكَ تَنْصُرُ بِهَا الدَّهْرَ عَلَيْكَ. وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

إِذَا مَا كُنْتَ لِلْأَحْزَانِ عَوْنًا ... عَلَيْكَ مَعَ الزَّمَانِ فَمَنْ تَلُومُ

مَعَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْغَائِبَ الْحُزْنُ. وَلَا يَرْعَوِي بِطُولِ عَتْبِكَ الزَّمَنُ. وَلَقَدْ شَاهَدْتُ بِغَرْنَاطَةَ شَخْصًا قَدْ أَلِفَتْهُ الْهُمُومُ. وَعَشِقَتْهُ

ٱلْغُمُومُ. وَمِنْ صِغَرِهِ إِلَى كِبَرِهِ لَا تَرَاهُ أَبَدًا خَلِيًّا مِنْ فِكْرَةٍ حَتَّى أُقِّبَ بِصَدْرِ ٱلْهَمِّ. وَمِنْ أَعْجَبِ مَا رَأَيْتُهُ مِنْهُ أَنَّهُ يَتَنَكَّدُ فِي ٱلشِّدَّةِ وَلَا يَتَعَلَّلُ بِأَنْ يَكُونَ بَعْدَهَا فَرَجٌ وَيَتَنَكَّدُ فِي ٱلرَّخَاءِ خَوْفًا مِنْ أَنْ لَا يَدُومَ (وَيُنْشِدُ): تَوَقَّعْ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمّْ. (وَيُنْشِدُ): وَعِنْدَ ٱلتَّنَاهِي يَقْصُرُ ٱلْمُتَطَاوِلُ. وَلَهُ مِنَ ٱلْحِكَايَاتِ فِي هٰذَا ٱلشَّأْنِ عَجَائِبُ. وَمِثْلُ هٰذَا عُمْرُهُ مَحْسُورٌ يَمُرُّ ضَيَاعًا. وَمَتَى رَفَعَكَ ٱلزَّمَانُ إِلَى قَوْمٍ يَذُمُّونَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا تُحْسِنُهُ حَسَدًا لَكَ وَقَصْدًا لِتَصْغِيرِ قَدْرِكَ عِنْدَكَ وَتَزْهِيدًا لَكَ فِيهِ فَلَا يَحْمِلُكَ ذٰلِكَ عَلَى أَنْ تَزْهَدَ فِي عِلْمِكَ وَتَرْكَنَ إِلَى ٱلْعِلْمِ ٱلَّذِي مَدَحُوهُ. فَتَكُونَ مِثْلَ ٱلْغُرَابِ ٱلَّذِي أَعْجَبَهُ مَشْيُ ٱلْحَجَلَةِ فَرَامَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ فَصَعُبَ عَلَيْهِ. ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَشْيِهِ فَنَسِيَهُ فَبَقِيَ مُخَبَّلَ ٱلْمَشْيِ كَمَا قِيلَ:

إِنَّ ٱلْغُرَابَ وَكَانَ يَمْشِي مِشْيَةً ... فِي مَا مَضَى مِنْ سَالِفِ ٱلْأَجْيَالِ
حَسَدَ ٱلْقَطَا وَأَرَادَ يَمْشِي مَشْيَهَا ... فَأَصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ ٱلْعُقَّالِ
فَأَضَلَّ مِشْيَتَهُ وَأَخْطَأَ مَشْيَهَا ... فَلِذَاكَ كَنَّوْهُ أَبَا مِرْقَالِ

وَلَا يُفْسِدْ خَاطِرَكَ مَنْ جَعَلَ يَذُمُّ ٱلزَّمَانَ وَأَهْلَهُ وَيَقُولُ: مَا بَقِيَ فِي ٱلدُّنْيَا كَرِيمٌ وَلَا فَاضِلٌ وَلَا مَكَانٌ يُرْتَاحُ فِيهِ. فَإِنَّ ٱلَّذِينَ تَرَاهُمْ عَلَى هٰذِهِ ٱلصِّفَةِ أَكْثَرُ مَا يَكُونُونَ مِمَّنْ صَحِبَهُ ٱلْحِرْمَانُ. وَٱسْتَحَقَّتْ طَلْعَتُهُ لِلْهَوَانِ. وَأَبْرَمُوا عَلَى ٱلنَّاسِ بِٱلسُّؤَالِ فَمَقَتُوهُمْ وَعَجَزُوا عَنْ طَلَبِ ٱلْأُمُورِ مِنْ وُجُوهِهَا فَٱسْتَرَاحُوا إِلَى ٱلْوُقُوعِ فِي ٱلنَّاسِ. وَأَقَامُوا ٱلْأَعْذَارَ لِأَنْفُسِهِمْ بِقَطْعِ أَسْبَابِهِمْ. وَلَا تُزِلْ هٰذَيْنِ ٱلْبَيْتَيْنِ مِنْ فِكْرِكَ:

لِنْ إِذَا مَا نِلْتَ عِزًّا فَأَخُو ٱلْعِزِّ يَلِينُ
فَإِذَا نَابَكَ دَهْرٌ فَكَمَا كُنْتَ تَكُونُ

وَٱلْأَمْثَالُ تُضْرَبُ لِذِي ٱللُّبِّ ٱلْحَكِيمِ • وَذُو ٱلْبَصَرِ يَمْشِي عَلَى ٱلصِّرَاطِ ٱلْمُسْتَقِيمِ • وَٱلْفَطِنُ يَقْنَعُ بِٱلْقَلِيلِ وَيَسْتَدِلُّ بِٱلْيَسِيرِ • وَٱللّٰهُ سُبْحَانَهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ لَا رَبَّ سِوَاهُ (ملخص عن المقري)

طرفة من وصيَّة ابن طاهر لابنه

٩٧ أَمَّا بَعْدُ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى ٱللّٰهِ وَحْدَهُ وَخَشْيَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمُزَايَلَةِ سُخْطِهِ وَحِفْظِ رَعِيَّتِكَ فِي ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ • وَٱلْزَمْ مَا أَلْبَسَكَ مِنَ ٱلْعَافِيَةِ بِٱلذِّكْرِ لِمَعَادِكَ وَمَا أَنْتَ صَائِرٌ إِلَيْهِ وَمَوْقُوفٌ عَلَيْهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْهُ وَٱلْعَمَلُ فِي ذٰلِكَ كُلِّهِ بِمَا يَعْصِمُكَ ٱللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيُنْجِيكَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مِنْ عِقَابِهِ وَأَلِيمِ عَذَابِهِ • فَإِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ وَأَوْجَبَ عَلَيْكَ ٱلرَّأْفَةَ بِمَنِ ٱسْتَرْعَاكَ أَمْرَهُمْ مِنْ عِبَادِهِ • وَأَلْزَمَكَ ٱلْعَدْلَ عَلَيْهِمْ وَٱلْقِيَامَ بِحَقِّهِ وَحُدُودِهِ فِيهِمْ • وَٱلذَّبَّ عَنْهُمْ وَٱلدَّفْعَ عَنْ حَرِيمِهِمْ وَبُيُوتِهِمْ • وَٱلْحَقْنَ لِدِمَائِهِمْ وَٱلْأَمْنَ لِسَبِيلِهِمْ • وَإِدْخَالَ ٱلرَّاحَةِ عَلَيْهِمْ • وَمُؤَاخِذُكَ بِمَا فَرَضَ عَلَيْكَ وَمُوقِفُكَ عَلَيْهِ وَمُسَائِلُكَ عَنْهُ وَمُثِيبُكَ عَلَيْهِ بِمَا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ • فَفَرِّغْ لِذٰلِكَ فَهْمَكَ وَعَقْلَكَ وَنَظَرَكَ وَلَا يَشْغَلْكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَأَنَّهُ رَأْسُ أَمْرِكَ وَمِلَاكُ شَأْنِكَ وَأَوَّلُ مَا يُوَفِّقُكَ ٱللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ لِرُشْدِكَ • وَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تُلْزِمُ نَفْسَكَ وَتَنْسُبُ إِلَيْهِ أَفْعَالَكَ ٱلْمُوَاظَبَةَ عَلَى مَا ٱفْتَرَضَ

اللهُ عليكَ مِنَ الصلواتِ. وإذا وردَ عليكَ أمرٌ فاستعن عليهِ باستخارةِ اللهِ وتقواهُ. وآثرِ الفقهَ وأهلَهُ والدينَ وحملتَهُ فإنَّ أفضلَ ما تزيَّنَ بهِ المرءُ الفقهُ في الدينِ والطلبُ لهُ والحثُّ عليهِ. والمعرفةُ بما يتقرَّبُ بهِ إلى اللهِ. فإنَّهُ الدليلُ على الخيرِ كلِّهِ والقائدُ إليهِ والآمرُ بهِ والناهي عنِ المعاصي الموبقاتِ كلِّها. ومعَ توفيقِ اللهِ يزدادُ العبدُ معرفةً لهُ ودركًا للدرجاتِ العُلى في المعادِ. معَ ما في ظهورِهِ للناسِ منَ التوقيرِ لأمرِكَ والهيبةِ لسلطانِكَ والأنسةِ بكَ والثقةِ بعدلِكَ. وعليكَ بالاقتصادِ في الأمورِ كلِّها. فليسَ شيءٌ أبينَ نفعًا ولا أحضرَ أمنًا ولا أجمعَ فضلًا منهُ. والقصدُ داعيةٌ إلى الرشدِ والرشدُ دليلٌ على التوفيقِ والتوفيقُ قائدٌ إلى السعادةِ وقوامِ الدينِ والسننِ الهاديةِ بالاقتصادِ. فآثرْهُ في دنياكَ كلِّها ولا تقصِّرْ في طلبِ الآخرةِ والأجرِ والأعمالِ الصالحةِ والسننِ المعروفةِ ومعالمِ الرشدِ. ولا غايةَ للاستكثارِ في البرِّ والسعيِ لهُ. إذا كانَ يُطلبُ بهِ وجهُ اللهِ تعالى ومرضاتُهُ ومرافقةُ أوليائِهِ في دارِ كرامتِهِ. واعلمْ أنَّ القصدَ في شأنِ الدنيا يورثُ العزَّ ويحصِّنُ منَ الذنوبِ وأنَّهُ لن تحوطَ نفسَكَ ومن يليكَ ولا تستصلحُ أمورَكَ بأفضلَ منهُ. فأْتِهِ واهتدِ بهِ تتمَّ أمورُكَ وتزدْ مقدرتُكَ وتصلحْ خاصَّتُكَ وعامَّتُكَ. ولا تتَّهِمَنَّ أحدًا منَ الناسِ فيما تولِّيهِ منْ عملِكَ قبلَ أنْ تكشفَ أمرَهُ فإنَّ إيقاعَ التُّهمِ بالبراءِ والظنونَ السيِّئةَ بهم مأثمٌ. ولا يجدنَّ عدوُّ اللهِ الشيطانُ في أمرِكَ مغمزًا فإنَّهُ

إنَّمَا يكْتَفِي بِٱلْقَلِيلِ مِنْ وَهْنِكَ وَيُدْخِلُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْغَمِّ فِي سُوءِ ٱلظَّنِّ مَا يُنَغِّصُكَ لَذَاذَةَ عَيْشِكَ. وَٱعْلَمْ أَنَّكَ تَجِدُ بِحُسْنِ ٱلظَّنِّ قُوَّةً وَرَاحَةً وَتَكْتَفِي بِهِ مَا أَحْبَبْتَ كِفَايَتَهُ مِنْ أُمُورِكَ وَتَدْعُو بِهِ ٱلنَّاسَ إِلَى مَحَبَّتِكَ وَٱلِاسْتِقَامَةِ فِي ٱلْأُمُورِ كُلِّهَا ... وَتَفَرَّدْ بِتَقْوِيمِ نَفْسِكَ تَفَرُّدَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَسْؤُولٌ عَمَّا صَنَعَ وَمَجْزِيٌّ بِمَا أَحْسَنَ وَمَأْخُوذٌ بِمَا أَسَاءَ. فَإِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ ٱلدِّينَ حِرْزًا وَعِزًّا وَرَفَعَ مَنِ ٱتَّبَعَهُ وَعَزَّزَهُ. فَٱسْلُكْ بِمَنْ تَسُوسُهُ وَتَرْعَاهُ نَهْجَ ٱلدِّينِ وَطَرِيقَةَ ٱلْهُدَى. وَأَقِمْ حُدُودَ ٱللهِ فِي أَصْحَابِ ٱلْجَرَائِمِ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ وَمَا ٱسْتَحَقُّوهُ. وَلَا تُعَطِّلْ ذَٰلِكَ وَلَا تَتَهَاوَنْ بِهِ. وَلَا تُؤَخِّرْ عُقُوبَةَ أَهْلِ ٱلْعُقُوبَةِ فَإِنَّ فِي تَفْرِيطِكَ فِي ذَٰلِكَ مَا يُفْسِدُ عَلَيْكَ حُسْنَ ظَنِّكَ. وَٱعْتَزِمْ عَلَى أَمْرِكَ فِي ذَٰلِكَ بِٱلسُّنَنِ ٱلْمَعْرُوفَةِ وَجَانِبِ ٱلْبِدَعَ وَٱلشُّبُهَاتِ يَسْلَمْ لَكَ دِينُكَ وَتَقُمْ لَكَ مُرُوءَتُكَ. وَإِذَا عَاهَدْتَ عَهْدًا فَفِ بِهِ وَإِذَا وَعَدْتَ خَيْرًا فَأَنْجِزْهُ وَٱقْبَلِ ٱلْحَسَنَةَ وَٱدْفَعْ بِهَا وَأَغْمِضْ عَنْ عَيْبِ كُلِّ ذِي عَيْبٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَٱسْدُدْ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلِ ٱلْكَذِبِ وَٱلزُّورِ وَأَبْغِضْ أَهْلَهُ وَأَقْصِ ٱلنَّمِيمَةَ. فَإِنَّ أَوَّلَ فَسَادِ أُمُورِكَ فِي عَاجِلِهَا وَآجِلِهَا تَقْرِيبُ ٱلْكَذُوبِ لِأَنَّ ٱلْكَذِبَ رَأْسُ ٱلْمَآثِمِ. وَٱلزُّورَ وَٱلنَّمِيمَةَ خَاتِمَتُهَا لِأَنَّ ٱلنَّمِيمَةَ لَا يَسْلَمُ صَاحِبُهَا. وَلَا يَسْتَتِمُّ لِمُطِيعِهَا أَمْرٌ. وَأَحِبَّ أَهْلَ ٱلصَّلَاحِ وَٱلصِّدْقِ وَأَعِنِ ٱلْأَشْرَافَ بِٱلْحَقِّ. وَوَاسِ ٱلضُّعَفَاءَ وَصِلِ ٱلرَّحِمَ وَٱبْتَغِ بِذَٰلِكَ وَجْهَ ٱللهِ تَعَالَى وَإِعْزَازَ أَمْرِهِ. وَٱلْتَمِسْ فِيهِ

ثَوَابَهُ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ وَٱجْتَنِبْ سُوءَ ٱلْأَهْوَاءِ وَٱلْجَوْرِ وَٱصْرِفْ عَنْهُمَا رَأْيَكَ. وَٱمْلِكْ نَفْسَكَ عَنِ ٱلْغَضَبِ وَآثِرِ ٱلْوَقَارَ وَٱلْحِلْمَ. وَإِيَّاكَ وَٱلْحِدَّةَ وَٱلطَّيْشَ وَٱلْغُرُورَ فِي مَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ أَنَا مُسَلَّطٌ أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ فَإِنَّ ذٰلِكَ سَرِيعٌ إِلَى نَقْصِ ٱلرَّأْيِ وَقِلَّةِ ٱلْيَقِينِ بِٱللهِ وَأَخْلِصْ لِلهِ وَحْدَهُ ٱلنِّيَّةَ فِيهِ وَٱلْيَقِينَ بِهِ. وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلْمُلْكَ لِلهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَنْزِعُهُ مِمَّنْ يَشَاءُ. وَلَنْ تَجِدَ تَغَيُّرَ ٱلنِّعْمَةِ وَحُلُولَ ٱلنِّقْمَةِ عَلَى أَحَدٍ أَسْرَعَ مِنْهُ عَلَى جَهَلَةِ ٱلنِّعْمَةِ مِنْ أَصْحَابِ ٱلسُّلْطَانِ وَٱلْمَبْسُوطِ لَهُمْ فِي ٱلدَّوْلَةِ إِذَا كَفَرُوا نِعَمَ ٱللهِ وَإِحْسَانَهُ. وَٱسْتَطَالُوا بِمَا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ. وَدَعْ عَنْكَ شَرَهَ نَفْسِكَ. وَلْتَكُنْ ذَخَائِرُكَ وَكُنُوزُكَ ٱلَّتِي تَدَّخِرُ وَتُكْثِرُ ٱلْبِرَّ وَٱلتَّقْوَى وَٱلْمَعْدِلَةَ وَٱسْتِصْلَاحَ ٱلرَّعِيَّةِ وَعِمَارَةَ بِلَادِهِمْ وَٱلتَّفَقُّدَ لِأُمُورِهِمْ وَٱلْإِغَاثَةَ لِمَلْهُوفِهِمْ. وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلْأَمْوَالَ إِذَا كَانَتْ فِي صَلَاحِ ٱلرَّعِيَّةِ وَإِعْطَاءِ حُقُوقِهِمْ وَكَفِّ ٱلْمُؤْنَةِ عَنْهُمْ نَمَتْ وَزَكَتْ وَنَمَتْ وَصَلَحَتْ بِهَا ٱلْعَامَّةُ وَتَزَيَّنَتْ بِهَا ٱلْوُلَاةُ وَطَابَ بِهَا ٱلزَّمَانُ وَٱعْتُقِدَ فِيهَا ٱلْعِزُّ وَٱلْمَنَعَةَ. فَأَوْفِ رَعِيَّتَكَ مِنْ ذٰلِكَ حِصَصَهُمْ وَتَعَهَّدْ مَا يُصْلِحُ أُمُورَهُمْ. فَتَقِرُّ ٱلنِّعْمَةُ عَلَيْكَ وَتَسْتَوْجِبُ ٱلْمَزِيدَ مِنَ ٱللهِ وَكُنْتَ بِذٰلِكَ عَلَى جِبَايَةِ خَرَاجِكَ وَجَمْعِ أَمْوَالِ رَعِيَّتِكَ وَعَمَلِكَ أَقْدَرَ. وَكَانَ ٱلْجَمِيعُ لِمَا شَمَلَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْكَنَ لِطَاعَتِكَ وَأَطْيَبَ أَنْفُسًا بِكُلِّ مَا أَرَدْتَ. وَأَجْهِدْ نَفْسَكَ فِيمَا حَدَّدْتُ لَكَ فِي هٰذَا ٱلْبَابِ وَلْتَعْظُمْ خَشْيَتُكَ فِيهِ وَإِنَّمَا يَبْقَى مِنَ ٱلْمَالِ مَا أُنْفِقَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ.

وَإِيَّاكَ أَنْ تُنْسِيكَ ٱلدُّنْيا وَغُرُورُها أَهْلَ ٱلآخِرَةِ فَتَتَهَاوَنَ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ. فَإِنَّ ٱلتَّهَاوُنَ يُورِثُ ٱلتَّفْرِيطَ وَٱلتَّفْرِيطَ يُورِثُ ٱلْبَوارَ. وَلَا تَحْقِرَنَّ ذَنْبًا وَلَا تُمَالِئَنَّ حَاسِدًا وَلَا تَرْحَمَنَّ فَاجِرًا. وَلَا تُدَاهِنَنَّ عَدُوًّا وَلَا تُصَدِّقَنَّ نَمَّامًا وَلَا تَأْمَنَنَّ غَدَّارًا. وَلَا تَأْتِيَنَّ مَدْحًا وَلَا تَمْشِيَنَّ مَرَحًا. وَلَا تُغْمِضَنَّ عَنْ ظَالِمٍ رَهْبَةً مِنْهُ أَوْ مُحَابَاةً وَلَا تَطْلُبَنَّ ثَوَابَ ٱلآخِرَةِ فِي ٱلدُّنْيَا....

وَٱعْلَمْ أَنَّكَ جُعِلْتَ بِوِلَايَتِكَ خَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا. وَإِنَّمَا سُمِّيَ أَهْلُ عَمَلِكَ رَعِيَّتَكَ لِأَنَّكَ رَاعِيهِمْ وَقَيِّمُهُمْ. تَأْخُذُ مِنْهُمْ مَا أَعْطَوْكَ مِنْ عَفْوِهِمْ وَمَقْدُرَتِهِمْ وَتُنْفِذُهُ فِي قِوَامِ أَمْرِهِمْ وَصَلَاحِهِمْ وَتَقْوِيمِ أَوَدِهِمْ. فَٱسْتَعْمِلْ عَلَيْهِمْ ذَا ٱلرَّأْيِ وَٱلتَّدْبِيرِ وَٱلتَّجْرِبَةِ وَٱلْخِبْرَةِ بِٱلْعَمَلِ وَٱلْعِلْمِ بِٱلسِّيَاسَةِ وَٱلْعَفَافِ. وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ فِي ٱلرِّزْقِ فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنَ ٱلْحُقُوقِ ٱللَّازِمَةِ لَكَ فِيمَا تَقَلَّدْتَ وَأُسْنِدَ إِلَيْكَ. وَلَا يَشْغَلْكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَلَا يَصْرِفْكَ عَنْهُ صَارِفٌ. فَإِنَّكَ مَتَى آثَرْتَهُ وَقُمْتَ فِيهِ بِٱلْوَاجِبِ ٱسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ ٱلنِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ. وَحُسْنَ ٱلأُحْدُوثَةِ فِي عَمَلِكَ. وَأَحْرَزْتَ بِهِ ٱلْمَحَبَّةَ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَأَعَنْتَ عَلَى ٱلصَّلَاحِ. وَفَشَتِ ٱلْعِمَارَةُ بِنَاحِيَتِكَ وَظَهَرَ ٱلْخِصْبُ فِي كُوَرِكَ. وَكَثُرَ خَرَاجُكَ وَتَوَفَّرَتْ أَمْوَالُكَ. وَقَوِيتَ بِذٰلِكَ عَلَى ٱرْتِبَاطِ جُنْدِكَ وَإِرْضَاءِ ٱلْعَامَّةِ بِإِفَاضَةِ ٱلْعَطَاءِ فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ. وَكُنْتَ مَحْمُودَ ٱلسِّيَاسَةِ مَرْضِيَّ ٱلْعَدْلِ فِي ذٰلِكَ عِنْدَ عَدُوِّكَ. وَكُنْتَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا ذَا عَدْلٍ وَآلَةٍ وَقُوَّةٍ وَعُدَّةٍ. فَنَافِسْ فِي ذٰلِكَ وَلَا تُقَدِّمْ عَلَيْهِ شَيْئًا تُحْمَدُ فِيهِ مَغَبَّةَ أَمْرِكَ. وَٱجْعَلْ

فِي كُلِّ كُورَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عُمَّالِكَ وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ بِسِيرَتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ فِي عَمَلِهِ مُعَايِنٌ لِأُمُورِهِ كُلِّهَا. فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِأَمْرٍ فَانْظُرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ ذَٰلِكَ. فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ وَرَجَوْتَ فِيهِ حُسْنَ الدِّفَاعِ وَالصُّنْعِ فَأَمْضِهِ. وَإِلَّا فَتَوَقَّفْ عَنْهُ وَرَاجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ بِهِ. ثُمَّ خُذْ فِيهِ عُدَّتَهُ. فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ وَقَدْ أَتَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَأَغْوَاهُ ذَٰلِكَ وَأَعْجَبَهُ. فَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ أَهْلَكَهُ وَنُقِضَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ. فَاسْتَعْمِلِ الْحَزْمَ فِي كُلِّ مَا أَرَدْتَ وَبَاشِرْهُ بَعْدَ عَوْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقُوَّةِ وَأَكْثِرْ فِي اسْتِخَارَةِ رَبِّكَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ. وَافْرُغْ مِنْ عَمَلِ يَوْمِكَ وَلَا تُؤَخِّرْهُ لِغَدِكَ وَأَكْثِرْ مُبَاشَرَتَهُ بِنَفْسِكَ. فَإِنَّ لِلْغَدِ أُمُورًا وَحَوَادِثَ تُلْهِيكَ عَنْ عَمَلِ يَوْمِكَ الَّذِي أَخَّرْتَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْيَوْمَ إِذَا مَضَى ذَهَبَ بِمَا فِيهِ وَإِذَا أَخَّرْتَ عَمَلَهُ اجْتَمَعَ عَلَيْكَ أُمُورُ يَوْمَيْنِ فَيُثْقِلُكَ ذَٰلِكَ حَتَّى تُعْرِضَ عَنْهُ. وَإِذَا أَمْضَيْتَ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ أَرَحْتَ نَفْسَكَ وَبَدَنَكَ وَأَحْكَمْتَ أُمُورَ سُلْطَانِكَ. وَانْظُرْ أَحْرَارَ النَّاسِ وَذَوِي السِّنِّ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَسْتَيْقِنُ صَفَاءَ طَوِيَّتِهِمْ وَشَهِدْتَ مَوَدَّتَهُمْ لَكَ وَمُظَاهَرَتَهُمْ بِالنُّصْحِ وَالْمُخَالَطَةِ عَلَى أَمْرِكَ. فَاسْتَخْلِصْهُمْ وَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ. وَتَعَاهَدْ أَهْلَ الْبُيُوتَاتِ مِمَّنْ قَدْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمُ الْحَاجَةُ فَاحْتَمِلْ مُؤُونَتَهُمْ وَأَصْلِحْ حَالَهُمْ حَتَّى لَا يَجِدُوا لِخَلَّتِهِمْ مَسًّا. وَأَفْرِدْ نَفْسَكَ بِالنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ

وَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى رَفْعِ مَظْلُمَةٍ إِلَيْكَ وَٱلْمُحْتَقَرِ ٱلَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ بِطَلَبِ حَقِّهِ. فَسَلْ عَنْهُ أَحْفَى مَسْأَلَةٍ وَوَكِّلْ بِأَمْثَالِهِ أَهْلَ ٱلصَّلَاحِ مِنْ رَعِيَّتِكَ. وَمُرْهُمْ بِرَفْعِ حَوَائِجِهِمْ وَحَالَاتِهِمْ إِلَيْكَ لِتَنْظُرَ فِيهَا بِمَا يُصْلِحُ ٱللَّهُ بِهِ أَمْرَهُمْ. وَتَعَاهَدْ ذَوِي ٱلْبَأْسَاءِ وَأَيْتَامَهُمْ وَأَرَامِلَهُمْ وَٱجْعَلْ لَهُمْ أَرْزَاقًا مِنْ بَيْتِ ٱلْمَالِ ٱقْتِدَاءً بِأَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّهُ ٱللَّهُ فِي ٱلْعَطْفِ عَلَيْهِمْ وَٱلصِّلَةِ لَهُمْ. لِيُصْلِحَ ٱللَّهُ بِذَلِكَ عَيْشَهُمْ وَيَرْزُقَكَ بِهِ بَرَكَةً وَزِيَادَةً وَأَجْرِ لِلْأَضِرَّاءِ مِنْ بَيْتِ ٱلْمَالِ. وَٱعْرِفْ مَا تَجْمَعُ عُمَّالُكَ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ وَيُنْفِقُونَ مِنْهَا وَلَا تَجْمَعْ حَرَامًا وَلَا تُنْفِقْ إِسْرَافًا. وَأَكْثِرْ مُجَالَسَةَ ٱلْعُلَمَاءِ وَمُشَاوَرَتَهُمْ وَمُخَالَطَتَهُمْ. وَلْيَكُنْ هَوَاكَ ٱتِّبَاعَ ٱلسُّنَنِ وَإِقَامَتَهَا وَإِيثَارَ مَكَارِمِ ٱلْأُمُورِ وَمَعَالِيهَا. وَلْيَكُنْ أَكْرَمَ دُخَلَائِكَ وَخَاصَّتِكَ عَلَيْكَ مَنْ إِذَا رَأَى عَيْبًا فِيكَ لَمْ تَمْنَعْهُ هَيْبَتُكَ عَنْ إِنْهَاءِ ذَلِكَ إِلَيْكَ فِي سِرِّكَ وَإِعْلَانِكَ مَا فِيهِ مِنَ ٱلنَّقْصِ. فَإِنَّ أُولَئِكَ أَنْصَحُ أَوْلِيَائِكَ وَمُظَاهِرُونَ لَكَ. وَٱنْظُرْ عُمَّالَكَ ٱلَّذِينَ بِحَضْرَتِكَ وَكُتَّابَكَ فَوَقِّتْ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتًا يَدْخُلُ فِيهِ عَلَيْكَ بِكُتُبِهِ وَمُؤَامَرَاتِهِ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ حَوَائِجِ عُمَّالِكَ وَأُمُورِ كُوَرِكَ وَرَعِيَّتِكَ. ثُمَّ فَرِّغْ لِمَا يُورِدُهُ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ سَمْعَكَ وَبَصَرَكَ وَفَهْمَكَ وَعَقْلَكَ. وَكَرِّرِ ٱلنَّظَرَ فِيهِ وَٱلتَّدْبِيرَ لَهُ. فَمَا كَانَ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَٱلْحَزْمِ فَأَمْضِهِ. وَمَا كَانَ مُخَالِفًا لَكَ فَٱصْرِفْهُ إِلَى ٱلتَّثَبُّتِ فِيهِ وَٱلْمَسْأَلَةِ عَنْهُ. وَلَا تَمْتَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ وَلَا غَيْرِهِمْ بِمَعْرُوفٍ تُؤْتِيهِ إِلَيْهِمْ وَلَا تَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا ٱلْوَفَاءَ وَٱلِاسْتِقَامَةَ وَٱلْعَوْنَ فِي

أمورِ أميرِ ٱلْمُؤْمنين. وَلا تَضعَنَّ ٱلْمَعْرُوفَ إِلَّا عَلى ذٰلِكَ. وَتَفَهَّمْ كِتَابِي إِلَيْكَ وَأَكْثِرِ ٱلنَّظَرَ فِيهِ وَٱلْعملَ بِهِ. وَلْيَكُنْ أَعْظَمَ سِيرَتِكَ وَأَفْضَلَ رَغْبَتِكَ مَا كَانَ لِلّٰهِ رِضًى وَلِدِينِهِ نِظَامًا وَلِأَهْلِهِ عِزًّا وَتَمْكِينًا وَلِلذِّمَّةِ وَلِلْمِلَّةِ عَدْلًا وَصَلاحًا. وَأَنَا أَسْأَلُ ٱللّٰهَ أَنْ يُحْسِنَ عَوْنَكَ وَتَوْفِيقَكَ وَرُشْدَكَ وَكَلَاءَتَكَ. وَٱلسَّلَامُ (لابن الاثير)

٩٨ وصية محمد الدكدجي لابنه

زُرْ وَالِدَيْكَ وَقِفْ عَلَى قَبْرَيْهِمَا ... فَكَأَنَّنِي بِكَ قَدْ نُقِلْتَ إِلَيْهِمَا
لَوْ كُنْتَ حَيْثُ هُمَا وَكَانَا بِٱلْبَقَا ... زَارَاكَ حَبْوًا لَا عَلَى قَدَمَيْهِمَا
مَا كَانَ ذَنْبُهُمَا إِلَيْكَ فَطَالَمَا ... مَنَحَاكَ نَفْسَ ٱلْوُدِّ مِنْ نَفْسَيْهِمَا
كَانَا إِذَا مَا أَبْصَرَا بِكَ عِلَّةً ... جَزِعَا لِمَا تَشْكُو وَشُقَّ عَلَيْهِمَا
كَانَا إِذَا سَمِعَا أَنِينَكَ أَسْبَلَا ... دَمْعَيْهِمَا أَسَفًا عَلَى خَدَّيْهِمَا
وَتَمَنَّيَا لَوْ صَادَفَا بِكَ رَاحَةً ... بِجَمِيعِ مَا يَحْوِيهِ مُلْكُ يَدَيْهِمَا
فَنَسِيتَ حَقَّهُمَا عَشِيَّةَ أُسْكِنَا ... دَارَ ٱلْبِلَى وَسَكَنْتَ فِي دَارَيْهِمَا
فَلَتَلْحَقَنَّهُمَا غَدًا أَوْ بَعْدَهُ ... حَتْمًا كَمَا لَحِقَا هُمَا أَبَوَيْهِمَا
وَلَتَنْدَمَنَّ عَلَى فِعَالِكَ مِثْلَ مَا ... نَدِمَا هُمَا قِدَمًا عَلَى فِعْلَيْهِمَا
بُشْرَاكَ لَوْ قَدَّمْتَ فِعْلًا صَالِحًا ... وَقَضَيْتَ بَعْضَ ٱلْحَقِّ مِنْ حَقَّيْهِمَا
فَٱحْفَظْ حُفِظْتَ وَصِيَّتِي وَٱعْمَلْ بِهَا ... فَعَسَى تَنَالُ ٱلْفَوْزَ مِنْ رَبَّيْهِمَا

٩٩ مِنْ شِعْرِ ٱلْمُثَقِّبِ ٱلْعَبْدِيِّ :

لَا تَقُولَنَّ إِذَا مَا لَمْ تُرِدْ ... أَنْ تُتِمَّ ٱلْوَعْدَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ

حَسَنٌ قَوْلُ نَعَمْ مِنْ بَعْدِ لَا ... وَقَبِيحٌ قَوْلُ لَا بَعْدَ نَعَمْ
إِنَّ لَا بَعْدَ نَعَمْ فَاحِشَةٌ ... فَبِلَا فَابْدَأْ إِذَا خِفْتَ ٱلنَّدَمْ
وَإِذَا قُلْتَ نَعَمْ فَٱصْبِرْ لَهَا ... بِنَجَازِ ٱلْوَعْدِ إِنَّ ٱلْخُلْفَ ذَمْ
أَكْرِمِ ٱلْجَارَ وَرَاعِي حَقَّهُ ... إِنَّ عِرْفَانَ ٱلْفَتَى ٱلْحَقَّ كَرَمْ
إِنَّ شَرَّ ٱلنَّاسِ مَنْ يَمْدَحُنِي ... حِينَ يَلْقَانِي وَإِنْ غِبْتُ شَتَمْ

١٠٠ قَالَ يَزِيدُ بْنُ ٱلْحَكَمِ ٱلثَّقَفِيُّ يَعِظُ ٱبْنَهُ بَدْرًا :

يَا بَدْرُ وَٱلْأَمْثَالُ يَضْرِبُهَا لِذِي ٱللُّبِّ ٱلْحَكِيمُ
دُمْ لِلْخَلِيلِ بِوُدِّهِ مَا خَيْرُ وُدٍّ لَا يَدُومُ
وَٱعْرِفْ لِجَارِكَ حَقَّهُ وَٱلْحَقُّ يَعْرِفُهُ ٱلْكَرِيمُ
وَٱعْلَمْ بِأَنَّ ٱلضَّيْفَ يَوْ مًا سَوْفَ يَحْمَدُ أَوْ يَلُومُ
وَٱلنَّاسُ مُبْتَنِيَانِ مَحْمُودُ ٱلْبِنَايَةِ أَوْ ذَمِيمُ
وَٱعْلَمْ بُنَيَّ فَإِنَّهُ بِٱلْعِلْمِ يَنْتَفِعُ ٱلْعَلِيمُ
أَنَّ ٱلْأُمُورَ دَقِيقُهَا مِمَّا يَهِيجُ لَهُ ٱلْعَظِيمُ
وَٱلتَّبْلُ مِثْلُ ٱلدَّيْنِ تُقْضَاهُ وَقَدْ يَلْوِي ٱلْغَرِيمُ
وَٱلْبَغْيُ يَصْرَعُ أَهْلَهُ وَٱلظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ
وَلَقَدْ يَكُونُ لَكَ ٱلْبَعِيدُ أَخًا وَيَقْطَعُكَ ٱلْحَمِيمُ
وَٱلْمَرْءُ يُكْرَمُ لِلْغِنَى وَيُهَانُ لِلْعَدَمِ ٱلْعَدِيمُ
قَدْ يُقْتِرُ ٱلْحَوِلُ ٱلتَّقِيُّ وَيُكْثِرُ ٱلْحَمِقُ ٱلْأَثِيمُ
يُمْلَا لِذَاكَ وَيُبْتَلَى هٰذَا فَأَيُّهُمَا ٱلْمَضِيمُ

وَٱلْمَرْءُ يَبْخَلُ فِي ٱلْحُقُوقِ وَلِلْكَلَالَةِ مَا يُسِيمُ
مَا بُخْلُ مَنْ هُوَ لِلْمَنُونِ وَرَيْبِهَا غَرَضٌ رَجِيمُ
وَيَرَى ٱلْقُرُونَ أَمَامَهُ هَمَدُوا كَمَا هَمَدَ ٱلْهَشِيمُ
وَتَخَرَّبُ ٱلدُّنْيَا فَلَا بُؤْسٌ يَدُومُ وَلَا نَعِيمُ

١٠١ نخبة من حكم ابي عثمان بن لِيُون التُّجيبي

زَاحِمْ أُولِي ٱلْعِلْمِ حَتَّى تُعَدَّ مِنْهُمْ حَقِيقَهْ
وَلَا يَرُدَّكَ عَجْزٌ عَنْ أَخْذِ أَعْلَى طَرِيقَهْ
فَإِنَّ مَنْ جَدَّ يُعْطَى فِيمَا يُحِبُّ لُحُوقَهْ

أَلدَّرْسُ رَأْسُ ٱلْعِلْمِ فَٱحْرِصْ عَلَيْهْ فَكُلُّ ذِي عِلْمٍ فَقِيرٌ إِلَيْهْ
مَنْ ضَيَّعَ ٱلدَّرْسَ يُرَى هَاذِيًا عِنْدَ ٱعْتِبَارِ ٱلنَّاسِ مَا فِي يَدَيْهْ
فَعِزَّةُ ٱلْعَالِمِ مِنْ حِفْظِهِ كَعِزَّةِ ٱلْمُنْفِقِ فِي مَا عَلَيْهْ

ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ لَا مَحَالَهْ هَوَى نَفْسٍ يَقُودُ إِلَى ٱلْبَطَالَهْ
وَشُحٌّ لَا يَزَالُ يُطَاعُ دَأْبًا وَعُجْبٌ ظَاهِرٌ فِي كُلِّ حَالَهْ

أَخُوكَ ٱلَّذِي يَحْمِيكَ فِي ٱلْغَيْبِ جَاهِدًا وَيَسْتُرُ مَا تَأْتِي مِنَ ٱلسُّوءِ وَٱلْقُبْحِ
وَيَنْشُرُ مَا يُرْضِيكَ فِي ٱلنَّاسِ مُعْلِنًا وَيُغْضِي وَلَا يَأْلُو مِنَ ٱلْبِرِّ وَٱلنُّصْحِ

حَبِيبُكَ مَنْ يَغَارُ إِذَا زَلَلْتَا وَيُغْلِظُ فِي ٱلْكَلَامِ مَتَى أَسَأْتَا
يُسَرُّ إِنِ ٱتَّصَفْتَ بِكُلِّ فَضْلٍ وَيَحْزَنُ إِنْ نَقَصْتَ أَوِ ٱنْتَقَصْتَا
وَمَنْ لَا يَكْتَرِثْ بِكَ لَا يُبَالِي أَحِدْتَ عَنِ ٱلصَّوَابِ أَمِ ٱعْتَدَلْتَا

مَنْ تَنَاسَى ذُنُوبَهُ قَتَلَتْهُ وَأَبَانَتْ عَنْهُ ٱلْوَلِيَّ ٱلْحَمِيمَا
ذِكْرُكَ ٱلذَّنْبَ نَفْرَةٌ عَنْهُ تُبْقِي لَكَ إِنْكَارَ فِعْلِهِ مُسْتَدِيمَا

لَيْسَ ٱلتَّفَضُّلُ يَا أَخِي أَنْ تُحْسِنَا لِأَخٍ يُجَازِي بِٱلْجَمِيلِ مِنَ ٱلثَّنَا
إِنَّ ٱلتَّفَضُّلَ أَنْ تُجَازِيَ مَنْ أَسَا لَكَ بِٱلْجَمِيلِ وَأَنْتَ عَنْهُ فِي غِنَى

مِنْ عَيْنَيِ ٱلْمَرْءِ يَبْدُو مَا يُكَتِّمُهُ حَتَّى يَكُونَ ٱلَّذِي يَرْعَاهُ يَفْهَمُهُ
مَا يُضْمِرُ ٱلْمَرْءُ يَبْدُو مِنْ شَمَائِلِهِ لِنَاظِرٍ فِيهِ يَهْدِيهِ تَوَسُّمُهُ

تَعْظِيمُكَ ٱلنَّاسَ تَعْظِيمٌ لِنَفْسِكَ فِي قُلُوبِ ٱلْأَعْدَاءِ طُرًّا وَٱلْأَوِدَّاءِ
مَنْ عَظَّمَ ٱلنَّاسَ يَعْظُمْ فِي ٱلنُّفُوسِ بِلَا مَؤُونَةٍ وَيَنَلْ عِزَّ ٱلْأَعِزَّاءِ

وَمُسْتَقْبِحٍ مِنْ أَخٍ خُلَّةً وَفِيهِ مَعَايِبُ تُسْتَرْذَلُ
كَأَعْمَى يَخَافُ عَلَى أَعْوَرٍ عِثَارًا وَعَنْ نَفْسِهِ يَغْفُلُ

خُذِ ٱلْأُمُورَ بِرِفْقٍ وَٱتَّئِدْ أَبَدًا إِيَّاكَ مِنْ عَجَلٍ يَدْعُو إِلَى وَصَبِ
أَلرِّفْقُ أَحْسَنُ مَا تُؤْتَى ٱلْأُمُورُ بِهِ يُصِيبُ ذُو ٱلرِّفْقِ أَوْ يَنْجُو مِنَ ٱلْعَطَبِ

إِنَّ ٱلْمُسِيءَ إِذَا جَازَيْتَهُ أَبَدًا بِفِعْلِهِ زِدْتَهُ فِي غَيِّهِ شَطَطَا
أَلْعَفْوُ أَحْسَنُ مَا يُجْزَى ٱلْمُسِيءُ بِهِ يُهِينُهُ أَوْ يُرِيهِ أَنَّهُ سَقَطَا

سَرِيرَةُ ٱلْمَرْءِ تُبْدِيهَا شَمَائِلُهُ حَتَّى يَرَى ٱلنَّاسُ مَا يُخْفِيهِ إِعْلَانَا
فَٱجْعَلْ سَرِيرَتَكَ ٱلتَّقْوَى تَرَى أَمَلًا فِي كُلِّ مَا أَنْتَ تَبْغِيهِ وَبُرْهَانَا

تَثَبَّتْ بِٱلْأُمورِ وَلَا تُبَادِرْ ... لِشَيْءٍ دُونَ مَا نَظَرٍ وَفِكْرِ
قَبِيحٌ أَنْ تُبَادِرَ ثُمَّ تُخْطِي ... وَتَرْجِعَ لِلتَّثَبُّتِ دُونَ عُذْرِ

١٠٢ نخبة من حكم اوردها البستي في ديوانه

يَا مَنْ يُسَامِي ٱلْعُلَى عَفْوًا بِلَا تَعَبِ ... هَيْهَاتَ نَيْلُ ٱلْعُلَى عَفْوًا بِلَا تَعَبِ
عَلَيْكَ بِٱلْجِدِّ إِنِّي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا ... حَوَى نَصِيبَ ٱلْعُلَى مِنْ غَيْرِ مَا نَصَبِ

أَلْحُرُّ فِي ٱلتَّحْقِيقِ مُعْتَقُ ذَاتِهِ ... مِنْ رِقِّ شَهْوَتِهِ وَمِنْ غَفَلَاتِهِ
وَمَنِ ٱقْتَنَى مَا لَيْسَ يُمْكِنُ غَصْبُهُ ... مِنْهُ وَوَفَّرَ جَاهِدًا حَسَنَاتِهِ
فَأَصْغِ لِوَعْظِي وَٱنْتَفِعْ بِنَصَائِحِي ... وَٱبْخَلْ بِبَاقِي ٱلْعُمْرِ قَبْلَ فَوَاتِهِ
وَأَمِتْ بِجُهْدِكَ قُوَّةَ ٱلْغَضَبِ ٱلَّذِي ... تَحْيَا ٱلْبَصِيرَةُ وَٱلتُّقَى بِمَمَاتِهِ
وَعَلَيْكَ بِٱلْعَدْلِ ٱلَّذِي هُوَ لِلْفَتَى ... إِنْ عُدَّتِ ٱلْأَوْصَافُ خَيْرُ صِفَاتِهِ
وَٱعْلَمْ بِأَنَّ مَرَارَةَ ٱلْعَيْشِ ٱلَّذِي ... يَأْتِي ٱلْفَتَى فِي ٱلْخَوْفِ مِنْ بَغَتَاتِهِ
وَٱلْمَرْءُ لَيْسَ يَخَافُ مِنْ رَكَضَاتِهِ ... إِلَّا لِوَهْنٍ دَبَّ فِي عَزَمَاتِهِ
أَنَّى يَخَافُ ٱلْمَوْتَ حَيٌّ عَالِمٌ ... يَعْتَدُّهُ فَضْلًا مُقَوِّمَ ذَاتِهِ
لَاسِيَّمَا وَوَرَاءَ ذٰلِكَ لِلْفَتَى ... عَيْشٌ رَخَاءُ ٱلْعَيْشِ فِي لَذَّاتِهِ
مَنْ ظَنَّ أَنَّ فَنَاءَهُ مِنْ مَوْتِهِ ... فَٱعْلَمْ بِأَنَّ فَنَاءَهُ بِحَيَاتِهِ

قُلْ لِلْفَقِيهِ مَقَالًا لَيْسَ يَعْدَمُ مِنْ ... حُلْوِ ٱلْعِتَابِ وَمُرِّ ٱلْعَتْبِ تَمْزِيجَا
إِذَا فَطَمْتَ ٱمْرَءًا عَنْ عَادَةٍ قَدُمَتْ ... فَٱجْعَلْ لَهُ يَا عَقِيدَ ٱلْفَضْلِ تَدْرِيجَا
وَلَا تُعَنِّفْ إِذَا قَوَّمْتَ ذَا عِوَجٍ ... فَرُبَّمَا أَعْقَبَ ٱلتَّقْوِيمُ تَعْوِيجَا

تَكَثَّرْتَ بِٱلْأَمْوَالِ جَهْلًا وَإِنَّمَا ... تَكَثَّرْتَ بِٱللَّائِي تَرُوحُ وَتَغْتَدِي
فَأَنْتَ عَلَيْهَا خَائِفٌ غَصْبَ غَاصِبٍ ... وَحِيلَةَ مُحْتَالٍ خَؤُونٍ وَمُرْصِدِ
إِذَا نَامَتِ ٱلْأَجْفَانُ بِتَّ مُكَابِدًا ... دُجَى ٱللَّيْلِ إِشْفَاقًا بِطَرْفٍ مُسَهَّدِ
فَهَلَّا ٱقْتَنَيْتَ ٱلْبَاقِيَاتِ ٱلَّتِي لَهَا ... دَوَامٌ عَلَى طُولِ ٱلزَّمَانِ ٱلْمُؤَبَّدِ
فَضَائِلُ نَفْسَانِيَّةٌ لَيْسَ يَهْتَدِي ... إِلَى سَلْبِهَا مِنْ أَهْلِهَا كَيْدُ مُعْتَدِي
هِيَ ٱلْعِلْمُ وَٱلتَّقْوَى هِيَ ٱلْبَأْسُ وَٱلْحِجَى ... هِيَ ٱلْجُودُ بِٱلْمَوْجُودِ وَٱلْفِكْرُ فِي ٱلْغَدِ

وَلِلْمَرْءِ أَضْدَادٌ يَرُومُونَ قَسْرَهُ ... وَلَيْسَ لَهُ مِنْهُمْ عَلَى حَالَةٍ بُدُّ
فَإِنْ كَانَ ذَا خَيْرٍ جَفَاهُ شِرَارُهُمْ ... وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَٱلْخِيَارُ لَهُ ضِدُّ

مَنْ صَادَمَ ٱلدَّهْرَ مُغْتَرًّا بِقُوَّتِهِ ... فَٱحْكُمْ عَلَيْهِ بِأَنَّ ٱلدَّهْرَ قَدْ صَدَمَهْ
وَمَنْ يَبِعْ قُرَنَاءَ ٱلسُّوءِ عِشْرَتَهُ ... يَكُنْ قُصَارَاهُ مِنْ إِينَاسِهِمْ نَدَمَهْ
كَمْ مِنْ وُجُودٍ إِذَا ٱسْتَوْضَحْتَ صُورَتَهُ ... رَأَيْتَ أَشْرَفَ مِنْ مَحْصُولِهِ عَدَمَهْ
وَكُلُّ ذِي شَرَفٍ لَوْلَا خَصَائِصُهُ ... مِنَ ٱلْفَضَائِلِ سَاوَى رَأْسُهُ قَدَمَهْ

١٠٣ نخبة من اراجيز الشيخ السابوري

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْقَاهِرِ ... أَلْوَاحِدِ ٱلْفَرْدِ ٱلْمَلِيكِ ٱلْقَادِرِ
مُدَبِّرِ ٱلْخَلْقِ وَمُنْشِي ٱلرِّزْقِ ... ذِي ٱلْمَنِّ وَٱلطَّوْلِ إِلٰهِ ٱلْخَلْقِ
هٰذَا كِتَابٌ جَامِعُ ٱلْآدَابِ ... مُفَصَّلٌ مُنْتَظِمُ ٱلْأَبْوَابِ
حَبَّرْتُهُ بِمَنْطِقِي تَحْبِيرَا ... لَمْ آلُ فِيهِ ٱلنُّصْحَ وَٱلتَّيْسِيرَا
أَوْدَعْتُهُ مَحَاسِنَ ٱلْمَذَاهِبِ ... فِي ٱلرَّأْيِ وَٱلْعَقْلِ وَفِي ٱلتَّجَارِبِ

وَكُلَّ قَوْلٍ حَسَنٍ مُنْتَخَبِ يُؤْثَرُ عَنْ أَهْلِ ٱلْحِجَى وَٱلْأَدَبِ
وَمَا أَتَى مِنْ مَثَلٍ مَضْرُوبِ مُسْتَمْلَحٍ مُسْتَطْرَفٍ غَرِيبِ
يَزْدَادُ ذُو ٱلْعِلْمِ إِذَا رَوَاهُ عِلْمًا إِلَى مَحْمُودِ مَا أَنْشَاهُ
وَيُحْكِمُ ٱلْمُغَفَّلَ ٱلْمَغْمُورَا حَتَّى تَرَاهُ أَرِبًا نِحْرِيرَا
وَٱلْمَرْءُ لَنْ يَسْتَكْمِلَ ٱلْآدَابَا وَلَوْ يَعِيشُ سَالِمًا أَحْقَابَا
لَـٰكِنَّهُ يَزْدَادُ فِي ٱلْأَيَّامِ عِلْمًا بِنَقْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱلْإِبْرَامِ
وَإِنَّهُ يَزْدَادُ يَوْمًا يَوْمَا فِي دَهْرِهِ تَجْرِبَةً وَعِلْمَا

١٠٤ التجارب

وَٱفْطَنْ لِصَرْفِ ٱلدَّهْرِ وَٱلْعَجَائِبِ فَإِنَّهُ لَا عِلْمَ كَٱلتَّجَارِبِ
كَفَاكَ مَنْ عَاشَرْتَ مِنْ إِخْوَانِ مَعْرِفَةً بِصُورَةِ ٱلزَّمَانِ
لَا تَحْمَدَنْ قَبْلَ ٱخْتِبَارٍ أَحَدَا بِخُلَّبٍ مِنْ بَرْقِهِ إِذَا بَدَا
فَرُبَّمَا أَخْلَفَكَ ٱلطَّرِيرُ بِلَامِعٍ أَنْتَ بِهِ غَرِيرُ
إِنْ خِفْتَ مِنْ عَاقِبَةِ ٱلنَّدَامَهْ فَٱرْضَ مِنَ ٱلنَّوَالِ بِٱلسَّلَامَهْ
نَدَامَةُ ٱلْمَرْءِ عَلَى ٱلتَّقْصِيرِ أَيْسَرُ مِنْ نَدَامَةِ ٱلتَّغْرِيرِ
وَطَالِبُ ٱلْفَضْلِ مِنَ ٱلْأَعْدَاءِ كَذِي غَلِيلٍ شَرِقٍ بِمَاءِ
وَٱنْتَهِزِ ٱلْفُرْصَةَ إِمَّا مَرَّتْ فَرُبَّمَا طَلَبْتَهَا فَفَرَّتْ
وَٱلْأَمْرُ إِنْ أَعْيَا عَلَيْكَ مِنْ عَلِ فَٱطْلُبْهُ قَبْلَ فَوْتِهِ مِنْ أَسْفَلِ
مَنْ لَمْ يَعِظْهُ ٱلدَّهْرُ بِٱلتَّجَارِبِ لَمْ يَتَّعِظْ يَوْمًا بِقَوْلِ صَاحِبِ
رُبَّ رَحًا دَارَتْ بِمَنْ يَلِيهَا تَطْحَنُ فِي ٱلْحُرُوبِ مُرْكِبِيهَا

مَنْ جَالَسَ ٱلْأَعْدَاءَ وَٱلْحُسَّادَا لَمْ يَعْدَمِ ٱلْخَبَالَ وَٱلْفَسَادَا
وَوَحْدَةُ ٱلْمَرْءِ بِلَا أَنِيسِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ سَيِّئِ ٱلْجَلِيسِ
نَاصِحْ أَخَاكَ فِي ٱلْمُلِمَّاتِ ٱلْخِيَرْ وَكُنْ إِذَا نَاصَحْتَهُ عَلَى حَذَرْ
إِذَا لَقِيتَ ٱلنَّاسَ بِٱلنَّصِيحَهْ فَوَطِّنِ ٱلنَّفْسَ عَلَى ٱلْفَضِيحَهْ
مَنْ صَدَقَ ٱلصَّاحِبَ وَٱلرَّفِيقَا لَمْ يَدَعِ ٱلصِّدْقُ لَهُ صَدِيقَا
مَنْ سَلَكَ ٱلْقَصْدَ إِذَا مَا سَارَا فِي كُلِّ وَجْهٍ أَمِنَ ٱلْعِثَارَا

١٠٥ الصمت وحفظ اللسان

أَلصَّمْتُ لِلْمَرْءِ حَلِيفُ ٱلسِّلْمِ وَشَاهِدٌ لَهُ بِفَضْلِ ٱلْحُكْمِ
وَحَارِسٌ مِنْ زَلَلِ ٱللِّسَانِ فِي ٱلْقَوْلِ إِنْ عَيَّ عَنِ ٱلْبَيَانِ
فَعُذْ بِهِ مُعْتَصِمًا مِنَ ٱلْخَطَا أَوْ سَقَطٍ يُفْرِطُ فِي مَا فَرَطَا
إِنَّ ٱلسُّكُوتَ يُعْقِبُ ٱلسَّلَامَهْ فَرُبَّ قَوْلٍ يُورِثُ ٱلنَّدَامَهْ
إِسْتَبْدَلَ ٱلْخِيفَةَ مِنْ أَمَانِهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَحْذَرُ مِنْ لِسَانِهِ
يَظَلُّ مَكْرُوبًا طَوِيلًا سَقَمُهْ مَنْ لَا يَزُمُّ قَوْلَهُ وَيَخْطِمُهْ
مَنْ لَمْ يَكُنْ لِسَانُهُ مِنْ هَمِّهِ يَفْرَحْ بِهِ وَيَسْتَرِحْ مِنْ غَمِّهِ
مِنْ أَحْمَدِ ٱلْأَشْيَاءِ فِي ٱلْإِنْسَانِ زِيَادَةُ ٱلْعَقْلِ عَلَى ٱللِّسَانِ
إِسْرَافُ ذِي ٱلْإِطْنَابِ فِي ٱلْمَقَالِ أَضَرُّ مِنْ إِسْرَافِهِ فِي ٱلْمَالِ
لَا شَيْءَ مِنْ جَوَارِحِ ٱلْإِنْسَانِ أَحَقُّ بِٱلسِّجْنِ مِنَ ٱللِّسَانِ
إِنَّ ٱللِّسَانَ سَبُعٌ عَقُورُ إِنْ لَمْ يَسُسْهُ ٱلرَّأْيُ وَٱلتَّدْبِيرُ
لَا تُطْلِقَنَّ ٱلْقَوْلَ فِي غَيْرِ بَصَرْ إِنَّ ٱللِّسَانَ غَيْرُ مَأْمُونِ ٱلضَّرَرْ

فَٱلْقَوْلُ مَا أَرْسَلْتَهُ عَلَى عَجَلْ مُوَكَّلٌ بِهِ ٱلْعِثَارُ وَٱلزَّلَلْ
يَا رُبَّ مَحْقُورٍ مِنَ ٱلْمَقَالِ يَهِيجُ شَرًّا غَيْرَ مُسْتَقَالِ
وَلَفْظَةٍ زَائِغَةٍ سَبِيلُهَا قَدْ سَلَبَتْ نِعْمَةَ مَنْ يَقُولُهَا
لَا تُطْلِقَنْ فِي مَجْلِسٍ مَقَالَهْ إِذَا مَضَتْ لَيْسَ لَهَا إِقَالَهْ

١٠٦ الصبر

وَٱلصَّبْرُ فَٱعْلَمْ مِنْ أَعَدِّ ٱلْعُدَدِ عَلَى صُرُوفِ ٱلنَّائِبَاتِ ٱلْعُوَّدِ
فَٱجْعَلْهُ إِنْ هَمٌّ أَلَمَّ مَعْقِلَا وَٱجْعَلْهُ عِنْدَ ٱلنَّائِبَاتِ مَوْئِلَا
فَٱلدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى مِضْمَارِ مُخْتَلِفُ ٱلْإِقْبَالِ وَٱلْإِدْبَارِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ ٱلْبَلَايَا صَابِرَا سَلَا كَمَا يَسْلُو ٱلْبَهِيمُ صَاغِرَا
فَٱصْبِرْ إِذَا مَا عَضَّكَ ٱلزَّمَانُ فَكُلَّ يَوْمٍ لِلْمَلِيكِ شَانُ
مَنْ يَعْتَصِمْ بِٱلصَّبْرِ عِنْدَ ٱلْحَادِثِ فَٱلْحَبْلُ فِي يَدَيْهِ غَيْرُ نَاكِثِ
إِذَا أَتَى مَا لَا تُطِيقُ دَفْعَهُ فَٱلصَّبْرُ أَوْلَى مَا ٱقْتَنَيْتَ نَفْعَهُ
حُلُولُ مَا حَلَّ مِنَ ٱلْبَلَاءِ كَٱلضَّيْفِ يَوْمًا حَلَّ فِي ٱلْفِنَاءِ
فَٱصْبِرْ لِضَيْفٍ بِكَ يَوْمًا نَزَلَا لَا يَلْبَثُ ٱلنَّازِلُ أَنْ يَرْتَحِلَا

١٠٧ صدق النطق

وَأَكْرَمُ ٱلْآدَابِ صِدْقُ ٱلْمَنْطِقِ أَكْرِمْ بِهِ أَكْرِمْ بِهِ مِنْ خُلُقِ
أَعْدَلُ شَاهِدٍ عَلَى ٱلصَّلَاحِ أَقْرَبُ مِنْهَاجٍ إِلَى ٱلْفَلَاحِ
شَرِّفْ بِهِ أَخْلَاقَكَ ٱلْكَرِيمَهْ أُسْتُرْ بِهِ حَالَاتِكَ ٱلذَّمِيمَهْ
مَنْ صَدَقَ ٱلْحَدِيثَ فِي ٱلْمَقَالِ شَارَكَهُ ٱلْمُثْرُونَ فِي ٱلْأَمْوَالِ

وَٱلْكِذْبُ فَٱعْلَمْ أَقْطَعُ ٱلْمَسَاوِي صَاحِبُهُ مُشْفٍ عَلَى ٱلْمَهَاوِي
مَنْ يَشْتَهِرْ يَوْمًا بِكِذْبِ ٱلْمَنْطِقِ ثُمَّ أَتَى بِٱلصِّدْقِ لَمْ يُصَدَّقِ
مَنْ عَذُبَ ٱلْكِذْبُ عَلَى لِسَانِهِ فَٱلصِّدْقُ لَيْسَ كَائِنًا مِنْ شَانِهِ
وَلُكْنَةُ ٱلْمَنْطِقِ بِٱلصَّوَابِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْإِفْصَاحِ بِٱلْكِذَابِ
لَا تَعْصِيَنْ قَوْلَ ذَوِي ٱلتَّجَارِبِ . لَا تَسْتَعِنْ فِي عَمَلٍ بِكَاذِبِ

١٠٨ المكارم

وَٱنْزِعْ إِلَى مَكَارِمِ ٱلْأَخْلَاقِ فَإِنَّهَا مِنْ أَنْفَسِ ٱلْأَعْلَاقِ
تَحْمِيكَ مِنْ قَوَارِعِ ٱلْمَلَامَهْ تَمْنَحُكَ ٱلْإِعْزَازَ وَٱلْكَرَامَهْ
أَزْيَنُ حِلْيَةٍ عَلَى ٱلْإِنْسَانِ وَأَشْجَعُ ٱلْأَنْصَارِ وَٱلْأَعْوَانِ
فَٱرْحَلْ إِلَيْهَا طَالِبًا لِفَضْلِهَا وَٱسْمُ إِلَيْهَا رَاغِبًا فِي نَيْلِهَا
فَإِنَّهَا تُنِحْلُكَ ٱلْفَضَائِلَا حَمْدًا مِنَ ٱلنَّاسِ وَذُخْرًا آجِلَا
عَلَيْكَ مَا يُحْمَدُ مِنْ مَقَالِ فَرْضٌ عَلَيْهِ ٱلنَّفْسَ فِي ٱلْفَعَالِ
فَكُلُّ مَا ٱسْتَحْيَيْتَ أَنْ يُقَالَا فِيكَ فَلَا تَجْتَنِهِ فِعَالَا
عَلَيْكَ حُسْنَ ٱلْبِشْرِ فِي ٱللِّقَاءِ فَإِنَّهُ مِنْ سَبَبِ ٱلْإِخَاءِ
يُرِي عَلَى صَاحِبِهِ قَبُولَا مِنَ ٱلْوَرَى وَمَنْظَرًا جَمِيلَا
يُهْدِي لَكَ ٱلْإِجْلَالَ وَٱلْإِعْظَامَا يَذُودُ عَنْكَ ٱلْهَمَّ وَٱلْمَلَامَا

١٠٩ القصيدة الزينبية لصالح بن عبد القدوس وقيل لعليّ بن ابي طالب

صَرَمَتْ حِبَالَكَ بَعْدَ وَصْلِكَ زَيْنَبُ(*) وَٱلدَّهْرُ فِيهِ تَصَرُّمٌ وَتَقَلُّبُ

(*) انما اراد الشاعر بزينب هنا الدنيا وبالغانيات في البيت بعده ملذّاتها

وَكَذَاكَ وَصْلُ ٱلْغَانِيَاتِ فَإِنَّـهُ ... آلٌ بِبَلْقَعَـةٍ وَبَرْقٌ خُلَّبُ
فَدَعِ ٱلصِّبَـا فَلَقَدْ عَدَاكَ زَمَانُهُ ... وَٱزْهَدْ فَعُمْرُكَ مَرَّ مِنْهُ ٱلْأَطْيَبُ
ذَهَبَ ٱلشَّبَابُ فَمَا لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ ... وَأَتَى ٱلْمَشِيبُ فَأَيْنَ مِنْهُ ٱلْمَهْرَبُ
دَعْ عَنْكَ مَا قَدْ فَاتَ فِي زَمَنِ ٱلصِّبَا ... وَٱذْكُرْ ذُنُوبَكَ وَٱبْكِهَا يَا مُذْنِبُ
وَٱخْشَ مُنَاقَشَةَ ٱلْحِسَابِ فَإِنَّهُ ... لَا بُدَّ يُحْصَى مَا جَنَيْتَ وَيُكْتَبُ
وَٱللَّيْلُ فَٱعْلَمْ وَٱلنَّهَارُ كِلَاهُمَا ... أَنْفَاسُنَـا بِهِمَا تُعَدُّ وَتُحْسَبُ
لَمْ يَنْسَهُ ٱلْمَلَكَانِ حِينَ نَسِيتَهُ ... بَلْ أَثْبَتَـاهُ وَأَنْتَ لَاهٍ تَلْعَبُ
وَٱلرُّوحُ فِيكَ وَدِيعَـةٌ أُودِعْتَهَا ... سَتَرُدُّهَا بِٱلرَّغْمِ مِنْكَ وَتُسْلَبُ
وَغُرُورُ دُنْيَـاكَ ٱلَّتِي تَسْعَى لَهَا ... دَارٌ حَقِيقَتُهَـا مَتَاعٌ يَذْهَبُ
وَجَمِيعُ مَا حَصَّلْتَـهُ وَجَمَعْتَـهُ ... حَقًّا يَقِينًا بَعْـدَ مَوْتِكَ يُنْهَبُ
تَبًّا لِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَـا ... وَمَشِيـدُهَا عَمَّا قَلِيلٍ يَخْرَبُ
فَٱسْمَعْ هُدِيتَ نَصَائِحًا أَوْلَاكَهَا ... بَرٌّ نَصُوحٌ لِلْأَنَامِ مُجَرِّبُ
أَهْدَى ٱلنَّصِيحَـةَ فَٱتَّعِظْ بِمَقَالِهِ ... فَهُوَ ٱلتَّقِيُّ ٱللَّوْذَعِيُّ ٱلْأَدْرَبُ
لَا تَأْمَنِ ٱلدَّهْرَ ٱلْخَؤُونَ لِأَنَّهُ ... مَا زَالَ قِدْمًا لِلرِّجَالِ يُؤَدِّبُ
وَعَوَاقِبُ ٱلْأَيَّامِ فِي غُصَّاتِهَا ... مَضَضٌ يَذِلُّ لَهُ ٱلْأَعَزُّ ٱلْأَنْجَبُ
وَيَفُوزُ بِٱلْمَالِ ٱلْحَقِيرُ مَكَانَةً ... فَتَرَاهُ يُرْجَى مَا لَدَيْهِ وَيُرْغَبُ
وَيُبَشُّ بِٱلتَّرْحِيبِ عِنْـدَ قُدُومِهِ ... وَيُقَامُ عِنْـدَ سَلَامِهِ وَيُقَرَّبُ
فَٱقْنَعْ فَفِي بَعْضِ ٱلْقَنَاعَةِ رَاحَةٌ ... وَلَقَدْ كُسِي ثَوْبَ ٱلْمَذَلَّةِ أَشْعَبُ
لَا تَحْرِصَنْ فَٱلْحِرْصُ لَيْسَ بِزَائِدٍ ... فِي ٱلرِّزْقِ بَلْ يُشْقِي ٱلْحَرِيصَ وَيُتْعِبُ

كَمْ عَاجِزٍ فِي ٱلنَّاسِ يَأْتِي رِزْقُهُ ... رَغَدًا وَيُحْرَمُ كَيِّسٌ وَيُخَيَّبُ
فَعَلَيْكَ تَقْوَى ٱللهِ فَٱلْزَمْهَا تَفُزْ ... إِنَّ ٱلتَّقِيَّ هُوَ ٱلْبَهِيُّ ٱلْأَهْيَبُ
وَٱعْمَلْ بِطَاعَتِهِ تَنَلْ مِنْهُ ٱلرِّضَا ... إِنَّ ٱلْمُطِيعَ لِرَبِّهِ لَمُقَرَّبُ
وَٱرْعَ ٱلْأَمَانَةَ وَٱلْخِيَانَةَ فَٱجْتَنِبْ ... وَٱعْدِلْ وَلَا تَظْلِمْ يَطِبْ لَكَ مَكْسَبُ
وَٱحْذَرْ مِنَ ٱلْمَظْلُومِ سَهْمًا صَائِبًا ... وَٱعْلَمْ بِأَنَّ دُعَاءَهُ لَا يُحْجَبُ
وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْأَقَارِبِ كُلِّهِمْ ... بِتَذَلُّلٍ وَٱسْمَحْ لَهُمْ إِنْ أَذْنَبُوا
وَإِذَا بُلِيتَ بِنَكْبَةٍ فَٱصْبِرْ لَهَا ... مَنْ ذَا رَأَيْتَ مُسَلَّمًا لَا يُنْكَبُ
وَإِذَا أَصَابَكَ فِي زَمَانِكَ شِدَّةٌ ... أَوْ نَالَكَ ٱلْخَطْبُ ٱلْكَرِيهُ ٱلْأَصْعَبُ
فَٱدْعُ لِرَبِّكَ إِنَّهُ أَدْنَى لِمَنْ ... يَدْعُوهُ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ وَأَقْرَبُ
وَٱحْذَرْ مُؤَاخَاةَ ٱلدَّنِيِّ لِأَنَّهُ ... يُعْدِي كَمَا يُعْدِي ٱلصَّحِيحَ ٱلْأَجْرَبُ
وَٱخْتَرْ صَدِيقَكَ وَٱصْطَفِيهِ تَفَاخُرًا ... إِنَّ ٱلْقَرِينَ إِلَى ٱلْمُقَارِنِ يُنْسَبُ
وَدَعِ ٱلْكَذُوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا ... إِنَّ ٱلْكَذُوبَ يَشِينُ حُرًّا يَصْحَبُ
وَذَرِ ٱلْحَقُودَ وَلَوْ صَفَا لَكَ مَرَّةً ... وَٱبْعِدْهُ عَنْ رُؤْيَاكَ لَا يُسْتَجْلَبُ
إِنَّ ٱلْحَقُودَ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ ... فَٱلْحِقْدُ بَاقٍ فِي ٱلصُّدُورِ مُغَيَّبُ
وَٱحْفَظْ لِسَانَكَ وَٱحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ ... فَٱلْمَرْءُ يَسْلَمُ بِٱللِّسَانِ وَيَعْطَبُ
وَزِنِ ٱلْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ ... ثَرْثَارَةً فِي كُلِّ نَادٍ تَخْطُبُ
وَٱلسِّرَّ فَٱكْتُمْهُ وَلَا تَنْطِقْ بِهِ ... فَهُوَ ٱلْأَسِيرُ لَدَيْكَ إِذْ لَا يَنْشَبُ
وَٱحْرِصْ عَلَى حِفْظِ ٱلْقُلُوبِ مِنَ ٱلْأَذَى ... فَرُجُوعُهَا بَعْدَ ٱلتَّنَافُرِ يَصْعُبُ
إِنَّ ٱلْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَ وِدُّهَا ... شِبْهُ ٱلزُّجَاجَةِ كَسْرُهَا لَا يُشْعَبُ

وَاحْذَرْ عَدُوَّكَ إِذْ تَرَاهُ بَاسِمًا   فَاللَّيْثُ يَبْدُو نَابُهُ إِذْ يَغْضَبُ
وَإِذَا الصَّدِيقُ رَأَيْتَهُ مُتَمَلِّقًا   فَهُوَ الْعَدُوُّ وَحَقُّهُ يُتَجَنَّبُ
لَا خَيْرَ فِي وِدِّ امْرِئٍ مُتَمَلِّقٍ   حُلْوِ اللِّسَانِ وَقَلْبُهُ يَتَقَلَّبُ
يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً   وَيَرُوغُ مِنْكَ كَمَا يَرُوغُ الثَّعْلَبُ
يَلْقَاكَ يَحْلِفُ أَنَّهُ بِكَ وَاثِقٌ   وَإِذَا تَوَارَى عَنْكَ فَهُوَ الْعَقْرَبُ
وَإِذَا رَأَيْتَ الرِّزْقَ عَزَّ بِبَلْدَةٍ   وَخَشِيتَ فِيهَا أَنْ يَضِيقَ الْمَكْسَبُ
فَارْحَلْ فَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةُ الْفَضَا   طُولًا وَعَرْضًا شَرْقُهَا وَالْمَغْرِبُ
فَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي   فَالنُّصْحُ أَغْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ
خُذْهَا إِلَيْكَ قَصِيدَةً مَنْظُومَةً   جَاءَتْ كَنَظْمِ الدُّرِّ بَلْ هِيَ أَعْجَبُ
حِكَمٌ وَآدَابٌ وَجُلُّ مَوَاعِظٍ   أَمْثَالُهَا لِذَوِي الْبَصَائِرِ تُكْتَبُ
فَاصْغِ لِوَعْظِ قَصِيدَةٍ أَوْلَاكَهَا   طَوْدُ الْعُلُومِ الشَّامِخَاتِ الْأَهْيَبُ

١١٠ لامية ابن الوردي

إِعْتَزِلْ ذِكْرَ الْأَغَانِي وَالْغَزَلْ   وَقُلِ الْفَصْلَ وَجَانِبْ مَنْ هَزَلْ
وَدَعِ الذِّكْرَى لِأَيَّامِ الصِّبَا   فَلِأَيَّامِ الصِّبَا نَجْمٌ أَفَلْ
وَاتْرُكِ الْغَادَةَ لَا تَحْفِلْ بِهَا   تُمْسِ فِي عِزٍّ رَفِيعٍ وَتُجَلْ
وَافْتَكِرْ فِي مُنْتَهَى حُسْنِ الَّذِي   أَنْتَ تَهْوَاهُ تَجِدْ أَمْرًا جَلَلْ
وَاهْجُرِ الْخَمْرَةَ إِنْ كُنْتَ فَتًى   كَيْفَ يَسْعَى فِي جُنُونٍ مَنْ عَقَلْ
وَاتَّقِ اللهَ فَتَقْوَى اللهِ مَا   جَاوَرَتْ قَلْبَ امْرِئٍ إِلَّا وَصَلْ
لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرْقًا بَطَلًا   إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِي اللهَ الْبَطَلْ

كُتِبَ ٱلْمَوتُ عَلى ٱلْخَلقِ فَكَمْ ... فَلَّ مِنْ جَيْشٍ وَأَفْنَى مِنْ دُوَلْ
أَيْنَ نُمْرُودٌ وَكَنْعَانٌ وَمَنْ ... مَلَكَ ٱلْأَرْضَ وَوَلَّى وَعَزَلْ
أَيْنَ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَبَنَوْا ... هَلَكَ ٱلْكُلُّ وَلَمْ تُغْنِ ٱلْقُلَلْ
أَيْنَ أَرْبَابُ ٱلْحِجَى أَهْلُ ٱلنُّهَى ... أَيْنَ أَهْلُ ٱلْعِلْمِ وَٱلْقَوْمُ ٱلْأُوَلْ
سَيُعِيدُ ٱللهُ كُلًّا مِنْهُمُ ... وَسَيَجْزِي فَاعِلًا مَا قَدْ فَعَلْ
أَيْ بُنَيَّ ٱسْمَعْ وَصَايَا جُمِعَتْ ... حِكَمًا خُصَّتْ بِهَا خَيْرُ ٱلْمِلَلْ
أُطْلُبِ ٱلْعِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ فَمَا ... أَبْعَدَ ٱلْخَيْرَ عَلَى أَهْلِ ٱلْكَسَلْ
وَٱحْتَفِلْ بِٱلْفِقْهِ فِي ٱلدِّينِ وَلَا ... تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوَلْ
وَٱهْجُرِ ٱلنَّوْمَ وَحَصِّلْهُ فَمَنْ ... يَعْرِفِ ٱلْمَطْلُوبَ يَحْقِرْ مَا بَذَلْ
لَا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَيَّامُهُ ... كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى ٱلدَّرْبِ وَصَلْ
فِي ٱزْدِيَادِ ٱلْعِلْمِ إِرْغَامُ ٱلْعِدَى ... وَجَمَالُ ٱلْعِلْمِ إِصْلَاحُ ٱلْعَمَلْ
جَمِّلِ ٱلْمَنْطِقَ بِٱلنَّحْوِ فَمَنْ ... يُحْرَمِ ٱلْإِعْرَابَ بِٱلنُّطْقِ ٱخْتَبَلْ
أُنْظُمِ ٱلشِّعْرَ وَلَازِمْ مَذْهَبِي ... فِي ٱطِّرَاحِ ٱلرِّفْدِ لَا تَبْغِ ٱلنِّحَلْ
فَهُوَ عُنْوَانٌ عَلَى ٱلْفَضْلِ وَمَا ... أَحْسَنَ ٱلشِّعْرَ إِذَا لَمْ يُبْتَذَلْ
مُلْكُ كِسْرَى عَنْهُ تُغْنِي كِسْرَةٌ ... وَعَنِ ٱلْبَحْرِ ٱجْتِزَاءٌ بِٱلْوَشَلْ
إِطْرَحِ ٱلدُّنْيَا فَمِنْ عَادَاتِهَا ... تَخْفِضُ ٱلْعَالِي وَتُعْلِي مَنْ سَفَلْ
عِيشَةُ ٱلرَّاغِبِ فِي تَحْصِيلِهَا ... عِيشَةُ ٱلْجَاهِلِ فِيهَا أَوْ أَقَلْ
كَمْ جَهُولٍ بَاتَ فِيهَا مُكْثِرًا ... وَعَلِيمٍ مَاتَ مِنْهَا بِعِلَلْ
كَمْ شُجَاعٍ لَمْ يَنَلْ فِيهَا ٱلْمُنَى ... وَجَبَانٍ نَالَ غَايَاتِ ٱلْأَمَلْ

فَٱتْرُكِ ٱلْحِيلَةَ فِيهَا وَٱتَّكِلْ   إِنَّمَا ٱلْحِيلَةُ فِي تَرْكِ ٱلْحِيَلْ
لَا تَقُلْ أَصْلِي وَفَصْلِي أَبَدًا   إِنَّمَا أَصْلُ ٱلْفَتَى مَا قَدْ حَصَلْ
قَدْ يَسُودُ ٱلْمَرْءُ مِنْ دُونِ أَبٍ   وَبِحُسْنِ ٱلسَّبْكِ قَدْ يُنْفَى ٱلزَّغَلْ
إِنَّمَا ٱلْوَرْدُ مِنَ ٱلشَّوْكِ وَمَا   يَنْبُتُ ٱلنَّرْجِسُ إِلَّا مِنْ بَصَلْ
قِيمَةُ ٱلْإِنْسَانِ مَا يُحْسِنُهُ   أَكْثَرَ ٱلْإِنْسَانُ مِنْهُ أَمْ أَقَلْ
بَيْنَ تَبْذِيرٍ وَبُخْلٍ رُتْبَةٌ   وَكِلَا هٰذَيْنِ إِنْ زَادَ قَتَلْ
لَيْسَ يَخْلُو ٱلْمَرْءُ مِنْ ضِدٍّ وَلَوْ   حَاوَلَ ٱلْعُزْلَةَ فِي رَأْسِ جَبَلْ
دَارِ جَارَ ٱلسُّوءِ بِٱلصَّبْرِ وَإِنْ   لَمْ تَجِدْ صَبْرًا فَمَا أَحْلَى ٱلنُّقَلْ
جَانِبِ ٱلسُّلْطَانَ وَٱحْذَرْ بَطْشَهُ   لَا تُعَانِدْ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلْ
لَا تَلِ ٱلْأَحْكَامَ إِنْ هُمْ سَأَلُوا   رَغْبَةً فِيكَ وَخَالِفْ مَنْ عَذَلْ
إِنَّ نِصْفَ ٱلنَّاسِ أَعْدَاءٌ لِمَنْ   وَلِيَ ٱلْأَحْكَامَ هٰذَا إِنْ عَدَلْ
قَصِّرِ ٱلْآمَالَ فِي ٱلدُّنْيَا تَفُزْ   فَدَلِيلُ ٱلْعَقْلِ تَقْصِيرُ ٱلْأَمَلْ
غِبْ وَزُرْ غِبًّا تَزِدْ حُبًّا فَمَنْ   أَكْثَرَ ٱلتَّرْدَادَ أَضْنَاهُ ٱلْمَلَلْ
لَا يَضُرُّ ٱلْفَضْلَ إِقْلَالٌ كَمَا   لَا يَضُرُّ ٱلشَّمْسَ إِطْبَاقُ ٱلطَّفَلْ
خُذْ بِنَصْلِ ٱلسَّيْفِ وَٱتْرُكْ غِمْدَهُ   وَٱعْتَبِرْ فَضْلَ ٱلْفَتَى دُونَ ٱلْحُلَلْ
حُبُّكَ ٱلْأَوْطَانَ عَجْزٌ ظَاهِرٌ   فَٱغْتَرِبْ تَلْقَ عَنِ ٱلْأَهْلِ بَدَلْ
فَبِمُكْثِ ٱلْمَاءِ يَبْقَى آسِنًا   وَسُرَى ٱلْبَدْرِ بِهِ ٱلْبَدْرُ ٱكْتَمَلْ

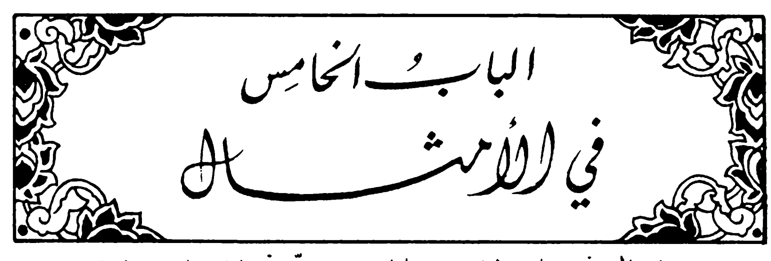
١١١   نونيّة ابي الفتح البُستي

زِيَادَةُ ٱلْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نُقْصَانُ   وَرِبْحُهُ غَيْرَ مَحْضِ ٱلْخَيْرِ خُسْرَانُ

وَكُلُّ وِجْدَانِ حَظٍّ لَا ثَبَاتَ لَهُ ... فَإِنَّ مَعْنَاهُ فِي ٱلتَّحْقِيقِ فِقْدَانُ
يَا عَامِرًا لِخَرَابِ ٱلدَّهْرِ مُجْتَهِدًا ... بِٱللهِ هَلْ لِخَرَابِ ٱلْعُمْرِ عُمْرَانُ
وَيَا حَرِيصًا عَلَى ٱلْأَمْوَالِ تَجْمَعُهَا ... أَنَسِيتَ أَنَّ سُرُورَ ٱلْمَالِ أَحْزَانُ
زَعِ ٱلْفُؤَادَ عَنِ ٱلدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا ... فَصَفْوُهَا كَدَرٌ وَٱلْوَصْلُ هِجْرَانُ
وَأَرْعِ سَمْعَكَ أَمْثَالًا أُفَصِّلُهَا ... كَمَا يُفَصَّلُ يَاقُوتٌ وَمَرْجَانُ
أَحْسِنْ إِلَى ٱلنَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ ... فَطَالَمَا ٱسْتَعْبَدَ ٱلْإِنْسَانَ إِحْسَانُ
يَا خَادِمَ ٱلْجِسْمِ كَمْ تَسْعَى لِخِدْمَتِهِ ... أَتَطْلُبُ ٱلرِّبْحَ فِي مَا فِيهِ خُسْرَانُ
أَقْبِلْ عَلَى ٱلنَّفْسِ وَٱسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا ... فَأَنْتَ بِٱلنَّفْسِ لَا بِٱلْجِسْمِ إِنْسَانُ
وَكُنْ عَلَى ٱلدَّهْرِ مِعْوَانًا لِذِي أَمَلٍ ... يَرْجُو نَدَاكَ فَإِنَّ ٱلْحُرَّ مِعْوَانُ
وَٱشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ ٱللهِ مُعْتَصِمًا ... فَإِنَّهُ ٱلرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ
مَنْ يَتَّقِ ٱللهَ يُحْمَدْ فِي عَوَاقِبِهِ ... وَيَكْفِهِ شَرَّ مَنْ عَزُّوا وَمَنْ هَانُوا
مَنِ ٱسْتَعَانَ بِغَيْرِ ٱللهِ فِي طَلَبٍ ... فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجْزٌ وَخِذْلَانُ
مَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ مَنَّاعًا فَلَيْسَ لَهُ ... عَلَى ٱلْحَقِيقَةِ إِخْوَانٌ وَأَخْدَانُ
مَنْ جَادَ بِٱلْمَالِ مَالَ ٱلنَّاسُ قَاطِبَةً ... إِلَيْهِ وَٱلْمَالُ لِلْإِنْسَانِ فَتَّانُ
مَنْ سَالَمَ ٱلنَّاسَ يَسْلَمْ مِنْ غَوَائِلِهِمْ ... وَعَاشَ وَهْوَ قَرِيرُ ٱلْعَيْنِ جَذْلَانُ
مَنْ كَانَ لِلْعَقْلِ سُلْطَانٌ عَلَيْهِ غَدَا ... وَمَا عَلَى نَفْسِهِ لِلْحِرْصِ سُلْطَانُ
مَنْ مَدَّ طَرْفًا بِفَرْطِ ٱلْجَهْلِ نَحْوَ هَوًى ... أَغْضَى عَلَى ٱلْحَقِّ يَوْمًا وَهْوَ خَزْيَانُ
مَنِ ٱسْتَشَارَ صُرُوفَ ٱلدَّهْرِ قَامَ لَهُ ... عَلَى حَقِيقَةِ طَبْعِ ٱلدَّهْرِ بُرْهَانُ
مَنْ يَزْرَعِ ٱلشَّرَّ يَحْصُدْ فِي عَوَاقِبِهِ ... نَدَامَةً وَلِحَصْدِ ٱلزَّرْعِ إِبَّانُ

مَن اسْتَنَامَ إلَى الأَشْرَارِ نَامَ وَفِي قَمِيصِهِ مِنْهُمُ صِلٌّ وَثُعْبَانُ
كُنْ رَيِّقَ البِشْرِ إنَّ الحُرَّ هِمَّتُهُ صَحِيفَةٌ وَعَلَيْهَا البِشْرُ عُنْوَانُ
وَرَافِقِ الرِّفْقَ فِي كُلِّ الأُمُورِ فَلَمْ يَنْدَمْ رَفِيقٌ وَلَمْ يَذْمُمْهُ إنْسَانُ
وَلا يَغُرَّنْكَ حَظٌّ جَرَّهُ خَرَقٌ فَالخُرْقُ هَدْمٌ وَرِفْقُ المَرْءِ بُنْيَانُ
أَحْسِنْ إذَا كَانَ إمْكَانٌ وَمَقْدُرَةٌ فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الإحْسَانِ إمْكَانُ
فَالرَّوْضُ يَزْدَانُ بِالأَنْوَارِ فَاغِمَةً وَالحُرُّ بِالعَدْلِ وَالإحْسَانِ يَزْدَانُ
صُنْ حُرَّ وَجْهِكَ لَا تَهْتِكْ غِلَالَتَهُ فَكُلُّ حُرٍّ لِحُرِّ الوَجْهِ صَوَّانُ
دَعِ التَّكَاسُلَ فِي الخَيْرَاتِ تَطْلُبُهَا فَلَيْسَ يَسْعَدُ بِالخَيْرَاتِ كَسْلَانُ
لَا ظِلَّ لِلْمَرْءِ يَعْرَى مِنْ نُهًى وَتُقًى وَإنْ أَظَلَّتْهُ أَوْرَاقٌ وَأَفْنَانُ
وَالنَّاسُ أَعْوَانُ مَنْ وَالَتْهُ دَوْلَتُهُ وَهُمْ عَلَيْهِ إذَا عَادَتْهُ أَعْوَانُ
سَحْبَانُ مِنْ غَيْرِ مَالٍ بَاقِلٌ حَصِرٌ وَبَاقِلٌ فِي ثَرَاءِ المَالِ سَحْبَانُ
لَا تُودِعِ السِّرَّ وَشَّاءً بِهِ مَذِلاً فَمَا رَعَى غَنَمًا فِي الدَّوِّ سِرْحَانُ
لَا تَحْسَبِ النَّاسَ طَبْعًا وَاحِدًا فَلَهُمْ غَرَائِزٌ لَسْتَ تُحْصِيهِنَّ أَلْوَانُ
مَا كُلُّ مَاءٍ كَصَدَّاءٍ لِوَارِدِهِ نَعَمْ وَلَا كُلُّ نَبْتٍ فَهْوَ سَعْدَانُ
لَا تَخْدِشَنَّ بِمَطْلٍ وَجْهَ عَارِفَةٍ فَالبِرُّ يَخْدِشُهُ مَطْلٌ وَلَيَّانُ
لَا تَسْتَشِرْ غَيْرَ نَدْبٍ حَازِمٍ يَقِظٍ قَدِ اسْتَوَى مِنْهُ إسْرَارٌ وَإعْلَانُ
فَلِلتَّدَابِيرِ فُرْسَانٌ إذَا رَكَضُوا فِيهَا أَبَرُّوا كَمَا لِلْحَرْبِ فُرْسَانُ
وَلِلأُمُورِ مَوَاقِيتٌ مُقَدَّرَةٌ وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ حَدٌّ وَمِيزَانُ
فَلَا تَكُنْ عَجِلاً فِي الأَمْرِ تَطْلُبُهُ فَلَيْسَ يُحْمَدُ قَبْلَ النُّضْجِ بُحْرَانُ

كَفَى مِنَ الْعَيْشِ مَا قَدْ سَدَّ مِنْ عَوَزٍ ... فَفِيهِ لِلْحُرِّ قُنْيَانٌ وَغُنْيَانُ
وَذُو الْقَنَاعَةِ رَاضٍ مِنْ مَعِيشَتِهِ ... وَصَاحِبُ الْحِرْصِ إِنْ أَثْرَى فَغَضْبَانُ
إِذَا جَفَاكَ خَلِيلٌ كُنْتَ تَأْلَفُهُ ... فَاطْلُبْ سِوَاهُ فَكُلُّ النَّاسِ إِخْوَانُ
حَسْبُ الْفَتَى عَقْلُهُ خِلًّا يُعَاشِرُهُ ... إِذَا تَحَامَاهُ إِخْوَانٌ وَخُلَّانُ
هُمَا رَضِيعَا لِبَانٍ حِكْمَةٌ وَتُقًى ... وَسَاكِنَا وَطَنٍ مَالٌ وَطُغْيَانُ
إِذَا نَبَا بِكَرِيمٍ مَوْطِنٌ فَلَهُ ... وَرَاءَهُ فِي بَسِيطِ الْأَرْضِ أَوْطَانُ
يَا ظَالِمًا فَرِحًا بِالْعِزِّ سَاعَدَهُ ... إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةٍ فَالدَّهْرُ يَقْظَانُ
مَا اسْتَمْرَأَ الظُّلْمَ لَوْ أَنْصَفْتَ آكِلُهُ ... وَهَلْ يَلَذُّ مَذَاقَ الْمَرْءِ خُطْبَانُ
يَا أَيُّهَا الْعَالِمُ الْمَرْضِيُّ سِيرَتُهُ ... أَبْشِرْ وَأَنْتَ بِغَيْرِ الْمَاءِ رَيَّانُ
وَيَا أَخَا الْجَهْلِ قَدْ أَصْبَحْتَ فِي لُجَجٍ ... وَأَنْتَ مَا بَيْنَهَا لَا شَكَّ ظَمْآنُ
لَا تَحْسَبَنَّ سُرُورًا دَائِمًا أَبَدًا ... مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ
يَا رَافِلًا فِي الشَّبَابِ الْوَحْفِ مُنْتَشِيًا ... مِنْ كَأْسِهِ هَلْ أَصَابَ الرُّشْدَ نَشْوَانُ
لَا تَغْتَرِرْ بِشَبَابٍ رَائِقٍ خَضِلٍ ... فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّيْبِ شُبَّانُ
وَيَا أَخَا الشَّيْبِ لَوْ نَاصَحْتَ نَفْسَكَ لَمْ ... يَكُنْ لِمِثْلِكَ فِي الْإِسْرَافِ إِمْعَانُ
هَبِ الشَّبِيبَةَ تُبْلِي عُذْرَ صَاحِبِهَا ... مَا عُذْرُ أَشْيَبَ يَسْتَهْوِيهِ شَيْطَانُ
كُلُّ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُهَا ... إِنْ شَيَّعَ الْمَرْءَ إِخْلَاصٌ وَإِيمَانُ
وَكُلُّ كَسْرٍ فَإِنَّ الدِّينَ يَجْبُرُهُ ... وَمَا لِكَسْرِ قَنَاةِ الدِّينِ جُبْرَانُ
خُذْهَا سَوَائِرَ أَمْثَالٍ مُهَذَّبَةٍ ... فِيهَا لِمَنْ يَبْتَغِي التِّبْيَانَ تِبْيَانُ
مَا ضَرَّ حَسَّانَهَا وَالطَّبْعُ صَائِغُهَا ... أَنْ لَمْ يَصُغْهَا قَرِيعُ الدَّهْرِ حَسَّانُ



امثال في معانٍ مختلفة جمعها ابن عبد ربّه في العقد الفريد (*)

١١٢ (في الصمت) * الصمتُ حكمٌ وقليلٌ فاعلُه * عيٌّ صامتٌ خيرٌ من عيٍّ ناطقٍ * الصمتُ يكسبُ أهلَهُ المحبةَ * إستكثرْ من الهيبةِ الصموتُ * الندمُ على السكوتِ خيرٌ من الندمِ على الكلامِ * (من أصاب مرةً وأخطأَ مرةً) * شخبٌ في الإناءِ وشخبٌ في الأرضِ ١ * يشجُّ مرةً ويأسو أخرى * سهمٌ لكَ وسهمٌ عليكَ * أطرُقي وميشي ٢ * (إنكشافُ الأمرِ بعدَ اكتتامِهِ) * حصحصَ الحقُّ * أبدى الصريحُ عن الرغوةِ * صرّحَ المحضُ عن الزبدةِ * أفرخَ القومُ بيضتَهم ٣ * برحَ الخفاءُ وكُشفَ الغطاءُ * (الدعاءُ بالخيرِ) للقادمِ من سفرِهِ : خيرُ جاءٍ وردٌّ في أهلٍ ومالٍ ٤ * بلغَ اللهُ بكَ أكلأَ العمرِ ٥ * نعمَ عوفُكَ ٦ * في الزواجِ : على يدِ الخيرِ واليُمنِ * بالرفاءِ والبنينَ ٧ * هُنِّئتَ ولا تنكدُ ٨ * هوتْ أمُّهُ وهبلتْ

(*) اعلم ن ما في الحاشية من الشروح كان متصلاً بالأمثال ففصلناهُ عنها لالتحام السياق

١ شُبّه بالحالب الجاهل الذي يحلُب شخباً في الإناء وشخباً في الأرض

٢ أصلهُ أن يُخلَط الوبَر بالصوف . والمِطراق العود الذي يُضرَب بهِ بين ما خُلِط

٣ أي أخرجوا فرختها . يُريدون أظهروا سرَّهم

٤ أي جعلك الله كذلك

٥ أي أقصاهُ

٦ أي نعم بالك

٧ يُريد بالرِفاء الكثرة (كذا في الاصل) . يُقال رفأتهُ إذا دعوت لهُ بالكثرة

٨ أي أصابك خير ولا أصابك ضرٌّ

أُمُّهُ ١ ☆ (أَلدُّعَاءُ بِٱلشَّرِّ) ☆ خَوَى نَجْمُهُ وَرَكَدَتْ رِيحُهُ ☆ بَاخَ مِيسَمُهُ وَكَبَا جَوَادُهُ ☆ خَمَدَ ضِرَامُهُ وَنَضَبَ مَاؤُهُ ☆ إِنْثَلَمَ رُكْنُهُ وَٱنْهَارَ جُرُفُهُ ☆ نَقِبَ خُفُّهُ وَدَمِنَ ظِلْفُهُ ☆ رَغِمَ أَنْفُهُ وَخَرَّ سَقْفُهُ ☆ غَارَ مَاؤُهُ وَسَقَطَ بَهَاؤُهُ ☆ قَرِعَ فِنَاؤُهُ وَصَفِرَ إِنَاؤُهُ ☆ (رَمْيُ ٱلرَّجُلِ غَيْرَهُ بِٱلْمُعْضِلَاتِ) ☆ رَمَاهُ بِأَقْحَافِ رَأْسِهِ ☆ وَرَمَاهُ بِثَالِثَةِ ٱلْأَثَافِيِّ ٢ ☆ أَلْعَضِيهَةُ وَٱلْأَفِيكَةُ ٣ ☆ كَأَنَّمَا أَفْرَغَ عَلَيْهِ ذَنُوبًا ٤ ☆ (أَلْمَكْرُ وَٱلْخِلَابَةُ) ☆ فَتَلَ فِي ذِرْوَتِهِ ٥ ☆ ضَرَبَ أَخْمَاسًا لِأَسْدَاسٍ ٦ ☆ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : أَلذِّئْبُ يَأْدُو لِلْغَزَالِ ٧ ☆ (فِي ٱلرَّجُلِ ٱلْمُبَرِّزِ فِي ٱلْفَضْلِ) ☆ مَا يُشَقُّ غُبَارُهُ ٨ ☆ إِذَا جَرَى ٱلْمُذَكِّي حَسَرَتْ عَنْهُ ٱلْحُمُرُ ٩ ☆ جَرْيُ ٱلْمُذَكِّيَاتِ غِلَاءٌ أَوْ غِلَابٌ ☆ لَيْسَتْ لَهُ هِمَّةٌ دُونَ ٱلْغَايَةِ ٱلْقُصْوَى ☆ (أَلرَّجُلُ ٱلنَّبِيهُ ٱلذِّكْرِ) ☆ مَا يُحْجَرُ فُلَانٌ فِي ٱلْعِكْمِ ١٠ ☆ مَا يَوْمُ حَلِيمَةَ بِسِرٍّ ١١ ☆ أَشْهَرُ مِنَ ٱلْأَبْلَقِ ☆ وَهَلْ

---

١ يدعون عليهِ وهم يُريدون الحمد لهُ . ونحوهُ اذا أحسن . قاتلهُ الله وأخزاهُ الله . ومنهُ قول امرئ القيس : ما لهُ لا عُدَّ من نفره ٢ يُريد قطعةً من الجبل يُجعل الى جنبها الثنتان وتكون هي الثالثة ٣ إذا رماهُ بالبُهتان ٤ إذا كلَّمهُ كلمةً يُسكتهُ بها

٥ أي خادعهُ حتى أزالهُ عن رأيهِ . ويُروى عن الزُبير حين سأل عائشة عن الخروج الى البَصرة فأبت عليهِ : فما زال يفتل في الذروة والغارب حتى أجابت

٦ يُريدون المُناكرة . وقال آخر :

إذا أراد امرؤٌ مكرًا جنى عِللًا وظلَّ يضرب أخماسًا لأسداسِ

٧ أي يختلهُ ليوقعهُ ٨ أصلهُ السابق من الخيل ٩ أي كما يسبق الفرس القارح الحُمُر ١٠ العِكم الجوالق يُريد أنَّهُ لا يخفى مكانهُ

١١ يُضرب لكل أمرٍ مشهورٍ وكانت فيهِ وقعةٌ مشهورةٌ قُتل فيها المُنذر بن ماء السماء فضُربت مثلًا

يَخْفَى عَلَى ٱلنَّاسِ ٱلنَّهَارُ • وَمِثْلُهُ : وَهَلْ يَخْفَى عَلَى ٱلنَّاظِرِ ٱلصُّبْحُ ✡ وَهَلْ يَجْهَلُ فُلَانًا إِلَّا مَنْ يَجْهَلُ ٱلْقَمَرَ ✡ (أَلرَّجُلُ ٱلْعَزِيزُ يَعِزُّ بِهِ ٱلذَّلِيلُ) ✡ إِنَّ ٱلْبُغَاثَ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ ١ ✡ لَا حُرَّ بِوَادِي عَوْفٍ ٢ ✡ تَمَرَّدَ مَارِدٌ وَعَزَّ ٱلْأَبْلَقُ ٣ ✡ مَنْ عَزَّ بَزَّ ✡ مَنْ قَلَّ ذَلَّ ✡ مَنْ أَمِرَ فَلَّ (أَمِرَ أَيْ كَثُرَ) ✡ (أَلرَّجُلُ ٱلصَّعْبُ) ✡ فُلَانٌ أَلْوَى بَعِيدُ ٱلْمُسْتَمَرِّ ✡ مَا بَلَلْتُ مِنْهُ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ ٤ ✡ مَا يُقَعْقَعُ لِي بِٱلشِّنَانِ ✡ مَا يُصْطَلَى بِنَارِهِ ✡ مَا تُقْرَنُ بِهِ ٱلصَّعْبَةُ ✡ (أَلرَّجُلُ ٱلْعَالِمُ ٱلنِّحْرِيرُ) ✡ إِنَّهُ لَنِقَابٌ وَإِنَّهُ لَعِضٌّ ٥ ✡ أَنَا جُذَيْلُهَا ٱلْمُحَكَّكُ وَعُذَيْقُهَا ٱلْمُرَجَّبُ ٦ ✡ وَمِثْلُهُ : إِنَّهُ لَجِذْلُ حِكَاكٍ ✡ عَنِيَّتُهُ تَشْفِي ٱلْجَرَبَ ٧ ✡ لِذِي ٱلْحِلْمِ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ مَا تُقْرَعُ ٱلْعَصَا ٨ ✡ إِنَّهُ لَأَلْمَعِيٌّ ٩ ✡ مَا حَكَكْتُ قَرْحَةً إِلَّا أَدْمَيْتُهَا ✡ أَلْأُمُورُ تَشَابَهُ مُقْبِلَةً وَتَظْهَرُ مُدْبِرَةً • وَلَا يَعْرِفُهَا مُقْبِلَةً إِلَّا ٱلْعَالِمُ ٱلنِّحْرِيرُ • فَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا ٱلْجَاهِلُ وَٱلْعَالِمُ ✡ (أَلرَّجُلُ ٱلْمُجَرَّبُ) ✡ إِنَّهُ لَشَرَّابٌ

---

١ أَلبُغاث صغار الطير تستنسر تصير نسورًا ٢ يُريدون عَوف بن مُحلِّم الشيبانيّ وكان منيعًا ٣ مارد حصن بدومة والابلق حصن السموءَل ٤ وأَصله السهم المكسور الفُوق الساقط النصل . يقول : فهذا ليس كذلك ٥ النقاب الذكي والعِضّ العالم النحرير

٦ قال الأصمعي : الجُذَيل تصغير الجِذل . وهو عودٌ يُنصَب للابل الجرباء لتحتكَّ بهِ من الجرب فأراد أن رأيهُ يُشفَى بهِ . والعُذَيق تصغير عَذق . والعَذق بالفتح النخلة نفسها . فاذا مالت النخلة الكريمة بنوا من جانبها المائل بناءً مرتفعًا يدعمها لكي لا تسقط فذلك الترجيب . وصغَّرهما للمدح ٧ والعنيَّة شيءٌ تُعالَج بهِ الإبل إذا جرِبت ٨ وأَوَّل من قُرِعت لهُ العصا سعد بن مالكٍ الكنانيّ . ثم قُرِعت لعامر بن الظرب العدوانيّ . وكان حكَمَ في الجاهليَّة فكبر حتى أَنكر عقلَهُ . فقال لبنيهِ : إذا أَنا زغتُ فقوّموني . وكان إذا زاغ قُرِعت لهُ العصا فينزع عن ذلك ٩ وهو الذي يُصيب بالظنّ

بِأَنْقَعَ[١] * إِنَّهُ لَخَرَّاجٌ وَلَّاجٌ * حَلَبَ ٱلدَّهرَ أَشْطُرَهُ وَشَرِبَ أَفَاوِيقَهُ[٢] * رَجُلٌ مُنَجَّذٌ[٣] * أَوَّلُ لُغْزٍ وَأَخْرَقَ * لَا تَغْزُ إِلَّا بِغُلَامٍ قَدْ غَزَا * زَاحِمْ بِعُودٍ أَوْ دَعْ * أَلْعَوَانُ لَا تُعَلَّمُ ٱلْخِمْرَةَ . وَقَالَتِ ٱلْعَامَّةُ : أَلشَّارِبُ لَا يُصَفَّرُ لَهُ * (أَلِٱنْتِقَالُ مِنْ ذُلٍّ إِلَى عِزٍّ) * كُنْتَ كُرَاعًا فَصِرْتَ ذِرَاعًا * كُنْتَ عَنْزًا فَٱسْتَتْيَسْتَ * كُنْتَ بُغَاثًا فَٱسْتَنْسَرْتَ * (إِعْجَابُ ٱلرَّجُلِ بِأَهْلِهِ) * كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبِيهَا مُعْجَبَةٌ * أَلْقَرَنْبَى فِي عَيْنِ أُمِّهَا حَسَنَةٌ * زُيِّنَ فِي عَيْنِ وَالِدٍ وَلَدُهُ * حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدُّ * (تَشَابُهُ ٱلرَّجُلِ بِأَبِيهِ) * مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ * أَلْعُصَيَّةُ مِنَ ٱلْعَصَا * مَا أَشْبَهَ حَجَلَ ٱلْجِبَالِ بِأَلْوَانِ صَخْرِهَا * مَا أَشْبَهَ ٱلْحَوْلَ بِٱلْقَبَلِ . وَمَا أَشْبَهَ ٱللَّيْلَةَ بِٱلْبَارِحَةِ * شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمَ[٤] * قَالَ زُهَيْرٌ :

وَهَلْ يُنْبِتُ ٱلْخَطِّيَّ إِلَّا وَشِيجُهُ ... وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا ٱلنَّخْلُ

وَمِنْهُ قَوْلُ ٱلْعَامَّةِ : لَا تَلِدُ ٱلذِّئْبَةُ إِلَّا ذِئْبًا * حَذْوُ ٱلنَّعْلِ بِٱلنَّعْلِ وَحَذْوُ ٱلْقُذَّةِ بِٱلْقُذَّةِ[٥] * (أَلْحِلْمُ) * إِذَا نَزَا ٱلشَّرُّ فَٱقْعُدْ[٦] * وَمِنْهُ . أَلْحَلِيمُ مَطِيَّةُ ٱلْجَهُولِ * لَا يَنْتَصِفُ حَلِيمٌ مِنْ جَاهِلٍ * أَخِّرِ ٱلشَّرَّ فَإِنْ شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ . وَقَوْلُهُمْ فِي ٱلْحَلِيمِ : إِنَّهُ كَوَاقِعِ ٱلطَّيْرِ وَسَاكِنِ

---

١ أَيْ مُعاودٌ للخير والشرّ ٢ أَي اختبر من الدهر خيرهُ وشرَّهُ . فالشطر هو شطر الحلبة والفيقة اسم اللبن حين يجتمع في الضرع ما بين الحلبتين ٣ وهو المجرَّب . وأَصلهُ من النواجذ يُقال : قد عضَّ على ناجذهِ إذا استحكم ٤ يُقال هذا في الولد إذا كانت فيهِ طبيعةٌ من أَبيهِ ٥ والقُذَّة الريشة من ريش السهم تُحذَى على صاحبتها

٦ أَي فاحلُم ولا تُسارع اليهِ

ٱلرِّيحِ * كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمِ ٱلطَّيْرُ * رُبَّمَا أَسْمَعُ فَأَذَرُ * حِلْمِي أَصَمُّ وَأُذْنِي غَيْرُ صَمَّاءَ * (مُدَارَاةُ ٱلنَّاسِ) * إِذَا لَمْ تَغْلِبْ فَٱخْلِبْ ١ * وَقَوْلُهُمْ: إِلَّا حَظِيَّةً فَلَا أَلِيَّةَ ٢ * سُوءُ ٱلِٱسْتِمْسَاكِ خَيْرٌ مِنْ حُسْنِ ٱلصَّرْعَةِ * وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي ٱلدَّرْدَاءِ: إِنَّا لَنَبَشُّ فِي وُجُوهِ قَوْمٍ وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَنْفِرُ عَنْهُمْ * وَمِنْهُ قَوْلُهُ: شِرَارُ ٱلنَّاسِ مَنْ دَارَاهُ ٱلنَّاسُ لِشَرِّهِ * وَمِنْهُ قَوْلُ شَبِيبِ بْنِ شَيْبَةَ فِي خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ: لَيْسَ لَهُ صَدِيقٌ فِي ٱلسِّرِّ وَلَا عَدُوٌّ فِي ٱلْعَلَانِيَةِ. يُرِيدُ أَنَّ ٱلنَّاسَ يُدَارُونَهُ لِشَرِّهِ وَقُلُوبُ ٱلنَّاسِ تُبْغِضُهُ * (أَلِٱسْتِعْدَادُ لِلْأَمْرِ قَبْلَ نُزُولِهِ) * قَبْلَ ٱلرَّمْيِ يُرَاشُ ٱلسَّهْمُ * قَبْلَ ٱلرِّمَايَةِ تُمْلَأُ ٱلْكَنَائِنُ * خُذِ ٱلْأَمْرَ بِقَوَابِلِهِ ٣ * شَرُّ ٱلرَّأْيِ ٱلدَّبَرِيُّ * أَلْمُحَاجَزَةُ قَبْلَ ٱلْمُنَاجَزَةِ * أَلتَّقَدُّمُ قَبْلَ ٱلتَّنَدُّمِ * يَا عَاقِدُ ٱذْكُرْ حَلًّا * خَيْرُ ٱلْأُمُورِ أَحْمَدُهَا مَغَبَّةً * لَيْسَ ٱلدَّهْرُ بِصَاحِبٍ مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي ٱلْعَوَاقِبِ * (حُسْنُ ٱلتَّدْبِيرِ وَٱلنَّهْيُ عَنِ ٱلْخُرْقِ) * أَلرِّفْقُ يُمْنٌ وَٱلْخُرْقُ شُؤْمٌ * رُبَّ أَكْلَةٍ تَحْرِمُ أَكَلَاتٍ * قَلِّبِ ٱلْأَمْرَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ * وَجِّهِ ٱلْحَجَرَ وِجْهَةً مَا * وَلِّ حَارَّهَا مَنْ تَوَلَّى قَارَّهَا * (أَلْأَمْرُ ٱلشَّدِيدُ ٱلْمُعْضِلُ) * أَظْلَمَ عَلَيْهِ يَوْمُهُ * وَأَيْنَ يَضَعُ ٱلْمَخْنُوقُ يَدَهُ * لَوْ كَانَ ذَا حِيلَةٍ تَحَوَّلَ * رَأَى ٱلْكَوْكَبَ ظُهْرًا. قَالَ طَرَفَةُ: وَتُرِيهِ ٱلنَّجْمَ يَجْرِي بِٱلظُّهْرْ * (هَلَاكُ ٱلْقَوْمِ) * طَارَتْ بِهِ ٱلْعَنْقَاءُ. وَطَارَتْ

---

١ يقول: إذا لم تغلب فدارِ والطُف

٢ معناهُ إن لم يكن حظوةٌ فلا تقصير. وألا يألو ويأتلي وهو التقصير

٣ أي بلمستقبالهِ قبل أن يُدبِر

بِهِمْ عُقَابُ مَـلَاعٍ ١ * وَٱلْمَنَايَا عَلَى ٱلْحَوَايَا ٢ * أَتَتْهُمُ ٱلدُّهَيْمُ تَرْمِي بِٱلرَّضْفِ ٣ * وَهٰذَا أَمْرٌ لَا يُنَادَى وَلِيدُهُ ٤ * إِلْتَقَتْ حَلْقَتَا ٱلْبِطَانِ * وَبَلَغَ ٱلسَّيْلُ ٱلزُّبَى * وَجَاوَزَ ٱلْحِزَامُ ٱلطُّبْيَيْنِ * وَتَقُولُ ٱلْعَامَّةُ: بَلَغَ ٱلسِّكِّينُ ٱلْعَظْمَ * (أَلْيَأْسُ وَٱلْخَيْبَةُ) * مَنْ لِي بِٱلسَّانِحِ بَعْدَ ٱلْبَارِحِ ٥ * جَاءَ بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ ٦ * أَطَالَ ٱلْغَيْبَةَ وَجَاءَ بِٱلْخَيْبَةِ * وَنَظِيرُهُ: سَكَتَ أَلْفًا وَنَطَقَ خَلْفًا ٧ * (أَلظُّلْمُ تَرْجِعُ عَاقِبَتُهُ عَلَى صَاحِبِهِ) * مَنْ حَفَرَ مَغْوَاةً وَقَعَ فِيهَا ٨ * يَعْدُو عَلَى كُلِّ ٱمْرِئٍ مَا يَأْتَمِرُ * عَادَ ٱلرَّمْيُ عَلَى ٱلنَّزَعَةِ ٩ * وَتَقُولُ ٱلْعَامَّةُ: كَٱلْبَاحِثِ عَنْ مُدْيَةٍ * رُمِيَ بِحَجَرِهِ وَقُتِلَ بِسِلَاحِهِ * (نَفْيُ ٱلْمَالِ عَنِ ٱلرَّجُلِ) * مَا لَهُ سَعْنَةٌ وَلَا مَعْنَةٌ ١٠ * مَا لَهُ هِلَّعٌ وَلَا هِلَّعَةٌ ١١ * مَا لَهُ هَارِبٌ وَلَا قَارِبٌ ١٢ * مَا لَهُ عَافِطَةٌ وَلَا نَافِطَةٌ ١٣ *

---

١ يُقال ذلك في الواحد والجمع . وأَحسبها معدولةً عن مليعٍ ٢ قال أَبو عُبَيد : الحوايا في هذا الموضع مركبٌ من مراكب النساء واحدتها حويّةٌ . وأَحسَب أَصلها إِنَّ قومًا قُتِلوا فحُملوا على الحوايا فصارت مثلًا ٣ معناه الداهية العظيمة ٤ معنـاهُ انَّ الأَمر اشتدَّ حتَّى ذهلت المرأة أن تدعو وليدها ٥ أي من لي باليُمن بعد الشؤم

٦ قال الشاعر:

وما زلتُ أَقطعُ عَرض البلاد ... من المَشرقَين إِلى المَغرِبَينِ
وأَدَّرعُ الخوف تحت الدُّجى ... وأَستصحِبُ النسرَ والفرقَدَينِ
وأَطوي وأَنشُرُ ثوب الهموم ... إِلى أَن رجعتُ بخُفَّي حُنَينِ

٧ اي اطال السكوت وتكلَّم بالقبيح . وهذا المثل يقع في باب العي ولهُ ههنا وجهٌ ايضًا

٨ والمغارة البير تُحفر للذئاب ويجعل فيها جديٌ ليسقط الذئب فيها ليصيدهُ فيُصطاد

٩ وهم الرُّماة يرجع عليهم رميهم ١٠ معناهُ لا شيء لهُ

١١ وهما الجدي والعَناق ١٢ معناهُ ليس لهُ أَحدٌ يهرب منهُ ولا أَحدٌ يقرب اليهِ فليس لهُ شيءٌ ١٣ وهما الضائنة والماعزة

مَا بِهِ نَبَضٌ وَلَا حَبَضٌ ١ * مَالَهُ سَبَدٌ وَلَا لَبَدٌ ٢ * (إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي ٱلدَّارِ أَحَدٌ) * مَا بِٱلدَّارِ دُعْوِيٌّ وَلَا بِهَا دُبِّيٌّ ٣ * وَمَا بِهَا مِنْ غَرِيبٍ • وَلَا بِهَا دُورِيٌّ وَلَا طُورِيٌّ • وَمَا بِهَا وَاتِرٌ وَمَا بِهَا صَافِرٌ • وَمَا بِهَا دَيَّارٌ وَمَا بِهَا نَافِخُ ضَرَمَةٍ • وَمَا بِهَا إِرَمٌ ٤ * (إِسْتِجْهَالُ ٱلرَّجُلِ وَنَفْيُ ٱلْعِلْمِ) * مَا يَعْرِفُ ٱلْحَوَّ مِنَ ٱللَّوِّ • وَمَا يَعْرِفُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱللَّيِّ • وَلَا هِرِيرًا مِنْ غَرِيرٍ • وَلَا قَبِيلًا مِنْ دَبِيرٍ ٥ * وَمَا يَعْرِفُ أَيُّ طَرَفَيْهِ أَطْوَلُ وَأَكْبَرُ * وَمَا يَعْرِفُ مَنْ يَهِرُّهُ مِمَّنْ يَبِرُّهُ * وَأَيُّ طَرَفَيْهِ أَطْوَلُ أَنَسَبُ أَبِيهِ أَمْ نَسَبُ أُمِّهِ

١١٣ هذه أبياتٌ ذهبت مذهب الامثال واكثرها للمتنبي وللحريري

إِنْعَمْ وَلَذَّ فَلِلْأُمُورِ أَوَاخِرٌ أَبَدًا كَمَا كَانَتْ لَهُنَّ أَوَائِلُ

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومِ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ ٱلنُّجُومِ

إِذَا ٱعْتَادَ ٱلْفَتَى خَوْضَ ٱلْمَنَايَا فَأَهْوَنُ مَا يَمُرُّ بِهِ ٱلْوُحُولُ

إِنَّ ٱلسِّلَاحَ جَمِيعُ ٱلنَّاسِ تَحْمِلُهُ وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ ٱلْمِخْلَبِ ٱلسَّبُعُ

أَلْعَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٍ بِأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ ٱلْخَزِّ مَوْلُودُ

إِذَا ٱشْتَبَكَتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى

إِنَّ ٱلْكِرَامَ إِذَا مَا أَيْسَرُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ فِي ٱلْمَنْزِلِ ٱلْخَشِنِ

---

١ قال الأَصمعيُّ : النبَض والحبَض في الوتَر . والنبَض تحرُّك الوتر والحبَض صوتهُ وقال : والنبل يهوي نبَضًا وحبَضًا ٢ هما الشعر والصوف ٣ معناهُ ما بها من يدعو . ومن يدب ٤ معنى هذا كلّهِ ما بها أَحدٌ . ولا يُقال منها شيءٌ في الإثبات والإيجاب وانما يقولونها في النفي والجحد ٥ والقبيل ما أَقبلت بهِ من قبَل الحبل والدبير ما أَدبرت بهِ منهُ

إِنَّ ٱلزَّرَازِيرَ لَمَّا قَامَ قَائِمُهَا تَوَهَّمَتْ أَنَّهَا صَارَتْ شَوَاهِينَا
إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ عِزًّا فَٱدَّرِعْ تَعَبًا أَوْ فَٱرْضَ بِٱلذُّلِّ وَٱخْتَرْ رَاحَةَ ٱلْبَدَنِ
أَيَا حَجَرَ ٱلشَّحْذِ حَتَّى مَتَى تَسُنُّ ٱلْحَدِيدَ وَلَا تَقْطَعُ
إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلَ ٱلنَّصِيحِ قَبُولُ فَكُلُّ مَعَارِيضِ ٱلْكَلَامِ فُضُولُ
إِذَا مَا ٱلْجُرْحُ رُمَّ عَلَى فَسَادٍ تَبَيَّنَ فِيهِ تَفْرِيطُ ٱلطَّبِيبِ
إِذَا ٱللّٰهُ لَمْ يَحْرُسْكَ مِمَّا تَخَافُهُ فَلَا ٱلسَّيْفُ قَطَّاعٌ وَلَا ٱلدِّرْعُ مَانِعُ
إِذَا نُدِبُوا لِلْقَوْلِ قَالُوا فَأَحْسَنُوا وَلٰكِنَّ حُسْنَ ٱلْقَوْلِ خَالَفَهُ ٱلْفِعْلُ
إِنَّ ٱلسَّمَاءَ إِذَا لَمْ تَبْكِ مُقْلَتُهَا لَمْ تَضْحَكِ ٱلْأَرْضُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ ٱلزَّهَرِ
بِذَا قَضَتِ ٱلْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ
تُرِيدِينَ إِدْرَاكَ ٱلْمَعَالِي رَخِيصَةً وَلَا بُدَّ دُونَ ٱلشَّهْدِ مِنْ إِبَرِ ٱلنَّحْلِ
صَدِيقُ عَدُوِّي دَاخِلٌ فِي عَدَاوَتِي وَإِنِّي لِمَنْ وَدَّ ٱلصَّدِيقَ وَدُودُ
فَلَا حَدِيقَتُهُمْ يُجْنَى لَهَا ثَمَرٌ وَلَا سَمَاؤُهُمْ تَنْهَلُّ بِٱلدِّيَمِ
قَدْ تُنْكِرُ ٱلْعَيْنُ ضَوْءَ ٱلشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ وَيُنْكِرُ ٱلْفَمُ طَعْمَ ٱلْمَاءِ مِنْ سَقَمِ
كَرِيشَةٍ بِمَهَبِّ ٱلرِّيحِ سَاقِطَةٍ لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ ٱلْقَلَقِ
كِبْرٌ بِلَا نَسَبٍ تِيهٌ بِلَا حَسَبِ فَخْرٌ بِلَا أَدَبٍ هٰذَا مِنَ ٱلْعَجَبِ
لَمْ أَرُدَّ ٱلطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ ٱلْمُرَّ مِنْ ثَمَرِهْ
لَا خَيْرَ فِي حُسْنِ ٱلْجُسُومِ وَطُولِهَا إِنْ لَمْ يَزِنْ حُسْنَ ٱلْجُسُومِ عُقُولُ
لَا تَقْطَعَنْ ذَنَبَ ٱلْأَفْعَى وَتُرْسِلَهَا إِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَأَتْبِعْ رَأْسَهَا ٱلذَّنَبَا
لَهُ خَلَائِقُ بِيضٌ لَا يُغَيِّرُهَا صَرْفُ ٱلزَّمَانِ كَمَا لَا يَصْدَأُ ٱلذَّهَبُ

مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ ٱلْمَعَالِي نَافِذًا	فِيهَا وَلَا كُلُّ ٱلرِّجَالِ فُحُولَا
مَا ٱلَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ ٱلْمَنَايَا	كَٱلَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ ٱلشَّمُولُ
مَا أَنْتَ أَوَّلَ سَارٍ غَرَّهُ قَمَرٌ	وَرَائِدٍ أَعْجَبَتْهُ خُضْرَةُ ٱلدِّمَنِ
مَا إِنْ يَضُرُّ ٱلْعَضْبَ كَوْنُ قِرَابِهِ	خَلَقًا وَلَا ٱلْبَازِي حَقَارَةُ عُشِّهِ
وَكَيْفَ يَبِيتُ مُضْطَجِعًا جَبَانٌ	فَرَشْتَ لِجَنْبِهِ شَوْكَ ٱلْقَتَادِ
وَمَا ٱلْحُسْنُ فِي وَجْهِ ٱلْفَتَى شَرَفٌ لَهُ	إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَٱلْخَلَائِقِ
وَمَا فِي سَطْوَةِ ٱلْأَرْبَابِ عَيْبٌ	وَلَا فِي زَلَّةِ ٱلْعُبْدَانِ عَارُ
وَمَا ٱلْحَدَاثَةُ عَنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ	قَدْ يُوجَدُ ٱلْحِلْمُ فِي ٱلشُّبَّانِ وَٱلشِّيبِ
وَمَا مَنْزِلُ ٱللَّذَّاتِ عِنْدِي بِمَنْزِلٍ	إِذَا لَمْ أُبَجَّلْ عِنْدَهُ وَأُكَرَّمِ
وَمَا كُلُّ نَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ	وَلَا كُلُّ فَعَّالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ
وَمَا ٱلْخِلُّ إِلَّا كَٱلصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ	وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنِ مَنْ لَا يُجَرِّبُ
وَكُلُّ ٱمْرِئٍ يُولِي ٱلْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ	وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ ٱلْعِزَّ طَيِّبُ
وَمَنْ يَجِدُ ٱلطَّرِيقَ إِلَى ٱلْمَعَالِي	فَلَا يَذَرُ ٱلْمَطِيَّ بِلَا سَنَامِ
وَأَسْتَكْبِرُ ٱلْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ	فَلَمَّا ٱلْتَقَيْنَا صَغَّرَ ٱلْخَبَرَ ٱلْخُبْرُ
وَمِنْ نَكَدِ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْحُرِّ أَنْ يَرَى	عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ
وَمِنَ ٱلْبَلِيَّةِ عَذْلُ مَنْ لَا يَرْعَوِي	عَنْ جَهْلِهِ وَخِطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ
وَمِنَ ٱلْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ	وَمِنَ ٱلصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ
وَكُلٌّ يَرَى طُرْقَ ٱلشَّجَاعَةِ وَٱلنَّدَى	وَلَكِنَّ طَبْعَ ٱلنَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ
وَرُبَّ كَئِيبٍ لَيْسَ تَنْدَى جُفُونُهُ	وَرُبَّ كَثِيرِ ٱلدَّمْعِ غَيْرُ كَئِيبِ

وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَجْحَدُ الشَّمْسَ ضَوْءَهَا ... وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِي لَهَا بِضَرِيبِ
وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلَّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ ... مَحَا الذَّنْبَ كُلَّ الْمَحْوِ مَنْ جَاءَ تَائِبَا
وَإِطْرَاقُ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ ... إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمُطْرِقِ
وَكُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا سَيَعْرِفُ سَعْيَهُ ... إِذَا حُصِّلَتْ عِنْدَ الْإِلٰهِ الْحَصَائِلُ
وَقَدْ نَبَحَ الْكَلْبُ السَّحَابَ وَدُونَهَا ... مَهَامِهُ تَغْشَى نَظْرَةَ الْمُتَأَمِّلِ
وَمَنْ يَأْمَنِ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ ... عَلَى الْمَاءِ خَانَتْهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ
وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَى ... مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى
وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ ... إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلَمُ
وَهَلْ يَدَّعِي اللَّيْلُ الدُّجُوجِيُّ أَنَّهُ ... تُضِيءُ ضِيَاءَ الشَّمْسِ شُهْبُ ظَلَامِهِ
وَلَا تَشِمْ كُلَّ خَالٍ لَاحَ بَارِقُهُ ... وَلَوْ تَرَاءَى هَتُونَ السُّكْبِ ثَجَّاجَا
وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَخْبُوءَةٌ ... لَا تَلْتَظِي إِنْ لَمْ تُثِرْهَا الْأَزْنُدُ
وَالْهَمُّ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحَافَةً ... وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهْرِمُ
وَمَنْ يَنْشُدِ الرُّكْبَانَ عَنْ كُلِّ غَائِبٍ ... فَلَا بُدَّ أَنْ يُلْفِي بَشِيرًا وَنَاعِيَا
وَأَوَّلُ مَا يَكُونُ اللَّيْثُ شِبْلًا ... وَمَبْدَأُ طَالِعَةِ الْقَمَرِ الْهِلَالُ
وَالنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الْأَبْصَارُ صُورَتَهُ ... وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصِّغَرِ
وَكَمْ مُضْمِرٍ بُغْضًا يُرِيكَ مَحَبَّةً ... وَفِي الزَّنْدِ نَارٌ وَهْوَ فِي اللَّمْسِ بَارِدُ
وَمَا كُلُّ أَزْهَارِ الرِّيَاضِ أَرِيجَةٌ ... وَلَا كُلُّ أَطْيَارِ الْفَلَا تَتَرَنَّمُ
وَمَا كُلُّ مَنْ هَزَّ الْحُسَامَ بِضَارِبٍ ... وَلَا كُلُّ مَنْ أَجْرَى الْيَرَاعَ بِكَاتِبِ
وَمَا كُلُّ وَحْشٍ تَرَى ضَيْغَمًا ... وَلَا كُلُّ عُودٍ يُسَمَّى عَفَارَا

يُخْفِي ٱلْعَدَاوَةَ وَهْيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ نَظَرُ ٱلْعَدُوِّ بِمَا أَسَرَّ يَبُوحُ
يَا أَجَلَّ مَا بَعُدَتْ عَلَيْكَ بِلَادُنَا وَطِلَابُنَا فَارْعُدْ بِأَرْضِكَ وَابْرُقِ
يَمُرُّ وَعِيدُ ٱلظَّالِمِينَ بِسَمْعِهِ كَمَا طَنَّ فِي لَوْحِ ٱللُّجَيْنِ ذُبَابُ
يَلْقَاكَ وَٱلْعَسَلُ ٱلْمُصَفَّى يُجْتَنَى مِنْ قَوْلِهِ وَمِنَ ٱلْفِعَالِ ٱلْعَلْقَمُ

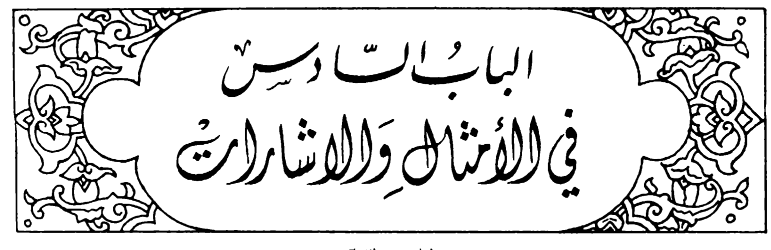
١١٤ نخبة من تغريد الصادح لابن حجة الحموي

مَنْ عَرَفَ ٱللهَ أَزَالَ ٱلتُّهَمَهْ وَقَالَ كُلُّ فِعْلِهِ لِلْحِكْمَهْ
وَمَنْ أَغَاثَ ٱلْبَائِسَ ٱلْمَلْهُوفَا أَغَاثَهُ ٱللهُ إِذَا أُخِيفَا
فَإِنَّ مِنْ خَلَائِقِ ٱلْكِرَامِ رَحْمَةَ ذِي ٱلْبَلَاءِ وَٱلْأَسْقَامِ
وَإِنَّ مِنْ شَرَائِطِ ٱلْعُلُوِّ أَلْعَطْفَ فِي ٱلْبُؤْسِ عَلَى ٱلْعَدُوِّ
لَا تَغْتَرِرْ بِٱلْحِفْظِ وَٱلسَّلَامَهْ فَإِنَّمَا ٱلْحَيَاةُ كَالْمُدَامَهْ
وَٱلْعُمْرُ مِثْلُ ٱلْكَاسِ وَٱلدَّهْرُ ٱلْقَذَرْ وَٱلصَّفْوُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ ٱلْكَدَرْ
فَإِنَّمَا ٱلرِّجَالُ بِٱلْإِخْوَانِ وَٱلْيَدُ بِٱلسَّاعِدِ وَٱلْبَنَانِ
وَمُوجِبُ ٱلصَّدَاقَةِ ٱلْمُسَاعَدَهْ وَمُقْتَضَى ٱلْمَوَدَّةِ ٱلْمُعَاضَدَهْ
وَإِنْ رَأَيْتَ ٱلنَّصْرَ قَدْ لَاحَ لَكَا فَلَا تُقَصِّرْ وَٱحْتَرِزْ أَنْ تَهْلِكَا
وَأَضْعَفُ ٱلْمُلُوكِ طُرًّا عَقْدَا مَنْ غَرَّهُ ٱلسِّلْمُ فَأَقْصَى ٱلْجُنْدَا
لَا تَيْأَسَنْ مِنْ فَرَجٍ وَلُطْفِ وَقُوَّةٍ تَظْهَرُ بَعْدَ ضُعْفِ
تُنَالُ بِٱلرِّفْقِ وَبِٱلتَّأَنِّي مَا لَمْ تُنَلْ بِٱلْحِرْصِ وَٱلتَّعَنِّي
لَا خَيْرَ فِي جَسَامَةِ ٱلْأَجْسَامِ بَلْ هُوَ فِي ٱلْعُقُولِ وَٱلْأَفْهَامِ
لَا تَحْتَقِرْ شَيْئًا صَغِيرًا مُحْتَقَرْ فَرُبَّمَا أَسَالَتِ ٱلدَّمَ ٱلْإِبَرْ

كَمْ حَسَنٍ ظَاهِرُهُ قَبِيحُ ... وَسَمِجٍ عُنْوَانُهُ مَلِيحُ
فَٱلْعَاقِلُ ٱلْكَامِلُ فِي ٱلرِّجَالِ ... لَا يَنْثَنِي لِزُخْرُفِ ٱلْمَقَالِ
مَا طَابَ فَرْعٌ أَصْلُهُ خَبِيثُ ... وَلَا زَكَا مَنْ مَجْدُهُ حَدِيثُ
وَٱلْبَغْيَ فَٱحْذَرْهُ وَخِيمُ ٱلْمَرْتَعِ ... وَٱلْعُجْبُ فَٱتْرُكْهُ شَدِيدُ ٱلْمَصْرَعِ
وَٱلْغَدْرُ بِٱلْعَهْدِ قَبِيحٌ جِدًّا ... شَرُّ ٱلْوَرَى مَنْ لَيْسَ يَرْعَى ٱلْعَهْدَا

١١٥ من قصيدة ابي العتاهية المثلية

إِنَّ ٱلشَّبَابَ وَٱلْفَرَاغَ وَٱلْجِدَهْ ... مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَهْ
يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ تَرْكُهُ ... يَرْتَهِنُ ٱلرَّأْيَ ٱلْأَصِيلَ شَكُّهُ
مَا عَيْشُ مَنْ آفَتُهُ بَقَاؤُهُ ... نَغَّصَ عَيْشًا كُلَّهُ فَنَاؤُهُ
يَا رُبَّ مَنْ أَسْخَطَنَا بِجُهْدِهِ ... قَدْ سَرَّنَا ٱللّٰهُ بِغَيْرِ حَمْدِهِ
مَا تَطْلُعُ ٱلشَّمْسُ وَلَا تَغِيبُ ... إِلَّا لِأَمْرٍ شَأْنُهُ عَجِيبُ
لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدِنٌ وَجَوْهَرُ ... وَأَوْسَطٌ وَأَصْغَرٌ وَأَكْبَرُ
وَكُلُّ شَيْءٍ لَاحِقٌ بِجَوْهَرِهْ ... أَصْغَرُهُ مُتَّصِلٌ بِأَكْبَرِهْ
مَنْ لَكَ بِٱلْمَحْضِ وَكُلٌّ مُمْتَزِجْ ... وَسَاوِسٌ فِي ٱلصَّدْرِ مِنْهُ تَخْتَلِجْ
أَلْخَيْرُ وَٱلشَّرُّ هُمَا أَزْوَاجُ ... لِذَا نِتَاجٌ وَلِذَا نِتَاجُ
مَنْ لَكَ بِٱلْمَحْضِ وَلَيْسَ مَحْضُ ... يَخْبُثُ بَعْضٌ وَيَطِيبُ بَعْضُ
وَٱلْخَيْرُ وَٱلشَّرُّ إِذَا مَا عُدَّا ... بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جِدًّا
عَجِبْتُ حَتَّى غَمَّنِي ٱلسُّكُوتُ ... صِرْتُ كَأَنِّي حَائِرٌ مَبْهُوتُ
كَذَا قَضَى ٱللّٰهُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ ... أَلصَّمْتُ إِنْ ضَاقَ ٱلْكَلَامُ أَوْسَعُ



الملك المتروي

١١٦ ذَكَرَ ٱلْحُكَمَاءُ . وَذَوُو ٱلْفَضْلِ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ . أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْصَارِ . تَاجِرٌ مِنْ أَعْيَانِ ٱلتُّجَّارِ . وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ مَخَايِلُ ٱلسَّعَادَةِ مِنْ جَبِينِهِ لَائِحَةٌ . وَرَوَائِحُ ٱلنَّجَابَةِ مِنْ أَذْيَالِ شَمَائِلِهِ فَائِحَةٌ . فَأَوْسَقَ لَهُ أَبُوهُ مَرْكَبًا مِنَ ٱلْمَتَاجِرِ وَٱلْمَنَافِعِ . وَأَخَذَ فِي تَعْبِيَةِ ٱلْبَضَائِعِ . وَسَلَّمَهُ إِلَى ٱلْهَوَاءِ وَٱلْمَاءِ . بَعْدَ أَنْ تَوَكَّلَ عَلَى رَبِّ ٱلسَّمَاءِ . فَسَارَ بَعْضَ أَيَّامٍ . وَهُوَ فِي أَهْنَإِ مَرَامٍ . وَأَطْيَبِ عَيْشٍ وَمَقَامٍ . أَلْمَاءُ رَائِقٌ . وَٱلْهَوَاءُ مُوَافِقٌ . وَٱلنَّكَدُ مُفَارِقٌ . وَٱلسُّرُورُ مُرَافِقٌ . وَبَيْنَمَا ٱلسَّفِينَةُ مِنْ نَسْفِ ٱلْعَوَاصِفِ أَمِينَةٌ . تُجَارِي ٱلسَّهْمَ وَٱلطَّيْرَ . وَتُبَارِي ٱلدُّهْمَ فِي ٱلسَّيْرِ . وَإِذَا بِٱلرِّيَاحِ هَاجَتْ . وَٱلْأَمْوَاجِ مَاجَتْ . وَأَثْبَاجِ ٱلْبَحْرِ تَصَادَمَتْ . وَأَطْوَادِ ٱلْأَمْوَاجِ عَلَى ٱلْعَرْفَاءِ تَلَاطَمَتْ . فَعَجَزَ ذٰلِكَ ٱلْمَلَّاحُ وَتَرَكَ شِيمَةَ ٱلْوَقَارِ وَٱلسَّكِينَةِ . وَرَقَمَ نَقْشُ ٱلْحُرُوفِ فِي أَلْوَاحِ ٱلسَّفِينَةِ . فَشَاهَدُوا مِنَ ٱلْهَوَاءِ ٱلْأَهْوَالَ . وَغَدَا قَاعُ ٱلْبَحْرِ كَٱلْجِبَالِ . وَصَارَ طَائِرُ ذٰلِكَ ٱلْغُرَابُ بِمَنْ فِيهِ مِنَ ٱلْأَصْحَابِ . كَأَحْوَالِ ٱلدُّنْيَا بَيْنَ صُعُودٍ وَهُبُوطٍ . وَقِيَامٍ وَسُقُوطٍ . طَوْرًا يُسَامُونَ ٱلْأَفْلَاكَ وَيُنَاجُونَ ٱلْأَمْلَاكَ . وَطَوْرًا يَهْبِطُونَ ٱلْغَوْرَ . وَيَنْظُرُونَ قَرْنَ ٱلثَّوْرِ .

وَرُبَّمَا مَرَقُوا مِنْهُ مِنْ تَحْتِ ٱلزَّوْرِ . فَلَمْ يَزَالُوا عَاجِزِينَ حَيَارَى سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى يَتَنَاشَدُونَ :

وَفُلْكٍ رَكِبْنَاهُ وَٱلْبَحْرُ ذُو هَوَاءٍ فَثَارَ وَحَارَ وَمَارَا
فَطَوْرًا عَلَوْنَا ٱلسَّمَاءَ وَطَوْرًا رُمِينَا إِلَى ٱلْأَرْضِ مِنْهَا ٱنْحِدَارَا

وَآخِرَ ٱلْأَمْرِ نَسَفَتِ ٱلسَّفِينَةَ ٱلرِّيَاحُ وَأَوْعَرَ ٱللهُ سَهْلَهَا . وَخَرَّقَهَا فَأَغْرَقَهَا وَأَهْلَهَا . وَذَهَبَ ٱلْبَحْرُ بِأَمْوَالِهَا وَأَرْوَاحِهَا . وَتَعَلَّقَ ٱلْغُلَامُ بِلَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِهَا . وَٱسْتَمَرَّ تَقْذِفُهُ ٱلْأَمْوَاجُ . وَتَصْطَدِمُ بِهِ أَثْبَاجُ ٱلْبَحْرِ ٱلْهَيَّاجِ . إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى سَاحِلٍ . فَخَرَجَ وَهُوَ كَئِيبٌ نَاحِلٌ . وَصَعِدَ إِلَى جَزِيرَةٍ . فَوَاكِهُهَا غَزِيرَةٌ . وَوَضْعُهَا عَجِيبٌ . لَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ . فَجَعَلَ يَمْشِي فِي جَنَّاتِهَا إِلَى أَنْ أَدَّاهُ ٱلتَّوْفِيقُ . إِلَى فَمِ طَرِيقٍ . فَسَارَ فِي تِلْكَ ٱلْجَادَّةِ . وَهِدَايَةُ ٱللهِ لَهُ مَادَّةٌ . فَٱنْتَهَى بِهِ ٱلْمَسِيرُ . إِلَى أَنْ تَرَاءَى لَهُ سَوَادٌ كَبِيرٌ . وَبَلَغَ مَمْلَكَةً عَظِيمَةً . وَوِلَايَةً جَسِيمَةً . وَرَأَى عَلَى بُعْدٍ مَدِينَةً . مُسَوَّرَةً حَصِينَةً . فَعَمَدَ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْبَلَدِ . وَتَوَجَّهَ نَحْوَهُ وَقَصَدَ . فَٱسْتَقْبَلَهُ طَائِفَةٌ مِنَ ٱلرِّعَالِ . نِسَاءٌ وَرِجَالٌ . يَتْبَعُهُمْ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ . وَطَوَائِفُ مُحَشَّدَةٌ . مِنْ طُبُولٍ تُضْرَبُ . وَفَوَارِسَ تَلْعَبُ . وَزُمُورٍ تَزْعَقُ . وَأَلْسِنَةٍ بِٱلثَّنَاءِ تَنْطِقُ . حَتَّى إِذَا وَصَلُوا إِلَيْهِ . تَرَامَوْا عَلَيْهِ . وَأَكَبُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ . يُقَبِّلُونَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ . مُسْتَبْشِرِينَ بِرُؤْيَتِهِ . مُتَبَرِّكِينَ بِطَلْعَتِهِ . ثُمَّ أَلْبَسُوهُ ٱلْخِلَعَ ٱلسَّنِيَّةَ . وَقَدَّمُوا لَهُ فَرَسًا عَلِيَّةً . بِكَنْبُوشِ ذَهَبٍ . وَسَرْجٍ مُغْرَقٍ . وَوَضَعُوا

لَهُ ٱلتَّاجَ عَلَى ٱلْمَفْرِقِ. وَمَشَوْا فِي ٱلْخِدْمَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَٱلْجَنَائِبُ فِي ٱلْمَوَاكِبِ تُجَرُّ لَدَيْهِ. يُنَادُونَ: حَاشَاكَ وَإِلَيْكَ. سُلْطَانُ ٱلنَّاسِ قَادِمٌ عَلَيْكَ. حَتَّى وَصَلُوا إِلَى ٱلْمَدِينَةِ. وَدَخَلُوا قَلْعَتَهَا ٱلْحَصِينَةَ. فَفَرَشُوا شُقَقَ ٱلْحَرِيرِ. وَنَثَرُوا ٱلنِّثَارَ ٱلْكَثِيرَ. وَأَجْلَسُوهُ عَلَى ٱلسَّرِيرِ. وَأَطْلَقُوا مَجَامِرَ ٱلنَّدِّ وَٱلْعَبِيرِ. وَوَقَفَ فِي خِدْمَتِهِ ٱلصَّغِيرُ وَٱلْكَبِيرُ. وَٱلْمَأْمُورُ وَٱلْأَمِيرُ وَٱلدَّسْتُورُ وَٱلْوَزِيرُ. وَأَنْشَدُوهُ:

قَدِمْتَ قُدُومَ ٱلْبَدْرِ بَيْتَ سُعُودِهِ وَأَمْرُكَ فِينَا صَاعِدٌ كَصُعُودِهِ

(قَالُوا): إِعْلَمْ يَا مَوْلَانَا أَنَّكَ صِرْتَ لَنَا سُلْطَانًا وَنَحْنُ كُلُّنَا عَبِيدُكَ. وَتَابِعُ مُرَادِكَ وَمُرِيدُكَ. فَٱفْعَلْ مَا تَخْتَارُ. وَتَحَكَّمْ فِي ٱلْكِبَارِ مِنَّا وَٱلصِّغَارِ. وَأْمُرْ فَٱمْتِثَالُ أَمْرِكَ عَلَيْنَا مَحْتُومٌ. وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ فِي خِدْمَتِكَ مَقَامٌ مَعْلُومٌ. فَجَعَلَ يَتَفَكَّرُ فِي أَمْرِهِ وَمَبْدَاهُ. وَيَتَأَمَّلُ مَا صَارَ إِلَيْهِ وَيَتَدَبَّرُ فِي مُنْتَهَاهُ. فَقَالَ: إِنَّ هٰذَا ٱلْأَمْرَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ سَبَبٍ. وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ آخِرٍ وَمُنْقَلَبٍ. فَإِنَّهُ لَمْ يَصْدُرْ فِي عَالَمِ ٱلْكَوْنِ سُدًى. وَإِنَّ لِهٰذَا ٱلْيَوْمِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ غَدًا. وَإِنَّ ٱلصَّانِعَ ٱلْقَدِيمَ ٱلْقَادِرَ ٱلْحَكِيمَ. ٱلسَّمِيعَ ٱلْعَلِيمَ ٱلْبَصِيرَ ٱلْحَيَّ ٱلْمُدَبِّرَ ٱلْكَرِيمَ. لَمْ يُقَدِّرْ هٰذِهِ ٱلْأَفْعَالَ. عَلَى سَبِيلِ ٱلْإِهْمَالِ. وَلَمْ يُحْدِثْ حَدَثًا لَعِبًا وَلَا عَبَثًا. وَجَعَلَ يُلَازِمُ هٰذِهِ ٱلْأَفْكَارَ. آنَاءَ ٱللَّيْلِ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ. وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ قَائِمٌ بِشُكْرِ ٱلنِّعْمَةِ. مُلَازِمٌ بَابَ مَوْلَاهُ بِٱلطَّاعَةِ وَٱلْخِدْمَةِ. وَاضِعُ ٱلْأَشْيَاءِ فِي مَحَلِّهَا. وَٱلْمَنَاصِبِ فِي يَدِ أَهْلِهَا. مُلْتَفِتٌ إِلَى أَحْوَالِ ٱلرَّعِيَّةِ عَامِلٌ بَيْنَهُمْ بِٱلْعَدْلِ

وَٱلسَّوِيَّةِ . مُتَعَهِّدٌ أُمورَ ٱلْكِبَارِ وَٱلصِّغَارِ . بِأَنْوَاعِ ٱلْإِحْسَانِ وَأَصْنَافِ ٱلْمَبَارّ . مُؤَسِّسٌ قَوَاعِدِ ٱلْمَمْلَكَةِ وَٱلسَّلْطَنَةِ عَلَى أَرْكَانِ ٱلْعَقْلِ وَٱلْعَدْلِ مَهْمَا أَمْكَنَهُ . مُتَفَحِّصٌ عَنْ مَصَالِحِ ٱلْمَمْلَكَةِ . سَالِكٌ مَعَ كُلٍّ مِنْ أَرْبَابِ ٱلْوَظَائِفِ مَا يَقْتَضِي مَسْلَكُهُ . ثُمَّ وَقَعَ ٱخْتِيَارُهُ مِنْ بَيْنِ أُولَٰئِكَ ٱلْجَمَاعَةِ عَلَى شَابٍّ جَلِيلِ ٱلْبَرَاعَةِ . لَهُ فِي سُوقِ ٱلْفَضْلِ وَٱلْوَفَاءِ أَوْفَرُ بِضَاعَةٍ . مُتَّصِفٌ بِأَنْوَاعِ ٱلْكَمَالِ مُتَحَلٍّ بِزِينَةِ ٱلْأَدَبِ وَٱلْجَمَالِ . فَٱتَّخَذَهُ وَزِيرًا . وَفِي أُمُورِهِ نَاصِحًا وَمُشِيرًا . فَجَعَلَ يُلَاطِفُهُ وَيُرْضِيهِ . وَيُكَرِّمُهُ وَيُدْنِيهِ . وَيُفِيضُ عَلَيْهِ مِنْ مَلَابِسِ ٱلْإِنْعَامِ . وَخِلَعِ ٱلْإِفْضَالِ وَٱلْإِكْرَامِ . مَا مَلَكَ بِهِ حَبَّةَ قَلْبِهِ . وَٱسْتَصْفَى خَالِصَ وِدِّهِ وَلُبِّهِ . وَسَكَنَ فِي سُوَيْدَائِهِ . وَتَمَكَّنَ بِهِ مِنْ ضَمِيرِ أَحْشَائِهِ . إِلَى أَنِ ٱخْتَلَى بِهِ وَتَلَطَّفَ فِي خِطَابِهِ . وَٱسْتَنْصَحَهُ فِي جَوَابِهِ . وَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِ إِمْرَتِهِ وَمُوجِبِ رِفْعَتِهِ وَسَلْطَنَتِهِ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةِ ٱلرِّفَاقِ . وَلَا أَهْلِيَّةٍ وَلَا ٱسْتِحْقَاقٍ . وَلَا هُوَ مِنْ بَيْتِ ٱلْمُلْكِ . وَلَا فِي بَحْرِ ٱلسَّلْطَنَةِ لَهُ فُلْكٌ . وَلَا مَعَهُ مَالٌ وَلَا خَيْلٌ يَهْدِيهَا . وَلَا رِجَالٌ وَلَا مَعْرِفَةٌ يُدْلِي بِهَا . وَلَا شَجَاعَةٌ وَفَضِيلَةٌ يَهْتَدِي بِتَهْذِيبِهَا . فَقَالَ ذَٰلِكَ ٱلشَّابُّ فِي ٱلْجَوَابِ : ٱعْلَمْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْأَعْظَمُ أَنَّ هٰذِهِ ٱلْبَلْدَةَ وَعَسَاكِرَ إِقْلِيمِهَا وَجُنْدَهُ قَدِ ٱخْتَرَعُوا أَمْرًا . وَٱصْطَلَحُوا عَلَى عَادَةٍ تَجْرِي . سَأَلُوا ٱلرَّحْمٰنَ أَنْ يُقَيِّضَ لَهُمْ فِي أَوَانٍ . شَخْصًا مِنْ جِنْسِ ٱلْإِنْسَانِ . يَكُونُ عَلَيْهِمْ ذَا سُلْطَانٍ . فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَٰلِكَ . فَسَلَكُوا فِي أَمْرِهِ هٰذِهِ ٱلْمَسَالِكَ . وَذَٰلِكَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي قَدِمْتَ عَلَيْهِمْ يُرْسِلُ ٱللّٰهُ تَعَالَى

رَجُلًا مِنْ عَالَمِ ٱلْغَيْبِ إِلَيْهِمْ. فَيَسْتَقْبِلُونَهُ كَمَا ٱسْتَقْبَلُوكَ. وَيَسْلُكُونَ مَعَهُ طَرِيقَةَ ٱلْمُلُوكِ. مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ وَلَا زِيَادَةٍ. وَقَدْ صَارَتْ هٰذِهِ لَهُمْ عَادَةً. فَيَسْتَمِرُّ عَلَيْهِمْ سَنَةً. فِي هٰذِهِ ٱلْمَرْتَبَةِ ٱلْحَسَنَةِ. فَإِذَا ٱنْقَضَى ٱلْأَجَلُ ٱلْمَعْدُودُ. وَجَاءَ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْمَوْعُودُ. عَمَدُوا إِلَى ذٰلِكَ ٱلسُّلْطَانِ وَقَدْ صَارَ فِيهِمْ ذَا إِمْكَانٍ وَمَكَانٍ وَعُلْقَةٍ وَنَشَبٍ. وَإِخَاءٍ وَنَسَبٍ. وَثَبَتَتْ لَهُ أَوْتَادٌ. وَصَارَ لَهُ أَهْلٌ وَأَوْلَادٌ. جَرُّوهُ بِرِجْلِهِ مِنَ ٱلتَّخْتِ. وَسَلَبُوهُ ثَوْبَ ٱلْعِزَّةِ وَٱلرَّخْتِ. وَأَلْبَسُوهُ ثَوْبَ ٱلذُّلِّ وَٱلنَّكَالِ. وَأَوْثَقُوهُ بِٱلسَّلَاسِلِ وَٱلْأَغْلَالِ. وَحَمَلَهُ ٱلْأَهْلُ وَٱلْأَقَارِبُ. وَأَتَوْا بِهِ إِلَى بَحْرٍ قَرِيبٍ فَوَضَعُوهُ فِي قَارِبٍ. وَسَلَّمُوهُ إِلَى مُوَكَّلِينَ لِيُوصِلُوهُ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْجَانِبِ. فَيُوصِلُوهُ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْبَرِّ. وَهُوَ قَفْرٌ أَغْبَرُ. لَيْسَ بِهِ أَنِيسٌ وَلَا رَفِيقٌ. وَلَا جَلِيسٌ وَلَا صَدِيقٌ. وَلَا زَادٌ وَلَا مَاءٌ. وَلَا نُشُوءٌ وَلَا نَمَاءٌ. وَلَا مُغِيثٌ وَلَا مُعِينٌ. وَلَا قَرِيبٌ وَلَا قَرِينٌ. وَلَا قُدْرَةٌ وَلَا إِمْكَانٌ. عَلَى ٱلْوُصُولِ إِلَى ٱلْعُمْرَانِ. وَلَا ظِلٌّ وَلَا ظَلِيلٌ. وَلَا إِلَى ٱلْخَلَاصِ سَبِيلٌ. وَلَا إِلَى طَرِيقِ ٱلنَّجَاةِ دَلِيلٌ. فَيَسْتَمِرُّ هُنَاكَ فَرِيدًا طَرِيدًا إِلَى أَنْ يَهْلِكَ عَطَشًا وَجُوعًا. لَا يَمْلِكُ إِقَامَةً وَلَا يَسْتَطِيعُ رُجُوعًا. ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ أَهْلُ هٰذِهِ ٱلْبِلَادِ. مَا لَهُمْ مِنْ فِعْلٍ مُعْتَادٍ. فَيَخْرُجُونَ بِٱلْأُهْبَةِ ٱلْكَامِلَةِ. إِلَى تِلْكَ ٱلطَّرِيقِ ٱلسَّابِلَةِ. فَيُقَيِّضُ ٱللهُ تَعَالَى لَهُمْ رَجُلًا. فَيَفْعَلُونَ مَعَهُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا مَعَ غَيْرِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا. وَهٰذَا دَأْبُهُمْ وَدَيْدَنُهُمْ. وَقَدْ ظَهَرَ لَكَ ظَاهِرُهُمْ وَبَاطِنُهُمْ. فَقَالَ ذٰلِكَ ٱلْغُلَامُ ٱلْمُفْلِحُ. لِذٰلِكَ

ٱلْوَزِيرُ ٱلْمُصْلِحُ : فَهَلِ ٱطَّلَعَ أَحَدٌ مِمَّنْ تَقَدَّمَ عَلَى عَاقِبَةِ هٰذَا ٱلْمَأْثَمِ . قَالَ : كُلٌّ عَرَفَ ذٰلِكَ . وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ عَنْ قَرِيبٍ هَالِكٌ . وَلٰكِنْ غُرُورُ ٱلسَّلْطَنَةِ يُلْهِيهِ . وَسُرُورُ ٱلتَّحَكُّمِ وَٱلتَّسَلُّطِ يُطْغِيهِ . وَحُضُورُ ٱللَّذَّةِ ٱلْحَاصِلَةِ لِسُوءِ ٱلْعَاقِبَةِ يُنْسِيهِ . وَلَا يُفِيقُ مِنْ غَفْلَتِهِ . وَيَسْتَيْقِظُ مِنْ رَقْدَتِهِ . إِلَّا وَعَامُهُ قَدْ مَضَى . وَٱلْأَجَلُ ٱلْمَضْرُوبُ قَدِ ٱنْقَضَى . وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ نَوَازِلُ ٱلْبَلَاءِ . وَهَجَمَ عَلَيْهِ بَوَازِلُ ٱلْقَضَاءِ . فَيَسْتَغِيثُ . وَلَا مُغِيثٌ . وَيُنَادِي ٱلْخَلَاصَ . وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْغُلَامُ . هٰذَا ٱلْكَلَامَ . أَطْرَقَ مُفَكِّرًا . وَبَقِيَ مُتَحَيِّرًا . وَعَلِمَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْ أَمْرَهُ وَيَتَلَافَ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ وَيَتَدَبَّرْ حَالَهُ . وَمَصِيرَهُ وَمَآلَهُ . هَلَكَ هَلَاكَ ٱلْأَبَدِ . وَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ . فَأَخَذَ يُفَكِّرُ فِي وَجْهِ ٱلْخَلَاصِ . وَٱلتَّفَصِّي مِنْ شَرَكِ ٱلِاقْتِنَاصِ . ثُمَّ قَالَ لِلْوَزِيرِ ٱلنَّاصِحِ ٱلْخَبِيرِ : أَيُّهَا ٱلرَّفِيقُ ٱلشَّفِيقُ . وَٱلنَّصُوحُ ٱلصَّدِيقُ . جَزَاكَ ٱللهُ خَيْرًا . وَكَفَاكَ ضَيْمًا وَضَيْرًا . إِنِّي قَدْ فَكَّرْتُ فِي شَيْءٍ يَنْفَعُ نَفْسِي وَيُحْيِيهَا . وَيَدْفَعُ شَرَّ هٰذِهِ ٱلْبَلِيَّةِ ٱلَّتِي وَقَعْتُ فِيهَا . وَلَمْ يَبْقَ جِهَةُ مَخْلَصٍ . مِنْ هٰذَا ٱلْمَقْنَصِ . إِلَّا طَرِيقٌ وَاحِدٌ . وَسَبِيلٌ غَيْرُ مُتَعَاهَدٍ . وَهُوَ أَنْ تَأْخُذَ طَائِفَةً مِنَ ٱلْبَنَّائِينَ . وَجَمَاعَةً مِنَ ٱلْمُهَنْدِسِينَ وَٱلنَّجَّارِينَ . فَتَأْمُرَهُمْ أَنْ يَبْنُوا لَنَا هُنَاكَ مَدِينَةً . وَيُشَيِّدُوا لَنَا فِيهَا أَمَاكِنَ مَكِينَةً . وَمَخَازِنَ وَحَوَاصِلَ . وَتَمْلَأَهَا مِنَ ٱلزَّادِ ٱلْمُتَوَاصِلِ . مِنَ ٱلْمَآكِلِ ٱلطَّيِّبَةِ . وَٱلْأَطْعِمَةِ وَٱلْأَشْرِبَةِ ٱللَّذِيذَةِ ٱلْمُسْتَعْذَبَةِ . وَلَا تَغْفَلَ عَنِ ٱلْإِرْسَالِ . وَلَا تُجِيزَ ٱلْإِمْهَالَ وَٱلْإِهْمَالَ . فِي ٱلظَّهِيرَةِ وَٱلْأَسْحَارِ وَٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ . إِذْ

أَوْقَاتُنَا مَحْدُودَةٌ. وَأَنفَاسُنَا مَعْدُودَةٌ. وَسَاعَةٌ تَمْضِي مِنْهَا غَيْرُ مَرْدُودَةٍ. بِحَيْثُ إِذَا نُقِلْنَا مِنْ هٰذِهِ ٱلدِّيَارِ. وَطُرِحْنَا فِي تِلْكَ ٱلْمَهَامِهِ وَٱلْقِفَارِ. وَجَفَانَا ٱلْأَصْحَابُ. وَتَخَلَّى ٱلْأَخِلَّاءُ عَنَّا وَٱلْأَحْبَابُ. وَأَنْكَرَنَا ٱلْمَعَارِفُ وَٱلْأَوِدَّاءُ. وَٱحْتَوَشَتْنَا فِي تِلْكَ ٱلْبَيْدَاءِ. فُنُونُ ٱلدَّاءِ. نَجِدُ مَا نَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ ٱلْأَوَدِ. مُدَّةَ إِقَامَتِنَا فِي ذٰلِكَ ٱلْبَلَدِ. فَأَجَابَ بِٱلسَّمْعِ وَٱلطَّاعَةِ. وَٱخْتَارَ مِنَ ٱلْبَنَّائِينَ جَمَاعَةً. وَأَحْضَرَ ٱلْمَرَاكِبَ. وَقَطَعَ ٱلْبَحْرَ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْجَانِبِ. وَجَعَلَ ٱلْمَلِكُ يُمِدُّهُمْ بِٱلْآلَاتِ وَٱلْأَدَوَاتِ. عَلَى عَدَدِ ٱلْأَنْفَاسِ وَمَدَى ٱلسَّاعَاتِ. إِلَى أَنْ أَنْهَى ٱلْبَنَّاؤُونَ ٱلْعِمَارَةَ. وَأَكْمَلُوا حَوَاصِلَ ٱلْمَلِكِ وَدَارَهُ. وَأَجْرَوْا فِيهَا ٱلْأَنْهَارَ. وَغَرَسُوا فِيهَا ٱلْأَشْجَارَ. فَصَارَتْ تَأْوِي إِلَيْهَا ٱلْأَطْيَارُ. وَيَتَرَنَّمُ فِيهَا ٱلْبُلْبُلُ وَٱلْهَزَارُ. وَغَدَتْ مِنْ أَحْسَنِ ٱلْأَمْصَارِ. وَبَنَوْا حَوَالَيْهَا ٱلضِّيَاعَ وَٱلْقُرَى. وَزَرَعُوا مِنْهَا ٱلْوِهَادَ وَٱلثَّرَى. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهَا مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ ٱلْخَزَائِنِ. وَنَفَائِسِ ٱلْجَوَاهِرِ وَٱلْمَعَادِنِ. وَجَهَّزَ ٱلْخَدَمَ وَٱلْحَشَمَ. وَصُنُوفَ ٱلِٱسْتِعْدَادَاتِ مِنَ ٱلنِّعَمِ. فَمَا ٱنْقَضَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ. وَدَنَتْ أَوْقَاتُ هُلْكِهِ. إِلَّا وَنَفْسُهُ إِلَى مَدِينَتِهِ تَاقَتْ. وَرُوحُهُ إِلَى مُشَاهَدَتِهَا ٱشْتَاقَتْ. وَهُوَ مُسْتَوْفِزٌ لِلرَّحِيلِ. وَرَابِضٌ لِلنُّهُوضِ وَٱلتَّحْوِيلِ. فَلَمَّا تَكَامَلَ لَهُ فِي ٱلْمُلْكِ ٱلْعَامُ. لَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ ٱلْخَاصُّ وَٱلْعَامُّ. مِمَّنْ كَانَ يَفْدِيهِ بِرُوحِهِ. مِنْ خَادِمِهِ وَنَصُوحِهِ. وَمَنْ كَانَ سَامِعًا لِكَلِمَتِهِ. مِنْ أَعْيَانِ خَدَمِهِ وَحَشَمِهِ. وَقَدْ تَجَرَّدُوا لِجَذْبِهِ مِنَ ٱلسَّرِيرِ. وَنَزْعِ مَا عَلَيْهِ مِنْ لِبَاسِ ٱلْحَرِيرِ. وَمَشَوْا عَلَى عَادَتِهِمِ ٱلْقَدِيمَةِ.

وَسَلَبُوهُ مَمْلَكَتَهُ ٱلْعَظِيمَةَ ٠ وَزَالَتِ ٱلْحِشْمَةُ وَٱلْكَلِمَةُ وَٱلْحُرْمَةُ ٠ وَشَدُّوا وِثَاقَهُ وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى ٱلْحَرَّاقَةِ وَوَضَعُوهُ ٠ وَقَدْ رَبَطُوهُ فِي ٱلْمَرْكَبِ ٱلَّذِي هَيَّأُوهُ ٠ وَأَوْصَلُوهُ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْبَرِّ مِنَ ٱلْبَحْرِ ٠ فَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ إِلَّا وَقَدْ أَقْبَلَتْ خَدَمُهُ عَلَيْهِ ٠ وَتَمَثَّلَتْ طَوَائِفُ ٱلْحَشَمِ وَٱلنَّاسِ لَدَيْهِ ٠ وَدُقَّتِ ٱلْبَشَائِرُ لِمَقْدَمِهِ ٠ وَحَلَّ فِي سُرُورِهِ ٱلْمُقِيمِ وَنَعِمِهِ ٠ وَٱسْتَمَرَّ فِي أَتَمِّ سُرُورٍ وَٱسْتَقَرَّ فِي أَوْفَرِ حُبُورٍ (ملخص عن فاكهة الخلفاء لابن عربشاه)

نخبة

من كشف الاسرار عن حكم الطيور والازهار لابن غانم المقدسي

المقدّمة

١١٧ لَقَدْ أَخْرَجَنِي ٱلْفِكْرُ يَوْمًا لِأَنْظُرَ مَا أَحْدَثَتْهُ أَيْدِي ٱلْقِدَمِ فِي ٱلْحَدَثِ ٠ وَأَوْجَدَتْهُ ٱلْحِكْمَةُ ٱلْبَالِغَةُ لَا لِلْعَبَثِ ٠ فَٱنْتَهَيْتُ إِلَى رَوْضَةٍ قَدْ رَقَّ أَدِيمُهَا ٠ وَرَاقَ نَسِيمُهَا ٠ وَنَمَّ طِيبُهَا ٠ وَغَنَّى عَنْدَلِيبُهَا ٠ وَتَحَرَّكَتْ عِيدَانُهَا ٠ وَتَمَايَلَتْ أَغْصَانُهَا ٠ وَتَبَلْبَلَتْ بَلَابِلُهَا ٠ وَتَسَلْسَلَتْ جَدَاوِلُهَا ٠ وَتَسَرَّحَتْ أَنْهَارُهَا ٠ وَتَضَوَّعَتْ أَقْطَارُهَا ٠ وَتَنَمَّقَتْ أَزْهَارُهَا ٠ وَصَوَّتَ هَزَارُهَا ٠ فَقُلْتُ : يَا لَهَا مِنْ رَوْضَةٍ مَا أَهْنَاهَا ٠ وَخَلْوَةٍ مَا أَصْفَاهَا ٠ فَيَا لَيْتَنِي ٱسْتَصْحَبْتُ صَدِيقًا حَمِيمًا ٠ يَكُونُ لِطِيبِ حَضْرَتِي نَدِيمًا ٠ فَنَادَانِي لِسَانُ ٱلْحَالِ ٠ فِي ٱلْحَالِ ٠ أَتُرِيدُ نَدِيمًا أَحْسَنَ مِنِّي ٠ أَوْ مُجِيبًا أَفْصَحَ مِنِّي ٠ وَلَيْسَ فِي حَضْرَتِكَ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ نَاطِقٌ بِلِسَانِ حَالِهِ ٠ مُنَادٍ عَلَى نَفْسِهِ بِدُنُوِّ ٱرْتِحَالِهِ ٠ فَٱسْمَعْ لَهُ إِنْ كُنْتَ مِنْ رِجَالِهِ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ نَسِيمَ ٱلصَّبَا لَهُ نَفَسٌ نَشْرُهُ صَاعِدُ
فَطَوْرًا يَنُوحُ وَطَوْرًا يَفُوحُ كَمَا يَفْعَلُ ٱلْفَاقِدُ ٱلْوَاجِدُ
وَسَكْبُ ٱلْغَمَامِ وَنَدْبُ ٱلْحَمَامِ إِذَا مَا شَكَا غُصْنُهُ ٱلْمَائِدُ
وَنُورُ ٱلصَّبَاحِ وَنَوْرُ ٱلْأَقَاحِ وَقَدْ هَزَّهُ ٱلْبَارِقُ ٱلرَّاعِدُ
وَوَافَى ٱلرَّبِيعُ بِمَعْنًى بَدِيعٍ يُتَرْجِمُهُ وِرْدُهُ ٱلْوَارِدُ
وَكُلٌّ لِأَجْلِكَ مُسْتَنْبِطٌ لِمَا فِيهِ نَفْعُكَ يَا جَاحِدُ
وَكُلٌّ لِآلَائِهِ ذَاكِرٌ مُقِرٌّ لَهُ شَاكِرٌ حَامِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

اشارة النسيم

١١٨ فَأَوَّلُ مَا سَمِعْتُ هَمْهَمَةُ ٱلنَّسِيمِ ٠ يَتَرَنَّمُ بِصَوْتِهِ ٱلرَّخِيمِ ٠ يَقُولُ بِلِسَانِ حَالِهِ ٠ مُفْصِحًا عَنْ سَقَمِهِ وَٱنْتِحَالِهِ : أَنَا لَيِّنُ ٱلْأَعْطَافِ ٠ هَيِّنُ ٱلِٱنْعِطَافِ ٠ سَرِيعُ ٱلِٱئْتِلَافِ ٠ يَعْتَرِفُ بِلُطْفِي ذَوُو ٱلْأَلْطَافِ ٠ وَلَوْلَا وُجُودِي فِي ٱلْجَوِّ ٱلْجَافِّ ٠ وَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ ٱخْتِلَافَ أَهْوَائِي ٠ سَبَبُ إِغْوَائِي ٠ بَلْ أَخْتَلِفُ فِي ٱلْفُصُولِ ٱلْأَرْبَعِ ٠ لِمَا هُوَ أَصْلَحُ لَكَ وَأَنْفَعُ ٠ فَأَهُبُّ فِي ٱلرَّبِيعِ شَمَالًا فَأُلَقِّحُ ٱلْأَشْجَارَ ٠ وَأَعْدِلُ فَصْلَ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ٠ وَأَهُبُّ فِي ٱلصَّيْفِ صَبًا فَأُنْمِي ٱلثِّمَارَ ٠ وَأُصَفِّي ٱلْأَشْجَارَ ٠ وَأَهُبُّ فِي ٱلْخَرِيفِ جَنُوبًا فَتَأْخُذُ كُلُّ ثَمَرَةٍ حَدَّ طِيبِهَا ٠ وَتَسْتَوْفِي حَقَّ تَرْكِيبِهَا ٠ وَأَهُبُّ فِي ٱلشِّتَاءِ دَبُورًا لِيَخِفَّ عَنْ كُلِّ شَجَرَةٍ حَمْلُهَا ٠ وَيَجِفَّ وَرَقُهَا وَيَبْقَى أَصْلُهَا ٠ فَأَنَا ٱلَّذِي تَنْمُو بِيَ ٱلثِّمَارُ ٠ وَتَزْهُو بِيَ ٱلْأَزْهَارُ ٠

وَتَسَلْسَلُ بِيَ ٱلْأَنْهَارُ . وَتُلْقَحُ ٱلْأَشْجَارُ

اشارة الورد

١١٩ ثُمَّ سَمِعْتُ إِشَارَةَ ٱلشَّحَارِيرِ بِأَفْنَانِهَا . وَٱلْأَزَاهِيرِ فِي تَلَوُّنِ أَلْوَانِهَا . إِذْ قَامَ ٱلْوَرْدُ يُخْبِرُ عَنْ طِيبِ وُرُودِهِ . وَيُعَرِّفُ بِعَرْفِهِ عَنْ شُهُودِهِ . وَيَقُولُ أَنَا ٱلضَّيْفُ ٱلْوَارِدُ بَيْنَ ٱلشِّتَاءِ وَٱلصَّيْفِ . أَزُورُ زِيَارَةَ ٱلطَّيْفِ . فَٱغْتَنِمُوا وَقْتِي فَٱلْوَقْتُ سَيْفٌ . . . فَأَنَا ٱلزَّائِرُ وَأَنْتَ ٱلْمَزُورُ . وَٱلطَّمَعُ فِي بَقَاءِي زُورٌ . ثُمَّ مِنْ عَلَامَةِ ٱلدَّهْرِ ٱلْمَكْدُورِ . وَٱلْعَيْشِ ٱلْمَمْرُورِ . أَنَّنِي حَيْثُ مَا نَبَتُّ دَائِرُ ٱلْأَشْوَاكِ تُزَاحِمُنِي . وَتُجَاوِرُنِي . فَأَنَا بَيْنَ ٱلْأَدْغَالِ مَطْرُوحٌ . وَبِنِبَالِ شَوْكِي مَجْرُوحٌ . وَهٰذَا دَمِي عَلَى مَا عِنْدِي يَلُوحُ . فَهٰذَا حَالِي وَأَنَا أَشْرَفُ ٱلْوُرَّادِ . وَأَلْطَفُ ٱلْأَوْرَادِ . فَمَنْ ذَا ٱلَّذِي سَلِمَ مِنَ ٱلْأَنْكَادِ . وَمَنْ صَبَرَ عَلَى مَرَارَةِ ٱلدُّنْيَا فَقَدْ بَلَغَ ٱلْمُرَادَ . فَبَيْنَمَا أَنَا أَرْفُلُ فِي حُلَلِ ٱلنَّضَارَةِ . إِذِ ٱقْتَطَفَتْنِي أَيْدِي ٱلنَّظَّارَةِ . فَأَسْلَمَتْنِي مِنْ بَيْنِ ٱلْأَزَاهِيرِ . إِلَى ضِيقِ ٱلْقَوَارِيرِ . فَيُذَابُ جَسَدِي . وَتُحْرَقُ كَبِدِي . وَيُمَزَّقُ جِلْدِي . وَيَقْطُرُ دَمْعِي ٱلنَّدِي . فَلَا يُقَامُ بِأَوَدِي :

فَإِنْ غِبْتُ جِسْمًا كُنْتُ بِٱلرُّوحِ حَاضِرًا فَقُرْبِي سَوَاءٌ إِنْ تَأَمَّلْتَ وَٱلْبُعْدُ

وَبِٱللّٰهِ مَنْ أَضْحَى مِنَ ٱلنَّاسِ قَائِلًا كَأَنَّكَ مَاءُ ٱلْوَرْدِ إِذْ ذَهَبَ ٱلْوَرْدُ

اشارة المرسين

١٢٠ فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْمَرْسِينُ كَلَامَ ٱلْوَرْدِ . قَالَ قَدْ بَاحَ ٱلنَّسِيمُ بِسِرِّهِ . وَنَشَرَ ٱلسَّحَابُ عُقُودَ دُرِّهِ . وَتَضَوَّعَ ٱلْبَهَارُ بِذُخْرِهِ . وَتَبَهْرَجَ ٱلرَّبِيعُ

بِقَلَائِدِ فَخْرِهِ. وَخَلَعَ ٱلْوَرْدُ عِذَارَهُ. وَسَحَبَ عَنِ ٱلرَّوْضِ ٱلْأَنِيقِ أَزْهَارَهُ. فَقُمْ بِنَا نَتَفَرَّجْ. وَنَتِيهُ بِحُسْنِنَا وَنَتَبَهْرَجُ. فَأَيَّامُ ٱلسُّرُورِ نَخْتَلِسُ. وَأَوْقَاتُهُ بِأَسْرِهَا نَحْتَبِسُ. فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْوَرْدُ كَلَامَ ٱلْمَرْسِينِ. قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ ٱلرَّيَاحِينِ. بِئْسَ مَا قُلْتَ. وَلَوْ جُمِعَ بِكَ ٱلْغَضَبُ مَا صُلْتَ. فَقَدْ نَزَلْتَ عَنْ شِيَمِ ٱلْأُمَرَاءِ. بِعَدَمِ تَأَمُّلِكَ ٱلصَّوَابَ مِنَ ٱلْآرَاءِ. فَمَنِ ٱلْمُصِيبُ إِذَا زَلَلْتَ. وَمَنِ ٱلْهَادِي إِذَا ضَلَلْتَ. تَأْمُرُ بِٱللَّهْوِ عِنْدَكَ. وَتُحَرِّضُ عَلَى ٱلتَّنَزُّهِ جُنْدَكَ. وَأَمِيرُ ٱلرَّعِيَّةِ. صَاحِبُ ٱلْفِكْرَةِ ٱلرَّدِيَّةِ. فَلَا يُعْجِبْكَ حُسْنُكَ. إِذَا تَمَايَلَ غُصْنُكَ. وَٱخْضَرَّ أَوْرَاقُكَ. وَأَكْرَمَ أَعْرَاقُكَ. فَأَيَّامُ ٱلشَّبَابِ سَرِيعَةُ ٱلزَّوَالِ. دَارِسَةُ ٱلطَّلَالِ. كَٱلطَّيْفِ ٱلطَّارِقِ. وَٱلْخَيَالِ ٱلْمَارِقِ. وَكَذَٰلِكَ ٱلشَّبَابُ. أَخْضَرُ ٱلْجِلْبَابِ وَٱلثِّيَابِ. مُخْتَلِفُ ٱلْأَجْنَاسِ. كَٱخْتِلَافِ ٱلْحَيَوَانِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ. فَمِنْهَا مَا يُشَمُّ وَيَذْبُلُ. وَيُحَوَّلُ خِطَابُهُ وَيُنْقَلُ. وَتَطْرُقُهُ حَوَادِثُ ٱلْأَيَّامِ. وَيَعُودُ مَطْرُوحًا عَلَى ٱلْأَكْوَامِ. وَمِنْهَا مَا يُؤْكَلُ ثِمَارُهُ. وَتُجَدُّ فِي ٱلنَّاسِ آثَارُهُ. وَٱلسَّالِمُ مِنَ ٱلنَّارِ أَقَلُّهُ. وَإِيَّاكَ وَٱلِاغْتِرَارَ. فِي هَٰذِهِ ٱلدَّارِ. فَإِنَّمَا أَنْتَ فَرِيسَةٌ لِأَسَدِ ٱلْحِمَامِ. وَبَعْدُ فَقَدْ نَصَحْتُكَ وَٱلسَّلَامُ

اشارة النرجس

١٢١ فَأَجَابَهُ ٱلنَّرْجِسُ مِنْ خَاطِرِهِ. وَهُوَ نَاظِرٌ لِمُنَاظِرِهِ فَقَالَ: أَنَا رَقِيبُ ٱلْقَوْمِ وَشَاهِدُهُمْ. وَسَمِيرُهُمْ وَمُنَادِمُهُمْ. وَسَيِّدُ ٱلْقَوْمِ خَادِمُهُمْ. أُعَلِّمُ مَنْ لَهُ هِمَّةٌ. كَيْفَ تَكُونُ شُرُوطُ ٱلْخِدْمَةِ. أَشُدُّ لِلْخِدْمَةِ وَسَطِي.

وَأُوثِّقُ بِالْعَزِيمَةِ شُرُوطِي . وَلَا أَزَالُ وَاقِفًا عَلَى قَدَمٍ . وَكَذَلِكَ وَظِيفَةُ مَنْ خَدَمَ . لَا أَجْلِسُ بَيْنَ جُلَّاسِي . وَلَا أَرْفَعُ إِلَى النَّدِيمِ رَاسِي . وَلَا أَمْنَعُ الطَّالِبَ طِيبَ أَنْفَاسِي . وَلَسْتُ لِعَهْدِ مَنْ وَصَلَنِي بِنَاسِي . وَلَا عَلَى مَنْ قَطَعَنِي قَاسِي . وَكَاسِي بِصَفْوِهِ لِي كَاسِي . بُنِيَ عَلَى قُضُبِ الزُّمُرُّدِ أَسَاسِي . وَجُعِلَ مِنَ اللُّجَيْنِ وَالْعَسْجَدِ لِبَاسِي . أَتَأَمَّلُ تَقْصِيرِي فَأُطْرِقُ إِطْرَاقَ الْخَجِلِ . وَأُفَكِّرُ فِي مَصِيرِي فَأُحْدِقُ لِهُجُومِ الْأَجَلِ . فَإِطْرَاقِي اعْتِرَافٌ بِتَقْصِيرِي . وَإِطْلَاقِي نَظَرٌ إِلَى مَا فِيهِ مَصِيرِي :

قُمْتُ مِنْ ذُلٍّ عَلَى قَدَمِي مُطْرِقًا بِالرَّاسِ مِنْ زَلَلِي
لَمْ يَكُنْ فِي الْقَادِمِينَ غَدًا نَافِعِي عِلْمِي وَلَا عَمَلِي
مُقْلَتِي إِنْسَانُهَا أَبَدًا قَطُّ لَا يَرْتَدُّ مِنْ وَجَلِي
عَجِلًا فِي خِيفَةٍ وَكَذَا خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلِ

اشارة البان

١٢٢ فَلَمَّا نَظَرَ الْأَشْجَارُ إِلَى طَرَبِ الْبَانِ بَيْنَهُمْ . وَتَمَايُلِهِ دُونَهُمْ . لَامُوهُ عَلَى كَثْرَةِ تَمَايُلِهِ . وَعَنَّفُوهُ عَلَى إِعْجَابِهِ بِشَمَائِلِهِ . فَتَمَايَلَ هُنَالِكَ الْبَانُ . وَقَالَ : قَدْ ظَهَرَ عُذْرِي وَبَانَ . فَمَنْ ذَا يَلُومُنِي عَلَى تَمَايُلِ أَغْصَانِي . وَاهْتِزَازِ أَرْكَانِي . وَأَنَا الَّذِي بَسَطَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَطَارِفَهَا . وَأَظْهَرَتْ لِيَ الرِّيَاضُ زَخَارِفَهَا . وَأَهْدَتْ لِيَ نَسَمَاتُ الْأَسْحَارِ لَطَائِفَهَا وَظَرَائِفَهَا . فَإِذَا رَأَيْتُ سَاعَةَ نُشُورِ أَمْوَاتِ النَّبَاتِ قَدِ اقْتَرَبَتْ . وَرَأَيْتُ الْأَرْضَ قَدِ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ . وَحَانَ وُرُودُ وِرْدِي . فَأَنْظُرُ إِلَى الْوَرْدِ وَقَدْ وَرَدَ .

وَإِلَى ٱلْبَرْدِ وَقَدْ شَرَدَ . وَإِلَى ٱلزَّهْرِ وَقَدِ ٱتَّقَدَ . وَإِلَى ٱلْحَبِّ وَقَدِ ٱنعقده
وَإِلَى ٱلْغُصْنِ ٱلْيَابِسِ وَقَدْ كُسِيَ بعد مَا ٱنْجَرَدَ . وَإِلَى ٱخْتِلَافِ
ٱلْمَطَاعِمِ وَٱلْمَشَارِبِ وَقَدِ ٱتَّحَدَ . فَأَعْلَمُ أَنَّ صَانِعَهَا وَاحِدٌ أَحَدٌ .
وَصَاحِبَهَا صَمَدٌ . وَمُوجِدَهَا بِٱلْقُدْرَةِ قَدِ ٱنْفَرَدَ . فَلَا يَفْتَقِرُ إِلَى أَحَدٍ . وَلَا
يَسْتَغْنِي عَنهُ أَحَدٌ . وَلَا يُشَارِكُهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ . فَهُنَالِكَ تَمَايَلَتْ قُدُودِي .
طَرَبًا بِطِيبِ شُهُودِي . وَتَبَلْبَلَتْ بَلَابِلُ سُعُودِي . عَلَى تَحْرِيكِ عُودِي .
ثُمَّ تُدْرِكُنِي عِنَايَةُ مَعْبُودِي . فَأُفَكِّرُ فِي عَدَمِ وُجُودِي . وَفَوَاتِ
مَقْصُودِي . فَأَنْعَطِفُ عَلَى ٱلْوَرْدِ فَأُخْبِرُهُ بِوُرُودِي . وَأَخْلَعُ عَلَيْهِ مِنْ
بُرُودِي . وَأَسْتَخْبِرُهُ أَيْنَ مَقْصِدِي وَوُرُودِي . فَقَالَ لِي : وُجُودُكَ
كَوُجُودِي . وَرُكُوعُكَ كَسُجُودِي . أَنْتَ بِخُضْرَةِ قُدُودِكَ . وَأَنَا بِحُمْرَةِ
خُدُودِي . فَهَلُمَّ نَجْعَلْ فِي ٱلنَّارِ وَقُودَكَ وَوَقُودِي . قَبْلَ نَارِ خُلُودِكَ
وَخُلُودِي . فَقُلْتُ لَهُ : إِذَا صَحَّ ٱلِٱئْتِلَافُ . وَرَضِيتَ لِنَفْسِكَ بِٱلتَّلَافِ .
فَلَيْسَ لِلْخِلَافِ خِلَافٌ . فَنُقْتَطَفُ عَلَى حُكْمِ ٱلْوِفَاقِ . وَنُخْتَطَفُ مِنْ بَيْنِ
ٱلرِّفَاقِ . فَتُصَعَّدُ أَنْفَاسُنَا بِٱلِٱحْتِرَاقِ . وَتُقَطَّرُ دُمُوعُنَا بِلَا إِشْفَاقٍ . فَإِذَا
فَنِينَا عَلَى صُوَرِ أَشْبَاحِنَا . بَقِينَا بِمَعَانِي أَرْوَاحِنَا . فَشَتَّانَ بَيْنَ غُدُوِّنَا وَرَوَاحِنَا

اشارة البنفسج

١٢٣ فَتَنَفَّسَ ٱلْبَنَفْسَجُ تَنَفُّسَ ٱلصُّعَدَاءِ . وَتَأَوَّهَ تَأَوُّهَ ٱلْبُعَدَاءِ .
وَقَالَ : طُوبَى لِمَنْ عَاشَ عَيْشَ ٱلسُّعَدَاءِ . وَمَاتَ مَوْتَ ٱلشُّهَدَاءِ . إِلَى
كَمْ أَذُوبُ بِٱلذُّبُولِ كَمَدًا . وَأَكْتَسِي بِٱلنُّحُولِ أَثْوَابًا جُدُدًا . أَفْنَتْنِي

ٱلْأَيَّامُ فَمَا أَطَالَتْ لِي أَمَدًا . وَغَيَّرَتْنِي ٱلْأَحْكَامُ فَمَا أَبْقَتْ لِي جِلْدًا وَلَا جَلَدًا . فَمَا أَقْصَرَ مَا قَضَّيْتُ عَيْشًا رَغَدًا . وَمَا أَطْوَلَ مَا بَقِيتُ يَابِسًا مُجَرَّدًا . وَجُمْلَةُ خُصُولِي . أَنَّنِي أُؤْخَذُ أَيَّامَ حُصُولِي . فَأُقْطَعُ مِنْ أُصُولِي . وَأُمْنَعُ مِنْ وُصُولِي . وَكَمْ مِمَّنْ يَتَقَوَّى عَلَى ضُعْفِي . وَيَعْسِفُ بِي مَعَ تَرَفِي وَلُطْفِي وَظَرْفِي . فَيَتَنَعَّمُ بِي مَنْ حَضَرَنِي . وَيَسْتَحْلِينِي مَنْ نَظَرَنِي . ثُمَّ لَا أَلْبَثُ إِلَّا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ . حَتَّى أُسَامَ بِأَبْخَسِ سَوْمٍ . وَيُعَادَ عَلَيَّ بَعْدَ ٱلثَّنَاءِ بِٱللَّوْمِ . فَأُمْسِي مِمَّا لَقِيتُ مَمْعُوكًا . وَبِأَيْدِي ٱلْحَوَادِثِ مَعْرُوكًا . فَإِذَا أَصْبَحْتُ يَابِسًا . وَمِنَ ٱلنَّضَارَةِ آيِسًا . أَخَذَنِي أَهْلُ ٱلْمَعَانِي . مَنْ هُوَ لِلْحِكَمِ يُعَانِي . فَتُفَشَّشُ بِي ٱلْأَوْرَامُ ٱلْفَاشِيَةُ . وَتُلَيَّنُ ٱلْآلَامُ ٱلْقَاسِيَةُ . وَتُلَطَّفُ بِي ٱلطَّبَائِعُ ٱلْعَاتِيَةُ . وَتُدْفَعُ بِدَوَائِي ٱلْأَدْوَاءُ ٱلْعَادِيَةُ . فَٱلنَّاسُ مُتَمَتِّعُونَ بِيَابِسِي وَرَطْبِي . جَاهِلُونَ بِعِظَمِ خَطْبِي . غَافِلُونَ عَمَّا أُودِعَ بِي مِنْ حِكَمِ رَبِّي . وَإِنِّي لِمَنْ يَتَدَبَّرُنِي عِبْرَةٌ لِمَنِ ٱعْتَبَرَ . وَتَذْكِرَةٌ لِمَنِ ٱذَّكَرَ . وَفِيَّ مُزْدَجَرٌ لِمَنِ ٱزْدَجَرَ :

وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنَ ٱلْبَنَفْسَجِ إِذْ غَدَا يَحْكِي بِأَوْرَاقٍ عَلَى أَغْصَانِهِ
جَيْشًا طَوَارِفُهُ ٱلزَّبَرْجَدُ رُصِّعَتْ أَحْجَارُ يَاقُوتٍ عَلَى خُرْصَانِهِ
فَكَأَنَّمَا أَعْدَاؤُهُ بِجَلَادَةٍ شِيلَتْ رُؤُوسُهُمْ عَلَى عِيدَانِهِ

اشارة الخزام

١٢٤ فَلَمَّا رَأَى ٱلْخُزَامُ . مَا يُكَابِدُهُ ٱلزَّهْرُ مِنَ ٱلْقَيْدِ وَٱلِٱلْتِزَامِ . فَمِنْهَا مَا يُضَامُّ . وَيُنْثَرُ بَعْدَ ٱلنِّظَامِ . وَبِٱلثَّمَنِ ٱلْبَخْسِ يُسَامُ . قَالَ : مَا

لِي وَٱلزِّحَامَ • لَا أُعَاشِرُ ٱللِّئَامَ • وَلَا أَسْمَعُ قَوْلَ ٱللُّوَّامِ • وَأُلْزِمْتُ مِنْ بَيْنِ ٱلْأَزْهَارِ • أَنْ لَا أُجَاوِرَ ٱلْأَنْهَارَ • وَلَا أَقِفَ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ • أُرَافِقُ ٱلْوَحْشَ فِي ٱلنِّفَارِ • وَأَسْكُنُ ٱلْبَرَارِيَ وَٱلْقِفَارَ • أُحِبُّ ٱلْخَلَوَاتِ • وَأَسْتَوْطِنُ ٱلْفَلَوَاتِ • فَلَا أُزَاحِمُ فِي ٱلْمَحَافِلِ • وَلَا تَقْطِفُنِي أَيْدِي ٱلْأَسَافِلِ • وَلَا أُحْمَلُ إِلَى ٱللَّاعِبِ وَٱلْهَازِلِ • لٰكِنَّنِي بَعِيدٌ عَنِ ٱلْمَنَازِلِ • تَجِدُنِي فِي أَرْضٍ نَجْدٍ نَازِلْ • رَضِيتُ بِٱلْبَرِّ ٱلْفَسِيحِ • وَقَنِعْتُ بِمُجَاوَرَةِ ٱلْغَارِ وَٱلشِّيحِ • تَعْبَقُ بِنَشْرِي ٱلرِّيحُ • فَتَحْمِلُنِي إِلَى ذَوِي ٱلتَّقْدِيسِ وَٱلتَّسْبِيحِ • لَا يَنْشَقُنِي إِلَّا مَنْ لَهُ ذَوْقٌ صَحِيحٌ • وَشَوْقٌ صَرِيحٌ • وَهُوَ عَلَى زُهْدِ ٱلْمَسِيحِ • وَصَبْرِ ٱلذَّبِيحِ • فَأَنَا رَفِيقُ ٱلسُّيَّاحِ فِي ٱلْغُدُوِّ وَٱلرَّوَاحِ • فَلَا أَحْضُرُ عَلَى مُنْكَرٍ • وَلَا أَجْلِسُ عِنْدَ مَنْ يَشْرَبُ وَيَسْكَرُ • فَأَنَا ٱلْحُرُّ ٱلَّذِي لَا يُبَاعُ فِي ٱلْأَسْوَاقِ • وَلَا يُنَادَى عَلَيَّ بِٱلنَّفَاقِ فِي سُوقِ ٱلنِّفَاقِ • وَلَا يَنْظُرُنِي إِلَّا مَنْ شَمَّرَ عَنْ سَاقٍ • وَرَكِبَ جَوَادَ ٱلْعَزِيمَةِ وَسَاقَ • فَلَوْ رَأَيْتَنِي فِي ٱلْبَوَادِي • وَٱلنَّسِيمُ يَهِيمُ بِي فِي كُلِّ وَادِي • أُعَطِّرُ ٱلْبَادِي • بِعِطْرِيَ ٱلْبَادِي • وَأُرَوِّحُ ٱلنَّادِي • بِنَشْرِيَ ٱلنَّادِي • إِنْ عَرَّضَ بِذِكْرِي ٱلْحَادِي • حَنَّ إِلَيَّ كُلُّ رَائِحٍ وَغَادِي

اشارة الشقيق

١٢٥ فَتَنَفَّسَ ٱلشَّقِيقُ بَيْنَ نُدَمَائِهِ • وَهُوَ مُضَرَّجٌ بِدِمَائِهِ • وَٱسْتَوَى عَلَى سَاقِهِ وَوَثَبَ • وَقَالَ : يَا لِلّٰهِ ٱلْعَجَبُ • مَا بَالُ لَوْنِي بَاهِي • وَحُسْنِي زَاهِي • وَقَدْرِي بَيْنَ ٱلرَّيَاحِينِ وَاهِي • فَلَا أَحَدٌ بِي يُبَاهِي • وَلَا نَاظِرٌ

إِلَيَّ شَاهِي • فَلَيتَ شِعْرِي مَا ٱلَّذِي أَسقَطَ جَاهِي • أَرْفُلُ فِي ثَوْبِيَ ٱلْقَانِي • وَأَنَا مَدْحُوضٌ عِنْدَ مَنْ يَلْقَانِي • فَلَا أَنَا فِي ٱلْحَضْرَةِ حَاضِرٌ • وَلَا يُشَارُ إِلَيَّ بِٱلنَّوَاظِرِ • وَلَا أُصَافَحُ بِٱلْمَنَاخِرِ • وَمَا بَرِحتُ فِي عَدَدِ ٱلرَّيَاحِينِ آخِرَ • فَأَنَا طَرِيدٌ عَنْ صَحْبِي • بَعِيدٌ عَنْ قُرْبِي • وَمَا أَظُنُّ ذٰلِكَ إِلَّا مِنْ سَوَادِ قَلْبِي • فَلَمَّا رَأَيتُ بَاطِنِي مَحْشُوًّا بِٱلذُّنُوبِ • وَقَلْبِي مُسوَدًّا بِٱلْعُيُوبِ • عَلِمتُ أَنَّ ٱللهَ تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى ٱلصُّوَرِ وَلٰكِنْ يَنْظُرُ إِلَى ٱلْقُلُوبِ • فَكَانَ إِعْجَابِي بِأَثْوَابِي سَبَبًا لِحِجَابِي عَنْ ثَوَابِي • فَكُنْتُ كَٱلرَّجُلِ ٱلْمُنَافِقِ ٱلَّذِي حَسُنَتْ سِيرَتُهُ • وَقَبُحَتْ سَرِيرَتُهُ • وَرَاقَ فِي ٱلْمَنْظَرِ سِيمَتُهُ • وَقَلَّ فِي ٱلْمَخْبَرِ قِيمَتُهُ • وَلَوْ صَلُحَ قَلْبِي لَصَلُحَ أَمْرِي • وَلَوْ شَاءَ رَبِّي لَطَابَ بَيْنَ ٱلْخَلَائِقِ ذِكْرِي • وَفَاحَ بَيْنَ ٱلْأَزَاهِيرِ نَشْرِي • لٰكِنِ ٱلطِّيبُ لَا يَفُوحُ إِلَّا مِمَّنْ يَطِيبُ • وَعَلَامَاتُ ٱلْقَبُولِ لَا تَلُوحُ إِلَّا عَلَى مَنْ رَضِيَ عَنْهُ ٱلْحَبِيبُ:

أَنَا قَلْبِي قَدْ سَوَّدَتْهُ ذُنُوبِي وَقَضَى لِي مُعَذِّبِي بِشَقَاءِي
مَنْ رَآنِي يَظُنُّ خَيْرًا وَلٰكِنْ خَالِقِي عَالِمٌ بِأَنِّي مُرَاءِي
قَدْ تَحَسَّنْتُ مَنْظَرًا وَلِبَاسًا وَرَزَايَا مَحْشُوَّةٌ بِحَشَاءِي
وَاحَيَاءِي إِذَا سُئِلْتُ وَمَا لِي مِنْ جَوَابٍ وَاخَجْلَتِي وَاحَيَاءِي
لَوْ كَشَفْتَ ٱلسُّتُورَ عَنْ سُوءِ حَالِي لَرَأَيتَ ٱلسُّرُورَ لِلْأَعْدَاءِ

اشارة السحاب

١٢٦ فَلَمَّا حَسُنَ ٱلْعِتَابُ • وَطَابَ فَصْلُ ٱلْخِطَابِ • دَمَعَ ٱلسَّحَابُ •

فَٱنبَسطَ وَساحَ فِي فَسيحِ ٱلرِّحَابِ . وَقَالَ : سُبْحَانَ ٱللهِ أَيُنكِرُ فَضْلِي عَلَيكُمْ . وأَنَا ٱلبَاعِثُ طَلِّي وَوَبْلِي إِلَيكُمْ . وَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا أَطْفَالُ جُودِي . وَنَسْلُ وُجُودِي . كَمْ مَلَأْتُ ٱلْبَرَّ بُرًّا بِبِرِّي . وَٱلْبَحْرَ دُرًّا بِدَرِّي . فَلَمْ يَزَلْ ثَدْيُ دَرِّي عَلَيْهِ دَرَّارًا . وَمَزِيدُ بِرِّي إِلَيْهِ مِدْرَارًا . فَإِذَا ٱنْقَضَتْ أَيَّامُ ٱلرَّضَاعِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ٱلْفِطَامُ . أَقْطَعُ ثَدْيِي عَنْهُ فَيُصْبِحُ لِأَهْلِ ٱلدُّنْيَا حُطَامْ . فَكَأَنَّ بَعْثَهُ فِي ٱنْسِكَابِ عَبَرَاتِي . وَنُشُورَهُ فِي بَعْثِ قَطَرَاتِي . فَٱلْكُلُّ فِي ٱلْحَقِيقَةِ أَطْفَالِي . وَلَوِ ٱعْتَرَفُوا بِحَقِّي لَكَانُوا مِنَ ٱلْجَوِّ أَطْفَالِي

اشارة الهزار

١٢٧ (قَالَ) : فَبَيْنَمَا أَنَا مُصْغٍ لِمُنَادَمَةِ أَزْهَارِهَا . عَلَى حَافَاتِ أَنْهَارِهَا . إِذْ صَاحَتْ فَصَاحَةُ أَطْيَارِهَا مِنْ أَوْكَارِهَا . فَأَوَّلَ مَا صَوَّتَ ٱلْهَزَارُ . وَنَادَى عَلَى نَفْسِهِ بِخَلْعِ ٱلْعِذَارِ . وَبَاحَ بِمَا يَكْتُمُهُ مِنَ ٱلْأَسْرَارِ . وَقَالَ بِلِسَانِ حَالِهِ : أَنَا ٱلْهَائِمُ ٱللَّهْفَانُ . ٱلصَّادِي ٱلظَّمْآنُ . إِذَا رَأَيْتُ فَصْلَ ٱلرَّبِيعِ قَدْ حَانَ . وَمَنْظَرَهُ ٱلْبَدِيعَ قَدْ آنَ . تَجِدُنِي فِي ٱلرِّيَاضِ فَرْحَانَ . وَفِي ٱلْغِيَاضِ أُرَدِّدُ ٱلْأَلْحَانَ . أُغَنِّي وَأَطْرَبُ فَأَنَا بِنَغْمَتِي طَرْبَانُ . وَمِنْ نَشْوَتِي سَكْرَانُ . فَإِذَا زَمْزَمَ ٱلنَّسِيمُ وَصَفَّقَتْ أَوْرَاقُ ٱلْأَغْصَانِ . أَرْقُصُ عَلَى ٱلْعِيدَانِ . فَكَأَنَّمَا ٱلزَّهْرُ وَٱلنَّهْرُ لِي عِيدَانْ . وَأَنْتَ تَحْسَبُنِي فِي ذٰلِكَ عَابِثًا . لَا وَٱللهِ وَلَسْتُ بِٱلْيَمِينِ حَانِثًا . وَإِنَّمَا أَنُوحُ حَرَبًا لَا طَرَبًا . وَأَبُوحُ تَرَحًا لَا فَرَحًا . لِأَنِّي مَا وَجَدْتُ رَوْضَةً

إِلَّا تَبلْبَلَتْ عَلَى بَلْبَالِهَا . وَلَا نُزْهَةً إِلَّا نُحْتُ عَلَى أُضْمِحْلَالِهَا . وَلَا خُضْرَةً إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى زَوَالِهَا . لِأَنِّي مَا رَأَيْتُ صَفْوَةً إِلَّا تَكَدَّرَتْ . وَلَا عِيشَةً حُلْوَةً إِلَّا تَمَرَّرَتْ . فَقَرَأْتُ فِي مِثَالِ ٱلْعِرْفَانِ . كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . فَكَيْفَ لَا أَنُوحُ . عَلَى حَالٍ يَحُولُ . وَوَقْتٍ يَدُولُ . وَعَيْشٍ يَزُولُ . وَوَصْلٍ عَنْ قَرِيبٍ مَفْصُولٍ . وَهٰذِهِ ٱلْجُمْلَةُ مِنْ شَرْحِ حَالِي تُغْنِي عَنِ ٱلْفُصُولِ :

حَدِيثُ ذَاكَ ٱلْحِمَى رَوْحِي وَرَيْحَانِي   فَلَا تَلُمْنِي إِذَا كَرَّرْتُ أَلْحَانِي
رَوْضٌ بِهِ ٱلرَّاحُ وَٱلرَّيْحَانُ قَدْ جُمِعَا   وَحَضْرَةٌ مَا لَهَا فِي حُسْنِهَا ثَانِي
مِنْ أَبْيَضٍ يَقَقٍ أَوْ أَصْفَرٍ فَقِعٍ   أَوْ أَخْضَرٍ رَقَقٍ أَوْ أَحْمَرٍ قَانِي
وَٱلْأُنْسُ دَانٍ وَشَمْلُ ٱلْوَصْلِ مُجْتَمِعٌ   هٰذَا هُوَ ٱلْعَيْشُ إِلَّا أَنَّهُ فَانِي

اشارة الباز

١٢٨ فَنَادَى ٱلْبَازُ . وَهُوَ فِي مَيْدَانِ ٱلْبِرَازِ . وَيْحَكَ لَقَدْ صَغُرَ جِرْمُكَ . وَكَبُرَ جُرْمُكَ . وَقَدْ أَقْلَقْتَ بِتَغْرِيدِكَ ٱلطَّيْرَ . وَإِطْلَاقُ لِسَانِكَ يَجْلُبُ إِلَيْكَ ٱلضَّيْرَ . وَمَا يُفْضِي بِكَ إِلَى خَيْرٍ . أَوَمَا عَلِمْتَ أَنْ مَا يُهْلِكُ ٱلْإِنْسَانَ إِلَّا عَثَرَاتُ ٱللِّسَانِ . فَلَوْلَا لَقْلَقَةُ لِسَانِكَ . مَا أُخِذْتَ مِنْ بَيْنِ أَقْرَانِكَ . وَحُبِسْتَ فِي ضَيْقِ ٱلْأَقْفَاصِ . وَسُدَّ عَلَيْكَ بَابُ ٱلْخَلَاصِ . وَهَلْ ذٰلِكَ إِلَّا مَا جَنَاهُ عَلَيْكَ لِسَانُكَ . فَٱفْتَضَحَ بِهِ بَيَانُكَ . فَلَوِ ٱهْتَدَيْتَ بِسَمْتِي . وَٱقْتَدَيْتَ بِصَمْتِي . لَبَرِئْتَ مِنَ ٱلْمَلَامَةِ . وَعَلِمْتَ أَنَّ ٱلصَّمْتَ رَفِيقُ ٱلسَّلَامَةِ . أَلَمْ تَرَنِي لَزِمْتُ ٱلصُّمُوتَ . وَأَلِفْتُ

ٱلسُّكُوتَ. فَكَانَ ٱلصَّمْتُ جَمَالِي. وَلُزُومُ ٱلْأَدَبِ كَمَالِي. أُقْتُنِصْتُ مِنَ ٱلْبَرِّيَّةِ جَبْرًا. وَجُلِبْتُ إِلَى بِلَادِ ٱلْغُرْبَةِ قَهْرًا. فَلَا بِٱلسَّرِيرَةِ بُحْتُ. وَلَا عَلَى ٱلْأَطْلَالِ نُحْتُ. بَلْ أُدِّبْتُ حِينَ غُرِّبْتُ. وَقُرِّبْتُ حِينَ جُرِّبْتُ. وَٱمْتُحِنْتُ حِينَ ٱمْتُحِنْتُ. وَعِنْدَ ٱلِٱمْتِحَانِ. يُكْرَمُ ٱلْمَرْءُ أَوْ يُهَانُ. فَلَمَّا رَأَى مُؤَدِّبِي تَخْلِيطَ ٱلْوَقْتِ. خَافَ عَلَيَّ مِنَ ٱلْمَقْتِ. فَكَمَّ بَصَرِي بِكُمَّةٍ: لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ. وَعَقَدَ لِسَانِي بِعُقْدَةٍ: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ. وَقَيَّدَنِي بِقَيْدِ: لَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا. فَأَنَا فِي وِثَاقِي لَا أَتَأَلَّمُ. وَمِمَّا أُلَاقِي لَا أَتَكَلَّمُ. فَلَمَّا كُمِمْتُ وَأُدِّبْتُ. وَجُرِّبْتُ وَهُذِّبْتُ. ٱسْتَصْلَحَنِي مُؤَدِّبِي لِإِرْسَالِي إِلَى ٱلصَّيْدِ. وَزَالَ عَنِّي ذٰلِكَ ٱلْقَيْدُ. فَأَطَاقَتُ وَأُرْسِلْتُ. فَمَا رُفِعَتِ ٱلْكُمَّةُ عَنْ عَيْنِي. حَتَّى أَصْلَحْتُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنِي. فَوَجَدْتُ ٱلْمُلُوكَ خُدَّامِي. وَأَكُفَّهُمْ تَحْتَ أَقْدَامِي:

أَمْسَكْتُ عَنْ فَضْلِ ٱلْكَلَامِ لِسَانِي ... وَكَفَفْتُ عَنْ نَظَرِ ٱلدُّنَا إِنْسَانِي

مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ قُرْبَ مَنِيَّتِي ... لِزَخَارِفِ ٱللَّذَّاتِ قَدْ أَنْسَانِي

أُدِّبْتُ آدَابَ ٱلْمُلُوكِ وَعُلِّمَتْ ... رُوحِي هُنَاكَ صَنَائِعَ ٱلْإِحْسَانِ

أُرْسِلْتُ مِنْ كَفِّ ٱلْمُلُوكِ مُجَرَّدًا ... وَجَعَلْتُ مَا أَبْغِيهِ نُصْبَ عِيَانِي

حَتَّى ظَفِرْتُ وَنِلْتُ مَا أَمَّلْتُهُ ... ثُمَّ ٱسْتَجَبْتُ إِلَيْهِ حِينَ دَعَانِي

هٰذَا لَعَمْرِي رَسْمُ كُلِّ مُكَلَّفٍ ... بِوَظَائِفِ ٱلتَّسْلِيمِ لِلْإِيمَانِ

اشارة الحمام

١٢٩ (قَالَ): فَبَيْنَمَا أَنَا مُسْتَغْرِقٌ فِي لَذَّةِ كَلَامِهِ. مُعْتَبِرٌ بِحِكَمِهِ

وَأَحْكَامِهِ . إِذْ رَأَيْتُ أَمَامَهُ حَمَامَةً . قَدْ جَعَلَتْ طَوْقَ ٱلْعُبُودِيَّةِ فِي عُنُقِهَا عَلَامَةً . فَقُلْتُ لَهَا : حَدِّثِينِي عَنْ ذَوْقِكِ وَشَوْقِكِ . وَأَوْضِحِي لِي مَا ٱلْحِكْمَةُ فِي تَطْوِيسِ طَوْقِكِ . فَقَالَتْ : أَنَا ٱلْمُطَوَّقَةُ بِطَوْقِ ٱلْأَمَانَةِ . ٱلْمُقَلَّدَةُ بِتَقْلِيدِ ٱلصِّيَانَةِ . نُدِبْتُ لِحَمْلِ ٱلرَّسَائِلِ . وَتَبْلِيغِ ٱلْوَسَائِلِ لِلسَّائِلِ . وَلٰكِنِّي أُخْبِرُكَ عَنِ ٱلْقِصَّةِ ٱلصَّحِيحَةِ . فَإِنَّ ٱلدِّينَ ٱلنَّصِيحَةُ . مَا كُلُّ طَائِرٍ أَمِينٌ . وَلَا كُلُّ حَالِفٍ يَصْدُقُ فِي ٱلْيَمِينِ . وَلَا كُلُّ سَالِكٍ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ . وَإِنَّمَا ٱلْمَخْصُوصُ بِحَمْلِ ٱلْأَمَانَةِ جِنْسِي . فَيُشْتَرَى بِٱلتَّحْرِيجِ . وَيَعْرِفُ ٱلطَّرِيقَ بِٱلتَّدْرِيجِ . فَأَقُولُ : حَمَّلُونِي فَأَحْمِلُ كُتُبَ ٱلْأَسْرَارِ . وَلَطَائِفَ ٱلرَّسَائِلِ وَٱلْأَخْبَارِ . فَأَطِيرُ وَعَقْلِي مُسْتَطِيرٌ . خَائِفًا مِنْ جَارِحٍ جَارِحٍ . حَاذِرًا مِنْ سَانِحٍ سَابِحٍ . جَازِعًا مِنْ صَائِدٍ ذَابِحٍ . فَأُهَاجِرُ . وَأُكَابِدُ ٱلظَّمَأَ فِي ٱلْهَوَاجِرِ . وَأَطْوِي عَلَى ٱلطَّوَى فِي ٱلْمَحَاجِرِ . فَلَوْ رَأَيْتُ حَبَّةَ قَمْحٍ مَعَ شِدَّةِ جُوعِي رَجَعْتُ عَنْهَا . فَأَرْتَفِعُ خَشْيَةً مِنْ كَمِينِ فَخٍّ مَدْفُونٍ . أَوْ شَرَكٍ يُعِيقُنِي عَنْ تَبْلِيغِ ٱلرِّسَالَةِ فَأَنْقَلِبُ بِصَفْقَةِ ٱلْمَغْبُونِ . فَإِذَا وَصَلْتُ . وَفِي مَأْمَنِي حَصَلْتُ . أَدَّيْتُ مَا حُمِّلْتُ . وَعَمِلْتُ مَا عَلِمْتُ . فَهُنَالِكَ طُوِّقْتُ . وَبِٱلْبِشَارَةِ خُلِّقْتُ . وَأَنْقَلِبُ إِلَى شُكْرِ ٱللهِ عَلَى مَا وُفِّقْتُ .

أَيَا رَبِّي وَصَلْتُمْ أَوْ هَجَرْتُمْ فَعَبْدُكُمُ عَلَى حِفْظِ ٱلْأَمَانَهْ
مُقِيمٌ لَا يُزَحْزِحُهُ عَذُولٌ وَلَا يَثْنِي مُعَنِّفُهُ عِنَانَهْ
حَمَلْتُ لِأَجْلِكُمْ مَا لَيْسَ تَقْوَى ٱلْ جِبَالُ ٱلشُّمُّ تَحْمِلُهُ رَزَانَهْ

وَحِفْظُ ٱلْعَهْدِ مَا وَفَاهُ حُرٌّ وَطُوقُهُ فَتًى إِلَّا وَزَانَهْ

اشارة الخطّاف

١٣٠ (قَالَ): فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَتَذَاكَرُ أَوْصَافَ ٱلْأَشْرَافِ. وَأَشْرَافَ ٱلْأَوْصَافِ. إِذْ نَظَرْتُ إِلَى خُطَّافٍ. وَهُوَ بِٱلْبَيْتِ قَدْ طَافَ. فَقُلْتُ: مَالِي أَرَاكَ لِلْبَيْتِ لَازِمًا. وَعَلَى مُؤَانَسَةِ ٱلْإِنْسِ عَازِمًا. فَلَوْ كُنْتَ فِي أَمْرِكَ حَازِمًا. لَمَا فَارَقْتَ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ. وَرَضِيتَ فِي ٱلْبُيُوتِ بِحَبْسِكَ. ثُمَّ إِنَّكَ لَا تَنْزِلُ إِلَّا فِي ٱلْمَنَازِلِ ٱلْعَامِرَةِ. وَٱلْمَسَاكِنِ ٱلَّتِي هِيَ بِأَهْلِهَا عَامِرَةٌ. فَقَالَ: يَا كَثِيفَ ٱلطَّبْعِ. يَا ثَقِيلَ ٱلسَّمْعِ. إِسْمَعْ تَرْجَمَةَ حَالِي. وَكَيْفَ عَنِ ٱلطَّيْرِ ٱرْتِحَالِي. إِنَّمَا فَارَقْتُ أَمْثَالِي. وَعَاشَرْتُ غَيْرَ أَشْكَالِي. وَٱسْتَوْطَنْتُ ٱلسُّقُوفَ. دُونَ ٱلشِّعَابِ وَٱلْكُهُوفِ. لِفَضِيلَةِ ٱلْغُرْبَةِ. وَلُزُومًا لِآدَابِ ٱلصُّحْبَةِ. صَحِبْتُ مَنْ لَيْسَ مِنِّي لِأَكُونَ غَرِيبًا. وَجَاوَرْتُ خَيْرًا مِنِّي لِأُحْرِزَ بَيْنَهُمْ نَصِيبًا. فَأَعِيشَ عَيْشَ ٱلْغُرَبَاءِ. وَأَفُوزَ بِصُحْبَةِ ٱلْأُدَبَاءِ. وَٱلْغَرِيبُ مَرْحُومٌ فِي غُرْبَتِهِ. مَلْطُوفٌ بِهِ فِي صُحْبَتِهِ. فَقَصَدْتُ ٱلْمَنَازِلَ. غَيْرَ مُضِرٍّ بِٱلنَّازِلِ. أَبْتَنِي بَيْتِي مِنْ حَافَاتِ ٱلْأَنْهَارِ. وَأَكْتَسِبُ قُوتِي مِنْ سَاحَاتِ ٱلْقِفَارِ. فَلَسْتُ لِلْجَارِ كَمَنْ جَارَ. وَلَا لِأَهْلِ ٱلدَّارِ كَٱلْغَدَّارِ. بَلْ أُحْسِنُ جِوَارِي مَعَ جَارِي. وَلَيْسَ مِنْهُمْ رَسْمُ جَارِي. أُكَثِّرُ سَوَادَهُمْ. وَلَا أَسْتَطْعِمُ زَادَهُمْ. فَزُهْدِي فِيمَا فِي أَيْدِيهِمْ. هُوَ ٱلَّذِي حَبَّبَنِي إِلَيْهِمْ. فَلَوْ شَارَكْتُهُمْ فِي قُوتِهِمْ. لَمَا بَقِيتُ مَعَهُمْ فِي بُيُوتِهِمْ. فَأَنَا شَرِيكُهُمْ فِي أَنْدِيَتِهِمْ. لَا فِي أَغْذِيَتِهِمْ. مُزَاحِمُهُمْ فِي

أَوْقَاتِهِمْ . لَا فِي أَقْوَاتِهِمْ . مُكْتَسِبٌ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ . لَا مِنْ أَرْزَاقِهِمْ . مُنْتَهِبٌ مِنْ حَالِهِمْ . لَا مِنْ مَالِهِمْ . مُقْتَبِسٌ مِنْ بِرِّهِمْ . لَا مِنْ بُرِّهِمْ . رَاغِبٌ فِي حُبِّهِمْ . لَا فِي حَبِّهِمْ . مُقْتَدِيًا بِقَوْلِهِ : إِزْهَدْ فِي ٱلدُّنْيَا يُحِبَّكَ ٱللهُ . وَٱزْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي ٱلنَّاسِ يُحِبَّكَ ٱلنَّاسُ . قَالَ فَقُلْتُ : لِلّٰهِ دَرُّكَ لَقَدْ عِشْتَ سَعِيدًا . وَسِرْتَ سَيْرًا حَمِيدًا . وَوُفِّقْتَ أَمْرًا رَشِيدًا . وَقُلْتَ قَوْلًا سَدِيدًا . فَلَا أَطْلُبُ عَلَى مَوْعِظَتِكَ مَزِيدًا

اشارة البوم

١٣١ (قَالَ) : فَنَادَانِي ٱلْبُومُ . وَهُوَ مُنْفَرِدٌ فِي ٱلْخَرَابِ مَهْمُومٌ . أَيُّهَا ٱلصَّدِيقُ ٱلصَّادِقُ . وَٱلْخِلُّ ٱلْمُرَافِقُ . لَا تَكُنْ بِمَقَالَةِ ٱلْخُطَّافِ وَاثِقًا . وَلَا لِفِعْلِهِ مُوَافِقًا . فَإِنَّهُ إِنْ سَلِمَ مِنْ شُبَهِ زَادِهِمْ . فَمَا سَلِمَ مِنْ نُزَهِ فَرَحِهِمْ وَأَعْيَادِهِمْ . وَتَكْثِيرِ سَوَادِهِمْ . وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مَنْ كَثَّرَ سَوَادَ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ . وَلَوْ صَحِبَهُمْ سَاعَةً كَانَ مَسْؤُولًا عَنْهُمْ . وَقَدْ فَهِمْتَ أَنَّ مُبْتَدَأَ ٱلتَّفْرِيطِ مِنْ آفَاتِ ٱلتَّخْلِيطِ . وَٱلْخُلْطَةُ غَلْطَةٌ . وَأَوَّلُ ٱلسَّيْلِ نُقْطَةٌ . وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلسَّلَامَةَ فِي ٱلْعُزْلَةِ . فَمَنْ وَلِيَهَا فَلَا يَخَافُ عَزْلَةً . فَهَلَّا ٱسْتَسَنَّ بِسُنَّتِي . وَتَأَسَّى بِوَحْدَتِي . وَٱعْتَزَلَ ٱلْمَنَازِلَ وَٱلنَّازِلَ . وَزَهِدَ فِي ٱلْمَآكِلِ وَٱلْآكِلِ . أَلَا تَرَانِي لَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ . وَلَا أُجَالِسُهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ . وَلَا أُسَاكِنُهُمْ فِي مَسَاكِنِهِمْ . وَلَا أُزَاحِمُهُمْ فِي أَمَاكِنِهِمْ . بَلِ ٱخْتَرْتُ ٱلدَّاثِرَ مِنَ ٱلْجُدْرَانِ . وَرَضِيتُ بِٱلْخَرَابِ عَنِ ٱلْعُمْرَانِ . فَسَلِمْتُ مِنَ ٱلْأَنْكَادِ . وَأَمِنْتُ شَرَّ ٱلْحُسَّادِ . وَلَمْ أَزَلْ عَنِ ٱلْأَحْبَابِ وَحِيدًا .

وَمِنَ ٱلْقُرَنَاءِ فَرِيدًا. وَعَنِ ٱلْأَتْرَابِ بَعِيدًا شَرِيدًا. فَمَنْ كَانَ مَسْكَنُهُ ٱلتُّرَابَ. كَيْفَ يُسَاكِنُ ٱلْأَتْرَابَ. مَنْ عَلِمَ أَنَّ ٱلْعُمْرَ وَإِنْ طَالَ قَصِيرٌ. وَأَنَّ كُلًّا إِلَى ٱلْفَنَاءِ يَصِيرُ. بَاتَ عَلَى خَشِنِ ٱلْحَصِيرِ. وَأَفْطَرَ عَلَى قُرْصِ ٱلشَّعِيرِ. وَرَضِيَ مِنَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْيَسِيرِ. وَعَلِمَ أَنَّ فَرِيقًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقًا فِي ٱلسَّعِيرِ. أَنَا نَظَرْتُ إِلَى ٱلدُّنْيَا وَخَرَابِهَا. وَإِلَى ٱلْآخِرَةِ وَٱقْتِرَابِهَا. وَإِلَى ٱلْقِيَامَةِ وَحِسَابِهَا. وَإِلَى ٱلنَّفْسِ وَٱكْتِسَابِهَا. فَشَغَلَنِي ٱلتَّفَكُّرُ فِي حَالِي. عَنْ مَنْزِلِيَ ٱلْخَالِي. وَأَذْهَلَنِي مَا عَلَيَّ وَمَالِي. وَأَذْهَبَنِي عَنْ أَهْلِي وَمَالِي. وَأَهَمَّنِي صِحَّتِي وَٱعْتِلَالِي. عَنِ ٱلْقُصُورِ ٱلْعَوَالِي. فَجَلَا ٱلْيَقِينُ عَنْ بَصَرِ بَصِيرَتِي كُلَّ شُبْهَةٍ. فَعَلِمْتُ أَنْ لَا فُرْصَةَ تَدُومُ وَلَا نُزْهَةَ. وَأَنَّهُ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ. فَعَرَفْتُ مَنْ هُوَ. وَمَا عَرَفْتُ مَا هُوَ. وَحَيْثُ كُنْتُ فَلَا أَرَى إِلَّا هُوَ. فَإِذَا نَطَقْتُ فَلَا أَقُولُ إِلَّا هُوَ. (قَالَ): فَأَخَذَتْ مَوْعِظَتُهُ بِمَجَامِعِ قَلْبِي. وَخَلَعَتْ عَنِّي مَلَابِسَ عُجْبِي

اشارة الدُّرَّة

١٣٢ (قَالَ) وَبَيْنَمَا أَنَا فِي هٰذِهِ ٱلْحَالِ إِذْ صَاحَتِ ٱلدُّرَّةُ مَنْ عَمِلَ عَمَلِي فَهُوَ مَسْعُودٌ. وَمَنْ حَذَا حَذْوِي فَهُوَ مَوْعُودٌ بِدَارِ ٱلْخُلُودِ. أَلَا تَرَانِي لَمَّا عَلَتْ هِمَّتِي وَسَمَتْ عَزِيمَتِي. كَيْفَ غَلَتْ قِيمَتِي. فَلَمْ أَرْضَ لِنَفْسِي. مَا يَرْتَضِيهِ أَبْنَاءُ جِنْسِي. لٰكِنِّي نَظَرْتُ إِلَى ٱلْوُجُودِ. وَمَا فِيهِ مَوْجُودٌ فَرَأَيْتُ آدَمَ وَبَنِيهِ مِنْ دُونِ ٱلْكُلِّ هُوَ ٱلْمَقْصُودَ. خَلَقَ ٱللهُ ٱلْكَائِنَاتِ مِنْ أَجْلِهِمْ وَخَلَقَهُمْ مِنْ أَجْلِهِ. فَوَصَلَ حَبْلَهُمْ بِحَبْلِهِ. وَفَعَلَ مَعَهُمْ مَا هُوَ مِنْ أَهْلِهِ.

فَلِذٰلِكَ زَاحَمْتُهُمْ فِي كَلَامِهِمْ . وَشَارَكْتُهُمْ فِي طَعَامِهِمْ . فَأَتَشَبَّهُ بِهِمْ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ . وَأَتَخَلَّقُ بِهِمْ وَأُخَاطِبُهُمْ وَلَا أَرْغَبُ عَنْهُمْ . فَعَلَتْ قِيمَتِي . إِذْ عَلَتْ هِمَّتِي . فَأَحَلُّونِي مَحَلَّ ٱلنَّدِيمِ . وَأَلَّفَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ . فَأَذْكُرُ كَمَا يَذْكُرُونَ . وَأَشْكُرُ كَمَا يَشْكُرُونَ :

إِخْتَبِرْ حَالِي تَجِدْنِي مِنْ أَصَحِّ ٱلنَّاسِ مَخْبَرْ
أَنَا قَدْ أَحْبَبْتُ قَوْمًا شَرُفُوا مَعْنًى وَمَنْظَرْ
كَبُرُوا قَدْرًا وَذِكْرًا فَهُمْ أَزْكَى وَأَطْهَرْ

(قَالَ) فَلَمَّا سَامَ نَفْسَهُ بِهٰذَا ٱلسَّوْمِ . وَجَلَسَ فِي صَدْرِ مَجَالِسِ ٱلْقَوْمِ . قُلْتُ مَا رَأَيْتُ كَٱلْيَوْمِ . أَٱلْبَهَائِمُ فِي ٱلْيَقْظَةِ وَأَنَا فِي ٱلنَّوْمِ . فَمَالِي لَا أُزَاحِمُ عَلَى أَبْوَابِ ذِي ٱلْمَرَاحِمِ . لَعَلَّهُ يُوهَبُ مَرْحُومٌ لِرَاحِمٍ . وَيُقَالُ: مَرْحَبًا بِٱلْقَادِمِ . هَا قَدْ وَهَبْنَا ٱلْجِنَايَةَ لِلنَّادِمِ

اشارة الديك

١٣٣ (قَالَ) فَقُلْتُ : تَٱللهِ لَقَدْ فَازَ أَهْلُ ٱلْخَلَوَاتِ . وَٱمْتَازَ أَهْلُ ٱلصَّلَوَاتِ . وَمُنِعَ مِنَ ٱلْجِوَارِ أَهْلُ ٱلْغَفَلَاتِ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ نَادَى ٱلدِّيكُ . كَمْ أُنَادِيكَ . وَأَنْتَ فِي تَعَامِيكَ وَتَعَاشِيكَ . جُعِلَتِ ٱلْأَذَانُ لِي وَظِيفَةً . أُوقِظُ بِهِ مَنْ كَانَ نَائِمًا كَٱلْجِيفَةِ . وَأُبَشِّرُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً . وَفِي إِشَارَةٍ لَطِيفَةٍ . أُصَفِّقُ بِجَنَاحَيَّ بِشْرًا لِلْقِيَامِ . وَأُعْلِنُ بِٱلصِّيَاحِ تَنْبِيهًا لِلنِّيَامِ . فَتَصْفِيقُ ٱلْجَنَاحِ . بُشْرَى بِٱلنَّجَاحِ . وَتَرْدِيدُ ٱلصِّيَاحِ . دُعَاءٌ لِلْفَلَاحِ . لَا أُخِلُّ بِوَظِيفَتِي لَيْلًا وَلَا نَهَارًا . وَلَا أَغْفُلُ عَنْ

وِرْدِي سِرًّا وَلَا إِجْهَارًا . قَسَمْتُ وَظَائِفَ ٱلطَّاعَاتِ . عَلَى جَمِيعِ ٱلسَّاعَاتِ . فَمَا تَمُرُّ سَاعَةٌ . إِلَّا وَلِي فِيهَا وَظِيفَةُ طَاعَةٍ . فَبِي تُعْرَفُ ٱلْمَوَاقِيتُ . وَلَا تَغْلُو قِيمَتِي وَلَوِ ٱشْتُرِيتُ بِٱلْيَوَاقِيتِ . فَهٰذَا حَالِي . مَعَ قِيَامِي عَلَى عِيَالِي . وَإِشْفَاقِي عَلَى أَطْفَالِي . فَأَنَا بَيْنَ ٱلدَّجَاجِ . أَقْنَعُ بِٱلْأُجَاجِ . وَلَا أَخْتَصُّ دُونَهُمْ بِحَبَّةٍ . وَلَا أَتَجَرَّعُ دُونَهُمْ بِشَرْبَةٍ . وَهٰذِهِ حَقِيقَةُ ٱلْمَحَبَّةِ . إِنْ رَأَيْتُ حَبَّةً دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهَا . وَدَلَلْتُهُمْ عَلَيْهَا . فَمِنْ شَأْنِي ٱلْإِيثَارُ . إِذَا حَصَلَ ٱلْإِقْتَارُ . ثُمَّ إِنِّي طَوْعٌ لِأَهْلِ ٱلدَّارِ . أَصْبِرُ لَهُمْ عَلَى سُوءِ ٱلْجِوَارِ . يَذْبَحُونَ أَفْرَاخِي . وَأَنَا لَهُمْ كَٱلْخِلِّ ٱلْمُؤَاخِي . وَيَنْتَهِبُونَ أَتْبَاعِي . وَأَنَا فِي نَفْعِهِمْ سَاعِي . فَهٰذِهِ شِيمَةُ أَوْصَافِي . وَسَجِيَّةُ إِنْصَافِي . وَٱللّٰهُ لِي كَافِي :

بِذِكْرِ ٱللّٰهِ يُدْفَعُ كُلُّ خَوْفٍ   وَيَدْنُو ٱلْخَيْرُ مِمَّنْ يَرْتَجِيهِ
وَلٰكِنْ أَيْنَ مَنْ يُصْغِي وَيَدْرِي   مَعَانِيَ مَا أَقُولُ وَمَنْ يَعِيهِ

اشارة البط

١٣٤ (قَالَ) فَنَادَى ٱلْبَطُّ . وَهُوَ فِي ٱلْمَاءِ يَنْغَطُّ . وَقَالَ : يَامَنْ بِدَنِيِّ هِمَّتِهِ ٱنْحَطَّ . لَا أَنْتَ مَعَ ٱلطَّيْرِ فَتَرْقَى . وَلَا تَسْلَمُ مِنَ ٱلضَّيْرِ فَتَبْقَى . فَأَنْتَ كَٱلْمُنْبَتِّ لَا أَرْضًا تَقْطَعُ . وَلَا لُزُومُكَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ يَنْفَعُ . سُقُوطُ نَفْسِكَ أَلْقَاكَ عَلَى ٱلْمَزَابِلِ . وَوُقُوفُكَ عِنْدَ ٱلطَّلِّ حَجَبَكَ عَنِ ٱلْوَابِلِ . وَمَا رَبِحَ فِي ٱلْمَتَاجِرِ مَنْ لَمْ يَقْطَعِ ٱلْمَرَاحِلَ . وَلَا يَظْفَرُ بِٱلْجَوَاهِرِ مَنْ هُوَ وَاقِفٌ بِٱلسَّاحِلِ . فَلَوْ ثَبَتَ تَمْكِينُكَ . وَقَوِيَ يَقِينُكَ . لَطِرْتَ فِي ٱلْهَوَاءِ . وَمَشَيْتَ عَلَى ٱلْمَاءِ . أَلَمْ تَرَنِي كَيْفَ مَلَكْتُ هَوَايَ . فَمَلَكْتُ

عَالَمي ٱلْمَاءِ وَٱلْهَوَاءِ . فَأَنَا فِي ٱلْبَرِّ سَائِحٌ . وَفِي ٱلْبَحْرِ سَابِحٌ . وَفِي ٱلْهَوَاءِ سَارِحٌ . وَقَدْ جَعَلْتُ ٱلْبَحْرَ مَرْكَزَ عِزِّي . وَمَعْدِنَ كَنْزِي . فَأَغُوصُ فِي صَفَاءِ تَلَالِيهِ . فَأَجْتَلِي جَوَاهِرَ لَآلِيهِ . وَأَطَّلِعُ فِيهِ عَلَى حِكَمِهِ وَمَعَانِيهِ . وَلَا يَعْرِفُ ذٰلِكَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهِ . فَمَنْ وَقَفَ عَلَى سَاحِلِهِ . لَمْ يَظْفَرْ إِلَّا بِزَبَدِهِ وَأُجَاجِهِ . وَمَنْ لَمْ يَحْذَرْ مِنْ دَوَاخِلِهِ وَلِجَاجِهِ . غَرِقَ فِي مُتَلَاطِمِ لُجَجِهِ وَأَمْوَاجِهِ . فَٱلسَّعِيدُ مَنْ رَكِبَ قَارِبَ قُرُبَاتِهِ . وَرَفَعَ قُلُوعَ تَضَرُّعَاتِهِ . مُتَعَرِّضًا لِنَسَمَاتِ نَفَحَاتِهِ . مَادًّا لِبَانَ رَجَائِهِ بِجَذَبَاتِهِ . ثُمَّ قَطَعَ كَثَائِفَ ظُلُمَاتِهِ . فَوَصَلَ إِلَى مَجْمَعِ بَحْرَيْ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ . فَهُنَالِكَ يَقَعُ عَلَى عَيْنِ حَيَاتِهِ . فَيَرِدُ مِنْ عَذْبِهِ وَفُرَاتِهِ :

يَا طَالِبًا لِلْمَعَالِي مَهْرُ ٱلْمَعَالِي غَالِي
قَدِّمْ فَأَوَّلُ نَقْدٍ مُعَجَّلُ ٱلْآجَالِ
مَا ٱسْتَعْذَبَ ٱلْمَوْتَ إِلَّا مَنْ ذَاقَ ذَوْقَ ٱلرِّجَالِ
حِمَاهُ دُونَ ٱلْوِصَالِ حُمَاتُهُ حَدُّ ٱلنِّصَالِ
كَذَا ٱلْقُصُورُ ٱلْعَوَالِي حُفَّتْ بِسُمْرِ ٱلْعَوَالِي
وَٱلشَّهْدُ دُونَ جَنَاهُ لَدْغٌ كَحَدِّ ٱلنِّبَالِ
قَدْ طَافَ حَوْلَ حِمَاهُ ذَوُو ٱلْجُدُودِ ٱلْعَوَالِي
وَصَابَرُوا فِي هَوَاهُ عَلَيْهِ مُرَّ ٱلنَّكَالِ
صَامُوا وَبِٱلذِّكْرِ قَامُوا فِي مُظْلِمَاتِ ٱللَّيَالِي
إِنْ كُنْتَ بَطَّالَ فَٱتْرُكْ مَنَازِلَ ٱلْأَبْطَالِ

اشارة النحل

١٣٥ (قَالَ): فَنادَتِ ٱلنَّحْلَةُ: يَا لَهَا مِنْ نَحْلَةٍ. مَا صَحَّ فِي رِوَايَتِهَا رِحْلَةٌ. فَٱلْعَارِفُ مَنْ ظَهَرَ مَعْنَاهُ. وَقُبِلَ دَعْوَاهُ. وَعُلِمَ صَفَاءُ سِرِّهِ مِنْ نَجْوَاهُ. وَمَنْ مَحَا حَقِيقَةَ دَعْوَاهُ. ثَبَتَتْ حَقِيقَةُ مَعْنَاهُ. فَلَا تَقُلْ قَوْلًا يُبْطِلُهُ فِعْلُكَ. وَلَا تُرَبِّ فَرْعًا يَنْقُضُهُ أَصْلُكَ. أَلَا تَرَانِي لَمَّا طَابَ مَطْعَمِي وَصَفَا مَشْرَبِي. كَيْفَ رُفِعَتْ رُتْبَتِي. وَعَلَا مَنْصِبِي. وَكَمُلَ أَدَبِي. لَوْلَا أَنِّي أَكَلْتُ ٱلْحَلَالَ. وَلَزِمْتُ أَشْرَفَ ٱلْخِلَالِ. حَتَّى صِرْتُ كَٱلْخِلَالِ. أَسْلُكُ سُبُلَ رَبِّي ذُلُلًا. وَأَشْكُرُ مِنْ نِعَمِهِ فُصُولًا وَجُمَلًا. أَبْتَغِي ٱلْمُبَاحَ. ٱلَّذِي لَيْسَ عَلَى آكِلِهِ مِنْ جُنَاحٍ. فَأَجْعَلُ فِي ٱلْجِبَالِ بُيُوتِي. وَمِنْ مُبَاحِ ٱلْأَشْجَارِ قُوتِي. أَبْتَنِي بُيُوتًا يَعْجِزُ كُلُّ صَانِعٍ عَنْ تَأْسِيسِهَا. وَيَتَحَيَّرُ أُقْلِيدِسُ فِي حَلِّ شَكْلِ تَسْدِيسِهَا. ثُمَّ أَسْقُطُ عَلَى ٱلزَّهْرِ وَٱلثَّمَرِ. فَلَا آكُلُ ثَمَرَةً. وَلَا أَهْشِمُ زَهْرَةً. بَلْ أَتَنَاوَلُ مِنْهَا شَيْئًا عَلَى هَيْئَةِ ٱلطَّلِّ. فَأَتَغَذَّى بِهِ قَانِعَةً وَإِنْ قَلَّ. ثُمَّ أَعُودُ إِلَى عُشِّي. وَقَدْ صَفَا كَدَرُ عَيْشِي. فَأَشْتَغِلُ فِي وَكْرِي بِفِكْرِي وَذِكْرِي. وَأُخْلِصُ لِمَوْلَايَ شُكْرِي. وَلَا أَفْتُرُ عَنِ ٱلذِّكْرِ. وَلَا أَغْفُلُ عَنِ ٱلشُّكْرِ. قَدْ أَنْتَجَ عِلْمِي وَعَمَلِي. شَمْعِي وَعَسَلِي. فَٱلشَّمْعُ ثَمَرَةُ ٱلْعِلْمِ ٱلْمَنْقُولِ. وَٱلْعَسَلُ ثَمَرَةُ ٱلْعَمَلِ ٱلْمَقْبُولِ. فَٱلشَّمْعُ لِلضِّيَاءِ. وَٱلْعَسَلُ لِلشِّفَاءِ. فَإِذَا أَتَانِي قَاصِدٌ يَسْتَضِيءُ بِضِيَائِي. وَإِنْ أَتَانِي عَلِيلٌ يَسْتَشْفِي بِشِفَائِي. فَلَا أُذِيقُهُ حَلَاوَةَ نَفْعِي. حَتَّى أُجَرِّعَهُ مَرَارَةَ لَسْعِي. وَلَا أُنِيلُهُ شَهْدِي. إِلَّا بَعْدَ مُكَابَدَةِ جُهْدِي. فَإِنِ ٱقْتَنَصَهُ

مِنّي قَهْرًا . أُحَامِي عَنْهُ جَهْرًا . وَأُدَافِعُ عَنْهُ بِرُوحِي . وَأَقُولُ يَارُوحُ رُوحِي . ثُمَّ أَقُولُ لِمَنْ جَنَانِي . وَأَسْتَخْرَجَنِي مِنْ جِنَانِي . أَنْتَ يَا جَانِي . عَلَيَّ جَانِي . فَإِنْ كُنْتَ لِلرُّمُوزِ تُعَانِي . فَقَدْ رُمِزَتْ لَكَ فِي مَعَانِي . إِنَّكَ لَا تَصِلُ إِلَى وِصَالِي . حَتَّى تَصْبِرَ عَلَى حَدِّ نِصَالِي :

إِصْبِرْ عَلَى مُرِّ هَجْرِي إِنْ رُمْتَ مِنِّي وِصَالَا
وَاتْرُكْ لِأَجْلِ هَوَايَ مَنْ صَدَّ جَهْلًا وَصَالَا
وَمُتْ إِذَا شِئْتَ تَحْيَا وَاسْتَعْجِلِ الآجَالَا
إِنْ كُنْتَ مَعْنًى تَمَعْنَى فَقَدْ ضَرَبْتُ مِثَالَا
فَإِنْ فَهِمْتَ رُمُوزِي إِقْدَمْ وَإِلَّا فَلَا لَا

اشارة الشمع

١٣٦ (قَالَ) : فَسَمِعَ النَّحْلُ اسْتِغَاثَةَ شَمْعِهِ . فَأَصْغَى إِلَيْهِ بِسَمْعِهِ . فَإِذَا هُوَ يَحْتَرِقُ بِالنَّارِ . وَيَبْكِي بِأَدْمُعٍ غِزَارٍ . وَيَقُولُ : أَيُّهَا النَّحْلُ أَمَا يَكْفِينِي . أَنْ رُمِيتُ مِنْكَ بِبَيْنِي . وَفَرَّقَ الدَّهْرُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنِي . فَأَنْتَ فِي الْوُجُودِ أَبِي . وَفِي الْإِيجَادِ سَبَبِي . فَأُفْرِدْتُ عَنْكَ بِتَحْرِيقِي . أَنَا وَالْعَسَلُ شَقِيقِي . وَهُوَ أَخِي وَرَفِيقِي . فَبَيْنَمَا نَحْنُ مُجْتَمِعَانِ . وَفِي قَرَارِنَا مُلْتَئِمَانِ . إِذْ فَرَّقَتْ بَيْنَنَا يَدُ النَّارِ وَرَمَتْنَا بِبُعْدِ الدَّارِ . وَشَطَّ مَا بَيْنَنَا الْمَزَارُ . فَأُفْرِدْتُ عَنْهُ وَأُفْرِدَ عَنِّي . وَبِنْتُ مِنْهُ وَبَانَ مِنِّي . ثُمَّ سُلِّطَتْ عَلَيَّ النَّارُ . وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْأَوْزَارِ . فَكَبِدِي تَحْتَرِقُ . وَجَسَدِي تَحْتَ رِقٍّ . وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ يَسْتَضِيئُونَ بِنُورِ إِشْرَاقِي . فَأَنَا فِي إِشْرَاقٍ وَإِحْرَاقٍ .

وَدَمْعٍ مُهَرَاقٍ • قَائِمٌ فِي ٱلْخِدْمَةِ عَلَى سَاقٍ • أَحْمِلُ ضَرَرِي وَضَيْرِي • وَأُحْرِقُ نَفْسِي لِأُشْرِقَ عَلَى غَيْرِي • فَأَنَا مُعَذَّبٌ بِشَرِّي • وَغَيْرِي مُتَمَتِّعٌ بِخَيْرِي • فَكَيْفَ أُلَامُ عَلَى ٱصْفِرَارِي • وَدُمُوعِيَ ٱلْجَوَارِي • ثُمَّ تَقْصِدُنِي ٱلْأَوْبَاشُ • مِنَ ٱلْفَرَاشِ • يُرِيدُونَ إِطْفَائِي • وَإِذْهَابَ أَضْوَائِي • فَأُحْرِقُهُ مُكَافَأَةً لِفِعْلِهِ • وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ • فَلَوْ مُلِئَتِ ٱلْأَرْضُ فَرَاشًا لَكُنْتُ مِنْهُمْ بِأَمَانٍ • وَلَوْ مُلِئَتْ أَوْبَاشًا لَمَا أَطْفَأُوا نُورَ ٱلْإِيمَانِ • يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى ٱلرَّحْمَانُ • وَهٰذَا رَمْزٌ لِمَنْ تَمَعْنَاهُ بَيَانٌ :

قَدْ أَتَى يَا نُورَ عَيْنِي ... مِنْكَ نُورٌ أَيُّ نُورِ
فَهُدَايَ وَضَلَالِي ... بِكَ يَا كُلَّ سُرُورِي
لَمْ يُطِقْ كُلُّ عَذُولٍ ... فِيكَ يَرْمِينِي بِزُورِي
وَكَذَا كُلُّ هَوَاءٍ ... لَمْ يُطِقْ إِطْفَاءَ نُورِي

اشارة الغراب

١٣٧ (قَالَ) : فَبَيْنَمَا أَنَا فِي نَشْوَةِ هٰذَا ٱلْعِتَابِ • وَلَذَّةِ هٰذَا ٱلشَّرَابِ • إِذْ سَمِعْتُ صَوْتَ غُرَابٍ • يَنْعَقُ بِتَفْرِيقِ ٱلْأَتْرَابِ • وَيَنُوحُ نَوْحَ ٱلْمُصَابِ • وَيَبُوحُ مَا يَجِدُهُ مِنْ أَلِيمِ ٱلْعَذَابِ • وَقَدْ لَبِسَ مِنَ ٱلْحِدَادِ جِلْبَابْ • وَرَضِيَ مِنْ بَيْنِ ٱلْعِبَادِ بِتَسْوِيدِ ٱلثِّيَابِ • فَقُلْتُ : أَيُّهَا ٱلنَّادِبُ لَقَدْ كَدَّرْتَ مَا كَانَ صَافِيًا • وَمَرَّرْتَ مَا كَانَ حُلْوًا شَافِيًا • فَمَا لَكَ لَمْ تَزَلْ فِي ٱلْبُكُورِ سَاعِيًا • وَعَلَى ٱلرُّبُوعِ نَاعِيًا • وَإِلَى ٱلْبَيْنِ دَاعِيًا • إِنْ رَأَيْتَ شَمْلًا

مُجْتَمِعًا أَنْذَرتَ بِشَتَاتِهِ . وَإِنْ شَاهَدتَ قَصْرًا عَالِيًا بَشَّرتَ بِدُرُوسِ عَرَصَاتِهِ . فَأَنْتَ لَدَى ٱلْخَلِيطِ ٱلْمُعَاشِرِ أَشْأَمُ مِن قَاشِرٍ . وَعِنْدَ ٱللَّبِيبِ ٱلْحَاذِرِ . أَلْأَمُ مِنْ جَاذِرٍ . فَنَادَانِي بِلِسَانِ زَجْرِهِ ٱلْفَصِيحِ . وَأَشَارَ بِعُنْوَانِ حَالِهِ ٱلصَّرِيحِ . وَيْحَكَ أَنْتَ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ ٱلْحَسَنِ وَٱلْقَبِيحِ . وَقَدْ تَسَاوَى لَدَيْكَ ٱلْعَدُوُّ وَٱلنَّصِيحُ . لَا بِٱلْكِنَايَةِ تَفْهَمُ وَلَا بِٱلتَّصْرِيحِ . كَأَنَّ ٱلْمَوَاعِظَ فِي أُذُنَيْكَ رِيحٌ . وَكَلَامَ ٱلْمَوَاعِظِ فِي سَمْعِ هَوَاكَ كَٱلنَّبِيحِ . أَمَا تَذْكُرُ رَحِيلَكَ مِنْ هٰذَا ٱلْفَيْحِ ٱلْفَسِيحِ . إِلَى ظُلْمَةِ ٱلْقَبْرِ وَضِيقِ ٱلضَّرِيحِ . أَمَا بَلَغَكَ مَا جَرَى عَلَى أَبِيكَ آدَمَ وَهُوَ يُنَادِي عَلَى نَفْسِهِ وَيَصِيحُ . أَمَا تَعْتَبِرُ بِنَوْحِ نُوحٍ . وَهُوَ يَبْكِي وَيَنُوحُ . عَلَى دَارٍ لَيْسَ بِهَا أَحَدٌ مُسْتَرِيحٌ . أَمَا تَقْتَدِي بِصَبْرِ ٱلذَّبِيحِ . أَمَا يَكْفِيكَ مَا تَمَّ عَلَى دَاوُدَ حَتَّى بَكَى بِقَلْبِهِ ٱلْقَرِيحِ . أَمَا تَهْتَدِي بِزُهْدِ ٱلْمَسِيحِ . أَيُّ جَمْعٍ لَمْ يَتَفَرَّقْ . أَيُّ شَمْلٍ لَمْ يَتَمَزَّقْ . أَيُّ صَفْوٍ لَمْ يَتَكَدَّرْ . أَيُّ حُلْوٍ لَمْ يَتَمَرَّرْ . أَيُّ أَمَلٍ . لَمْ يَقْطَعْهُ ٱلْأَجَلُ . أَيُّ تَدْبِيرٍ . لَمْ يُبْطِلْهُ ٱلتَّقْدِيرُ . أَيُّ بَشِيرٍ . لَمْ يَعْقُبْهُ نَذِيرٌ . أَيُّ يَسِيرٍ . مَا عَادَ عَسِيرْ . أَيُّ حَالٍ . مَا حَالَ . أَيُّ مُقِيمٍ مَا زَالَ . أَيُّ مَالٍ . عَنْ صَاحِبِهِ مَا مَالَ . أَيْنَ ذَوُو ٱلْعُمْرِ ٱلطَّوِيلِ . أَيْنَ ذَوُو ٱلْمَالِ ٱلْجَزِيلِ . أَيْنَ ذَوُو ٱلْوَجْهِ ٱلْجَمِيلِ . أَمَا قَرَضَهُمُ ٱلْمَوْتُ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ . أَمَا سَوَّى فِي ٱلثَّرَى بَيْنَ ٱلْعَبْدِ ٱلذَّلِيلِ . وَٱلْمَوْلَى ٱلْجَلِيلِ . أَمَا هَتَفَ بِٱلْمُتَمَتِّعِ بِدُنْيَاهُ قُلْ : مَتَاعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ . فَكَيْفَ تَلُومُنِي عَلَى نَوَاحِي . وَتَسْتَتْشِمُ بِصِيَاحِي . فِي مَسَاءِي وَصَبَاحِي . وَلَوْ عَلِمْتَ أَيُّهَا

ٱللَّاحِي ، بِمَا فِيهِ صَلَاحُكَ وَصَلَاحِي لَا تَشُحَّتْ بِوِشَاحِي ، وَوَافَقْتَنِي فِي سَوَادِ جَنَاحِي ، وَأَجَبْتَنِي بِٱلنُّوَاحِ ، مِنْ سَائِرِ ٱلنَّوَاحِي ، لَكِنْ أَلْهَاكَ لَهْوُكَ ، وَحَجَبَكَ عُجْبُكَ وَزَهْوُكَ ، وَهَا أَنَا أُعَرِّفُ ٱلنَّازِلَ ، بِخَرَابِ ٱلْمَنَازِلِ ، وَأُحَذِّرُ ٱلْآكِلَ ، غُصَّةَ ٱلْمَآكِلِ ، وَأُبَشِّرُ ٱلرَّاحِلَ ، بِقُرْبِ ٱلْمَرَاحِلِ ، وَصَدِيقُكَ مَنْ صَدَقَكَ ، لَا مَنْ صَدَّقَكَ ، وَمَنْ عَذَلَكَ ، لَا مَنْ عَذَرَكَ ، وَمَنْ بَصَّرَكَ ، لَا مَنْ نَصَرَكَ ، وَمَنْ وَعَظَكَ ، فَقَدْ أَيْقَظَكَ ، وَمَنْ أَنْذَرَكَ ، فَقَدْ حَذَّرَكَ ، وَلَقَدْ أَنْذَرْتُكَ بِسَوَادِي ، وَحَذَّرْتُكَ بِتَرْدَادِي ، وَأَسْمَعْتُكَ نِدَائِي فِي ٱلنَّادِي ، وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي :

أَنُوحُ عَلَى ذَهَابِ ٱلْعُمْرِ مِنِّي ... وَحَقِّي أَنْ أَنُوحَ وَأَنْ أُنَادِي
وَأَنْدُبُ كُلَّمَا عَايَنْتُ رَكْبًا ... حَدَا بِهِمُ لِوَشْكِ ٱلْبَيْنِ حَادِي
يُعَنِّفُنِي ٱلْجَهُولُ إِذَا رَآنِي ... وَقَدْ أُلْبِسْتُ أَثْوَابَ ٱلْحِدَادِ
فَقُلْتُ لَهُ ٱتَّعِظْ بِلِسَانِ حَالِي ... فَإِنِّي قَدْ نَصَحْتُكَ بِٱجْتِهَادِي
وَهَا أَنَا كَٱلْخَطِيبِ وَلَيْسَ بِدْعًا ... عَلَى ٱلْخُطَبَاءِ أَثْوَابُ ٱلسَّوَادِ
أَلَمْ تَرَنِي إِذَا عَايَنْتُ رَبْعًا ... أُنَادِي بِٱلنَّوَى فِي كُلِّ وَادِي
أَنُوحُ عَلَى ٱلطُّلُولِ فَلَمْ يُجِبْنِي ... بِسَاحَتِهَا سِوَى خُرْسِ ٱلْجَمَادِ
وَأُكْثِرُ فِي نَوَاحِيهَا نُوَاحِي ... مِنَ ٱلْبَيْنِ ٱلْمُفَتِّتِ لِلْفُؤَادِ
تَيَقَّظْ يَا ثَقِيلَ ٱلسَّمْعِ وَٱفْهَمْ ... إِشَارَةَ مَا تُشِيرُ بِهِ ٱلْغَوَادِي
فَمَا مِنْ شَاهِدٍ فِي ٱلْكَوْنِ إِلَّا ... عَلَيْهِ مِنْ شُهُودِ ٱلْغَيْبِ بَادِي
فَكَمْ مِنْ رَائِحٍ فِيهَا وَغَادٍ ... يُنَادِي مِنْ دُنُوٍّ أَوْ بِعَادِ

لَقَدْ أَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتُ حَيًّا وَلٰكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ أُنَادِي

اشارة الهدهد

١٣٨ - (قال) فلمَّا كدَّرَ عليَّ الغُرابُ وقتي. وحذَّرني مقتي. إنصرفتُ من حضرتي. إلى خلوةِ فكرتي. فهتف بي هاتفٌ من سماء فطرتي. أيُّها السَّامعُ منطقَ الطَّيرِ. المتأسّفُ على فواتِ الخيرِ. تاللهِ لو صغتِ الضَّمائرُ. لنفذتِ البصائرُ. واهتدى السَّائرُ. وما ضلَّ الحائرُ. ولو طابتِ الخواطرُ. لبانتِ الأمائرُ. ولو شرحتِ السَّرائرُ لظهرتِ البشائرُ. ولو انشرحتِ الصُّدورُ. لظهر لك النُّورُ. ولو ارتفعتِ السُّتورُ. لانكشف المستورُ. ولو طهرتِ القلوبُ. لظهرت سرائرُ الغيوبِ. ولو خلعتَ ثيابَ الإعجابِ. لرُفِعَ لك الحجابُ. ولو غبتَ عن عالمِ العيبِ. لشاهدتَ عالمَ الغيبِ. ولو قطعتَ العلائقَ. لانكشفت لك الحقائقُ. ولو خالفتَ العادةَ. لما انقطعت عنك المادَّةُ. ولو تجرَّدتَّ عن الإرادةِ. لوصلتَ إلى رتبةِ السِّيادةِ. ولو ملتَ عن هواكَ لمالَ بك إليهِ. ولو فارقتَ أباك لجمعكَ عليهِ. ولو بعُدَ عنك لوجدتَّ الزُّلفى لديهِ. ولكنَّك مسجونٌ في سجنِ طبعكَ. مقيَّدٌ بقيدِ مألوفكَ. متشاغلٌ بشواغلِ نفسكَ. متعلّقٌ بحبالِ خيالِ حسّكَ. قد أزمنتكَ برودةُ عزمكَ وأحرقتكَ حرارةُ حرصكَ. وأثقلتكَ تخمةُ بطركَ. واستعمتكَ عفونةُ رعونتكَ. وبرسمتكَ وساوسُ شهوتكَ. فأنتَ باردُ الهمَّةِ. مقعدُ العزمةِ. جامدُ الفكرةِ. فاسدُ الفطرةِ. كثيرُ

ٱلْحَيْرَةِ. قَدِ ٱنْعَكَسَ ذَوْقُ فَهْمِكَ. فَرَأَيْتَ ٱلْحَسَنَ قَبِيحًا. وَٱلْقَبِيحَ حَسَنًا. أَلَا تَرَى إِلَى ٱلْهُدْهُدِ حِينَ حَسُنَتْ سِيرَتُهُ. وَصَفَتْ سَرِيرَتُهُ. كَيْفَ نَفَذَتْ بَصِيرَتُهُ. فَتَرَاهُ يُشَاهِدُ بِٱلنَّظَرِ. مَا تَحْجُبُهُ ٱلْأَرْضُ عَنْ سَائِرِ ٱلْبَشَرِ. فَيَرَى فِي بَطْنِهَا ٱلْمَاءَ ٱلثَّجَّاجَ. كَمَا تَرَاهُ أَنْتَ فِي ٱلزُّجَاجِ. وَيَقُولُ بِصِحَّةِ ذَوْقِهِ وَصِدْقِهِ: هٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ. وَيَقُولُ: أَنَا ٱلَّذِي أُوتِيتُ مَعَ صِغَرِ ٱلْجُثْمَانِ. مَا لَمْ يُؤْتَهُ سُلَيْمَانُ. فَإِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَقْبَلُ نُصْحِي. فَحَسِّنْ سِيرَتَكَ. وَأَصْفِ سَرِيرَتَكَ. وَطَيِّبْ أَخْلَاقَكَ. وَرَاقِبْ خَلَّاقَكَ. وَتَأَدَّبْ بِأَحْسَنِ ٱلْآدَابِ. وَلَوْ أَنَّهَا مِنَ ٱلدَّوَابِّ. فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَأْخُذْ إِشَارَتَهُ مِنْ صَرِيرِ ٱلْبَابِ وَطَنِينِ ٱلذُّبَابِ. وَنَبِيحِ ٱلْكِلَابِ. وَحَشَرَاتِ ٱلتُّرَابِ. وَيَفْهَمْ مَا يُشِيرُ بِهِ مَسِيرُ ٱلسَّحَابِ. وَلَمْعُ ٱلسَّرَابِ. وَضِيَاءُ ٱلضَّبَابِ. فَلَيْسَ مِنْ ذَوِي ٱلْأَلْبَابِ

اشارة الكلب

١٣٩ (قَالَ) فَبَيْنَمَا أَنَا مُسْتَغْرِقٌ فِي لَذَّةِ ٱلْخِطَابِ. مُنْصِتٌ لِلْجَوَابِ. إِذْ نَادَانِي كَلْبٌ عَلَى ٱلْبَابِ. يَلْقُطُ مِنَ ٱلْمَزَابِلِ مَا يَسْقُطُ مِنَ ٱللُّبَابِ. فَقَالَ: يَا مَنْ هُوَ مِنْ وَرَاءِ ٱلْحِجَابِ. يَا مَحْجُوبًا عَنِ ٱلْمُسَبِّبِ بِٱلْأَسْبَابِ. يَا مُسْبِلًا ثِيَابَ ٱلْإِعْجَابِ. تَأَدَّبْ بِآدَابِي. فَإِنَّ فِعْلَ ٱلْجَمِيلِ دَابِي. وَسُسْ نَفْسَكَ بِسِيَاسَتِي. وَٱسْمَعْ مَا أَقُولُ لَكَ مِنْ فِرَاسَتِي. وَمَا عَلَيْكَ مِنْ خَسَاسَتِي. فَإِنِّي إِنْ كُنْتُ فِي ٱلصُّورَةِ حَقِيرًا. تَجِدْنِي فِي ٱلْمَعْنَى فَقِيرًا. لَا أَزَالُ وَاقِفًا عَلَى أَبْوَابِ سَادَتِي. غَيْرَ رَاغِبٍ فِي سِيَادَتِي. فَلَا

أَتغَيرُ عن عادَتي . ولا أَقطعُ عنهم مادَّتي . أُطْرَدُ فأَعودُ . وأُضْرَبُ وَلستُ بالْحَقودِ . وأَنا حافِظٌ للودِّ باقٍ على الْعهُودِ . أَقُومُ إذا كانَ الْأَنامُ رُقودْ . وأَصومُ والْخِوانُ ممْدُودْ . ولَيْسَ لِي مالٌ معْدُودٌ . ولا سِماطٌ ممْدُودٌ . ولا رِباطٌ معْهُودٌ . ولا مقامٌ محْمُودٌ . إنْ أُعطِيتُ شكَرْتُ . وَإنْ مُنِعتُ صبرْتُ . لا أرى في الْآفاقِ شاكِيًا . ولا على ما فاتَ باكِيًا . إنْ مرِضتُ فلا أُعادُ . وإنْ مُتُّ فلا أُحْمَلُ على أَعْوادٍ . وإنْ غِبتُ فلا يُقالُ ليتَهُ عادَ . وإنْ فُقِدتُّ فلا تبكِيني الْأَوْلادُ . وإنْ سافَرْتُ فلا أَسْتَصْحِبُ الزَّادَ . لا مالَ لي يُورَثُ . ولا عقارٌ فيُحْرَثَ . إنْ فُقِدتُّ فلا يُبكَى عليَّ . وإنْ وُجِدتُّ فلا يُنْظَرُ إليَّ . وأنا مع ذٰلِكَ أَحُومُ حولَ حِماهُمْ . وأَدُومُ على وفاهُمْ . عاكِفٌ على مَزابِلِهِمْ . قانِعٌ بِطَلِّهِمْ دُونَ وابِلِهِمْ . فإنْ أَعْجَبَكَ خِلالِي فتمسَّكْ بأذْيالِي . وتعلَّقْ بحِبالِي . وإنْ أَردتَّ وِفاقِي . فتخلَّقْ بأَخْلاقِي :

وتعلَّمْ حِفْظَ الْمَوَدَّةِ مِنِّي وتمسَّكْ إلى الْعُلَى بحِبالِي
أَنا كلْبٌ حقيرُ قدْرٍ ولكِنْ لِيَ قلْبٌ خالٍ مِنَ الْإدْغالِ
أَحفظُ الْجارَ في الْجِوارِ ودأْبِي أنْ أُحامِي عليْهِم في اللَّيالِي
وتَراني في كلِّ عُسْرٍ ويُسْرٍ صابِرًا شاكِرًا على كُلِّ حالِ
لا يُبالَى عليَّ إنْ مُتُّ جوعًا أوْ سقَتْني الْأَيَّامُ مُرَّ النَّكالِ
لا يَراني الْإلٰهُ أَشْكُو لِخَلْقٍ إذْ على اللهِ في الْأُمورِ اتِّكالِي
أَحمِلُ الضَّيْمَ فيهِ صَوْنًا لِعِرْضِي وفِرارًا مِنْ مُرِّ ذُلِّ السُّؤالِ

فَخِلَالِي عَلَى خَسَاسَةِ قَدْرِي   فِي ٱلْمَعَالِي يَفُقْنَ كُلَّ خِلَالِ

اشارة الجمل

١٤٠ فَقَالَ ٱلْجَمَلُ: أَيُّهَا ٱلرَّاغِبُ فِي ٱلسُّلُوكِ. إِلَى مَنَازِلِ ٱلْمُلُوكِ. إِنْ كُنْتَ تَعَلَّمْتَ مِنَ ٱلْكَلْبِ زُهْدًا وَفَقْرًا. فَتَعَلَّمْ مِنِّي جَلَدًا وَصَبْرًا. فَإِنَّ مَنْ تَوَسَّدَ ٱلْفَقْرَ. وَجَبَ عَلَيْهِ مُعَانَقَةُ ٱلصَّبْرِ. فَإِنَّ ٱلْفَقِيرَ ٱلصَّابِرَ. مَعْدُودٌ مِنَ ٱلْأَكَابِرِ. هَا أَنَا أَحْمِلُ ٱلْأَحْمَالَ ٱلثِّقَالَ. وَأَقْطَعُ ٱلْمَرَاحِلَ ٱلطِّوَالَ. وَأُكَابِدُ ٱلْأَهْوَالَ. وَأَصْبِرُ عَلَى مُرِّ ٱلنَّكَالِ. وَلَا يَعْتَرِينِي فِي ذٰلِكَ مَلَالٌ. وَلَا أَصُولُ صَوْلَةَ ٱلْأَرْذَالِ. بَلْ أَنْقَادُ لِلطِّفْلِ ٱلصَّغِيرِ. وَلَوْ شِئْتُ لَٱسْتَصْعَبْتُ عَلَى ٱلْأَمِيرِ ٱلْكَبِيرِ. فَأَنَا ٱلذَّلُولُ. ٱلَّذِي لِلْأَثْقَالِ حَمُولٌ. وَفِي ٱلْأَحْمَالِ ذَمُولٌ. وَلَسْتُ بِٱلْخَائِنِ وَلَا بِٱلْمَلُولِ. وَلَا بِٱلصَّائِلِ عَنِ ٱلْمَصُولِ. وَلَا بِٱلْمَائِلِ عَنِ ٱلْقُفُولِ. أَقْطَعُ فِي ٱلْوُحُولِ. مَا تَعْجِزُ عَنْهُ ٱلصَّنَادِيدُ ٱلْفُحُولُ. وَأُصَابِرُ فِي ظَمَإِ ٱلْهَوَاجِرِ وَفِي ٱلْحَاجِرِ لَا أَحُولُ. فَإِذَا قَضَيْتُ حَقَّ صَاحِبِي. وَبَلَغْتُ مَآرِبِي. أَلْقَيْتُ حَبْلِي عَلَى غَارِبِي. وَذَهَبْتُ فِي ٱلْبَوَادِي. أَكْتَسِبُ مِنَ ٱلْمُبَاحِ زَادِي. وَإِنْ سَمِعْتُ صَوْتَ ٱلْحَادِي. سَلَّمْتُ إِلَيْهِ قِيَادِي. وَأَوْصَلْتُ فِيهِ سُهَادِي. وَمَدَدْتُ عُنُقِي لِبُلُوغِ مُرَادِي. فَإِنْ ضَلَلْتُ فَٱلدَّلِيلُ هَادِي. وَإِنْ زَلَلْتُ أَخَذَ بِيَدِي مَنْ إِلَيْهِ ٱنْقِيَادِي. فَأَنَا ٱلْمُسَخَّرُ لَكُمْ بِإِشَارَةٍ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ. فَلَا أَزَالُ بَيْنَ رِحْلَةٍ وَمُقَامٍ حَتَّى أَصِلَ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْمَقَامِ.

اشارة الفرس

١٤١ فَقَالَ ٱلْفَرَسُ أَيُّهَا ٱلْفَقِيرُ ٱلصَّابِرُ. ٱلطَّالِبُ سُبُلَ ٱلْمَآثِرِ. تَعَلَّمْ مِنِّي حُسْنَ ٱلْأَدَبِ. وَصِدْقَ ٱلطَّلَبِ. لِبُلُوغِ ٱلْأَرَبِ. هَا أَنَا أَحْمِلُ مُبَاهِلِي عَلَى كَاهِلِي. فَأَجْتَهِدُ فِي ٱلسَّيْرِ. وَأَنْطَلِقُ بِهِ كَٱلطَّيْرِ. أَهْجُمُ هُجُومَ ٱللَّيْلِ. وَأَقْتَحِمُ ٱقْتِحَامَ ٱلسَّيْلِ. فَإِنْ كَانَ طَالِبًا أَدْرَكَ بِي طَلَبَهُ. وَبَلَغَ بِي أَرَبَهُ. وَإِنْ كَانَ مَطْلُوبًا قَطَعْتُ عَنْ طَالِبِهِ سَبَبَهُ. وَجَعَلْتُ أَسْبَابَ ٱلرَّدَى عَنْهُ مُحَجَّبَةً. فَلَا يُدْرِكُ مِنِّي إِلَّا ٱلْغُبَارَ. وَلَا يَسْمَعُ عَنِّي إِلَّا ٱلْأَخْبَارَ. فَإِنْ كَانَ ٱلْجَمَلُ هُوَ ٱلصَّابِرَ ٱلْمُجَرَّبَ. فَأَنَا ٱلشَّاكِرُ ٱلْمُقَرَّبُ. وَإِنْ كَانَ هُوَ ٱلْمُقْتَصِدَ ٱللَّاحِقَ. فَأَنَا ٱلْمُجْتَهِدُ ٱلسَّابِقُ. فَإِذَا كَانَ يَوْمُ ٱللِّقَا. وَأَوَانُ ٱلْمُلْتَقَى. أَقْدَمْتُ إِقْدَامَ ٱلْوَالِهِ. وَسَبَقْتُ ضَرْبَ نِبَالِهِ. وَذَاكَ مُتَخَلِّفٌ لِثِقَلِ أَحْمَالِهِ. مُعَاقٌ لِتَفْتِيشِ مَا فِي رِحَالِهِ. وَرَأَيْتُ ثَمَّ حُقُوقًا لَا يَسْتَوْفِيهَا إِلَّا كُلُّ مُوفٍ. وَطَرِيقًا لَا يَقْطَعُهَا إِلَّا كُلُّ مُخِفٍّ. فَلِذَلِكَ شَمَّرْتُ عَنْ سَاقٍ. وَتَضَمَّرْتُ لِيَوْمِ ٱلسِّبَاقِ. وَقُلْتُ لِمَنْ أَسْكَرَهُ ٱلطَّيْشُ فَمَا أَفَاقَ. وَغَرَّهُ ٱلْعَيْشُ ٱلَّذِي قَدْ رَاقَ: مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ ٱللهِ بَاقٍ. فَيَا مَنْ هُوَ عَنِ ٱلْمُرَادِ مَرْدُودٌ. وَفِي ٱلطِّرَادِ مَطْرُودٌ. هَلَّا نَظَرْتَ إِلَى ٱلْوُجُودِ. وَفَهِمْتَ ٱلْمَقْصُودَ. وَأَقَمْتَ عَلَى نَفْسِكَ ٱلْحُدُودَ. وَأَوْثَقْتَ جَوَارِحَكَ بِٱلْقُيُودِ. وَذَكَرْتَ ٱلْأَجَلَ ٱلْمَحْدُودَ. وَٱلنَّفَسَ ٱلْمَعْدُودَ. وَخَشِيتَ ٱلْيَوْمَ ٱلْمَوْعُودَ. هَا أَنَا لَمَّا أَوْثَقَ سَائِسِي قَيْدِي. أَمِنَ قَائِدِي كَيْدِي. فَكَمْ أَكَلَ سَائِقِي مِنْ صَيْدِي.

وَكَمْ لِي عَلَى مُسَابِقِي مِنْ أَيْدِي . أَوْثَقْتُ بِشِكَالِي . كَيْلَا أَصُولَ عَلَى أَشْكَالِي . وَأَخِذْتُ بِعِنَانِي . كَيْلَا أَذْهَبَ إِلَى غَيْرِ مَا عَنَانِي . وَأُلْجِمْتُ بِلِجَامِي . لِئَلَّا يَفْسُدَ عَلَيَّ نِظَامِي . وَأُلْزِمْتُ بِحِزَامِي . خَشْيَةً مِنْ غَفْلَتِي عَنْ قِيَامِي . وَنُعِلْتُ بِالْحَدِيدِ أَقْدَامِي . كَيْلَا أَكِلَّ عِنْدَ إِقْدَامِي . فَأَنَا الْمَوْعُودُ بِالنَّجَاةِ . الْمَعْدُودُ لِلْجَاهِ . الْمَشْدُودُ لِلسَّلَامَةِ . الْمَقْصُودُ بِالْكَرَامَةِ . وَالْخَيْرُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . خُلِقْتُ مِنَ الرِّيحِ . وَأُلْهِمْتُ التَّقْدِيسَ وَالتَّسْبِيحَ . وَمَا بَرِحَ ظَهْرِي عِزًّا . وَبَطْنِي كَنْزًا . وَصُحْبَتِي حِرْزًا . فَكَمْ رَكَضْتُ فِي مَيْدَانٍ وَمَا أَبْدَيْتُ عَجْزًا . فَكَمْ كُسِيتُ فِي السِّبَاقِ خَزًّا . وَكَمْ حَزَزْتُ أَهْلَ النِّفَاقِ حَزًّا . فَكَمْ أَخْلَيْتُ مِنْهُمُ الْآفَاقَ فَهَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا . (فَجَاوَبْتُهُ) تَاللهِ لَقَدْ حَوَيْتَ مِنَ الْخِلَالِ أَجْمَلَهَا . وَمِنَ الْفِعَالِ أَكْمَلَهَا

اشارة دود القز

١٤٢ فَقَالَتْ دُودَةُ الْقَزِّ : تَاللهِ لَيْسَتِ الْفُحُولِيَّةُ بِالصُّوَرِ وَالْهَيَاكِلِ . وَلَا الرُّجُولِيَّةُ بِتَرْكِ الْمَشَارِبِ وَالْمَآكِلِ . وَلَا الْإِيثَارُ بِبَذْلِ النِّثَارِ . إِنَّمَا الْجُودُ لِمَنْ جَادَ بِمَوْجُودِهِ . وَآثَرَ بِحَيَاتِهِ وَوُجُودِهِ . فَإِنْ كَانَتْ خِصَالُ الْخَيْرِ مَعْدُودَةً . فَأَجَلُّهَا مَعَ دُودَةٍ . أَنَا فِي الدُّودِ كَدُودَةٌ . وَلِأَهْلِ الْوِدِّ وَدُودَةٌ . أَنَا الْمُتَوَالِدَةُ مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ وَلَا مَوْلُودَةٌ . أُؤْخَذُ فِي الْبِدَايَةِ بِزْرًا . كَمَا يَأْخُذُ الزَّارِعُ بَذْرًا . فَإِذَا تَمَّتْ أَيَّامُ حَمْلِي . وَآذَنَتِ الْقُدْرَةُ بِجَمْعِ شَمْلِي . إِنْفَصَلَ عَنْ ذَلِكَ الْحَمْلِ

نَسْلِي . وَحَصَلَ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْفَصْلِ وَصْلِي . فَأَنْظُرُ فِي يَوْمِ مِيلَادِي . فَلَا أَرَى لِي أَبًا وَلَا أُمًّا . وَلَا خَالًا وَلَا عَمًّا . فَتَكْتَنِفُنِي أَيْدِي ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَاءِ . بِٱلتَّرْبِيَةِ فِي ٱلصَّبَاحِ وَٱلْمَسَاءِ . وَأُحْمَى عَنْ تَخَالِيطِ ٱلْأَغْذِيَةِ حَائِدًا . وَلَا أُطْعَمُ إِلَّا غِذَاءً وَاحِدًا . فَإِذَا تَمَّ حَوْلِي . وَبَدَتْ قُوَّتِي وَحَوْلِي . بَادَرْتُ إِلَى شُكْرِ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيَّ . وَمُكَافَأَةِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ . فَأَشْرَعُ فِي عَمَلِ مَا يَصْلُحُ لِلْإِنْسَانِ . قِيَامًا بِمَأْمُورِ: هَلْ جَزَاءُ ٱلْإِحْسَانِ إِلَّا ٱلْإِحْسَانُ . فَأَبْتَدِرُ مِنْ غَيْرِ دَعْوَى . وَلَا إِظْهَارِ شَكْوَى . فَأَنْسِجُ بِإِلْهَامِ ٱلتَّقْدِيرِ . مَا يَعْجِزُ عَنْهُ أَهْلُ ٱلتَّدْبِيرِ . فَأُسْبِلُ مِنْ لُعَابِي . مَا أُشْكَرُ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَهَابِي . وَأَسْتَخْرِجُ مِنْ صَنْعَةِ صَانِعِي مَلَابِسَ . تُزَيِّنُ ٱللَّابِسَ . فَٱلْمُلُوكُ تَفْتَخِرُ بِخَزِّي . وَٱلسَّلَاطِينُ تَتَنَافَسُ فِي أَرْدِيَةِ قَزِّي . فَأَنَا أَجْمَلُ ٱلْمَطَارِفِ . وَأَرْهَجُ ٱلزَّخَارِفِ . فَإِذَا كَافَيْتُ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ . وَأَدَّيْتُ شُكْرَ مَا وَجَبَ لَهُ عَلَيَّ . جَعَلْتُ بَيْتِيَ ٱلْمَنْسُوجَ قَبْرِي . وَفِي طَيِّهِ نَشْرِي . فَأُضَيِّقُ عَلَيَّ حَبْسِي . وَأُهْلِكُ نَفْسِي بِنَفْسِي . وَأَمْضِي إِلَى رَمْسِي . كَمُضِيِّ أَمْسِي . فَأَنَا ٱلَّذِي أَجُودُ بِخَيْرِي . وَأُبَالِغُ فِي نَفْعِ غَيْرِي . وَأَنَا ٱلْمُعَذَّبَةُ بِضَيْرِي . ثُمَّ مِنْ نَكَدِ هٰذِهِ ٱلدَّارِ . ٱلْمَجْبُولَةِ عَلَى ٱلْأَكْدَارِ . أَنَّنِي ٱبْتُلِيتُ بِحَرِيقِ ٱلنَّارِ . وَحَسَدِ ٱلْجَارِ . وَقَدِ ٱعْتَدَى عَلَيَّ ظُلْمًا وَجَارَ . وَهُوَ هٰذِهِ ٱلْعَنْكَبُوتُ . ٱلْمَخْصُوصَةُ بِأَوْهَنِ ٱلْبُيُوتِ . تُجَاوِرُنِي وَتُجَاوِزُنِي . وَتَقُولُ: لِي نَسْجٌ وَلَكِ نَسِيجٌ . وَأَمْرِي وَأَمْرُكِ مَرِيجٌ . فَقُلْتُ لَهَا: وَيْحَكِ أَنْتِ نَسْجُكِ شَبَكَةُ ٱلذُّبَابِ . وَمَجْمَعُ

لِلتُّرَابِ . وَأَنَا نَسْجِي زِينَةُ ٱلْكَوَاعِبِ ٱلْأَتْرَابِ . أَمَا قَدْ ضُرِبَ بِضَعْفِكِ ٱلْمَثَلُ . وَأَيْنَ ٱلْكُحْلُ مِنَ ٱلْكَحَلِ . وَأَيْنَ ٱلْبَدْرُ مِنَ ٱلنَّجْمِ إِذَا أَفَلَ

اشارة العنكبوت

١٤٣ فَقَالَتِ ٱلْعَنْكَبُوتُ . إِنْ كَانَ بَيْتِي أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ . وَحَبْلِي مَبْتُوتٌ . فَإِنَّ فَضْلِي عَلَيْكِ فِي سِجِلِّ ٱلذِّكْرِ مَثْبُوتٌ . أَمَّا أَنَا فَمَا لِأَحَدٍ عَلَيَّ مِنَّةٌ . وَلَا لِأُمٍّ عَلَيَّ حَنَّةٌ . مِنْ حِينِ أُولَدُ أَنْسِجُ لِنَفْسِي أَبْيَاتٌ . فِي جَمِيعِ ٱلْأَوْقَاتِ . فَأَوَّلُ مَا أَقْصِدُ زَاوِيَةَ ٱلْبَيْتِ . وَإِنْ كَانَ خَرَابًا فَهُوَ أَحْسَنُ مَا أَوَيْتُ . فَأَقْصِدُ ٱلزَّوَايَا . لِمَا فِيهَا مِنَ ٱلْخَبَايَا . وَلِمَا فِي سِرِّهَا مِنَ ٱلنُّكَتِ ٱلْخَفَايَا . فَأُلْقِي لُعَابِي عَلَى حَافَاتِهَا . حَذَرًا مِنَ ٱلْخُلْطَةِ وَآفَاتِهَا . ثُمَّ أُفْرِدُ مِنْ طَاقَاتِ غَزْلِي خَيْطًا دَقِيقًا . مُنَكَّسًا فِي ٱلْهَوَاءِ رَقِيقًا . فَأَتَعَلَّقُ بِهِ مُسْبِلَةً يَدَيَّ . مُمْسِكَةً بِرِجْلَيَّ . فَيَظُنُّ ٱلْغِرُّ بِتِلْكَ ٱلْحَالَةِ . أَنَّنِي مَيِّتٌ لَا مَحَالَةَ . فَتَمُرُّ ٱلذُّبَابَةُ فَأَخْتَطِفُهَا بِحَبَائِلِ كَيْدِي . وَأُودِعُهَا فِي شَبَكَةِ صَيْدِي . وَأَنْتِ أَيُّهَا ٱلْغَدَّارَةُ . ٱلَّتِي بِزُخْرُفِهَا غَرَّارَةٌ . إِنَّمَا جُعِلْتِ زِينَةً لِنَاقِصَاتِ ٱلْعُقُولِ . وَلَهْوًا لِلصِّبْيَانِ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَعْقُولٌ . وَقَدْ حُرِّمْتِ عَلَى ٱلرِّجَالِ ٱلْفُحُولِ . لِأَنَّ حُسْنَكِ عَنْ قَرِيبٍ يَحُولُ . وَمَا لَكِ فِي ٱلْحَقِيقَةِ مَحْصُولٌ . وَلَا إِلَى ٱلطَّرِيقَةِ وُصُولٌ . فَيَا وَيْحَ مَحْرُومٍ حُرِمَ ٱلسُّؤْلَ :

أَيُّهَا ٱلْمُعْجَبُ فَخْرًا بِمَقَاصِيرِ ٱلْبُيُوتِ
فَٱرْضَ فِي ٱلدُّنْيَا بِثَوْبٍ وَمِنَ ٱلْعَيْشِ بِقُوتِ
وَٱتَّخِذْ بَيْتًا ضَعِيفًا مِثْلَ بَيْتِ ٱلْعَنْكَبُوتِ

ثُمَّ قُلْ يَا نَفْسِ هٰذَا بَيْتُ مَثْوَاكِ فَمُوتِي

اشارة النملة

١٤٤ فَقَالَتِ ٱلنَّمْلَةُ: إِذَا مَا رَمَاكَ ٱلدَّهْرُ بِمَرْمًى فَنَمْ لَهُ . وَتَعَلَّمْ مِنِّي قُوَّةَ ٱلِاسْتِعْدَادِ . وَتَحْصِيلَ ٱلزَّادِ . لِيَوْمِ ٱلْمَعَادِ . وَٱنْظُرْ إِلَى غُرَّةِ عَزْمِي . وَصِحَّةِ حَزْمِي . وَتَأَمَّلْ كَيْفَ شَدَّتْ يَدُ ٱلْقُدْرَةِ لِلْخِدْمَةِ وَسَطِي . فَأَوَّلَ مَا فَتَحْتُ عَيْنِي مِنَ ٱلْعَدَمِ . رَأَيْتُنِي وَاقِفَةً عَلَى ٱلْقَدَمِ . لِأَكُونَ مِنْ جُمْلَةِ ٱلْخَدَمِ . ثُمَّ كُلِّفْتُ بِجَمْعِ ٱلْمَؤُونَةِ . بِتَيْسِيرِ ٱلْمَعُونَةِ . ثُمَّ أُعْطِيتُ قُوَّةَ ٱلشَّمِّ مِنْ بُعْدِ ٱلْفَرَاسِخِ . مَا لَا يُدْرِكُهُ ٱلْعَالِمُ ٱلرَّاسِخُ . فَأُدَبِّرُ مَا أَذْخَرُهُ مِنَ ٱلْحَبِّ لِقُوتِي . فِي بُيُوتِي . فَيُلْهِمُنِي فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَى . أَنْ أَقْسِمَ ٱلْحَبَّةَ نِصْفَيْنِ بِٱلسَّوَى . فَإِنْ كَانَتِ ٱلْحَبَّةُ كُزْبُرَةً . فَلَهَا حِكْمَةٌ مُدَبَّرَةٌ . وَهُوَ أَنْ أَفْلِقَهَا أَرْبَعَ فِلَقٍ فَإِنَّهَا إِذَا ٱنْفَلَقَتْ نِصْفَيْنِ نَبَتَتْ . وَإِنْ قُطِعَتْ أَرْبَعًا ٱنْقَطَعَتْ . وَإِنْ خِفْتُ عَلَيْهَا فِي ٱلشِّتَاءِ عُفُونَةَ ٱلْأَرْضِ أَنْ تَضُرَّهَا . أَخْرَجْتُهَا فِي يَوْمٍ شَامِسٍ فَتُجَفِّفُهُ ٱلشَّمْسُ بِحَرِّهَا . فَلَا يَزَالُ ذٰلِكَ دَابِي . وَأَنْتَ تَظُنُّ أَنَّهُ أَرْدَى بِي . وَتَعْتَقِدُ فِيَّ نَقْصًا . وَأَنْهِمَاكًا عَلَى ٱلدُّنْيَا وَحِرْصًا . كَلَّا كَلَّا لَوْ عَلِمْتَ حَقِيقَةَ أَمْرِي . لَأَقَمْتَ فِي ذٰلِكَ عُذْرِي . وَلَٱرْتَفَعَ عِنْدَكَ قَدْرِي . فَكُلُّ نَمْلَةٍ تَجْتَهِدُ فِي سَيْرِهَا . وَتَحْصِيلِ خَيْرِهَا . لِنَفْعِ غَيْرِهَا . مُتَعَرِّضَةً لِلْهَلَاكِ . وَمَصَايِدِ ٱلْأَشْرَاكِ . فَإِمَّا أَنْ تَهْلِكَ عَطَشًا أَوْ جُوعًا . أَوْ تَقَعَ فِي مَفَازَةٍ فَلَا تَجِدُ رُجُوعًا . تَخْتَطِفُهَا ذُبَابَةٌ . أَوْ تَطَأُهَا دَابَّةٌ . فَتُلْقِي مَا فِي أَيْدِيهَا بَيْنَ

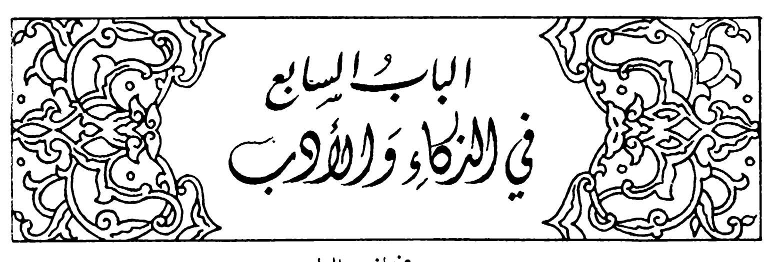
أَيديهِنَّ . فتقسمه بِالسَّوِيَّةِ عَلَيهِنَّ مِنْ غَيرِ خُصُوصٍ . ولا حَظٍّ منقوصٍ

اشارة العنقاء

١٤٥ (قَالَ الشَّيخُ) : لَكُمُ البِشَارَةُ . يَا أَهلَ الإِشَارَةِ . إِنْ فَهِمْتُمْ رَمْزَ هٰذِهِ العِبَارَةِ . فَأَنصِتُوا بِضَرْبِ هٰذِهِ الأَمْثَالِ المُسْتَعَارَةِ . (قِيلَ) اجْتَمَعَ الطُّيُورُ وَقَالُوا : لَا بُدَّ لَنَا مِنْ مَلِكٍ نَعتَرِفُ لَهُ وَنُعْرَفُ بِهِ . فَهَلُمُّوا نَنْطَلِقْ فِي طَلَبِهِ . وَنَسْتَمْسِكْ بِسَبَبِهِ . وَنَعِشْ فِي ظِلِّهِ . وَنَعْتَصِمْ بِحَبْلِهِ . وَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّ بِجَزَائِرِ البَحْرِ مَلِكًا يُقَالُ لَهُ عَنْقَاءُ مُغْرِبٍ . قَدْ نَفَذَ حُكْمُهُ فِي المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ . فَهَلُمُّوا بِنَا إِلَيهِ . مُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ . فَقِيلَ لَهُمْ إِنَّ البَحْرَ عَمِيقٌ وَالطَّرِيقَ مَضِيقٌ . وَالسَّبِيلَ سَحِيقٌ . وَبَيْنَ أَيدِيكُمْ جِبَالٌ شَاهِقَةٌ . وَبِحَارٌ مُغْرِقَةٌ . وَنِيرَانٌ مُحْرِقَةٌ . وَلَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَى الاتِّصَالِ . وَلَوْ تَقَطَّعَتِ الأَوْصَالُ . فَدُونَ وِصَالِهِ حَدُّ النِّصَالِ . فَأَقِمْنَ فِي أَوْكَارِكُنَّ . فَإِنَّ العَجْزَ مِنْ شَأْنِكُنَّ . وَالمَلِكَ غَنِيٌّ عَنكُنَّ . وَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ . قَالُوا : صَدَقْتَ وَلٰكِنْ مُنَادِي الطَّلَبِ يُنَادِي : فَفِرُّوا إِلَى اللهِ . فَطَارُوا بِأَجْنِحَةِ : وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ . صَابِرِينَ عَلَى ظَمَإِ الهَوَاجِرِ . بِإِشَارَةِ : وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا . فَسَلَكْنَ سَبِيلًا عَدْلًا . إِنْ أَخَذْنَ ذَاتَ اليَمِينِ أَرْمَتْهُنَّ بُرُودَةُ الرَّجَاءِ . وَإِنْ عَدَلْنَ ذَاتَ الشِّمَالِ أَحْرَقَتْهُنَّ حَرَارَةُ الخَوْفِ . فَهُمْ بَيْنَ سِبَاقٍ . وَلَحَاقٍ وَمُحَاقٍ . وَتَلَاشٍ وَاحْتِرَاقٍ . وَتَغَاشٍ وَاسْتِغْرَاقٍ . وَبُعْدٍ وَافْتِرَاقٍ . حَتَّى وَصَلَ كُلٌّ مِنْهُمْ إِلَى جَزِيرَةِ المَلِكِ وَقَدْ سَقَطَ رِيشُهُ . وَتَكَدَّرَ عَيْشُهُ .

وَتضاعف نُحولُهُ. وتزايد ذُبولُهُ. فوصلوا إليه خماصاً. بعد ما كُنَّ بِطاناً. وجِئْنَهُ فُرادى بعد أن فارقن أوطاناً. فلمَّا أن وصلوا إلى جزيرة ٱلْمَلِكِ وجدوا فيها ما تشتهيه ٱلأنفس وتلذُّ ٱلأعين. ثُمَّ قالوا: نحن لا نُريدُ إلَّا ٱلْمَلِكَ ٱلَّذي خرجنا من أجله على ٱلمحاجر. وقطعنا إليه كلَّ حاجز. وصبرنا على ظمإ ٱلهواجر. ثُمَّ لا نشتغل بٱلْمَلابس وٱلْمَفاخر. فوٱلَّذي لا إلهَ إلَّا هو. لا نُريد إلَّا هو. ثُمَّ قال لَهُمُ ٱلْمَلِكُ: وَيْحكُمْ لِأَيِّ شيءٍ جِئتُمْ. وبأيِّ شيءٍ أتيتُمْ. قالوا: أتيناكَ بذلَّةِ ٱلْعبيدِ. وإنَّكَ لَتعلمُ ما نُريدُ. فقال لهم: ارجعوا من حيث جِئتُمْ. فأنا ٱلْمَلِكُ شِئتُمْ أو أَبيتُمْ. وإنَّ ٱللهَ لَغنيٌّ عنكم. قالوا: سيِّدي أنتَ ٱلْغنيُّ ونحنُ ٱلْفقراءُ. وأنتَ ٱلعزيزُ ونحنُ ٱلأذلاءُ. وأنتَ ٱلْقويُّ ونحنُ ٱلضُّعفاءُ. فبأيِّ قوَّةٍ نرجعُ وقد ذهب قُوانا. ونَحِلَ عرانا. وٱضمحلَّ وجودُنا ممَّا ٱعترانا. فقال لَهُمُ ٱلْمَلِكُ: وعزَّتي وجلالي إذا صحَّ ٱفتقادُكُمْ. وثبتَ ٱنكسارُكُمْ. فعليَّ ٱنجبارُكُمْ. إنطلقوا فداووا ٱلْعليلَ. في ظلِّ ٱلظَّليلِ. وقيلوا في خيرِ مَقيلٍ. فحصلوا حيثُ وصلوا. فلمَّا حضروا نظروا. فإذا ٱلْحُجُبُ قد رُفعت. وٱلأحبابُ قد جُمعت. وشاهدوا ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذنٌ سمعت:

يا قلبُ بُشراكَ أيَّامُ ٱلرِّضا رجعت ... وهذهِ ٱلدَّارُ لِلأحبابِ قد جمعت
أما ترى نفحاتِ ٱلْحيِّ قد عبقت ... أنفاسُها وبُروقُ ٱلْقُربِ قد لمعت
فعِشْ هنيًّا بوصلٍ غيرِ مُنفصِلٍ ... معْ من تُحبُّ وحُجْبُ ٱلْهجْرِ قد رُفِعت
وٱنظرْ جمالَ ٱلَّذي من أجلِ رؤيتهِ ... قلوبُ عُبَّادِهِ في حُبِّهِ ٱنصدعت



الباب السابع
في الذكاء والأدب

مدح مختلف العلوم

١٤٦ قَدْ مَدَحَ أَبُو عُثْمَانَ ٱلْجَاحِظُ أَنْوَاعَ ٱلْعُلُومِ وَذَمَّهَا بِأَعْيَانِهَا مُعْرِبًا عَنْ قُدْرَتِهِ عَلَى ٱلْكَلَامِ وَبُعْدِ شَأْوِهِ فِي ٱلْبَلَاغَةِ • وَحِينَ سُئِلَ عَنِ ٱلْأَثَرِ فَقَالَ: هُوَ أَخْبَارُ ٱلْمَاضِينَ • وَأَنْبَاءُ ٱلْغَابِرِينَ • وَقَصَصُ ٱلْمُرْسَلِينَ • وَآدَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلدِّينِ • وَمَعْرِفَةُ ٱلْفَرْضِ وَٱلنَّافِلَةِ وَٱلشَّرِيعَةِ وَٱلسُّنَّةِ • وَٱلْمَصْلَحَةِ وَٱلْمَفْسَدَةِ وَٱلنَّارِ وَٱلْجَنَّةِ • إِلَى صَاحِبِهِ تُشَدُّ ٱلرِّحَالُ • وَحَوْلَهُ يَعْتَكِفُ ٱلرِّجَالُ • وَيَسِيرُ بِهِ ذِكْرُهُ فِي ٱلْبُلْدَانِ • وَيَبْقَى ٱسْمُهُ عَلَى مَمَرِّ ٱلزَّمَانِ • قِيلَ: فَٱلْفِقْهُ • قَالَ: فِيهِ عِلْمُ ٱلْحَلَالِ وَٱلْحَرَامِ • وَبِهِ تُعْرَفُ ٱلشَّرَائِعُ وَتُقَامُ ٱلْحُدُودُ وَٱلْأَحْكَامُ • وَهُوَ عِصْمَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَزِينَةٌ فِي ٱلْآخِرَةِ • يَخْطُبُ لِصَاحِبِهِ فَضْلَ ٱلْأَعْمَالِ • وَيَخْلَعُ عَلَيْهِ ثَوْبَ ٱلْجَمَالِ • وَيُلْبِسُهُ ٱلْغِنَى وَيُبْلِغُهُ مَرْتَبَةَ ٱلْقَضَاءِ • قِيلَ: فَٱلْكَلَامُ • قَالَ: عِيَارُ كُلِّ صِنَاعَةٍ • وَزِمَامُ كُلِّ عِبَارَةٍ • وَقِسْطَاسٌ يُعْرَفُ بِهِ ٱلْفَضْلُ وَٱلرُّجْحَانُ • وَمِيزَانٌ يُعْلَمُ بِهِ ٱلزِّيَادَةُ وَٱلنُّقْصَانُ • وَكِيرٌ يُمَيَّزُ بِهِ ٱلْخَاصُّ وَٱلْعَامُّ • وَٱلْخَالِصُ وَٱلْمَشُوبُ • وَيُعْرَفُ بِهِ ٱلْإِبْرِيزُ وَٱلسَّتُّوقُ • وَيُنْظَرُ بِهِ ٱلصَّفْوُ وَٱلْكَدَرُ • وَسُلَّمٌ يُرْتَقَى بِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ ٱلصَّغِيرِ وَٱلْكَبِيرِ • وَيُوصَلُ بِهِ إِلَى ٱلْحَقِيرِ وَٱلْخَطِيرِ • وَأَدِلَّةٌ لِلتَّفْصِيلِ وَٱلتَّحْصِيلِ • وَإِدْرَاكِ ٱلدَّقِيقِ وَٱلْجَلِيلِ • وَآلَةٌ

لإظهارِ الغامضِ المشتبهِ. وأداةٌ لكشفِ الخفيِّ الملتبسِ. وبهِ تُعرفُ ربوبيةُ الربِّ وحجّةُ الرسلِ. ويُحترزُ بهِ من شبهاتِ المقالاتِ. وفسادِ التأويلاتِ. وبهِ تدفعُ مضلّاتُ الأهواءِ والنحلِ. وتُبطلُ تأويلاتُ الأديانِ والمللِ. ويُنزّهُ عن غباوةِ التقليدِ وغمّةِ الترديدِ. قيلَ: فالفلسفةُ. قالَ: أداةُ الضمائرِ وآلةُ الخواطرِ. ونتائجُ العقلِ وأدلّةٌ لمعرفةِ الأجناسِ والعناصرِ. وعلمُ الأعراضِ والجواهرِ. وعللِ الأشخاصِ والصورِ. واختلافِ الأخلاقِ والطبائعِ والسجايا والغرائزِ. قيلَ: فالنجومُ. قالَ: معرفةُ الأهلّةِ ومقاديرِ الأظلّةِ. وسموتِ البلدانِ. وإقدامِ الزوالِ في كلِّ وقتٍ وزمانٍ. وعلمُ ساعاتِ الليلِ والنهارِ في الزيادةِ والنقصانِ. وأماراتِ الغيوثِ والأمطارِ. وأوقاتِ سلامةِ الزرعِ والثمارِ. قيلَ: فالطبُّ. قالَ: سائسُ الأبدانِ. والمنبّهُ على طبائعِ الحيوانِ. وبهِ يكونُ حفظُ الصحّةِ. ومرمّةُ العلّةِ. والوقوفُ على المنافعِ والمضارِّ. والإبانةُ عن خبايا الأسرارِ. وعلمٌ يضطرُّ إليهِ الخاصُّ والعامُّ. ويفتقرُ إليهِ الناسُ والأنعامُ. ولا يستغني عنهُ الصغيرُ والكبيرُ. ويحتاجُ إليهِ الحقيرُ والخطيرُ. قيلَ: فالنحوُ. قالَ: يبسطُ من العييِّ اللسانَ. ويجري من الحصرِ البيانَ. وبهِ يُسلَمُ من هجنةِ اللحنِ وتحريفِ القولِ. وهوَ آلةٌ لصوابِ المنطقِ وتسديدِ كلامِ العربِ. قيلَ: فالحسابُ. قالَ: علمٌ طبيعيٌّ لا خلافَ عليهِ. واضطراريٌّ لا مطعنَ فيهِ. ثابتُ الدلالةِ صائبُ المقالةِ. واضحُ البرهانِ شديدُ البنيانِ.

سَالِمٌ مِنَ ٱلْمُنَاقَضَةِ خَالٍ مِنَ ٱلْمُعَارَضَةِ • حَاكِمٌ يَقْطَعُ ٱلْخِلَافَ • مُؤَدٍّ إِلَى ٱلْإِنْصَافِ وَٱلِٱنْتِصَافِ • وَبِهِ حِفْظُ ٱلْأَعْمَالِ • وَنِظَامُ ٱلْأَمْوَالِ • وَقِوَامُ أُمُورِ ٱلْمُلُوكِ وَٱلتُّجَّارِ • وَثَبَاتُ قَوَانِينِ ٱلْبِلَادِ وَٱلْأَمْصَارِ • قِيلَ : فَٱلْعَرُوضُ • قَالَ : مِيزَانُ ٱلشِّعْرِ وَعِيَارُ ٱلنَّظْمِ • وَرَائِضُ ٱلطَّبْعِ وَسَائِسُ ٱلْفَهْمِ • وَبِهِ يُعْرَفُ ٱلصَّحِيحُ مِنَ ٱلْمَرِيضِ • وَفَلَكٌ عَلَيْهِ مَدَارُ ٱلْقَرِيضِ • قِيلَ : فَٱلْخَطُّ • قَالَ : لِسَانُ ٱلْيَدِ وَلَهْجَةُ ٱلضَّمِيرِ • وَوَحْيُ ٱلْفِكْرِ وَنَاقِلُ ٱلْخَبَرِ • وَحَافِظُ ٱلْأَثَرِ • وَعُمْدَةُ ٱلدِّينِ وَٱلدُّنْيَا • وَلِقَاحُ ٱللَّفْظِ وَٱلْمَعْنَى • فَهٰذَا آخِرُ مَا حُكِيَ عَنِ ٱلْجَاحِظِ فِي مَدْحِ ٱلْعُلُومِ (طرائف اللطائف)

ابو تمّام والمتنبي وابو عبادة البحتري

١٤٧ قَالَ ٱبْنُ ٱلْأَثِيرِ : لَقَدْ وَقَفْتُ مِنَ ٱلشِّعْرِ عَلَى كُلِّ دِيوَانٍ وَمَجْمُوعٍ • وَأَنْفَدْتُ شَطْرًا مِنَ ٱلْعُمْرِ فِي ٱلْمَحْفُوظِ مِنْهُ وَٱلْمَسْمُوعِ • فَأَلْفَيْتُهُ بَحْرًا لَا يُوقَفُ عَلَى سَاحِلِهِ • وَكَيْفَ يَنْتَهِي إِحْصَاءُ قَوْلٍ لَمْ تُحْصَ أَسْمَاءُ قَائِلِهِ • فَعِنْدَ ذٰلِكَ ٱقْتَصَرْتُ مِنْهُ عَلَى مَا تَكْثُرُ فَوَائِدُهُ • وَتَتَشَعَّبُ مَقَاصِدُهُ • وَلَمْ أَكُنْ مِمَّنْ أَخَذَ بِٱلتَّقْلِيدِ وَٱلتَّسْلِيمِ • فِي ٱتِّبَاعِ مَنْ قَصَرَ نَظَرَهُ عَلَى ٱلشِّعْرِ ٱلْقَدِيمِ • إِذِ ٱلْمُرَادُ مِنَ ٱلشِّعْرِ إِنَّمَا هُوَ إِيدَاعُ ٱلْمَعْنَى ٱلشَّرِيفِ • فِي ٱللَّفْظِ ٱلْجَزْلِ ٱللَّطِيفِ • فَمَتَى وَجَدتُّ ذٰلِكَ فَكُلُّ مَكَانٍ خَيَّمْتُ فَهُوَ بَابِلُ • وَقَدِ ٱكْتَفَيْتُ مِنْ هٰذَا بِشِعْرِ أَبِي تَمَّامٍ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ وَأَبِي عِبَادَةَ ٱلْوَلِيدِ وَأَبِي ٱلطَّيِّبِ ٱلْمُتَنَبِّي • وَهٰؤُلَاءِ ٱلثَّلَاثَةُ هُمْ لَاتُ ٱلشِّعْرِ وَعُزَّاهُ وَمَنَاتُهُ • ٱلَّذِينَ ظَهَرَتْ عَلَى أَيْدِيهِمْ حَسَنَاتُهُ وَمُسْتَحْسَنَاتُهُ • وَقَدْ حَوَتْ أَشْعَارُهُمْ

غرابة المحدثين وفصاحة القدماء. وجمعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء. أما أبو تمام فإنه رب معان. وصيقل ألباب وأذهان. قد شهد له بكل معنى مبتكر. لم يمش فيه على أثر. فهو غير مدافع عن مقام الإغراب. الذي برز فيه على الأضراب. ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير. ولم أقل ما أقوله إلا بتنقير. فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه. وراض فكره برائضه. أطاعته أعنة الكلام. وكان قوله في البلاغة ما قالته حذام. فخذ مني في ذلك قول حكيم. وتعلم ففوق كل ذي علم عليم. وأما أبو عبادة البحتري فإنه أحسن في سبك اللفظ على المعنى. وأراد أن يشعر فغنى. ولقد حاز طرفي الرقة والجزالة على الإطلاق. فبينا يكون في شظف نجد حتى يتشبث بريف العراق. وسئل أبو الطيب المتنبي عنه وعن أبي تمام وعن نفسه فقال: أنا وأبو تمام حكيمان. والشاعر البحتري. ولعمري إنه أنصف في حكمه. وأعرب في قوله هذا عن متانة علمه. فإن أبا عبادة أتى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء. في اللفظ المصوغ من سلاسة الماء. فأدرك بذلك بعد المرام. مع قربه إلى الأفهام. وما أقول إلا أنه أتى في معانيه بأخلاط الغالية. ورقي في ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية. وأما أبو الطيب المتنبي فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام فقصرت عنه خطاه. ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه. ولكنه حظي في شعره بالحكم والأمثال. واختص

بالإبداع في وصف مواقف القتال. وأنا أقول قولا لست فيه متأثما، ولا منه متلثما. وذلك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها، وأشجع من أبطالها، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها، حتى نظن الفريقين قد تقابلا، والسلاحين قد تواصلا. وطريقه في ذلك تضل بسالكه، وتقوم بعذر تاركه، ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ما أداه إليه عيانه. ومع هذا فإني رأيت الناس عادلين فيه عن السنن المتوسط. فإما مفرط في وصفه وإما مفرط. وهو وإن انفرد بطريق صار أبا عذره، فإن سعادة الرجل كانت أكثر من شعره. وعلى الحقيقة فإنه خاتم الشعراء. ومهما وصف به فهو فوق الوصف وفوق الإطراء. ولقد صدق في قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة :

لا تطلبن كريما بعد رؤيته ... إن الكرام بأسخاهم يدا ختموا

ولا تبال بشعر بعد شاعره ... قد أفسد القول حتى أحمد الصمم

ولما تأملت شعره بعين المعدلة البعيدة عن الهوى، وعين المعرفة التي ما ضل صاحبها وما غوى، وجدته أقساما خمسة. خمس منها في الغاية التي انفرد بها. وخمس من جيد الشعر الذي يشاركه فيه غيره. وخمس منه من متوسط الشعر. وخمس دون ذلك. وخمس في الغاية المتقهقرة التي لا يعبأ بها، وعدمها خير من وجودها. ولو لم يقلها أبو الطيب لوقاه الله شرها. فإنها هي التي ألبسته لباس

ٱلْمَلَامِ. وَجَعلت عِرْضَهُ شَارَةً لِسِهَامِ ٱلْأَقْوَامِ. وَلِسَائِلٍ هُنَا أَنْ يَسْأَلَ وَيقُولَ: لِمَ عدَلْتَ إِلَى شعرِ هؤُلَاءِ ٱلثَّلَاثَةِ دُونَ غَيْرِهِمْ. فَأَقُولُ: إِنِّي لَمْ أَعْدِلْ إِلَيْهِمِ ٱتِّفَاقًا وَإِنَّمَا عدَلْتُ نَظَرًا وَٱجْتِهَادًا. وَذٰلِكَ أَنِّي وَقَفْتُ عَلَى أَشْعَارِ ٱلشُّعَرَاءِ قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ دِيوَانٌ لِشَاعِرٍ مُفْلِقٍ يَثْبُتُ شِعْرُهُ عَلَى ٱلْمِحَكِّ إِلَّا وَعرَضْتُهُ عَلَى نَظَرِي. فَلَمْ أَجِدْ أَجْمَعَ مِنْ دِيوَانِ أَبِي تَمَّامٍ وَأَبِي ٱلطَّيِّبِ لِلْمَعَانِي ٱلدَّقِيقَةِ وَلَا أَكْثَرَ ٱسْتِخْرَاجًا مِنْهُمَا لِلَطِيفِ ٱلْأَغْرَاضِ وَٱلْمَقَاصِدِ. وَلَمْ أَجِدْ أَحسنَ تَهْذِيبًا لِلْأَلْفَاظِ مِنْ أَبِي عِبَادَةَ وَلَا أَنْفَسَ دِيبَاجَةً وَلَا أَبْهَجَ سَبْكًا. فَٱخْتَرْتُ دَوَاوِينَهُمْ لِٱشْتِمَالِهَا عَلَى مَحَاسِنِ ٱلطَّرَفَيْنِ مِنَ ٱلْمَعَانِي وَٱلْأَلْفَاظِ. وَلَمَّا حَفِظْتُهَا أَلْقَيْتُ مَا سِوَاهَا مَعَ مَا بَقِيَ عَلَى خَاطِرِي مِنْ غَيْرِهَا (المثل السائر لابن الاثير)

وصف القلم

١٤٨ قَالُوا: ٱلْقَلَمُ أَحَدُ ٱللِّسَانَيْنِ وَهُوَ ٱلْمُخَاطِبُ لِلْغُيُوبِ. بِسَرَائِرِ ٱلْقُلُوبِ. عَلَى لُغَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ مَعَانٍ مَعْقُولَةٍ. بِحُرُوفٍ مَعْلُولَةٍ. مُتَبَايِنَاتِ ٱلصُّوَرِ مُخْتَلِفَاتِ ٱلْجِهَاتِ. لِقَاحُهَا ٱلتَّفْكِيرُ وَنِتَاجُهَا ٱلتَّدْبِيرُ. تَخْرَسُ مُنْفَرِدَاتٍ. وَتَنْطِقُ مُزْدَوِجَاتٍ. بِلَا أَصْوَاتٍ مَسْمُوعَةٍ وَلَا أَلْسُنٍ مَحْدُودَةٍ وَلَا حَرَكَاتٍ ظَاهِرَةٍ. خَلَا قَلَمٍ حَرَّفَ بَارِيهِ. قِطَّتَهُ لِيَتَعَلَّقَ ٱلْمِدَادُ فِيهِ وَأَرْهَفَ جَانِبَيْهِ لِيَرُدَّ مَا ٱنْتَشَرَ عَنْهُ إِلَيْهِ وَشَقَّ رَأْسَهُ لِيَحْتَبِسَ ٱلْمِدَادُ عَلَيْهِ. فَهُنَالِكَ ٱسْتَمَدَّ ٱلْقَلَمُ بِشَقِّهِ وَنَثَرَ فِي ٱلْقِرْطَاسِ بِخَطِّهِ حُرُوفًا أَحْكَمَهَا ٱلتَّفَكُّرُ وَأَوْلَى ٱلْأَسْمَاعَ بِهَا ٱلْكَلَامُ ٱلَّذِي سَدَاهُ ٱلْعَقْلُ وَأَلْحَمَهُ

ٱللِّسَانُ. وَنَهَسَتْهُ ٱللَّهَوَاتُ وَقَطَعَتْهُ ٱلْأَسْنَانُ وَلَفَظَتْهُ ٱلشِّفَاهُ وَوَعَتْهُ ٱلْأَسْمَاعُ عَنْ أَنْحَاءٍ شَتَّى مِنْ صِفَاتٍ وَأَسْمَاءٍ. قَالَ ٱلْبُحْتُرِيُّ:

طِعَانٌ بِأَطْرَافِ ٱلْقَوَافِي كَأَنَّهُ طِعَانٌ بِأَطْرَافِ ٱلْقَنَا ٱلْمُتَكَسِّرِ

١٤٩ قَالَ بَعْضُ ٱلْكُتَّابِ يَصِفُ مَحْبَرَةً:

وَلَقَدْ مَضَيْتُ إِلَى ٱلْمُحَدِّثِ آنِفًا وَإِذَا بِحَضْرَتِهِ ظِبَاءٌ رُتَّعُ
وَإِذَا ظِبَاءُ ٱلْإِنْسِ تَكْتُبُ كُلَّ مَا يُمْلِي وَتَحْفَظُ مَا يَقُولُ وَتَسْمَعُ
يَتَجَاذَبُونَ ٱلْحِبْرَ مِنْ مَلْمُومَةٍ بَيْضَاءَ تَحْمِلُهَا عَلَائِقُ أَرْبَعُ
مِنْ خَالِصِ ٱلْبِلَّوْرِ غَيَّرَ لَوْنَهَا فَكَأَنَّهَا سَبَجٌ يَلُوحُ وَيَلْمَعُ
إِنْ نَكَّسُوهَا لَمْ تَسِلْ وَمَلِيكُهَا فِيمَا حَوَتْهُ عَاجِلًا لَا يَطْمَعُ
وَمَتَى أَمَالُوهَا لِرَشْفِ رُضَابِهَا أَدَّاهُ فُوهَا وَهْيَ لَا تَتَمَنَّعُ
وَكَأَنَّهَا قَلْبِي يَضِنُّ بِسِرِّهِ أَبَدًا وَيَكْتُمُ كُلَّ مَا يُسْتَوْدَعُ

وصف الخط

١٥٠ سُئِلَ بَعْضُ ٱلْكُتَّابِ عَنِ ٱلْخَطِّ مَتَى يَسْتَحِقُّ أَنْ يُوصَفَ بِٱلْجُودَةِ. قَالَ: إِذَا ٱعْتَدَلَتْ أَقْسَامُهُ. وَطَالَتْ أَلِفُهُ وَلَامُهُ. وَٱسْتَقَامَتْ سُطُورُهُ. وَضَاهَى صُعُودَهُ حُدُورُهُ. وَتَفَتَّحَتْ عُيُونُهُ. وَلَمْ تَشْتَبِهْ رَاؤُهُ وَنُونُهُ. وَأَشْرَقَ قِرْطَاسُهُ. وَأَظْلَمَتْ أَنْقَاسُهُ. وَلَمْ تَخْتَلِفْ أَجْنَاسُهُ. وَأَسْرَعَ إِلَى ٱلْعُيُونِ تَصَوُّرُهُ. وَإِلَى ٱلْعُقُولِ تَثَمُّرُهُ. وَقُدِّرَتْ فُصُولُهُ. وَٱنْدَمَجَتْ أُصُولُهُ. وَتَنَاسَبَ دَقِيقُهُ وَجَلِيلُهُ. وَخَرَجَ مِنْ نَمَطِ ٱلْوَرَّاقِينَ. وَبَعُدَ عَنْ تَصَنُّعِ ٱلْمُحَبِّرِينَ. وَقَامَ لِصَاحِبِهِ مَقَامَ ٱلنِّسْبَةِ وَٱلْحِلْيَةِ (للقيرواني)

١٥١ قصيدة ابن البوّاب في وصف صناعة الخطّ

يَا مَنْ يُرِيدُ إِجَادَةَ ٱلتَّحْرِيرِ ... وَيَرُومُ حُسْنَ ٱلْخَطِّ وَٱلتَّصْوِيرِ
إِنْ كَانَ عَزْمُكَ فِي ٱلْكِتَابَةِ صَادِقًا ... فَٱرْغَبْ إِلَى مَوْلَاكَ فِي ٱلتَّيْسِيرِ
أَعْدِدْ مِنَ ٱلْأَقْلَامِ كُلَّ مُثَقَّفٍ ... صُلْبٍ يَصُوغُ صِيَاغَةَ ٱلتَّحْبِيرِ
وَإِذَا عَمَدتَّ لِبَرْيِهِ فَتَوَخَّهُ ... عِنْدَ ٱلْقِيَاسِ بِأَوْسَطِ ٱلتَّقْدِيرِ
أُنْظُرْ إِلَى طَرَفَيْهِ فَٱجْعَلْ بَرْيَهُ ... مِنْ جَانِبِ ٱلتَّدْقِيقِ وَٱلتَّخْصِيرِ
وَٱجْعَلْ لِجِلْفَتِهِ قَوَامًا عَادِلًا ... يَخْلُو عَنِ ٱلتَّطْوِيلِ وَٱلتَّقْصِيرِ
وَٱلشَّقَّ وَسِّطْهُ لِيَبْقَى بَرْيُهُ ... مِنْ جَانِبَيْهِ مُشَاكِلَ ٱلتَّقْدِيرِ
حَتَّى إِذَا أَتْقَنْتَ ذٰلِكَ كُلَّهُ ... إِتْقَانَ طَبٍّ بِٱلْمُرَادِ خَبِيرِ
فَٱصْرِفْ لِرَأْيِ ٱلْقَطِّ عَزْمَكَ كُلَّهُ ... فَٱلْقَطُّ فِيهِ جُمْلَةُ ٱلتَّدْبِيرِ
لَا تَطْمَعَنْ فِي أَنْ أَبُوحَ بِسِرِّهِ ... إِنِّي أَضَنُّ بِسِرِّهِ ٱلْمَسْتُورِ
لٰكِنَّ جُمْلَةَ مَا أَقُولُ بِأَنَّهُ ... مَا بَيْنَ تَحْرِيفٍ إِلَى تَدْوِيرِ
وَأَلِقْ دَوَاتَكَ بِٱلدُّخَانِ مُدَبَّرًا ... بِٱلْخَلِّ أَوْ بِٱلْحِصْرِمِ ٱلْمَعْصُورِ
وَأَضِفْ إِلَيْهِ مُغْرَةً قَدْ صُوِّلَتْ ... مَعَ أَصْفَرِ ٱلزِّرْنِيخِ وَٱلْكَافُورِ
حَتَّى إِذَا مَا خَمَّرَتْ فَٱعْمِدْ إِلَى ٱلْـ ... ـوَرَقِ ٱلنَّقِيِّ ٱلنَّاعِمِ ٱلْمَخْبُورِ
فَٱكْبِسْهُ بَعْدَ ٱلْقَطْعِ بِٱلْمِعْصَارِ كَيْ ... يَنْأَى عَنِ ٱلتَّشْعِيثِ وَٱلتَّغْبِيرِ
ثُمَّ ٱجْعَلِ ٱلتَّمْثِيلَ دَأْبَكَ صَابِرًا ... مَا أَدْرَكَ ٱلْمَأْمُولَ مِثْلُ صَبُورِ
إِبْدَأْ بِهِ فِي ٱللَّوْحِ مُنْتَضِيًا لَهُ ... عَزْمًا تُجَرِّدُهُ عَنِ ٱلتَّشْمِيرِ
لَا تَخْجَلَنَّ مِنَ ٱلرَّدِيِّ تَخُطُّهُ ... فِي أَوَّلِ ٱلتَّمْثِيلِ وَٱلتَّسْطِيرِ

فَالأَمْرُ يَصْعُبُ ثُمَّ يَرْجِعُ هَيِّنًا وَلَرُبَّ سَهْلٍ جَاءَ بَعْدَ عَسِيرِ
حَتَّى إِذَا أَدْرَكْتَ مَا أَمَّلْتَهُ أَضْحَيْتَ رَبَّ مَسَرَّةٍ وَحُبُورِ
فَٱشْكُرْ إِلٰهَكَ وَٱتَّبِعْ رِضْوَانَهُ إِنَّ ٱلْإِلٰهَ يُحِبُّ كُلَّ شَكُورِ
وَٱرْغَبْ لِكَفِّكَ أَنْ تَخُطَّ بَنَانُهَا خَيْرًا تُخَلِّفُهُ بِدَارِ غُرُورِ
فَجَمِيعُ فِعْلِ ٱلْمَرْءِ يَلْقَاهُ غَدًا عِنْدَ ٱلْتِقَاءِ كِتَابِهِ ٱلْمَنْشُورِ

في الادب وتربية الصغار

١٥٢ كَتَبَ أَبُو ٱلْفَضْلِ هِبَةُ ٱللهِ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ مُدَرِّسِ ٱبْنِهِ :

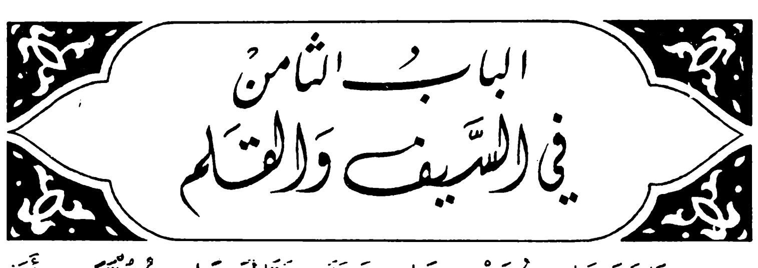
أَبَا عَلِيٍّ هُوَ ٱلدَّهْرُ ٱلْخَؤُونُ وَمَا يَحْظَى بِجَدْوَاهُ إِلَّا ٱلْجَاهِلُ ٱلْغُمْرُ
إِنِّي لَأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ حَتَّى أُرَى وَبِهِ أَسْمُو وَأَفْتَخِرُ
وَلَوْ أَرَدتُّ مُكَافَاةً عَلَى مِنَنٍ أَسْدَيْتَهَا لَتَقَضَّى دُونَهَا ٱلْعُمْرُ
عَهِدتُّ فَضْلَكَ لَا يَحْتَاجُ تَذْكِرَةً وَحُسْنَ رَأْيِكَ مَا فِي نَفْعِهِ ضَرَرُ
رَاجِعْ سَدَادَكَ فِيهِ فَهْوَ إِنْ سَمَحَتْ بِهِ ٱللَّيَالِي عَلَى أَحْدَاثِهَا وَزَرُ
وَٱحْفَظْ لَهُ حَقَّ آبَاءٍ وَمَعْرِفَةٍ مَضَتْ بِتَأْكِيدِهَا ٱلْأَيَّامُ وَٱلْعُصُرُ
وَأَوْلِهِ مِنْكَ قِسْطًا مِنْ مُلَاحَظَةٍ فَمَا يُرَى لَكَ فِي إِهْمَالِهِ عُذُرُ
فَإِنَّهُ نَبْعَةٌ طَابَتْ مَنَابِتُهُ صُلْبٌ عَلَى ٱلْعُجْمِ مَا فِي عُودِهِ خَوَرُ
مُغْرًى بِمَا زَادَ فِي قَدْرٍ وَمَنْزِلَةٍ وَمَا تَبَدَّى لَهُ فِي خَدِّهِ شَعَرُ
دَلَائِلُ مُخْبِرَاتٌ عَنْ نَجَابَتِهِ كَٱلنَّارِ تُخْبِرُ عَنْ ضَوْضَائِهَا ٱلشَّرَرُ
مِنْ مَعْشَرٍ حَلَّتِ ٱلْعَلْيَاءُ بَيْنَهُمُ يُعَدُّ شُكْرُهُمُ فَخْرًا إِذَا شَكَرُوا

١٥٣ قَالَ لِسَانُ ٱلدِّينِ فِي تَرْبِيَةِ ٱلْوُلْدِ : أَحْسِنْ آدَابَهُمْ . وَٱجْعَلِ

ٱلْخَيرَ دَابَهُمْ . وخَفْ عَلَيْهِمْ مِنْ إِشْفَاقِكَ وَحَنَانِكَ . أَكْثَرَ مِنْ غِلَظَةِ جَنَانِكَ . وَاكْتُمْ عَنْهُمْ مَيْلَكَ . وَأَفِضْ فِيهِمْ جُودَكَ وَنَيْلَكَ . وأَثِبْهُمْ عَلَى حُسْنِ ٱلْجَوابِ . وَسَبِّقْ لَهُمْ خَوْفَ ٱلْجَزَاءِ عَلَى رَجَاءِ ٱلثَّوابِ . وَعَلِّمْهُمُ ٱلصَّبْرَ عَلَى ٱلضَّرَائِرِ . وَٱلْمُهْلَةَ عِنْدَ ٱسْتِخْفَافِ ٱلْجَرَائِرِ . وَخُذْهُمْ بِحُسْنِ ٱلسَّرَائِرِ . وَحَبِّبْ إِلَيْهِمْ مِرَاسَ ٱلْأُمُورِ ٱلصَّعْبَةِ ٱلْمِرَاسِ . وَحُسْنَ ٱلِٱصْطِنَاعِ وَٱلِٱحْتِرَاسِ . وَٱلِٱسْتِكْثَارَ مِنْ أُولِي ٱلْمَرَاتِبِ وَٱلْعُلُومِ . وَٱلسِّيَاسَاتِ وَٱلْحُلُومِ . وَٱلْمَقَامِ ٱلْمَعْلُومِ . وَكَرِّهْ إِلَيْهِمْ مُجَالَسَةَ ٱلْمُلْهِينَ . وَمُصَاحَبَةَ ٱلسَّاهِينَ . جَاهِدْ أَهْوَاءَهُمْ عَنْ عُقُولِهِمْ . وَحَذِّرِ ٱلْكَذِبَ عَلَى مَقُولِهِمْ . وَرَشِّحْهُمْ إِذَا آنَسْتَ مِنْهُمْ رُشْدًا أَوْ هَدْيًا . وَأَرْضِعْهُمْ مِنَ ٱلْمُؤَازَرَةِ وَٱلْمُشَاوَرَةِ ثَدْيًا . لِتُمَرِّنَهُمْ عَلَى ٱلِٱعْتِيَادِ وَتَحْمِلَهُمْ عَلَى ٱلِٱزْدِيَادِ . وَرُضْهُمْ رِيَاضَةَ ٱلْجِيَادِ . وَٱحْذَرْ عَلَيْهِمُ ٱلشَّهَوَاتِ فَهِيَ دَاؤُهُمْ . وَأَعْدَاؤُكَ فِي ٱلْحَقِيقَةِ وَأَعْدَاؤُهُمْ . وَتَدَارَكِ ٱلْخُلُقَ ٱلذَّمِيمَةَ كُلَّ مَا نَجَمَتْ . وَٱقْدَعْهَا إِذَا هَجَمَتْ . قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ تَضْعِيفُهَا . وَيَقْوَى ضَعِيفُهَا :

إِنَّ ٱلْغُصُونَ إِذَا قَوَّمْتَهَا ٱعْتَدَلَتْ ... وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوَّمْتَهَا ٱلْخُشُبُ

وَإِذَا قَدَرُوا عَلَى ٱلتَّدْبِيرِ . وَتَشَوَّفُوا لِلْمَحَلِّ ٱلْكَبِيرِ . فَإِيَّاكَ أَنْ تُوطِنَهُمْ فِي مَكَانِكَ جُهْدَ إِمْكَانِكَ . وَفَرِّقْهُمْ فِي بُلْدَانِكَ تَفْرِيقَ عُبْدَانِكَ . وَٱسْتَعْمِلْهُمْ فِي بُعُوثِ جِهَادِكَ . وَٱلنِّيَابَةِ عَنْكَ فِي سَبِيلِ ٱجْتِهَادِكَ . وَٱنْظُرْ إِلَيْهِمْ بِأَعْيُنِ ٱلثِّقَاتِ . فَإِنَّ عَيْنَ ٱلثِّقَةِ . تُبْصِرُ مَا لَا تُبْصِرُ عَيْنُ ٱلْمَحَبَّةِ وَٱلْمِقَةِ (للمقري)



الباب الثامن
في السَّيف والقلم

١٥٤ فاخر صاحبُ سيفٍ صاحبَ قلمٍ فقالَ صاحبُ القلمِ: أنا أقتلُ بلا غررٍ، وأنت تقتلُ على خطرٍ، وصريرُ الأقلامِ، أشدُّ من صليلِ الحسامِ. فقالَ صاحبُ السَّيفِ: القلمُ خادمُ السَّيفِ إنْ تمَّ مرادُهُ وإلَّا فإلى السَّيفِ معادُهُ. أما سمعتَ قولَ أبي تمَّامٍ:

أَلسَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْباءً مِنَ الْكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
بِيضُ الصَّفائحِ لا سُودُ الصَّحائفِ فِي ... مُتونِهِنَّ جَلاءُ الشَّكِّ وَالرِّيَبِ

قالَ أبو الطَّيِّبِ المتنبِّي:

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلامِي قَوائِلُ لِي ... أَلْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ
أُكْتُبْ بِنا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتابِ بِهِ ... فَإِنَّما نَحْنُ لِلأَسْيافِ كَالْخَدَمِ

وقالَ ابنُ الرُّوميِّ في تفضيلِ القلمِ على السَّيفِ:

لَعَمْرُكَ مَا السَّيْفُ سَيْفُ الْكَمِيِّ ... بِأَخْوَفَ مِنْ قَلَمِ الْكاتِبِ
لَهُ شاهِدٌ إِنْ تَأَمَّلْتَهُ ... ظَهَرْتَ عَلَى سِرِّهِ الْغائِبِ
أَداةُ الْمَنِيَّةِ فِي جانِبَيْهِ ... فَمِنْ مِثْلِهِ رَهْبَةُ الرَّاهِبِ
سِنانُ الْمَنِيَّةِ فِي جانِبٍ ... وَحَدُّ الْمَنِيَّةِ فِي جانِبِ
أَلَمْ تَرَ فِي صَدْرِهِ كَالسِّنانِ ... وَفِي الرِّدْفِ كَالْمُرْهَفِ الْقاضِبِ

١٥٥ قالَ الصُّوليُّ أنشدني طلحةُ بنُ عبيدِ اللهِ في القلمِ:

وَإِذَا أَمَرَّ عَلَى ٱلْمَهَارِقِ كَفُّهُ ... بِأَنَامِلٍ يَحْمِلْنَ شَخْتًا مُرْهَفَا
مُتَقَاصِرًا مُتَطَاوِلًا وَمُفَصِّلًا ... وَمُوَصِّلًا وَمُشَتِّتًا وَمُؤَلِّفَا
تَرَكَ ٱلْعُدَاةَ رَوَاجِفًا أَحْشَاؤُهَا ... وَقِلَاعَهَا قُلَعًا هُنَالِكَ رُجَّفَا
كَٱلْحَيَّةِ ٱلرَّقْشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ ... يَسْتَنْزِلُ ٱلْأَرْوَى إِلَيْهِ تَلَطُّفَا
يَرْمِي بِهِ قَلَمًا يَمُجُّ لُعَابَهُ ... فَيَعُودُ سَيْفًا صَارِمًا وَمُثَقَّفَا

وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا مَحْمُودُ بْنُ أَحْمَدَ ٱلْأَصْبَهَانِيُّ :

أَخْرَسُ يُنْبِيكَ بِإِطْرَاقِهِ ... عَنْ كُلِّ مَا شِئْتَ مِنَ ٱلْأَمْرِ
يَذْرِي عَلَى قِرْطَاسِهِ دَمْعَةً ... يُبْدِي بِهَا ٱلسِّرَّ وَمَا يَدْرِي
يُرَى أَسِيرًا فِي دَوَاةٍ وَقَدْ ... أَطْلَقَ أَقْوَامًا مِنَ ٱلْأَسْرِ
أَخْرَقُ لَوْ لَمْ تَبْرِهِ لَمْ يَكُنْ ... يَرْشُقُ أَقْوَامًا وَلَمْ يَبْرِي
كَٱلْبَحْرِ إِذْ يَجْرِي وَكَٱللَّيْلِ إِذْ ... يَغْشَى وَكَٱلصَّارِمِ إِذْ يَفْرِي

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ جَرَّارٍ :

أَهْيَفُ مَمْشُوقٌ بِتَحْرِيكِهِ ... يَحُلُّ عَقْدَ ٱلسِّرِّ إِعْلَانُ
لَهُ لِسَانٌ مُرْهَفٌ حَدُّهُ ... مِنْ رِيقَةِ ٱلْكُرْسُفِ رَيَّانُ
تَرَى بَسِيطَ ٱلْفِكْرِ فِي نَظْمِهِ ... شَخْصًا لَهُ حَدٌّ وَجُثْمَانُ
كَأَنَّمَا يَسْحَبُ فِي إِثْرِهِ ... ذَيْلًا مِنَ ٱلْحِكْمَةِ سَحْبَانُ
لَوْلَاهُ مَا قَامَ مَنَارُ ٱلْهُدَى ... وَلَا سَمَا لِلْمُلْكِ دِيوَانُ

فصلٌ في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول

١٥٦ إِعْلَمْ أَنَّ ٱلسَّيْفَ وَٱلْقَلَمَ كِلَاهُمَا آلَةٌ لِصَاحِبِ ٱلدَّوْلَةِ يَسْتَعِينُ

بها على أمره. إلاّ أنّ الحاجة إلى السّيف في أوّل الدّولة ما دام أهلها في تمهيد أمرهم أشدّ من الحاجة إلى القلم إذ القلم في تلك الحال خادم فقط منفذ للحكم السّلطانيّ. والسّيف شريك في المعونة. وكذلك في آخر الدّولة حيث تضعف عصبيّتها ويقلّ أهلها بما ينالهم من الهرم. فتحتاج الدّولة إلى الاستظهار بأرباب السّيوف وتقوى الحاجة إليهم في حماية الدّولة والمدافعة عنها. كما كان الشّأن أوّل الأمر في تمهيدها. فتكون للسّيف مزيّة في الحالتين على القلم. ويكون أرباب السّيف حينئذ أوسع جاهاً وأكثر نعمة وأسنى إقطاعاً. وأمّا في وسط الدّولة فيستغني صاحبها بعض الشّيء عن السّيف. لأنّه قد تمهّد أمره ولم يبق همّه إلاّ في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضّبط ومباهاة الدّول وتنفيذ الأحكام. والقلم هو المعين له في ذلك فتعظم الحاجة إلى تصريفه وتكون السّيوف مهملة في مضاجع غمودها. إلاّ إذا نابت نائبة أو دعت إلى سدّ فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة إليها. فيكون أرباب الأقلام في هذه الحالة أوسع جاهاً وأعلى رتبة وأعظم نعمة وثروة. وأقرب من السّلطان مجلساً وأكثر إليه تردّداً. وفي خلواته نجيّاً. لأنّه حينئذ آلته الّتي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه والنّظر في أعطافه وتثقيف أطرافه والمباهاة بأحواله. ويكون الوزراء حينئذ وأهل السّيوف مستغنى عنهم مبعدين عن ناظر السّلطان حذرين على أنفسهم من بوادره. وفي معنى ذلك ما كتب به أبو مسلم.

لِلْمَنْصُورِ حِينَ أَمَرَهُ بِالْقُدُومِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مِمَّا حَفِظْنَاهُ مِنْ وَصَايَا الْفُرْسِ : أَخْوَفُ مَا يَكُونُ الْوُزَرَاءُ إِذَا سَكَنَتِ الدَّهْمَاءُ • سُنَّةُ اللّٰهِ فِي عِبَادِهِ وَالسَّلَامُ (مقدمة ابن خلدون)

١٥٧ قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

إِنْ يَخْدُمِ الْقَلَمَ السَّيْفُ الَّذِي خَضَعَتْ ... لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفَهُ الْأُمَمُ
فَالْمَوْتُ وَالْمَوْتُ لَا شَيْءٌ يُقَابِلُهُ ... مَا زَالَ يَتْبَعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ
بِذَا قَضَى اللّٰهُ لِلْأَقْلَامِ مُذْ بُرِيَتْ ... أَنَّ السُّيُوفَ لَهَا مُذْ أُرْهِفَتْ خَدَمُ

١٥٨ قَالَ حَبِيبٌ فِي قَلَمِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزَّيَّاتِ وَأَحْسَنَ :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِسِنَانِهِ ... تُصَابُ مِنَ الْمَرْءِ الْكُلَى وَالْمَفَاصِلُ
لَهُ الْخَلَوَاتُ اللَّاءِ لَوْلَا نَجِيُّهَا ... لَمَا احْتَفَلَتْ لِلْمُلْكِ تِلْكَ الْمَحَافِلُ
لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ ... وَأَرْيُ الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ
لَهُ دِيمَةٌ طَلٌّ وَلٰكِنَّ وَقْعَهَا ... بِآثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلُ
فَصِيحٌ إِنِ اسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ ... وَأَعْجَمُ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلُ
إِذَا مَا امْتَطَى الْخَمْسَ اللِّطَافَ وَأُفْرِغَتْ ... عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهْيَ حَوَافِلُ
أَطَاعَتْهُ أَطْرَافُ الْقَنَا وَتَقَوَّضَتْ ... لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضَ الْخِيَامِ الْجَحَافِلُ
إِذَا اسْتَغْزَرَ الذِّهْنَ الذَّكِيُّ وَأَقْبَلَتْ ... أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهْيَ أَسَافِلُ
وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخِنْصِرَانِ وَسَدَّدَتْ ... ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِلُ
رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنُهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ ... ضَنًى وَسَمِينًا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاحِلُ

١٥٩ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ :

إِذَا ٱفْتَخَرَ ٱلْأَبْطَالُ يَوْمًا بِسَيْفِهِمْ ... وَعَدُّوهُ مِمَّا يُكْسِبُ ٱلْمَجْدَ وَٱلْكَرَمْ
كَفَى قَلَمُ ٱلْكُتَّابِ فَخْرًا وَرِفْعَةً ... مَدَى ٱلدَّهْرِ أَنَّ ٱللهَ أَقْسَمَ بِٱلْقَلَمْ

لِأَبِي ٱلْفَرَجِ بْنِ ٱلدَّهَّانِ

قَوْمٌ إِذَا أَخَذُوا ٱلْأَقْلَامَ مِنْ قَصَبٍ ... ثُمَّ ٱسْتَمَدُّوا بِهَا مَاءَ ٱلْمَنِيَّاتِ
نَالُوا بِهَا مِنْ أَعَادِيهِمْ وَإِنْ بَعُدُوا ... مَا لَا يُنَالُ بِحَدِّ ٱلْمَشْرَفِيَّاتِ

في شرف الكتّاب

١٦٠ أَلْكُتَّابُ عِمَادُ ٱلْمُلْكِ وَأَرْكَانُهُ . وَعُيُونُهُ ٱلْمُبْصِرَةُ وَأَعْوَانُهُ . وَبَهَاءُ ٱلدُّوَلِ وَنِظَامُهَا . وَرُؤُوسُ ٱلرِّئَاسَةِ وَقِوَامُهَا . مَلَابِسُهُمْ فَاخِرَةٌ . وَمَحَاسِنُهُمْ بَاهِرَةٌ . وَشَمَائِلُهُمْ لَطِيفَةٌ . وَنُفُوسُهُمْ شَرِيفَةٌ . مَدَارُ ٱلْحَلِّ وَٱلْعَقْدِ عَلَيْهِمْ . وَمَرْجِعُ ٱلتَّصَرُّفِ وَٱلتَّدْبِيرِ إِلَيْهِمْ . بِهِمْ تُحَلَّى ٱلْعَوَاطِلُ . وَتَبْتَسِمُ ثُغُورُ ٱلْمَعَاقِلِ . مَجَالِسُهُمْ بِٱلْفَضَائِلِ مَعْمُورَةٌ . وَبِنَدَاهُمْ أَنْدِيَةُ ٱلْقُصَّادِ مَغْمُورَةٌ . يُهْدُونَ إِلَى ٱلْأَسْمَاعِ أَنْوَاعَ ٱلْبَدِيعِ . وَيُنَزِّهُونَ ٱلْأَحْدَاقَ فِي حَدَائِقِ ٱلتَّوْشِيحِ وَٱلتَّوْشِيعِ . هُمْ أَهْلُ ٱلْبَرَاعَةِ وَٱللَّسَنِ . وَشِيمَتُهُمْ لَفُّ ٱلْقَبِيحِ وَنَشْرُ ٱلْحَسَنِ . يَمِيلُونَ إِلَى ٱلْقَوْلِ بِمُوجَبِ ٱلْمَدْحِ . وَلَا يَمَلُّونَ مِنْ مُرَاجَعَةِ ٱلرَّاغِبِينَ فِي ٱلْمِنَحِ . دَأْبُهُمُ ٱسْتِخْدَامُ ٱلنَّاسِ بِٱلْمَعْرُوفِ . وَعَدَمُ ٱلتَّوْرِيَةِ عَنِ ٱلْعَانِي وَٱلْمَلْهُوفِ . يُجِلُّونَ ٱلْكَبِيرَ . وَيُبَجِّلُونَ ٱلصَّغِيرَ . وَلَا يُخِلُّونَ بِمُرَاعَاةِ ٱلنَّظِيرِ . لَهُمْ إِلَى ٱلْخَيْرِ رُجُوعٌ وَٱلْتِفَاتٌ . وَبِٱلْجُمْلَةِ فَقَدْ حَازُوا جَمِيعَ جَمِيلِ ٱلصِّفَاتِ :

كَتَبْتَ فَلَوْلَا أَنَّ هٰذَا مُحَلَّلٌ ... وَذَاكَ حَرَامٌ قِسْتُ خَطَّكَ بِٱلسِّحْرِ

فَإِنْ كَانَ زَهْرًا فَهُوَ صُنْعُ سَحَابَةٍ   وَإِنْ كَانَ دُرًّا فَهُوَ مِنْ لُجَّةِ ٱلْبَحْرِ

بِأَيْدِيهِم أَقْلَامٌ . تَخْتَلِسُ بِلُطْفِهَا ٱلأَحْلَامَ . صَافِيَةُ ٱلْجَوَاهِرِ . زَاهِيَةُ ٱلأَزَاهِرِ . لَيِّنَةُ ٱلأَعْطَافِ . نَاعِمَةُ ٱلأَطْرَافِ . تَبْكِي وَهِيَ مُبْتَسِمَةٌ . وَتَسْكُتُ وَهِيَ بِمَا يُطْرِبُ ٱلسَّمْعَ مُتَكَلِّمَةٌ . قَدِ ٱعْتَدَلَتْ قُدُودُهَا . وَأَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ ٱلْبَرَاعَةِ سُعُودُهَا . أَسِنَّتُهَا مُرْهَفَةٌ . وَمَطَارِفُهَا مُفَوَّفَةٌ . تَجْتَهِدُ فِي خِدْمَةِ ٱلْبَارِي . وَتُبْدِي مِنْ دُرَرِهَا مَا يَفْضَحُ ٱلدَّرَارِي . تَمِيسُ فِي وَشْيِ أَبْرَادِهَا . وَتَشْرَحُ ٱلصُّدُورَ بِعُذُوبَةِ إِيرَادِهَا . نَشَأَتْ عَلَى شُطُوطِ ٱلأَنْهَارِ . وَتَعَلَّمَتِ ٱللَّحْنَ مِنْ إِعْرَابِ ٱلأَطْيَارِ . طَوِيلَةُ ٱلأَنَابِيبِ . تَسْلُبُ ٱلْقُلُوبَ بِحُسْنِ ٱلأَسَالِيبِ . تُدْهِشُ ٱلنَّاظِرَ وَتُخْجِلُ ٱلْعَامِلَ . وَلَا تَرْضَى بِٱمْتِطَاءِ غَيْرِ ٱلأَنَامِلِ . أَلشَّجَاعَةُ كَامِنَةٌ فِي مُهْجَتِهَا . وَٱلْفَصَاحَةُ جَارِيَةٌ عَلَى لَهْجَتِهَا . تَبْهَرُ بِٱلنَّضَارَةِ نَوَاظِرَ ٱلْبَهَارِ . وَتُطَرِّزُ بِٱللَّيْلِ أَرْدِيَةَ ٱلنَّهَارِ . إِنْ قَالَتْ لَمْ تَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ . وَإِنْ صَالَتْ رَجَعَتِ ٱلسُّيُوفُ مُسْتَتِرَةً بِأَذْيَالِ ٱلْحَمَائِلِ . سَجَدَتْ لِلطِّرْسِ فَرُفِعَتْ إِلَى أَعْلَى ٱلرُّتَبِ . وَحَلَتْ وَسَبَقَتْ فَسُمِّيَتْ بِٱلْقَصَبِ (لكمال الدين الحلبي)

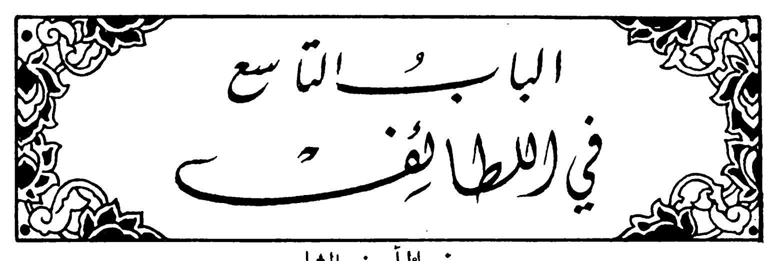
١٦١ إِعْتَمَدَ ٱبْنُ وَهْبٍ بِقَلَمٍ صُلْبٍ فَصَرَّ ٱلْقَلَمُ فِي يَدِهِ فَأَنْشَدَ:

إِذَا مَا ٱلْتَقَيْنَا وَٱنْتَضَيْنَا صَوَارِمًا   يَكَادُ يُصِمُّ ٱلسَّامِعِينَ صَرِيرُهَا

تَسَاقَطَ فِي ٱلْقِرْطَاسِ مِنْهَا بَدَائِعٌ   كَمِثْلِ ٱللَّآلِي نَظْمُهَا وَنَثِيرُهَا

تَقُودُ أَبِيَّاتَ ٱلْبَيَانِ بِفِطْنَةٍ   وَيَكْشِفُ عَنْ وَجْهِ ٱلْبَلَاغَةِ نُورُهَا

تَظَلُّ ٱلْمَنَايَا وَٱلْعَطَايَا شَوَارِعًا   تَدُورُ بِمَا شِئْنَا وَتَمْضِي أُمُورُهَا



وزير المأمون والشاعر

١٦٢ كَانَ أَبُو عَبَّادٍ ٱلرَّازِيُّ وَزِيرُ ٱلْمَأْمُونِ شَدِيدَ ٱلْحِدَّةِ سَرِيعَ ٱلْغَضَبِ . رُبَّمَا ٱغْتَاظَ مِنْ بَعْضِ مَنْ يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَرَمَاهُ بِدَوَاتِهِ أَوْ شَتَمَهُ فَأَفْحَشَ . فَدَخَلَ إِلَيْهِ ٱلْغَالِبِيُّ ٱلشَّاعِرُ وَأَنْشَدَهُ :

لَمَّا أَنَخْنَا بِٱلْوَزِيرِ رِكَابَنَا ... مُسْتَعْصِمِينَ بِجُودِهِ أَعْطَانَا
ثَبَتَتْ رَحَا مُلْكِ ٱلْإِمَامِ بِثَابِتٍ ... وَأَفَاضَ فِينَا ٱلْعَدْلَ وَٱلْإِحْسَانَا
يَقْرِي ٱلْوُفُودَ طَلَاقَةً وَسَمَاحَةً ... وَٱلنَّاكِثِينَ مُهَنَّدًا وَسِنَانَا
مَنْ لَمْ يَزَلْ لِلنَّاسِ غَيْثًا مُمْرِعًا ... مُتَخَرِّقًا فِي جُودِهِ مِعْوَانَا

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ فِي جُودِهِ وَقَفَ وَأُرْتِجَ عَلَيْهِ . وَصَارَ يُكَرِّرُ فِي جُودِهِ مِرَارًا . حَتَّى ضَجِرَ أَبُو عَبَّادٍ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ ٱلسَّوْدَاءُ فَقَالَ : يَا شَيْخُ فَقُلْ : قَرْنَانَا أَوْ صَفْعَانَا وَخَلِّصْنَا . فَضَحِكَ جَمِيعُ مَنْ كَانَ بِٱلْمَجْلِسِ وَذَهَبَ غَيْظُهُ هُوَ أَيْضًا فَضَحِكَ مَعَ ٱلنَّاسِ . وَأَتَمَّ ٱلْغَالِبِيُّ قَافِيَتَهُ بِقَوْلِهِ مِعْوَانَا . ثُمَّ وَصَلَهُ ٱلْوَزِيرُ (لابن الطقطقى)

١٦٣ قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ فِي ظُلْمِ ٱلدُّنْيَا :

عَتَبْتُ عَلَى ٱلدُّنْيَا بِتَقْدِيمِ جَاهِلٍ ... وَتَأْخِيرِ ذِي لُبٍّ فَأَبْدَتْ لِيَ ٱلْعُذْرَا
بَنُو ٱلْجَهْلِ أَبْنَائِي وَأَمَّا أُولُو ٱلنُّهَى ... فَإِنَّهُمْ أَبْنَاءُ ضَرَّتِيَ ٱلْأُخْرَى

قَالَ آخَرُ فِي ٱلشُّكْرِ :

لَقَدْ أَضْحَتْ خِلَالُ أَبِي حُصَيْنٍ حُصُونًا فِي ٱلْمُلِمَّاتِ ٱلصِّعَابِ
كَسَانِي طَلَّ وَابِلِهِ وَآوَى غَرَائِبَ مَنْطِقِي بَعْدَ ٱغْتِرَابِ
وَكُنْتُ كَرَوْضَةٍ سُقِيَتْ سَحَابًا فَأَثْنَتْ بِٱلنَّسِيمِ عَلَى ٱلسَّحَابِ

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

إِذَا كُنْتَ مِنْ كُلِّ ٱلطِّبَاعِ مُرَكَّبًا فَأَنْتَ إِلَى كُلِّ ٱلْقُلُوبِ حَبِيبُ

قَالَ آخَرُ فِي قِلَّةِ ٱلْمُرُوءَةِ :

مَرَرْتُ عَلَى ٱلْمُرُوءَةِ وَهْيَ تَبْكِي فَقُلْتُ لَهَا لِمَا تَبْكِي ٱلْفَتَاةُ
فَقَالَتْ كَيْفَ لَا أَبْكِي وَأَهْلِي جَمِيعًا دُونَ خَلْقِ ٱللهِ مَاتُوا

قَالَ ٱلْبَهَاءُ زُهَيْرٌ فِي ٱلْمَوَدَّةِ :

حَفِظْتُ لَكُمْ ذَاكَ ٱلْوِدَادَ وَصُنْتُهُ فَهَا هُوَ مَخْتُومٌ لَكُمْ بِخِتَامِ
فَلَا تُنْكِرُوا طِيبَ ٱلنَّسِيمِ إِذَا سَرَى إِلَيْكُمْ فَذَاكَ ٱلطِّيبُ فِيهِ سَلَامِي

مروان بن ابي حفصة وجعفر البرمكي

١٦٤ دَخَلَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى فَأَنْشَدَهُ :

أَبَرَّ فَمَا تَرْجُو ٱلْجِيَادُ لَحَاقَهُ أَبُو ٱلْفَضْلِ سَبَّاقُ ٱلْأَضَامِيمِ جَعْفَرُ
وَزِيرٌ إِذَا نَابَ ٱلْخِلَافَةَ حَادِثٌ أَشَارَ بِمَا عَنْهُ ٱلْخِلَافَةُ تَصْدُرُ

فَقَالَ جَعْفَرٌ : أَنْشِدْنِي مَرْثِيَتَكَ فِي مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ فَأَنْشَدَهُ :

أَقَمْنَا بِٱلْيَمَامَةِ أَوْ نَسِينَا مُقَامًا لَا نُرِيدُ بِهِ زَوَالَا
وَقُلْنَا أَيْنَ نَذْهَبُ بَعْدَ مَعْنٍ وَقَدْ ذَهَبَ ٱلنَّوَالُ فَلَا نَوَالَا

وَكَانَ ٱلنَّاسُ كُلُّهُمْ لِمَعْنٍ إِلَى أَنْ زَارَ حُفْرَتَهُ عِيَالَا

حَتَّى فَرَغَ مِنَ ٱلْقَصِيدَةِ وَجَعْفَرٌ يُرْسِلُ دُمُوعَهُ عَلَى خَدَّيْهِ. فَقَالَ: هَلْ أَثَابَكَ عَلَى هٰذِهِ ٱلْمَرْثِيَةِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَوُلْدِهِ. قَالَ: لَا. قَالَ: فَلَوْ كَانَ مَعْنٌ حَيًّا ثُمَّ سَمِعَهَا مِنْكَ كَمْ كَانَ يُثِيبُكَ عَلَيْهَا. قَالَ: أَرْبَعمائَةِ دِينَارٍ. قَالَ: فَإِنَّا كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَرْضَى لَكَ بِذٰلِكَ وَقَدْ أَمَرْنَا لَكَ عَنْ مَعْنٍ رَحِمَهُ ٱللهُ بِٱلضِّعْفِ مِمَّا ظَنَنْتَهُ وَزِدْنَاكَ مِثْلَ ذٰلِكَ. فَٱقْبِضْ مِنَ ٱلْخَازِنِ أَلْفًا وَسِتَّمائَةِ دِينَارٍ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ. فَقَالَ مَرْوَانُ يَذْكُرُ جَعْفَرًا وَمَا سَمَحَ بِهِ عَنْ مَعْنٍ:

نَفَحْتَ مُكَافِئًا عَنْ جُودِ مَعْنٍ لَنَا فِيمَا تَجُودُ بِهِ سِجَالَا

فَعَجَّلْتَ ٱلْعَطِيَّةَ يَا ٱبْنَ يَحْيَى لِنَادِبِهِ وَلَمْ تُرِدِ ٱلْمِطَالَا

فَكَافَأَ عَنْ صَدَى مَعْنٍ جَوَادٌ بِأَجْوَدِ رَاحَةٍ بَذَلَتْ نَوَالَا

بَنَى لَكَ خَالِدٌ وَأَبُوكَ يَحْيَى بِنَاءً فِي ٱلْمَكَارِمِ لَنْ يُنَالَا

كَأَنَّ ٱلْبَرْمَكِيَّ لِكُلِّ مَالٍ تَجُودُ بِهِ يَدَاهُ يُفَادُ مَالَا

الصِلات والصَلاة

١٦٥ وَمِمَّا يُسْتَحْسَنُ مِنْ تَجْنِيسِ ٱلصِّلَاتِ وَٱلصَّلَاةِ حِكَايَةُ أَحْمَدَ بْنِ ٱلْمُدَبِّرِ. وَكَانَ إِذَا مَدَحَهُ شَاعِرٌ وَلَمْ يَرْضَ شِعْرَهُ قَالَ لِغُلَامِهِ: ٱمْضِ بِهِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ فَلَا تُفَارِقْهُ حَتَّى يُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ ثُمَّ خَلِّهِ. فَتَحَامَاهُ ٱلشُّعَرَاءُ إِلَّا ٱلْأَفْرَادُ ٱلْمُجِيدُونَ. فَجَاءَ ٱلْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ ٱلرَّحْمَانِ ٱلْبَصْرِيُّ فَٱسْتَأْذَنَهُ فِي ٱلنَّشِيدِ. فَقَالَ: أَعَرَفْتَ ٱلشَّرْطَ. قَالَ: نَعَمْ وَأَنْشَدَ:

أَرَدْنَا فِي أَبِي حَسَنٍ مَدِيحًا كَمَا بِالْمَدْحِ تُنْتَجَعُ الْوُلَاةُ
فَقُلْنَا أَكْرَمُ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا وَمَنْ كَفَّاهُ دِجْلَةُ وَالْفُرَاتُ
فَقَالُوا يَقْبَلُ الْمِدَحَاتِ لٰكِنْ جَوَائِزُهُ عَلَى الْمَدْحِ الصَّلَاةُ
فَقُلْتُ لَهُمْ وَمَا تُغْنِي صَلَاتِي عِيَالِي إِنَّمَا تُغْنِي الزَّكَاةُ
فَأَمَّا إِذْ أَبَى إِلَّا صَلَاتِي وَعَاقَتْنِي الْهُمُومُ الشَّاغِلَاتُ
فَيَأْمُرُ لِي بِكَسْرِ الصَّادِ مِنْهَا لَعَلِّي أَنْ تُنَشِّطَنِي الصِّلَاتُ
فَتَصْلُحُ لِي عَلَى هٰذَا حَيَاتِي وَيَصْلُحُ لِي عَلَى هٰذَا الْمَمَاتُ

فَضَحِكَ وَاسْتَظْرَفَهُ وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ (للشريشي)

١٦٦ حَدَّثَ الصُّولِيُّ قَالَ: وُلِدَ لِلْهَادِي وَلَدٌ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ وَلِيَ الْخِلَافَةَ فَدَخَلَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَأَنْشَدَهُ:

أَكْثَرَ مُوسَى غَيْظَ حُسَّادِهِ وَزَيَّنَ الْأَرْضَ بِأَوْلَادِهِ
وَجَاءَنَا مِنْ صُلْبِهِ سَيِّدٌ أَصْيَدُ فِي تَقْطِيعِ أَجْدَادِهِ
فَاكْتَسَتِ الْأَرْضُ بِهِ بَهْجَةً وَاسْتَبْشَرَ الْمُلْكُ بِمِيلَادِهِ
وَابْتَسَمَ الْمِنْبَرُ عَنْ فَرْحَةٍ عَلَتْ بِهَا ذِرْوَةُ أَعْوَادِهِ
كَأَنَّنِي بَعْدَ قَلِيلٍ بِهِ بَيْنَ مَوَالِيهِ وَقُوَّادِهِ
فِي مَحْفِلٍ تَخْفُقُ رَايَاتُهُ قَدْ طَبَّقَ الْأَرْضَ بِأَجْنَادِهِ

فَأَمَرَ لَهُ مُوسَى بِأَلْفِ دِينَارٍ وَكَانَ سَاخِطًا عَلَيْهِ فَرَضِيَ عَنْهُ (الاغاني)

معن بن زائدة والثلاث جوار

١٦٧ كَانَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ فِي بَعْضِ صُيُودِهِ فَعَطِشَ فَلَمْ يَجِدْ مَعَ

غِلْمانِهِ ماءً. فَبَيْنَما هُوَ كَذٰلِكَ وَإِذا بِثَلاثِ جَوارٍ قَدْ أَقْبَلْنَ حامِلاتٍ ثَلاثَ قِرَبٍ فَسَقَيْنَهُ. فَطَلَبَ شَيْئًا مِنَ ٱلْمالِ مَعَ غِلْمانِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ. فَدَفَعَ لِكُلِّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ عَشَرَةَ أَسْهُمٍ مِنْ كِنانَتِهِ نُصُولُها مِنْ ذَهَبٍ. فَقالَتْ إِحْداهُنَّ: وَيْلَكُنَّ لَمْ تَكُنْ هٰذِهِ ٱلشَّمائِلُ إِلَّا لِمَعْنِ بْنِ زائِدَةَ. فَلْتَقُلْ كُلُّ واحِدَةٍ مِنْكُنَّ شَيْئًا مِنَ ٱلْأَبْياتِ. فَقالَتِ ٱلْأُولَى:

يُرَكِّبُ فِي ٱلسِّهامِ نُصُولَ تِبْرٍ ... وَيَرْمِي لِلْعِدى كَرَمًا وَجُودا
فَلِلْمَرْضَى عِلاجٌ مِنْ جِراحٍ ... وَأَكْفانٌ لِمَنْ سَكَنَ ٱللُّحُودا

وَقالَتِ ٱلثَّانِيَةُ:

وَمُحارِبٍ مِنْ فَرْطِ جُودِ بَنانِهِ ... عَمَّتْ مَكارِمُهُ ٱلْأَقارِبَ وَٱلْعِدَى
صِيغَتْ نُصُولُ سِهامِهِ مِنْ عَسْجَدٍ ... كَيْ لا يُفَوِّتَهُ ٱلتَّقارُبُ وَٱلنَّدى

وَقالَتِ ٱلثَّالِثَةُ:

وَمِنْ جُودِهِ يَرْمِي ٱلْعُداةَ بِأَسْهُمٍ ... مِنَ ٱلذَّهَبِ ٱلْإِبْرِيزِ صِيغَتْ نُصُولُها
لِيُنْفِقَها ٱلْمَجْرُوحُ عِنْدَ دَوائِهِ ... وَيَشْتَرِيَ ٱلْأَكْفانَ مِنْها قَتِيلُها

الحسين بن الضحّاك عند المتوكل

١٦٨ حَدَّثَ ٱلصَّوْلِيُّ قالَ: كانَ لِلْحُسَيْنِ بْنِ ٱلضَّحّاكِ ٱبْنٌ يُسَمَّى مُحَمَّدًا لَهُ أَرْزاقٌ فَماتَ فَقُطِعَتْ أَرْزاقُهُ. فَقالَ يُخاطِبُ ٱلْمُتَوَكِّلَ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَ أَرْزاقَ ٱبْنِهِ ٱلْمُتَوَفَّى لِزَوْجَتِهِ وَأَوْلادِهِ:

إِنِّي أَتَيْتُكَ شافِعًا ... بِوَلِيِّ عَهْدِ ٱلْمُسْلِمِينا
وَشَبِيهِكَ ٱلْمُعْتَزِّ أَوْ ... جَهِ شافِعٍ فِي ٱلْعالَمِينا

يَا ٱبْنَ ٱلْخَلَائِفِ ٱلْأَوَّلِينَ وَيَا أَبَا ٱلْمُتَأَخِّرِينَا
إِنَّ ٱبْنَ عَبْدِكَ مَاتَ وَٱ أَيَّامُ تَخْتَرِمُ ٱلْقَرِينَا
وَمَضَى وَخَلَّفَ صِبْيَةً بِعِرَاصِهِ مُتَلَدِّدِينَا
وَبُهَيْرَةً عَبْرَى خِلَافَ أَقَارِبٍ مُسْتَعْبِرِينَا
أَصْبَحْنَ فِي رَيْبِ ٱلْحَوَادِثِ يُحْسِنُونَ بِكَ ٱلظُّنُونَا
قَطَعَ ٱلْوُلَاةُ جِرَايَةً كَانُوا بِهَا مُسْتَمْسِكِينَا
فَٱمْنُنْ بِرَدِّ جَمِيعِ مَا قَطَعُوهُ غَيْرَ مُرَاقِبِينَا
أَعْطَاكَ أَفْضَلَ مَا تُؤَمِّلُ أَفْضَلُ ٱلْمُتَفَضِّلِينَا

(قَالَ): فَأَمَرَ ٱلْمُتَوَكِّلُ لَهُ بِمَا سَأَلَ فَقَالَ يَشْكُرُهُ:

يَا خَيْرَ مُسْتَخْلَفٍ مِنْ آلِ عَبَّاسِ إِسْلَمْ وَلَيْسَ عَلَى ٱلْأَيَّامِ مِنْ بَاسِ
أَحْيَيْتَ مِنْ أَمَلِي نِضْوًا تَعَاوَرَهُ تَعَاقُبُ ٱلْيَأْسِ حَتَّى مَاتَ بِٱلْيَاسِ

الباهلي والرشيد

١٦٩ قَدِمَ عَلَى ٱلرَّشِيدِ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَاهِلَةَ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ حِبَرَةٌ وَرِدَاءٌ يَمَانٍ قَدْ شَدَّهُ عَلَى وَسَطِهِ ثُمَّ ثَنَاهُ عَلَى عَاتِقِهِ. وَعِمَامَةٌ قَدْ عَصَبَهَا عَلَى فَوْدَيْهِ. وَأَرْخَى لَهَا عَذَبَةً مِنْ خَلْفِهِ فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيِ ٱلرَّشِيدِ. فَقَالَ: سَعِيدٌ يَا أَعْرَابِيُّ خُذْ فِي شَرَفِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ. فَٱنْدَفَعَ فِي شِعْرِهِ. فَقَالَ ٱلرَّشِيدُ: يَا أَعْرَابِيُّ أَسْمَعُكَ مُسْتَحْسِنًا وَأُنْكِرُكَ مُتَّهِمًا. فَقُلْ لَنَا بَيْتَيْنِ فِي هٰذَيْنِ يَعْنِي مُحَمَّدًا ٱلْأَمِينَ وَعَبْدَ ٱللّٰهِ ٱلْمَأْمُونَ ٱبْنَيْهِ وَهُمَا حِفَافَاهُ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ حَمَلْتَنِي عَلَى ٱلْوَعْرِ ٱلْقَرْدَدِ. وَأَرْجَعْتَنِي

عَلَى ٱلسَّهْلِ ٱلْحَدْرَدِ رَوْعَةُ ٱلْخِلَافَةِ وَبَهْرُ ٱلدَّرَجَةِ وَنُفُورُ ٱلْقَوَافِي عَلَى ٱلْبَدِيهَةِ . فَأَرْوِدْنِي تَتَأَلَّفْ لِي نَوَافِرُهَا وَيَسْكُنْ رَوْعِي . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ وَجَعَلْتُ ٱعْتِذَارَكَ بَدَلًا مِنِ ٱمْتِحَانِكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ نَفَّسْتَ ٱلْخِنَاقَ . وَسَهَّلْتَ مَيْدَانَ ٱلسِّبَاقِ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

بَنَيْتَ لِعَبْدِ ٱللهِ ثُمَّ مُحَمَّدٍ ذُرَى قُبَّةِ ٱلْإِسْلَامِ فَٱخْضَرَّ عُودُهَا
هُمَا طُنُبَاهَا بَارَكَ ٱللهُ فِيهِمَا وَأَنْتَ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَمُودُهَا

فَقَالَ ٱلرَّشِيدُ: بَارَكَ ٱللهُ فِيكَ فَسَلْ وَلَا تَكُنْ مَسْأَلَتُكَ دُونَ إِحْسَانِكَ . قَالَ : ٱلْهُنَيْدَةَ . فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ نَاقَةٍ وَسَبْعِ خِلَعٍ (لابن عبد ربه)

١٧٠ قَالَ ٱلْبُسْتِيُّ يَعْتَذِرُ :

أَسَأْتُ إِلَى نَفْسِي وَطَأْمَنْتُ مِنْ قَدْرِي فَحَكِّمْ غِنَى أَخْلَاقِكَ ٱلْغُرِّ فِي فَقْرِي
فَمَا ٱلْعَقْلُ إِلَّا خَاتَمٌ أَنْتَ فَصُّهُ وَعَفْوُكَ نَقْشُ ٱلْفَصِّ فَٱخْتِمْ بِهِ عُذْرِي

١٧١ وَقَالَ أَيْضًا فِي رِسَالَةٍ أَتَتْهُ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ :

مَا إِنْ سَمِعْتُ بِنُوَّارٍ لَهُ ثَمَرٌ فِي ٱلْوَقْتِ يُمْتِعُ سَمْعَ ٱلْمَرْءِ وَٱلْبَصَرَا
حَتَّى أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ مُبْتَسِمًا عَنْ كُلِّ لَفْظٍ وَمَعْنًى أَشْبَهَ ٱلدُّرَرَا
فَكَانَ لَفْظُكَ فِي آلَائِهِ زَهَرًا وَكَانَ مَعْنَاكَ فِي أَثْنَائِهِ ثَمَرَا
تَسَابَقَا فَأَصَابَا ٱلْقَصْدَ فِي طَلَقٍ لِلهِ مِنْ ثَمَرٍ قَدْ سَابَقَ ٱلزَّهَرَا

١٧٢ وَقَالَ وَهُوَ مِنْ أَجْمَلِ مَا قِيلَ فِي بَابِ ٱلشُّكْرِ :

أَقُولُ وَخَيْرُ ٱلْقَوْلِ مَا لَا يَشُوبُهُ رِيَاءٌ وَخَيْرُ ٱلنَّاسِ مَنْ هُوَ صَادِقُ
تُرَكَّبُ مِنْ شُكْرِي وَبِرِّكَ صُورَةٌ فَبِرُّكَ بِي حَيٌّ وَشُكْرِي نَاطِقُ

١٧٣ وَقالَ يعتذِرُ إلى ٱبْنِ أَبي مُحمَّدٍ ٱلْمَوْصِلِيِّ وَقدْ حُجِبَ عَنْ بابِهِ :

قَدْ جِئْتُ مُعتذِرًا وٱلعَفْوُ مِنْ شِيَمِكْ   فَأَمْهِدْ لِعُذْري مَقِيلًا في ذُرى كَرَمِكْ
وَإِنْ أَردتَ جَعلْتُ ٱلْخَدَّ وَاسِطَةً   حتَّى يكُونَ شَفِيعًا لِي إلى قَدَمِكْ

علي بن الخليل ويزيد بن المزيد

١٧٤ وُلِدَ لِيَزِيدَ بْنِ مَزْيَدٍ ٱبْنٌ فَأَتاهُ عَلِيُّ بْنُ ٱلْخَلِيلِ فَقَالَ : ٱسْمَعْ أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ تَهْنِئَةً بِٱلْفَارِسِ ٱلْوَارِدِ . فَتَبَسَّمَ وَقَالَ : هَاتِ . فَأَنْشَدَهُ :

يَزِيدُ يا ٱبْنَ ٱلصِّيدِ مِنْ وَائِلٍ   أَهْلِ ٱلرِّئَاسَاتِ وَأَهْلِ ٱلْمَعَالْ
يا خَيْرَ مَنْ أَنْجَبَهُ وَالِدٌ   لِيَهْنِكَ ٱلْفَارِسُ لَيْثُ ٱلنِّزَالْ
جَاءَتْ بِهِ غَرَّاءُ مَيْمُونَةٌ   وَٱلسَّعْدُ يَبْدُو فِي طُلُوعِ ٱلْهِلَالْ
عَلَيْهِ مِنْ مَعْنٍ وَمِنْ وَائِلٍ   سِيمَا تَبَاشِيرٍ وَسِيمَا جَلَالْ
وَٱللهُ يُبْقِيهِ لَنَا سَيِّدًا   مُدَافِعًا عَنَّا صُرُوفَ ٱللَّيَالْ
حَتَّى نَرَاهُ قَدْ عَلَا مِنْبَرًا   وَفَاضَ فِي سُؤَّالِهِ بِٱلنَّوَالْ
وَسَدَّ ثَغْرًا فَكَفَى شَرَّهُ   وَقَارَعَ ٱلْأَبْطَالَ تَحْتَ ٱلْعَوَالْ
كَمَا كَفَانَا ذَاكَ آبَاؤُهُ   فَيَحْتَذِي أَفْعَالَهُمْ عَنْ مِثَالْ

فَأَمَرَ لَهُ عَنْ كُلِّ بَيْتٍ بِأَلْفِ دِينَارٍ (الاغاني)

١٧٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرٍ : خَرَجَ ٱلْمُعْتَصِمُ بْنُ صُمَادِحٍ صَاحِبُ ٱلْمَرِيَّةِ يَوْمًا عَلَى بَعْضِ مُنْتَزَهَاتِهِ . فَحَلَّ بِرَوْضَةٍ قَدْ سَفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا ٱلْبَهِيجِ . وَتَنَفَّسَتْ عَنْ مِسْكِهَا ٱلْأَرِيجِ . وَمَاسَتْ مَعَاطِفُ أَغْصَانِهَا . وَتَكَلَّلَتْ بِلَآلِئِ ٱلطَّلِّ أَجْيَادُ قُضْبَانِهَا . فَتَشَوَّقَ إِلَى ٱلْوَزِيرِ أَبِي طَالِبِ بْنِ غَانِمٍ

أَحَدِ وُزَرَاءِ دَوْلَتِهِ. وَسُيُوفِ صَوْلَتِهِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ بَدِيهًا فِي وُرَيْقَةِ كُرُنْبٍ بِعُودٍ مِنْ شَجَرَةٍ:

أَقْبِلْ أَبَا طَالِبٍ إِلَيْنَا   وَٱسْقُطْ سُقُوطَ ٱلنَّدَى عَلَيْنَا
فَنَحْنُ عِقْدٌ بِغَيْرِ وُسْطَى   مَا لَمْ تَكُنْ حَاضِرًا لَدَيْنَا

١٧٦ أَخْبَرَ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ قَالَ: كُنْتُ مَعَ ٱلْحَسَنِ بْنِ بَادِيسَ بِٱلْمَهْدِيَّةِ فِي ٱلْمَيْدَانِ وَقَدْ رَمَى بِٱلنُّشَّابِ فَصَنَعْتُ فِيهِ بَدِيهًا:

يَا مَلِكًا قَدْ خُلِقَتْ كَفُّهُ   لَمْ تَدْرِ إِلَّا ٱلْجُودَ وَٱلْبَاسَا
إِنَّ ٱلنُّجُومَ ٱلزُّهْرَ مَعْ بُعْدِهَا   قَدْ حَسَدَتْ فِي قُرْبِكَ ٱلنَّاسَا
كَمَا تَمَنَّى ٱلْبَدْرُ لَوْ أَنَّهُ   أَضْحَى لِنُشَّابِكَ بُرْجَاسَا

١٧٧ سَخِطَ ٱلْفَضْلُ بْنُ ٱلرَّبِيعِ عَلَى ٱبْنِ سَيَابَةَ فَٱسْتَرْضَاهُ فَٱمْتَنَعَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ ٱبْنُ سَيَابَةَ بِهٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتِ:

إِنْ كَانَ جُرْمِي قَدْ أَحَاطَ بِحُرْمَتِي   فَأَحِطْ بِجُرْمِي عَفْوَكَ ٱلْمَأْمُولَا
فَكَمِ ٱرْتَجَيْتُكَ فِي ٱلَّتِي لَا يُرْتَجَى   فِي مِثْلِهَا أَحَدٌ فَنِلْتُ ٱلسُّولَا
وَضَلَلْتُ عَنْكَ فَلَمْ أَجِدْ لِي مَذْهَبًا   وَوَجَدْتُ حِلْمَكَ لِي عَلَيْكَ دَلِيلَا
هَبْنِي أَسَأْتُ وَمَا أَسَأْتُ أُقِرُّ كَيْ   يَزْدَادَ عَفْوُكَ بَعْدَ طَوْلِكَ طُولَا
فَٱلْعَفْوُ أَجْمَلُ وَٱلتَّفَضُّلُ بِٱمْرِئٍ   لَمْ يَعْدَمِ ٱلرَّاجُونَ مِنْهُ جَمِيلَا

فَلَمَّا قَرَأَهَا ٱلْفَضْلُ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَرَضِيَ عَنْهُ (بدائع البدائه للازدي)

١٧٨ وُشِيَ بِٱبْنِ سَيِّدٍ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ فَجَافَاهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ:

وَلَا غَرْوَ أَنْ تَعْفُو وَأَنْتَ ٱبْنُ مَنْ غَدَا   يُعَوِّدُ عَفْوًا عَنْ كِبَارِ ٱلْجَرَائِمِ

لَكُمْ آلَ عَمَّارٍ بُيُوتٌ رَفِيعَةٌ تُشَيَّدُ مِنْ كَسْبِ ٱلثَّنَا بِدَعَائِمِ
إِذَا نَحْنُ أَذْنَبْنَا رَجَوْنَا ثَوابَكُمْ وَلَمْ نَقْتَنِعْ بِٱلْعَفْوِ دُونَ ٱلْمَكَارِمِ
وَإِنَّكَ فَرْعٌ مِنْ أُصُولٍ كَرِيمَةٍ وَلَا تَلِدُ ٱلْأَزْهَارَ غَيْرُ ٱلْكَمَائِمِ
وَإِنِّيَ مَظْلُومٌ لِزُورٍ سَمِعْتَهُ وَقَدْ جِئْتُ أَرْجُو ٱلْعَفْوَ فِي زِيِّ ظَالِمِ

فَعَفَا عَنْهُ وَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَوَصَلَهُ (الذخيرة لابن بسَّام)

كَتَبَ ٱبْنُ خَرُوفٍ لِبَعْضِ ٱلرُّؤَسَاءِ :

يَا مَنْ حَوَى كُلَّ مَجْدٍ بِجَدِّهِ وَبِجِدِّهْ
أَتَاكَ نَجْلُ خَرُوفٍ فَٱمْنُنْ عَلَيْهِ بِجَدِّهْ

١٧٩ كَتَبَ آخَرُ إِلَى بَعْضِ ٱلْوُجُوهِ :

تَبَسَّمَ ٱلثَّغْرُ عَنْ أَوْصَافِكُمْ فَسَرَى مِنْ طِيبِ عَرْفِكُمُ رِيحٌ فَأَحْيَانَا
فَمِنْ هُنَاكَ عَشِقْنَاكُمْ وَلَمْ نَرَكُمْ وَٱلْأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ ٱلْعَيْنِ أَحْيَانَا

١٨٠ لِأَبِي ٱلْوَلِيدِ مِمَّا يُكْتَبُ عَلَى قَوْسٍ :

إِنِّي إِذَا رُفِعَتْ سَمَاءُ عَجَاجَتِي وَٱلْحَرْبُ تَقْعُدُ بِٱلرَّدَى وَتَقُومُ
وَتَمُرُّ وَٱلْأَبْطَالُ فِي جَنَبَاتِهَا وَٱلْمَوْتُ مِنْ فَوْقِ ٱلنُّفُوسِ يَحُومُ
مَرَقَتْ لَهُمْ مِنَّا ٱلْحُتُوفُ كَأَنَّمَا نَحْنُ ٱلْأَهِلَّةُ وَٱلسِّهَامُ نُجُومُ

١٨١ قَالَ أَبُو عَبْدِ ٱللهِ مُحَمَّدُ بْنُ زَرْقُونَ :

يَا مَعْدِنَ ٱلْفَضْلِ وَطَوْدَ ٱلْحِجَى لَا زِلْتَ مِنْ بَحْرِ ٱلْعُلَى تَغْتَرِفْ
عَبْدُكَ بِٱلْبَابِ فَقُلْ مُنْعِمًا يَدْخُلُ أَوْ يَصْبِرُ أَوْ يَنْصَرِفْ

١٨٢ كَتَبَ ٱبْنُ هُذَيْلٍ ٱلْفَزَارِيُّ لِلْغَنِيِّ بِٱللهِ سُلْطَانِ ٱبْنِ ٱلْخَطِيبِ :

لَيسَ يا مَوْلَايَ لِي مِنْ جابِرٍ إِذْ غَدا قَلْبِي مِنَ ٱلبَلْوى جُذاذَا
غَيْرُ صَكٍّ أَحْمَرٍ تَكْتُبُ لِي فِيهِ يُمْناكَ ٱعْتِناءً صَحَّ هٰذا

١٨٣ سَلَّمَ عَلَى ٱلْمُتَنَبِّي بَعْضُ أَصْحابِهِ فَلَمْ يَرُدَّ. فَقالَ مُعْتَذِرًا:

إِذْ كُنْتُ حِينَ لَقِيتَنِي مُتَوَجِّعًا لِتَغَيُّبِكْ
فَشُغِلْتُ عَنْ رَدِّ ٱلسَّلا مِ وَكانَ شُغْلِي عَنْكَ بِكْ

١٨٤ سَأَلَ ٱلْحَجّاجُ ٱبْنَ ٱلْقِرِّيَّةِ قالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ أَوَّلِ مَنْ نَطَقَ بِٱلشِّعْرِ. فَقالَ: آدَمُ وَهُوَ حِينَ قَتَلَ قايِنُ أَخاهُ هابِيلَ فَأَنْشَدَ:

تَغَيَّرَتِ ٱلْبِلادُ وَمَنْ عَلَيْها فَوَجْهُ ٱلْأَرْضِ مُغْبَرٌّ قَبِيحُ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي طَعْمٍ وَلَوْنٍ وَلَمْ يُرَ فِي ٱلدُّنى شَيْءٌ مَلِيحُ
بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَها ٱلتَّباكِي وَجَفْنِي بَعْدَ أَحْبابِي قَرِيحُ

فَأَجابَهُ إِبْلِيسُ عَلَى قَوْلِهِ:

تَنُوحُ عَلَى ٱلْبِلادِ وَمَنْ عَلَيْها وَبِٱلْفِرْدَوْسِ ضاقَ بِكَ ٱلْفَسِيحُ
وَكُنْتَ بِهِ وَعِرْسُكَ فِي نَعِيمٍ مِنَ ٱلدُّنْيا وَقَلْبُكَ مُسْتَرِيحُ
فَما زالَتْ مُكايَدَتِي وَمَكْرِي إِلَى أَنْ فاتَكَ ٱلثَّمَنُ ٱلرَّبِيحُ

١٨٥ لِلْأَمِيرِ أَبِي ٱلْفَتْحِ بْنِ أَبِي ٱلْفَتْحِ ٱلْمَعَرِّيِّ فِي ٱلْمُرْقِصِ:

أَبا صالِحٍ أَشْكُو إِلَيْكَ نَوائِبًا عَرَتْنِي كَما يَشْكُو ٱلنَّباتُ إِلَى ٱلْقَطْرِ
لِتَنْظُرَ نَحْوِي نَظْرَةً لَوْ نَظَرْتَها إِلَى ٱلصَّخْرِ فَجَّرْتَ ٱلْعُيُونَ مِنَ ٱلصَّخْرِ
وَفِي ٱلدّارِ خَلْفِي صِبْيَةٌ قَدْ تَرَكْتُهُمْ يُطِلُّونَ إِطْلالَ ٱلْفِراخِ إِلَى ٱلْوَكْرِ
جَنَيْتُ عَلَى رُوحِي بِرُوحِي جِنايَةً فَأَثْقَلْتُ ظَهْرِي بِٱلَّذِي خَفَّ مِنْ ظَهْرِي

١٨٦ لِتَاجِ ٱلدِّينِ بْنِ أَبِي ٱلْحَوَارِيِّ فِي ٱلْمُرْقِصِ:

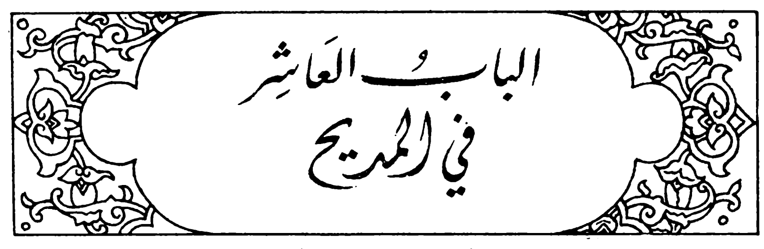
وَوَٱللهِ مَا أَخَّرْتُ عَنْكَ مَدَائِحِي لِأَمْرٍ سِوَى أَنِّي عَجَزْتُ عَنِ ٱلشُّكْرِ
وَقَدْ رُضْتُ فِكْرِي مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ فَمَا سَاغَ أَنْ أُهْدِي إِلَى مِثْلِكُمْ شِعْرِي
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ دُرًّا فَتِلْكَ نَقِيصَةٌ وَإِنْ كَانَ دُرًّا كَيْفَ يُهْدَى إِلَى ٱلْبَحْرِ

١٨٧ كَتَبَ ٱبْنُ وَضَّاحٍ ٱلْمُرْسِيُّ لِرَئِيسٍ قَطَعَ عَنْهُ إِحْسَانَهُ فَقَطَعَ مَدْحَهُ:

هَلْ كُنْتُ إِلَّا طَائِرًا بِثَنَائِكُمْ فِي دَوْحِ مَجْدِكُمُ أَقُومُ وَأَقْعُدُ
إِنْ تَسْلُبُونِي رِيشَكُمْ وَتُقَلِّصُوا عَنِّي ظِلَالَكُمُ فَكَيْفَ أُغَرِّدُ

١٨٨ كَتَبَ ٱلْحَمْدَانِيُّ إِلَى ٱلْقَاضِي أَبِي حَصِينٍ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى ٱلرَّقَّةِ:

يَا طُولَ شَوْقِي إِنْ كَانَ ٱلرَّحِيلُ غَدَا لَا فَرَّقَ ٱللهُ فِيمَا بَيْنَنَا أَبَدَا
يَا مَنْ أُصَافِيهِ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعُدٍ وَمَنْ أُخَالِصُهُ إِنْ غَابَ أَوْ شَهِدَا
رَاعَ ٱلْفِرَاقُ فُؤَادًا كُنْتَ تُؤْنِسُهُ وَزَادَ بَيْنَ ٱلْجُفُونِ ٱلدَّمْعَ وَٱلسَّهَدَا
لَا يُبْعِدِ ٱللهُ شَخْصًا لَا أَرَى أُنُسًا وَلَا تَطِيبُ لِيَ ٱلدُّنْيَا إِذَا بَعُدَا
أَضْحَى وَأَضْحَيْتُ فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنٍ أَعُدُّهُ وَالِدًا إِذْ عَدَّنِي وَلَدَا
مَا زَالَ يَنْظِمُ فِيَّ ٱلشِّعْرَ مُجْتَهِدًا فَضْلًا وَأَنْظِمُ فِيهِ ٱلشِّعْرَ مُجْتَهِدَا
حَتَّى ٱعْتَرَفْتُ وَعَزَّتْنِي فَضَائِلُهُ وَفَاتَ سَبْقًا وَحَازَ ٱلْفَضْلَ مُنْفَرِدَا
إِنْ قَصَّرَ ٱلْجُهْدُ عَنْ إِدْرَاكِ غَايَتِهِ فَأَعْذَرُ ٱلنَّاسِ مَنْ أَعْطَاكَ مَا وَجَدَا
لَا يَطْرُقِ ٱلنَّازِلُ ٱلْمَحْذُورُ سَاحَتَهُ وَلَا تَمُدَّ إِلَيْهِ ٱلْحَادِثَاتُ يَدَا
أَبْقَى لَنَا ٱللهُ مَوْلَانَا وَلَا بَرِحَتْ أَيَّامُنَا أَبَدًا فِي ظِلِّهِ جُدُدَا



بلعاء بن قيس وبنو هاشم

١٨٩ قَالَ بَلْعاءُ بْنُ قَيْسٍ: أَلعَرَبُ كَالْبَدَنِ وَقُرَيْشٌ رُوحُهَا. وَقُرَيْشٌ رُوحٌ وَبَنُو هَاشِمٍ سِرُّهَا وَلُبُّهَا. وَمَوْضِعُ غَايَةِ ٱلدِّينِ وَٱلدُّنْيَا مِنْهَا. وَهَاشِمٌ مِلْحُ ٱلْأَرْضِ وَزِينَةُ ٱلدُّنْيَا. وَحَيُّ ٱلْعَالَمِ وَٱلسَّنَامُ ٱلْأَضْخَمُ. وَٱلْكَاهِلُ ٱلْأَعْظَمُ. وَلُبَابُ كُلِّ جَوْهَرٍ كَرِيمٍ وَسِرُّ كُلِّ عُنْصُرٍ شَرِيفٍ. وَٱلطِّينَةُ ٱلْبَيْضَاءُ وَٱلْمَغْرِسُ ٱلْمُبَارَكُ وَٱلنِّصَابُ ٱلْوَثِيقُ وَمَعْدِنُ ٱلْفَهْمِ وَيَنْبُوعُ ٱلْعِلْمِ. وَثَهْلَانُ ذُو ٱلْهِضَابِ فِي ٱلْحِلْمِ وَٱلسَّيْفِ. أَلْحُسَامُ فِي ٱلْعَزْمِ مَعَ ٱلْأَنَاةِ وَٱلْحَزْمِ وَٱلصَّفْحِ عَنِ ٱلْجُرْمِ وَٱلْقَصْدِ بَعْدَ ٱلْمَعْرِفَةِ وَٱلصَّفْحِ بَعْدَ ٱلْمَقْدُرَةِ. وَهُمُ ٱلْأَنْفُ ٱلْمُقَدَّمُ. وَٱلسَّنَامُ ٱلْأَكْرَمُ. وَكَالْمَاءِ ٱلَّذِي لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ. وَكَالشَّمْسِ ٱلَّتِي لَا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ. وَكَالذَّهَبِ لَا يُعْرَفُ بِٱلنُّقْصَانِ. وَكَالنَّجْمِ لِلْحَيْرَانِ وَٱلْبَارِدِ لِلظَّمْآنِ (للقيرواني)

مديح المأمون

١٩٠ قَالَ ٱبْنُ أَبِي طَاهِرٍ: دَخَلَ ٱلْمَأْمُونُ بَغْدَادَ فَتَلَقَّاهُ وُجُوهُ أَهْلِهَا. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ ٱللهُ لَكَ فِي مَقْدَمِكَ. وَزَادَ فِي نِعْمَتِكَ وَشَكَرَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ. تَقَدَّمْتَ مَنْ قَبْلَكَ. وَأَتْعَبْتَ مَنْ بَعْدَكَ. وَآيَسْتَ أَنْ يُعَايَنَ مِثْلُكَ. أَمَّا فِيمَا مَضَى فَلَا نَعْرِفُهُ. وَأَمَّا

فِيما بَقِيَ فلا نَرْجُوهُ . فَنَحْنُ جَمِيعًا نَدْعُو لكَ وَنُثْني عَلَيْكَ . خَصُبَ لنا جَنابُكَ وعَذُبَ ثَوابُكَ . وحَسُنَتْ نَظْرَتُكَ . وَكَرُمَتْ مَقْدُرَتُكَ . جَبَرْتَ ٱلْفَقِيرَ . وَفَكَكْتَ ٱلْأَسِيرَ . وَٱلْخَيْرُ بِفِنائِكَ . وَٱلشَّرُّ بِساحَةِ أَعْدائِكَ . وَٱلنَّصْرُ مَنُوطٌ بِلوائِكَ . وَٱلْخِذْلانُ مَعَ أَلْوِيَةِ حُسَّادِكَ . وَٱلْبِرُّ فِعْلُكَ . قَدْ طَحْطَحَ عَدُوَّكَ غَضَبُكَ . وَهَزَمَ مَقانِبَهُم مَشْهَدُكَ . وَسارَ فِي ٱلنَّاسِ عَدْلُكَ . وَشَسَعَ بِٱلنَّصْرِ ذِكْرُكَ . وَسَكَّنَ قَوارِعَ ٱلْأَعْداءِ ظَفَرُكَ . أَلذَّهَبُ عَطاؤُكَ . وَٱلدَّواةُ رَمْزُكَ . وَٱلْأَوْراقُ لَحْظُكَ وَأَطْرافُكَ (لابن عبد ربّه)

مدح مقامات الحريري

١٩١ إِنِّي لَمْ أَرَ فِي كُتُبِ ٱلْعَرَبِيَّةِ وَٱلْأَدَبِ . وَلا فِي تَصانِيفِ ٱلْعَجَمِ وَٱلْعَرَبِ . كِتابًا أَحْسَنَ تَأْلِيفًا . وَأَعْجَبَ تَصْنِيفًا . وَأَغْرَبَ تَرْصِيفًا . وَأَشْمَلَ لِلْعَجائِبِ ٱلْعَرَبِيَّةِ . وَأَجْمَعَ لِلْغَرائِبِ ٱلْأَدَبِيَّةِ . وَأَكْثَرَ تَضَمُّنًا لِأَمْثالِ ٱلْعَرَبِ . وَنُكَتِ ٱلْأَدَبِ . مِنَ ٱلْمَقاماتِ ٱلَّتِي أَنْشَأَها ٱلْإِمامُ جَمالُ ٱلْعَصْرِ . وَكَمالُ ٱلدَّهْرِ . أَبُو مُحَمَّدٍ ٱلْقاسِمُ بْنُ عَلِيٍّ ٱلْحَرِيرِيُّ ٱلْبَصْرِيُّ بَرَّدَ ٱللهُ مَضْجَعَهُ . وَطَيَّبَ مَهْجَعَهُ . إِنْشاءً فاخِرًا . وَكِتابًا باهِرًا . وَتَصْنِيفًا عَجِيبًا مُعْجِزًا . وَتَأْلِيفًا عَزِيزًا مُعْوِزًا . نَعَمْ كِتابٌ بَدِيعٌ . لَهُ قَدْرٌ رَفِيعٌ . قَدْ تَمَّتْ حَسَناتُهُ . وَدَلَّتْ عَلَى ٱلْإِعْجازِ آياتُهُ . هٰذا وَلَمَّا خَرَجَ مَقْبُولَ ٱلنِّظامِ . مُتَداوَلًا فِيما بَيْنَ ٱلْأَنامِ . أَكَبَّ أَبْناءُ زَمانِنا عَلَى تَحْصِيلِهِ . وَواظَبُوا عَلَى تَفَهُّمِ جُمَلِهِ وَتَفْصِيلِهِ . غَيْرَ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ زُبَّما

خَبَطُوا فِيهِ خَبطَ عَشْوَاءَ . إِذَا وَقَعُوا مِنْهُ فِي مُعْضِلَةٍ عَمْيَاءَ . وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى سَوَاءِ ٱلسَّبِيلِ . بَلْ يَتَرَدَّدُونَ فِي تِيهٍ بِلَا دَلِيلٍ ... (للطرزي)

١٩٢ قَالَ ٱلْبُرَعِيُّ فِي إِبْرٰهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ ٱلْحَكَمِيِّ :

رَمَتْ بِي مَقَادِيرٌ جَرَتْ وَخُطُوبُ ... إِلَى صَارِمِ ٱلدِّينِ ٱلْفَتَى ٱبْنِ مُحَمَّدٍ
لَدَى خَيْرِ مَنْ يَلْوِي إِلَيْهِ أَدِيبُ ... وَحطَّتْ بِي ٱلْآمَالُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ
وَأَخْصَبِ رَبْعًا وَٱلزَّمَانُ جَدِيبُ ... فَوَافَيْتُ أَعْلَى ٱلنَّاسِ نَفْسًا وَمَنْصِبًا
بِهِ ٱلْعَيْشُ يَحْلُو وَٱلزَّمَانُ يَطِيبُ ... هُوَ ٱلْكَوْثَرُ ٱلْفَيَّاضُ فِي آلِ فَارِحٍ
لِكُلٍّ مِنَ ٱلرَّاجِينَ فِيهِ نَصِيبُ ... غَمَامٌ يَعُمُّ ٱلْخَلْقَ ظِلًّا فَنَائِلًا
وَشَأْنِي وُقِيتَ ٱلشَّانِئِينَ عَجِيبُ ... عَلَيْكَ سَلَامُ ٱللهِ جِئْتُكَ زَائِرًا
وَأَرْجُو نَدَاكَ ٱلْجَمَّ وَهْوَ قَرِيبُ ... أُؤَمِّلُ مِنْكَ ٱلْبِرَّ وَٱلْبِرُّ وَاسِعٌ
فَإِنَّ رَجَائِي فِيكَ لَيْسَ يَخِيبُ ... فَقُمْ بِي وَعَامِلْنِي بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ
وَصِلْ حَبْلَ أُنْسِي فَٱلْغَرِيبُ غَرِيبُ ... وَصُنْ مَاءَ وَجْهِي عَنْ زَمَانٍ مُعَانِدٍ
وَمَا ٱهْتَزَّ غُصْنٌ فِي ٱلْأَرَاكِ رَطِيبُ ... وَدُمْتَ مَنَارَ ٱلدِّينِ مَا لَاحَ بَارِقٌ
عَلَى نَائِبَاتِ ٱلدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ ... وَلَا زِلْتَ مَأْمُولِي وَعَوْنِي وَنُصْرَتِي

١٩٣ حَدَّثَ إِبْرٰهِيمُ بْنُ ٱلْمُدَبِّرِ قَالَ : مَرِضَ ٱلْمُتَوَكِّلُ مَرْضَةً خِيفَ عَلَيْهِ مِنْهَا . ثُمَّ عُوفِيَ وَأُذِنَ لِلنَّاسِ فِي ٱلْوُصُولِ إِلَيْهِ فَدَخَلُوا عَلَى طَبَقَاتِهِمْ كَافَّةً . وَدَخَلْتُ مَعَهُمْ فَلَمَّا رَآنِي ٱسْتَدْنَانِي حَتَّى قُمْتُ وَرَاءَ ٱلْفَتْحِ وَنَظَرَ إِلَيَّ مُسْتَنْطِقًا فَأَنْشَدْتُهُ :

يَوْمٌ أَتَانَا بِٱلسُّرُورْ ... فَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْكَبِيرْ

أَخْلَصْتُ فِيهِ شُكْرَهُ وَوَفَيْتُ فِيهِ بِٱلنُّذُورْ
لَمَّا ٱعْتَلَلْتَ تَصَدَّعَتْ شُعَبُ ٱلْقُلُوبِ مِنَ ٱلصُّدُورْ
مِنْ بَيْنِ مُلْتَهِبِ ٱلْفُؤَا دِ وَبَيْنِ مُكْتَئِبِ ٱلضَّمِيرْ
يَا عُدَّتِي لِلدِّينِ وَٱلدُّنْيَا وَلِلْخَطْبِ ٱلْخَطِيرْ
كَانَتْ جُفُونِي ثَرَّةَ ٱلْـ آمَاقِ بِٱلدَّمْعِ ٱلْغَزِيرْ
لَوْ لَمْ أَمُتْ جَزَعًا لَعَمْـ رُكَ إِنَّنِي عَيْنُ ٱلصَّبُورْ
يَوْمِي هُنَالِكَ كَٱلسِّنِيـ نَ وَسَاعَتِي مِثْلُ ٱلشُّهُورْ
يَا جَعْفَرُ ٱلْمُتَوَكِّلُ ٱلْـ عَالِي عَلَى ٱلْبَدْرِ ٱلْمُنِيرْ
أَلْيَوْمَ عَادَ ٱلدِّينُ غَضَّ م ٱلْعُودِ ذَا وَرَقٍ نَضِيرْ
وَٱلْيَوْمَ أَصْبَحَتِ ٱلْخِلَا فَةُ وَهْيَ أَرْسَى مِنْ ثَبِيرْ
قَدْ حَالَفَتْـكَ وَعَاقَدَتْـ كَ عَلَى مُطَاوَلَةِ ٱلدُّهُورْ

فَقَالَ ٱلْمُتَوَكِّلُ لِلْفَتْحِ: إِنَّ إِبْرٰهِيمَ يَنْطِقُ عَنْ نِيَّةٍ خَالِصَةٍ وَوُدٍّ مَحْضٍ وَمَا قَضَيْنَا حَقَّهُ. فَتَقَدَّمْ بِأَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهِ ٱلسَّاعَةَ خَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ

١٩٤ مَدَحَ مُطِيعُ بْنُ إِيَاسٍ مَعْنَ بْنَ زَائِدَةَ بِقَصِيدَتِهِ ٱلَّتِي أَوَّلُهَا:

أَهْلًا وَسَهْلًا بِسَيِّدِ ٱلْعَرَبِ .. ذِي ٱلْغُرَرِ ٱلْوَاضِحَاتِ وَٱلنُّجُبِ
فَتَى نِزَارٍ وَكَهْلِهَا وَأَخِي ٱلْـ جُودِ حَوَى عَانِيَهُ مِنْ كَثَبِ
جَاءَ ٱلَّذِي تُفْرَجُ ٱلْهُمُومُ بِهِ حِينَ يَلِزُّ ٱلْوَضِينُ بِٱلْحَقَبِ
شَهْمٌ إِذَا ٱلْحَرْبُ شَبَّ دَائِرُهَا أَعَادَهُ عَوْدَةً عَلَى ٱلْقُطُبِ
يُطْفِئُ نِيرَانَهَا وَيُوقِدُهَا إِذَا خَبَتْ نَارُهَا بِلَا حَطَبِ

لَيْثٌ بِخَفَّانَ قَدْ حَمَى أَجَمًا   فَصَارَ مِنْهَا فِي مَنْزِلٍ أَشِبِ
شِبْلَاهُ قَدْ أَزْيَا بِهِ فَهُمَا   شِبْهَاهُ فِي جِدِّهِ وَفِي لَعِبِ
قَدْ وَمَقَا شَكْلَهُ وَسِيرَتَهُ   وَأَحْكَمَا مِنْهُ أَكْرَمَ ٱلْأَدَبِ
نِعْمَ ٱلْفَتَى تُقْرَنُ ٱلصِّعَابُ بِهِ   عِنْدَ تَجَاثِي ٱلْخُصُومِ لِلرُّكَبِ
تَرَى لَهُ ٱلْحِلْمَ وَٱلنُّهَى خُلُقًا   فِي صَوْلَةٍ مِثْلِ جَاحِمِ ٱللَّهَبِ
سَيْفُ ٱلْإِمَامَيْنِ ذَاكَ وَذَا إِذَا   قَلَّ بُنَاةُ ٱلْوَفَاءِ وَٱلْحَسَبِ
ذَا هَوَادَةٍ لَا يُخَافُ نَبْوَتُهَا   وَدِينُهُ لَا يُشَابُ بِٱلرِّيَبِ

فَلَمَّا سَمِعَهَا مَعْنٌ قَالَ لَهُ: إِنْ شِئْتَ مَدَحْنَاكَ كَمَا مَدَحْتَنَا. وَإِنْ شِئْتَ أَثَبْنَاكَ. فَٱسْتَحْيَا مُطِيعٌ مِنِ ٱخْتِيَارِ ٱلثَّوَابِ عَلَى ٱلْمَدِيحِ وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى ٱلثَّوَابِ فَأَنْشَأَ:

ثَنَاءٌ مِنْ أَمِيرٍ خَيْرُ كَسْبٍ   لِصَاحِبِ نِعْمَةٍ وَأَخِي ثَرَاءِ
وَلٰكِنَّ ٱلزَّمَانَ بَرَى عِظَامِي   وَمَا مِثْلُ ٱلدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءِ

فَضَحِكَ مَعْنٌ حَتَّى ٱسْتَلْقَى. وَقَالَ: لَقَدْ لَطُفْتَ حَتَّى تَخَلَّصْتَ مِنْهَا. صَدَقْتَ لَعَمْرِي مَا مِثْلُ ٱلدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءٍ. وَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَهُ. (الاغاني)

١٩٥ قَالَ ٱلْبُسْتِيُّ يَمْدَحُ آلَ فُرَيْعُونَ:

بَنُو فُرَيْعُونَ قَوْمٌ فِي وُجُوهِهِمِ   نُورُ ٱلْهُدَى وَضِيَاءُ ٱلسُّؤْدُدِ ٱلْعَالِي
كَأَنَّمَا خُلِقُوا مِنْ سُؤْدُدٍ وَعُلًا   وَسَائِرُ ٱلنَّاسِ مِنْ طِينٍ وَصَلْصَالِ
مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ هٰذَا أَجَلُّهُمُ   شَأْنًا وَأَسْمَحُهُمْ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْمَالِ

يَا سَائِلِي مَا ٱلَّذِي حَصَّلْتَ عِنْدَهُمُ دَعِ ٱلسُّؤَالَ وَقُمْ فَٱنْظُرْ إِلَى حَالِي
أَفَادَنِي ٱلْمَلِكُ ٱلْمَيْمُونُ طَائِرُهُ عِزًّا وَأَلْبَسَنِي سِرْبَالَ إِقْبَالِ
وَٱشْتَقَّ مِنْ حَقِّهِ بَحْرًا طَغَى وَطَمَا حَبَابُهُ فَوْقَ أَفْكَارِي وَآمَالِي
فَإِنْ أَكُنْ سَاكِتًا عَنْ شُكْرِ أَنْعُمِهِ فَإِنَّ ذَاكَ لِعَجْزِي لَا لِإِغْفَالِي

١٩٦ وَقَالَ فِي أَبِي نَصْرٍ :

أَبَا نَصْرٍ نُصِرْتَ عَلَى ٱلْأَعَادِي وَصِرْتَ لِكُلِّ ذِي فَضْلٍ إِمَامَا
بِرَأْيٍ يَهْزِمُ ٱلْجَيْشَ ٱللُّهَامَا وَعَزْمٍ يُخْجِلُ ٱلسَّيْفَ ٱلْحُسَامَا

١٩٧ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ يَمْدَحُ أَبَا ٱلْحَسَنِ مُوسَى بْنَ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ :

إِنْ يَكُنْ فِي ٱلْأَرْضِ شَيْءٌ حَسَنٌ فَهُوَ فِي دُورِ بَنِي عَبْدِ ٱلْمَلِكْ
مَا يُبَالُونَ إِذَا مَا أَفْضَلُوا مَا بَقِي مِنْ مَالِهِمْ أَوْ مَا هَلَكْ
عُقِلَتْ أَلْسُنُهُمْ عَنْ قَوْلِ لَا فَهْيَ لَا تَعْرِفُ إِلَّا هُوَ لَكْ
مِنْهُمُ مُوسَى جَوَادٌ مَاجِدٌ لَا يَرَى مَا لَمْ يَهَبْ مِمَّا مَلَكْ
زَيَّنُوا ٱلْأَرْضَ كَمَا قَدْ زُيِّنَتْ بِنُجُومِ ٱللَّيْلِ آفَاقُ ٱلْفَلَكْ

١٩٨ قَالَ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ يَمْدَحُ أَبَا عَمْرٍو أُحَيْحَةَ بْنَ ٱلْجُلَاحِ :

إِذَا مَا أَرَدتَّ ٱلْعِزَّ مِنْ آلِ يَثْرِبٍ فَنَادِ أَبَا عَمْرٍو أُحَيْحَةَ يَسْمَعُ
بَنَى فِي ٱلْعُلَى وَٱلْفَخْرِ وَٱلْمَجْدِ مَنْزِلًا لَهُ فَوْقَ أَكْنَافِ ٱلسِّمَاكَيْنِ مَوْضِعُ
وَإِنْ هَزَّ فِي يَوْمِ ٱلْكَرِيهَةِ سَيْفَهُ رَأَيْتَ شُعَاعَ ٱلْمَوْتِ فِي ٱلسَّيْفِ يَلْمَعُ
وَإِنْ وَهَبَتْ كَفَّاهُ وَٱلْغَيْثُ هَاطِلٌ يَدُومُ عَطَاهُ وَٱلسَّحَائِبُ تُقْلِعُ
وَيَأْمَنُ فِي أَبْيَاتِهِ كُلُّ خَائِفٍ وَيَشْبَعُ مِنْ نُعْمَاهُ مَنْ لَيْسَ يَشْبَعُ

مَنَاقِبُ فِي ٱلْجُلَّاحِ كَانَتْ قَدِيمَةً فَسَارَ عَلَيْهَا وَٱبْنُهُ يَتَتَبَّعُ

١٩٩ قَالَ بعضُ ٱلشُّعَرَاءِ يَمدحُ ٱبْنَ أَبِي دُؤَادٍ:

تَرَكَ ٱلْمَنَابِرَ وَٱلسَّرِيرَ تَوَاضُعًا وَلَهُ مَنَابِرُ لَوْ يَشَا وَسَرِيرُ
وَلِغَيْرِهِ يُجْبَى ٱلْخَرَاجُ وَإِنَّمَا يُجْبَى إِلَيْهِ مَحَامِدٌ وَأُجُورُ

٢٠٠ قَالَ أَبُو ٱلعَبَّاسِ ٱلْكُورَانِيُّ يَمْدَحُ ٱلأَمِيرَ يُوسُفَ بْنَ عَبْدِ ٱلْمُؤْمِنِ:

إِنَّ ٱلْإِمَامَ هُوَ ٱلطَّبِيبُ وَقَدْ شَفَى عِلَلَ ٱلبَرَايَا ظَاهِرًا وَدَخِيلَا
حَمَلَ ٱلْبَسِيطَةَ وَهْيَ تَحْمِلُ شَخْصَهُ كَٱلرُّوحِ يُوجَدُ حَامِلًا مَحْمُولَا

٢٠١ قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ فِي ٱلْمَدْحِ:

قَدْ هَزَزْنَاكَ فِي ٱلْمَكَارِمِ غُصْنَا وَٱسْتَلَمْنَاكَ فِي ٱلنَّوَائِبِ رُكْنَا
وَوَجَدْنَا ٱلزَّمَانَ قَدْ لَانَ عِطْفًا وَتَأَتَّى فِعْلًا وَأَشْرَقَ حُسْنَا
فَإِذَا مَا سَأَلْتَهُ كَانَ سَمْحًا وَإِذَا مَا هَزَزْتَهُ كَانَ لَدْنَا
أَنْتَ مَاءُ ٱلسَّمَاءِ أَخْصَبَ وَادِيهِ وَرَقَّتْ رِيَاضُهُ فَٱنْتَجَعْنَا
نَزَعَتْ بِي إِلَى وَدَادِكَ نَفْسٌ قَلَّمَا ٱسْتَصْحَبَتْ سِوَى ٱلْفَضْلِ خِدْنَا

٢٠٢ قَالَ ٱبْنُ ٱلنَّبِيهِ يَمْدَحُ صَلَاحَ ٱلدِّينِ يُوسُفَ بْنَ أَيُّوبَ:

هُوَ ٱلْعَادِلُ ٱلظَّلَّامُ لِلْمَالِ وَٱلْعِدَى خَزَائِنُهُ قَدْ أَقْفَرَتْ وَدِيَارُهَا
كَرِيمٌ لَهُ نَفْسٌ تَجُودُ بِمَا حَوَتْ وَأَعْجَبُ شَيْءٍ بَعْدَ ذَاكَ ٱعْتِذَارُهَا
حُسَامٌ لَهُ حَدٌّ يَرُوعُ مَضَاؤُهُ وَصَفْحَةُ صَفْحٍ لِلذُّنُوبِ ٱغْتِفَارُهَا
لَهُ رَاحَةٌ فِي ٱلسِّلْمِ تُجْنَى جِنَانُهَا وَيَوْمَ هِيَاجِ ٱلْحَرْبِ تُوقَدُ نَارُهَا
أَنَامِلُهُ طَوْرًا غُصُونٌ نَوَاضِرٌ وَطَوْرًا سُيُوفٌ دَامِيَاتٌ شِفَارُهَا

٢٠٣ قَالَ ٱلنَّابِغَةُ يَمدَحُ غَسَّانَ حِينَ ٱرْتَحَلَ مِنْ عِنْدِهِمْ رَاجِعًا:

لَا يُبْعِدِ ٱللهُ جِيرَانًا تَرَكْتُهُمُ ... مِثْلَ ٱلْمَصَابِيحِ تَجْلُو لَيْلَةَ ٱلظُّلَمِ
هُمُ ٱلْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ ٱلْمُلُوكِ لَهُمْ ... فَضْلٌ عَلَى ٱلنَّاسِ فِي ٱللَّأْوَاءِ وَٱلنِّعَمِ
أَحْلَامُ عَادٍ وَأَجْسَادٌ مُطَهَّرَةٌ ... مِنَ ٱلْمَعَقَّةِ وَٱلْآفَاتِ وَٱلْأَثَمِ

٢٠٤ دَخَلَ شَاعِرٌ عَلَى ٱلْمَلِكِ ٱلْوَاثِقِ وَقَالَ لَهُ:

إِنِّي رَأَيْتُكَ سَيِّدِي فِي مَجْلِسٍ ... قَعَدَ ٱلْمُلُوكُ بِحَافَتَيْهِ وَقَامُوا
فَكَأَنَّكَ ٱلدَّهْرُ ٱلصَّؤُولُ عَلَيْهِمِ ... وَكَأَنَّهُمْ مِنْ حَوْلِكَ ٱلْأَيَّامُ

فَقَالَ: أَحْسَنْتَ كَمْ أَمَّلْتَ ٱطْلُبْ مَا تَشَاءُ. قَالَ: يَا مَوْلَايَ يَدُكَ بِٱلْعَطِيَّةِ أَوْسَعُ مِنْ لِسَانِي بِٱلْمَسْأَلَةِ. فَوَهَبَهُ أَلْفَ دِينَارٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ

٢٠٥ قَالَ ٱبْنُ نُبَاتَةَ فِي ٱلْمَلِكِ ٱلْمُؤَيَّدِ صَاحِبِ حَمَاةَ:

لَنَا مَلِكٌ قَدْ قَاسَمَتْنَا هِبَاتُهُ ... فَنَثْرُ ٱلْعَطَا مِنْهُ وَنَظْمُ ٱلثَّنَا مِنَّا
يُذَكِّرُنَا أَخْبَارَ مَعْنٍ بِجُودِهِ ... وَنُنْشِي لَهُ لَفْظًا فَيُنْشِي لَنَا مَعْنَى

٢٠٦ وَأَحْسَنُ مَا سُمِعَ فِي ٱلْقَسَمِ عَلَى ٱلْمَدْحِ قَوْلُ ٱلشَّاعِرِ:

حَلَفْتُ بِمَنْ سَوَّى ٱلسَّمَاءَ وَشَادَهَا ... وَمَنْ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ
وَمَنْ قَامَ فِي ٱلْمَعْقُولِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ ... بِأَثْبَتَ مِنْ إِدْرَاكِ كُلِّ عِيَانِ
لَمَا خُلِقَتْ كَفَّاكَ إِلَّا لِأَرْبَعٍ ... عَقَائِلَ لَمْ تُعْقَلْ لَهُنَّ ثَوَانِي
لِتَقْبِيلِ أَفْوَاهٍ وَإِعْطَاءِ نَائِلٍ ... وَتَقْلِيبِ هِنْدِيٍّ وَحَبْسِ عِنَانِ

٢٠٧ قَالَ شَرَفُ ٱلدِّينِ ٱلْقَيْرَوَانِيُّ:

جَاوِرْ عَلِيًّا وَلَا تَحْفِلْ بِحَادِثَةٍ ... إِذَا ٱدَّرَعْتَ فَلَا تَسْأَلْ عَنِ ٱلْأَسَلِ

سَلْ عَنْهُ وَٱنْطِقْ بِهِ وَٱنْظُرْ إِلَيْهِ تَجِدْ مِلْءَ ٱلْمَسَامِعِ وَٱلْأَفْوَاهِ وَٱلْمُقَلِ

٢٠٨ قَالَتِ ٱلْخَنْسَاءُ فِي أَخِيهَا وَقَدْ أَرَادَتْ مُسَاوَاتَهُ بِأَبِيهِ مَعَ مُرَاعَاةِ حَقِّ ٱلْوَالِدِ بِزِيَادَةِ مَدْحٍ لَا يَنْقُصُ بِهِ حَقُّ ٱلْوَلَدِ :

جَارَى أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَهُمَا يَتَعَاوَرَانِ مُلَاءَةَ ٱلْفَخْرِ
وَهُمَا وَقَدْ بَرَزَا كَأَنَّهُمَا صَقْرَانِ قَدْ حَطَّا عَلَى وَكْرِ
بَرَقَتْ صَفِيحَةُ وَجْهِ وَالِدِهِ وَمَضَى عَلَى غُلَوَائِهِ يَجْرِي
أَوْلَى فَأَوْلَى أَنْ يُسَاوِيَهُ لَوْلَا جَلَالُ ٱلسِّنِّ وَٱلْكِبَرِ

٢٠٩ قَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلْمَى فِي بَنِي سِنَانٍ :

قَوْمٌ أَبُوهُمْ سِنَانٌ حِينَ تَنْسُبُهُمْ طَابُوا وَطَابَ مِنَ ٱلْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا
لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ ٱلشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ بِآبَائِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا

وَقَالَ يَمْدَحُ هَرِمَ بْنَ سِنَانٍ :

وَأَبْيَضَ فَيَّاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ عَلَى مُعْتَفِيهِ مَا تُغِبُّ فَوَاضِلُهْ
تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ ٱلَّذِي أَنْتَ سَائِلُهْ
أَخُو ثِقَةٍ لَا تُتْلِفُ ٱلْخَمْرُ مَالَهُ وَلٰكِنَّهُ قَدْ يُتْلِفُ ٱلْمَالَ نَائِلُهْ

٢١٠ قَالَ أَعْشَى قَيْسٍ يَمْدَحُ ٱلْأَسْوَدَ بْنَ ٱلْمُنْذِرِ أَخَا ٱلنُّعْمَانِ :

أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ ٱلنَّا سِ إِذَا مَا كَبَتْ وُجُوهُ ٱلرِّجَالِ
فَرْعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصُنِ ٱلْمَجْدِ غَزِيرُ ٱلنَّدَى عَظِيمُ ٱلْجَمَالِ
فَإِذَا مَنْ عَصَاكَ أَصْبَحَ تَخْزُو نَا وَكَعْبُ ٱلَّذِي يُطِيعُكَ عَالِ

٢١١ قَالَ عُرْوَةُ بْنُ ٱلْوَرْدِ :

لَوْ كَانَتِ ٱلرِّيحُ حقًّا تَحمِلُ ٱلْخَبَرَا حَمَّلْتُ رِيحَ ٱلصِّبَا أَنْفَاسَنَا سَحَرَا
إِلَى ٱلشُّجَاعِ ٱلَّذِي مَا سَلَّ صَارِمَهُ إِلَّا وَدَمُ ٱلْعِدَى فَوْقَ ٱلصَّعِيدِ جَرَى
لَيْثٌ يُلَاقِي رِجَالَ ٱلْحَرْبِ مُقْتَدِرًا وَطَعْنُهُ فِي حَشَاهَا وَافَقَ ٱلْقَدَرَا
يَا حَامِيًا عَبْسَ قَدْ بِتْنَا عَلَى وَجَلٍ مِنْ فَارِسٍ لَا يَخَافُ ٱلْبُؤْسَ وَٱلضَّرَرَا
لَقَدْ رَجَوْنَاكَ عِنْدَ ٱلْخَطْبِ تُدْرِكُنَا وَمِنْ دِمَاهُمْ تُرَوِّي ٱلصَّارِمَ ٱلذَّكَرَا

٢١٢ قَالَ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ يَمْدَحُ أَبَا دُلَفَ وَكَانَ قَتَلَ قُرْقُورَ فِي ٱلْحَرْبِ:

إِمْتَدِحْ مِنْ وَائِلٍ رَجُلًا عَصَرَ ٱلْآفَاقَ فِي عُصُرِهْ
أَلْمَنَايَا فِي مَنَاقِبِهِ وَٱلْعَطَايَا فِي ذَرَا حُجَرِهْ
مَلِكٌ تَنْدَى أَنَامِلُهُ كَٱنْبِلَاجِ ٱلنَّوْءِ عَنْ مَطَرِهْ
مُسْتَهِلٌّ عَنْ مَوَاهِبِهِ كَٱبْتِسَامِ ٱلرَّوْضِ عَنْ زَهَرِهْ
إِنَّمَا ٱلدُّنْيَا أَبُو دُلَفٍ بَيْنَ بَادِيهِ وَمُحْتَضَرِهْ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلَفٍ وَلَّتِ ٱلدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهْ
يَا دَوَاءَ ٱلْأَرْضِ إِنْ فَسَدَتْ وَمُدِيلَ ٱلْيُسْرِ مِنْ عُسُرِهْ
كُلُّ مَنْ فِي ٱلْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ بَيْنَ بَادِيهِ إِلَى حَضَرِهْ
مُسْتَعِيرٌ مِنْكَ مَكْرُمَةً يَكْتَسِيهَا يَوْمَ مُفْتَخَرِهْ
وَزَحُوفٍ فِي صَوَاهِلِهِ كَصِيَاحِ ٱلْحَشْرِ فِي أَثَرِهْ
قُدْتَهُ وَٱلْمَوْتُ مُكْتَمِنٌ فِي مَذَاكِيهِ وَمُشْتَجَرِهْ
زُرْتَهُ وَٱلْخَيْلُ عَابِسَةٌ تَحْمِلُ ٱلْبُؤْسَ عَلَى عُقُرِهْ
خَارِجَاتٍ تَحْتَ رَايَاتِهَا كَخُرُوجِ ٱلطَّيْرِ مِنْ وَكَرِهْ

وَلِقِــرْقُورٍ أَدَرْتَ رَحًا لَمْ تَكُنْ تَرْتَدُّ فِي فِكَرِهْ
قَدْ تَأَنَّيْتَ ٱلْبَقَـاءَ لَهُ فَأَبَى ٱلْمَحْتُومُ مِنْ قَـدَرِهْ

فَلَمَّا أَنْشَدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي جَبَـلَةَ هٰذِهِ ٱلْقَصِيدَةَ ٱسْتَحْسَنَهَا أَبُو دُلَفَ وَسُرَّ بِهَا وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ

٢١٣ أَخْبَرَ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ ٱلْأَخْفَشُ قَالَ: بَيْنَا أَبُو دُلَفَ يَسِيرُ مَعَ أَخِيهِ مَعْقِـلٍ وَهُمَا إِذْ ذَاكَ بِٱلْعِرَاقِ إِذْ مَرَّ بِٱمْرَأَتَيْنِ تَتَمَاشَيَانِ. فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا لِصَاحِبَتِهَا: هٰذَا أَبُو دُلَفَ. قَالَتْ: وَمَنْ أَبُو دُلَفَ. قَالَتِ ٱلَّذِي يَقُولُ فِيــهِ ٱلشَّاعِرُ: (إِنَّمَا ٱلدُّنْيَا أَبُو دُلَفٍ). (قَالَ): فَٱسْتَعْبَرَ أَبُو دُلَفَ حَتَّى جَرَى دَمْعُهُ. قَالَ لَهُ مَعْقِـلٌ: مَالَكَ يَا أَخِي تَبْكِي. قَالَ: لِأَنِّي لَمْ أَقْضِ حَقَّ عَلِيِّ بْنِ جَبَلَةَ (الاغاني)

٢١٤ قَالَ آخَرُ فِي ٱلْمَدْحِ:

أَهْلٌ بِأَنْ يُسْعَى إِلَيْــهِ وَيُرْتَجَى وَيُزَارَ مِنْ أَقْصَى ٱلْبِلَادِ عَلَى ٱلرَّجَا
فَلَقَدْ غَدَا بِٱلْمَكْرُمَاتِ مُقَلَّدًا وَمُوَشَّحًا وَمُخَتَّمًـا وَمُتَوَّجَا

٢١٥ قَالَ ٱلْمُتَنَبِّي يَمْدَحُ سَيْفَ ٱلدَّوْلَةِ:

ضَاقَ ٱلزَّمَانُ وَوَجْهُ ٱلْأَرْضِ عَنْ مَلِكٍ مِلْءِ ٱلزَّمَانِ وَمِلْءِ ٱلسَّهْلِ وَٱلْجَبَلِ
وَنَحْنُ فِي جَذَلٍ وَٱلرُّومُ فِي وَجَلٍ وَٱلْبَرُّ فِي شُغُلٍ وَٱلْبَحْرُ فِي خَجَلِ

٢١٦ وَقَالَ أَيْضًا:

يَا أَكْرَمَ ٱلنَّاسِ أَخْلَاقًا وَأَوْفَرَهُمْ عَقْـلًا وَأَسْبَقَهُمْ فِيهِ إِلَى ٱلْأَمَدِ
أَصْبَحْتَ أَفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ بِٱلرَّأْيِ وَٱلْعَقْلِ لَا بِٱلْبَطْشِ وَٱلْجَلَدِ

لَئِنْ ضَعُفْتَ وَأَضْنَاكَ ٱلسَّقَامُ فَلَمْ   يَضْعُفْ قُوَى عَقْلِكَ ٱلصَّافِي وَلَمْ يَمِدِ
لَوْ كَانَ أَفْضَلُ مَا فِي ٱلْخَلْقِ بَطْشَهُمُ   دُونَ ٱلْعُقُولِ لَكَانَ ٱلْفَضْلُ لِلْأَسَدِ

٢١٧ قَالَ عُمَارَةُ ٱلْيَمَنِيُّ : (ابن خلكان)

يَا لِسَانَ ٱلزَّمَانِ لَفْظًا وَمَعْنًى   وَرَبِيعَ ٱلْأَنَامِ كَفًّا وَمَغْنَى
تَعْتَلِي كَوْكَبًا وَتَشْرُقُ شَمْسًا   وَتُحَامِي لَيْثًا وَتَنْهَلُّ مُزْنَا

٢١٨ قَالَ آخَرُ :

إِذَا حَلَلْتَ بِأَرْضٍ وَهْيَ مُجْدِبَةٌ   قَلِيلَةُ ٱلْغَيْثِ لَمْ يَخْطُرْ بِهَا ٱلسَّارِي
فَلَيْسَ تَرْحَلُ إِلَّا وَهْيَ مُعْشِبَةٌ   كَأَنَّمَا أَنْتَ فِيهَا رَحْمَةُ ٱلْبَارِي

٢١٩ قَالَ أَبُو ٱلْفَرَجِ ٱلْبَبَّغَاءُ فِي سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ :

نَدَاكَ إِذَا ضَنَّ ٱلْغَمَامُ غَمَامُ   وَعَزْمُكَ إِنْ فُلَّ ٱلْحُسَامُ حُسَامُ
فَهٰذَا يُنِيلُ ٱلرِّزْقَ وَهْوَ مُمَنَّعٌ   وَذَاكَ يَرُدُّ ٱلْجَيْشَ وَهْوَ لُهَامُ
وَمَنْ طَلَبَ ٱلْأَعْدَاءَ بِٱلْمَالِ وَٱلظُّبَى   وَبِٱلسَّعْدِ لَمْ يَبْعُدْ عَلَيْهِ مَرَامُ

٢٢٠ قَالَ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْبُسْتِيُّ فِي نُجُلِ بَعْضِ ٱلْأُمَرَاءِ :

فَتًى جَمَعَ ٱلْعَلْيَاءَ عِلْمًا وَعِفَّةً   وَجُودًا وَبَأْسًا لَا يُفِيقُ فَوَاقَا
كَمَا جَمَعَ ٱلتُّفَّاحُ شَكْلًا وَبَهْجَةً   وَرَائِحَةً مَحْبُوبَةً وَمَذَاقَا

٢٢١ قَالَ عَمَّارُ بْنُ ٱلْحَسَنِ يَمْدَحُ عَبْدَ ٱللّٰهِ بْنَ لَهِيعَةَ :

إِذَا سَارَ عَبْدُ ٱللّٰهِ مِنْ مَرْوَ لَيْلَةً   فَقَدْ سَارَ مِنْهَا نُورُهَا وَجَمَالُهَا
إِذَا ذُكِرَ ٱلْأَحْبَارُ مِنْ كُلِّ بَلْدَةٍ   فَهُمْ أَنْجُمٌ فِيهَا وَأَنْتَ هِلَالُهَا

٢٢٢ أَنْشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ هَانِئٍ فِي جَعْفَرِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ غَلْبُونَ :

لَوْ خَلَّدَ ٱلدَّهْرُ ذَا عِزٍّ لِعِزَّتِهِ ... كُنْتَ ٱلْأَحَقَّ بِتَعْمِيرٍ وَتَخْلِيدِ
تَبْلَى ٱلْكِرَامُ وَآثَارُ ٱلْكِرَامِ وَمَا ... تَزْدَادُ فِي كُلِّ عَصْرٍ غَيْرَ تَجْدِيدِ

٢٢٣ لِأَبِي ٱلشِّيصِ ٱلْخُزَاعِيِّ :

عَشِقَ ٱلْمَكَارِمَ فَهْوَ مُشْتَغِلٌ بِهَا ... وَٱلْمَكْرُمَاتُ قَلِيلَةُ ٱلْعُشَّاقِ
وَأَقَامَ سُوقًا لِلثَّنَاءِ وَلَمْ تَكُنْ ... سُوقُ ٱلثَّنَاءِ تُعَدُّ فِي ٱلْأَسْوَاقِ
بَثَّ ٱلصَّنَائِعَ فِي ٱلْبِلَادِ فَأَصْبَحَتْ ... تُجْبَى إِلَيْهِ مَحَامِدُ ٱلْآفَاقِ

٢٢٤ قَالَ أَبُو حُوثَةَ :

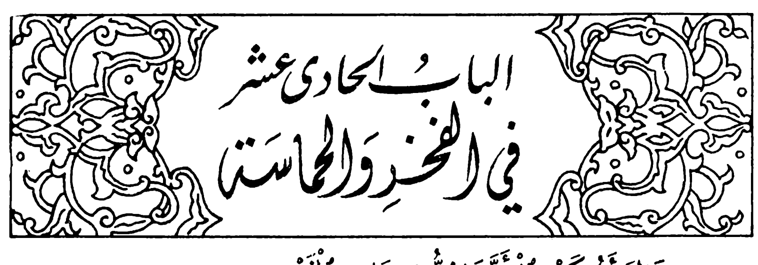
قَوْمٌ إِذَا ٱقْتَحَمُوا ٱلْعَجَاجَ رَأَيْتَهُمْ ... أُسْدًا وَخِلْتَ وُجُوهَهُمْ أَقْمَارَا
لَا يَعْدِلُونَ بِرِفْدِهِمْ عَنْ سَائِلٍ ... عَدَلَ ٱلزَّمَانُ عَلَيْهِمِ أَوْ جَارَا
وَإِذَا ٱلصَّرِيخُ دَعَاهُمُ لِمُلِمَّةٍ ... بَذَلُوا ٱلنُّفُوسَ وَفَارَقُوا ٱلْأَعْمَارَا
وَإِذَا زِنَادُ ٱلْحَرْبِ أُخْمِدَ نَارُهَا ... قَدَحُوا بِأَطْرَافِ ٱلْأَسِنَّةِ نَارَا

٢٢٥ قَالَ ٱلْعَرَنْدَسُ يَمْدَحُ قَوْمًا :

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ ذَوُو كَرَمٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ
فِيهِمْ وَمِنْهُمْ يُعَدُّ ٱلْمَجْدُ مُتَّلِدًا ... وَلَا يُعَدُّ نَثَا خِزْيٍ وَلَا عَارِ
لَا يَنْطِقُونَ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا ... وَلَا يُمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْثَارِ
مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ ... مِثْلُ ٱلنُّجُومِ ٱلَّتِي يَسْرِي بِهَا ٱلسَّارِي

٢٢٦ قَالَ ٱلْحَزِينُ ٱللَّيْثِيُّ فِي عَلِيِّ بْنِ ٱلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ :

هٰذَا ٱلَّذِي تَعْرِفُ ٱلْبَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ ... وَٱلْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَٱلْحِلُّ وَٱلْحَرَمُ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا ... إِلَى مَكَارِمِ هٰذَا يَنْتَهِي ٱلْكَرَمُ



٢٢٧ قَالَ أَبُو بَكْرٍ ٱلْأَرَّجَانِيُّ فِي بَابِ ٱلْفَخْرِ:

أَنَا أَشْعَرُ ٱلْفُقَهَاءِ غَيْرَ مُدَافَعٍ فِي ٱلْعَصْرِ أَوْ أَنَا أَفْقَهُ ٱلشُّعَرَاءِ
شِعْرِي إِذَا مَا قُلْتُ دَوَّنَهُ ٱلْوَرَى بِٱلطَّبْعِ لَا بِتَكَلُّفِ ٱلْإِلْقَاءِ
كَٱلصَّوْتِ فِي قُلَلِ ٱلْجِبَالِ إِذَا عَلَا لِلسَّمْعِ هَاجَ تَجَاوُبَ ٱلْأَصْدَاءِ

٢٢٨ قَالَ ٱلْقَاضِي ٱلرَّشِيدُ أَبُو ٱلْحُسَيْنِ ٱلْغَسَّانِيُّ ٱلْأُسْوَانِيُّ:

جَلَّتْ لَدَيَّ ٱلرَّزَايَا بَلْ جَلَتْ هِمَّتِي وَهَلْ يَضُرُّ جَلَاءُ ٱلصَّارِمِ ٱلذَّكَرِ
غَيْرِي يُغَيِّرُهُ عَنْ حُسْنِ شِيمَتِهِ صَرْفُ ٱلزَّمَانِ وَمَا يَأْتِي مِنَ ٱلْغِيَرِ
لَوْ كَانَتِ ٱلنَّارُ لِلْيَاقُوتِ مُحْرِقَةً لَكَانَ يَشْتَبِهُ ٱلْيَاقُوتُ بِٱلْحَجَرِ
فَلَا تَغُرَّنْكَ أَطْمَارِي وَقِيمَتُهَا فَإِنَّمَا هِيَ أَصْدَافٌ عَلَى دُرَرِ
وَلَا تَظُنَّ خَفَاءَ ٱلنَّجْمِ عَنْ صِغَرٍ فَٱلذَّنْبُ مِنْ ذَاكَ مَحْمُولٌ عَلَى ٱلْبَصَرِ

٢٢٩ قَالَ عَنْتَرُ يَتَهَدَّدُ هَوَازِنَ وَجُشَمَ وَكَانَا قَدْ أَغَارَا عَلَى دِيَارِ عَبْسٍ:

سَكَتُّ فَغَرَّ أَعْدَائِي ٱلسُّكُوتُ وَظَنُّونِي لِأَهْلِي قَدْ نَسِيتُ
وَكَيْفَ أَنَامُ عَنْ سَادَاتِ قَوْمٍ أَنَا فِي فَضْلِ نِعْمَتِهِمْ رَبِيتُ
وَإِنْ دَارَتْ بِهِمْ خَيْلُ ٱلْأَعَادِي وَنَادَوْنِي أَجَبْتُ مَتَى دُعِيتُ
بِسَيْفٍ حَدُّهُ مَوْجُ ٱلْمَنَايَا وَرُمْحٍ صَدْرُهُ ٱلْحَتْفُ ٱلْمُمِيتُ
خُلِقْتُ مِنَ ٱلْحَدِيدِ أَشَدَّ قَلْبًا وَقَدْ بَلِيَ ٱلْحَدِيدُ وَمَا بَلِيتُ

وَإِنِّي قَدْ شَرِبْتُ دَمَ ٱلْأَعَادِي ... بِأَقْحَافِ ٱلرُّؤُوسِ وَمَا رَوِيتُ
وَفِي ٱلْحَرْبِ ٱلْعَوَانِ وُلِدْتُ طِفْلًا ... وَمِنْ لَبَنِ ٱلْمَعَامِعِ قَدْ سُقِيتُ
فَمَا لِلرُّمْحِ فِي جِسْمِي نَصِيبٌ ... وَلَا لِلسَّيْفِ فِي أَعْضَايَ قُوتُ
وَلِي بَيْتٌ عَلَا فَلَكَ ٱلثُّرَيَّا ... تَخِرُّ لِعُظْمِ هَيْبَتِهِ ٱلْبُيُوتُ

٢٣٠ وَقَالَ أَيْضًا يَفْتَخِرُ:

أُعَادِي صَرْفَ دَهْرٍ لَا يُعَادَى ... وَأَحْتَمِلُ ٱلْقَطِيعَةَ وَٱلْبِعَادَا
وَأُظْهِرُ نُصْحَ قَوْمٍ ضَيَّعُونِي ... وَإِنْ خَانَتْ قُلُوبُهُمُ ٱلْوِدَادَا
أُعَلِّلُ بِٱلْمُنَى قَلْبًا عَلِيلًا ... وَبِٱلصَّبْرِ ٱلْجَمِيلِ وَإِنْ تَمَادَى
تُعَيِّرُنِي ٱلْعِدَى بِسَوَادِ جِلْدِي ... وَبِيضُ خَصَائِلِي تَمْحُو ٱلسَّوَادَا
وَرَدْتُ ٱلْحَرْبَ وَٱلْأَبْطَالُ حَوْلِي ... تَهُزُّ أَكُفُّهَا ٱلسُّمْرَ ٱلصِّعَادَا
وَخُضْتُ بِمُهْجَتِي بَحْرَ ٱلْمَنَايَا ... وَنَارُ ٱلْحَرْبِ تَتَّقِدُ ٱتِّقَادَا
وَعُدْتُ مُخَضَّبًا بِدَمِ ٱلْأَعَادِي ... وَكَرْبُ ٱلرَّكْضِ قَدْ خَضَبَ ٱلْجَوَادَا
وَسَيْفِي مُرْهَفُ ٱلْحَدَّيْنِ مَاضٍ ... تَقُدُّ شِفَارُهُ ٱلصَّخْرَ ٱلْجَمَادَا
وَرُمْحِي مَا طَعَنْتُ بِهِ طَعِينًا ... فَعَادَ بِعَيْنِهِ نَظَرَ ٱلرَّشَادَا
وَلَوْلَا صَارِمِي وَسِنَانُ رُمْحِي ... لَمَا رَفَعَتْ بَنُو عَبْسٍ عِمَادَا

٢٣١ قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِب:

لَيْسَ ٱلْجَمَالُ بِمِئْزَرٍ ... فَٱعْلَمْ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدَا
إِنَّ ٱلْجَمَالَ مَعَادِنٌ ... وَمَنَاقِبٌ أَوْرَثْنَ مَجْدَا
أَعْدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَا ... بِغَةً وَعَدَّاءً عَلَنْدَا

نَهْدًا وَذَا شُطَبٍ يَقُدُّ ٱلْبِيضَ وَٱلأَبْدَانَ قَدًّا
وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَا كَ مُنَازِلٌ كَعْبًا وَنَهْدَا
قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا ٱلْحَدِيـ دَ تَنَمَّرُوا حَلَقًا وَقِدًّا
كُلُّ ٱمْرِئٍ يَجْرِي إِلَى يَوْمِ ٱلْهِيَاجِ بِمَا ٱسْتَعَدَّا
نَازَلْتُ كَبْشَهُمُ وَلَمْ أَرَ مِنْ نِزَالِ ٱلْكَبْشِ بُدَّا
هُمْ يَنْذُرُونَ دَمِي وَأَنْ ذُرُ إِنْ لَقِيتُ بِأَنْ أَشُدَّا
كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ بَوَّأْتُهُ بِيَدَيَّ لَحْدَا
مَا إِنْ جَزِعْتُ وَلَا هَلِعْـ تُ وَلَا يَرُدُّ بُكَايَ زَنْدَا
أَلْبَسْتُهُ أَثْوَابَهُ وَخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدَا
أُغْنِي غَنَاءَ ٱلذَّاهِبِيـ نَ أُعَدُّ لِلْأَعْدَاءِ عَدَّا
ذَهَبَ ٱلَّذِينَ أُحِبُّهُمْ وَبَقِيتُ مِثْلَ ٱلسَّيْفِ فَرْدَا

٢٣٢ قَالَ عَنْتَرُ وَقَدْ خَرَجَ إِلَى دِيَارِ بَنِي زَبِيدٍ فِي طَلَبِ رَأْسِ ٱبْنِ مُحَارِبٍ:

أَطْوِي فَيَافِيَ ٱلْفَلَا وَٱللَّيْلُ مُعْتَكِرُ وَأَقْطَعُ ٱلْبِيدَ وَٱلرَّمْضَاءُ تَسْتَعِرُ
وَلَا أَرَى مُؤْنِسًا غَيْرَ ٱلْحُسَامِ وَإِنْ قَلَّ ٱلْأَعَادِي غَدَاةَ ٱلرَّوْعِ أَوْ كَثُرُوا
فَحَاذِرِي يَا سِبَاعَ ٱلْبَرِّ مِنْ رَجُلٍ إِذَا ٱنْتَضَى سَيْفَهُ لَا يَنْفَعُ ٱلْحَذَرُ
وَرَافِقِينِي تَرَيْ هَامًا مُفَلَّقَةً وَٱلطَّيْرَ عَاكِفَةً تُمْسِي وَتَبْتَكِرُ
مَا خَالِدٌ بَعْدَ مَا قَدْ سِرْتُ طَالِبَهُ بِخَالِدٍ لَا وَلَا ٱلْجَيْدَاءُ تَفْتَخِرُ
وَلَا دِيَارُهُمُ بِٱلْأَهْلِ آنِسَةٌ يَأْوِي ٱلْغُرَابُ بِهَا وَٱلذِّئْبُ وَٱلنَّمِرُ

٢٣٣ وَقَالَ بَعْضُ بَنِي أَسَدٍ:

وَإِنِّي لَأَسْتَغْنِي فَمَا أَبْطَرُ ٱلْغِنَى ... وَأَعْرِضُ مَيْسُورِي عَلَى مُبْتَغِي قَرْضِي
وَأُعْسِرُ أَحْيَانًا فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي ... وَأُدْرِكُ مَيْسُورَ ٱلْغِنَى وَمَعِي عِرْضِي
وَمَا نَالَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ وَأَسْفَرَتْ ... أَخُو ثِقَةٍ مِنِّي بِقَرْضٍ وَلَا فَرْضِ
وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي وَتَصْفُو خَلِيقَتِي ... إِذَا كَدُرَتْ أَخْلَاقُ كُلِّ فَتًى مَحْضِ
وَأَسْتَنْقِذُ ٱلْمَوْلَى مِنَ ٱلْأَمْرِ بَعْدَمَا ... يَزِلُّ كَمَا زَلَّ ٱلْبَعِيرُ عَنِ ٱلدَّحْضِ
وَأَمْنَحُهُ مَالِي وَوُدِّي وَنُصْرَتِي ... وَإِنْ كَانَ مَحْنِيَّ ٱلضُّلُوعِ عَلَى بُغْضِي
وَيَغْمُرُهُ حِلْمِي وَلَوْ شِئْتُ نَالَهُ ... قَوَارِعُ تَبْرِي ٱلْعَظْمَ عَنْ كَلِمٍ مَضِّ
وَأَقْضِي عَلَى نَفْسِي إِذَا ٱلْأَمْرُ نَابَنِي ... وَفِي ٱلنَّاسِ مَنْ يُقْضَى عَلَيْهِ وَلَا يَقْضِي
وَلَسْتُ بِذِي وَجْهَيْنِ فِيمَنْ عَرَفْتُهُ ... وَلَا ٱلْبُخْلُ فَٱعْلَمْ مِنْ سَمَائِي وَلَا أَرْضِي
وَإِنِّي لَسَهْلٌ مَا تُغَيِّرُ شِيمَتِي ... صُرُوفُ لَيَالِي ٱلدَّهْرِ بِٱلْفَتْلِ وَٱلنَّقْضِ

٢٣٤ وَلِعَنْتَرَةَ فِي يَوْمِ ٱلْمَصَانِعِ :

إِذَا كَشَفَ ٱلزَّمَانُ لَكَ ٱلْقِنَاعَا ... وَمَدَّ إِلَيْكَ صَرْفُ ٱلدَّهْرِ بَاعَا
فَلَا تَخْشَ ٱلْمَنِيَّةَ وَٱلْتَقِيهَا ... وَدَافِعْ مَا ٱسْتَطَعْتَ لَهَا دِفَاعَا
وَلَا تَخْتَرْ فِرَاشًا مِنْ حَرِيرٍ ... وَلَا تَبْكِ ٱلْمَنَازِلَ وَٱلْبِقَاعَا
وَحَوْلَكَ نِسْوَةٌ يَنْدُبْنَ حُزْنًا ... وَيَهْتِكْنَ ٱلْبَرَاقِعَ وَٱللِّفَاعَا
يَقُولُ لَكَ ٱلطَّبِيبُ دَوَاكَ عِنْدِي ... إِذَا مَا جَسَّ كَفَّكَ وَٱلذِّرَاعَا
وَلَوْ عَرَفَ ٱلطَّبِيبُ دَوَاءَ دَاءٍ ... يَرُدُّ ٱلْمَوْتَ مَا قَاسَى ٱلنِّزَاعَا
وَفِي يَوْمِ ٱلْمَصَانِعِ قَدْ تَرَكْنَا ... لَنَا بِفِعَالِنَا خَبَرًا مُشَاعَا
أَقَمْنَا بِٱلذَّوَابِلِ سُوقَ حَرْبٍ ... وَصَيَّرْنَا ٱلنُّفُوسَ لَهَا مَتَاعَا

حِصَانِي كَانَ دَلَّالَ ٱلْمَنَايَا فَخَاضَ غُبَارَهَا وَشَرَى وَبَاعَا
وَسَيْفِي كَانَ فِي ٱلْهَيْجَا طَبِيبًا يُدَاوِي رَاسَ مَنْ يَشْكُو ٱلصُّدَاعَا
أَنَا ٱلْعَبْدُ ٱلَّذِي خُبِّرْتَ عَنْهُ وَقَدْ عَايَنْتَنِي فَدَعِ ٱلسَّمَاعَا
وَلَوْ أَرْسَلْتُ رُمْحِي مَعْ جَبَانٍ لَكَانَ بِهَيْبَتِي يَلْقَى ٱلسِّبَاعَا
مَلَأْتُ ٱلْأَرْضَ خَوْفًا مِنْ حُسَامِي وَخَصْمِي لَمْ يَجِدْ فِيهَا ٱتِّسَاعَا
إِذَا ٱلْأَبْطَالُ فَرَّتْ خَوْفَ بَأْسِي تَرَى ٱلْأَقْطَارَ بَاعًا أَوْ ذِرَاعَا

٢٣٥ وَقَالَ مُضَرِّسُ بْنُ رِبْعِيٍّ :

إِنَّا لَنَصْفَحُ عَنْ مَجَاهِلِ قَوْمِنَا وَنُقِيمُ سَالِفَةَ ٱلْعَدُوِّ ٱلْأَصْيَدِ
وَمَتَى نَخَفْ يَوْمًا فَسَادَ عَشِيرَةٍ نُصْلِحْ وَإِنْ نَرَ صَالِحًا لَا نُفْسِدِ
وَإِذَا نَمَوْا صُعُدًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمِ مِنَّا ٱلْخَبَالُ وَلَا نُفُوسُ ٱلْحُسَّدِ
وَنُعِينُ فَاعِلَنَا عَلَى مَا نَابَهُ حَتَّى نُيَسِّرَهُ لِفِعْلِ ٱلسَّيِّدِ
وَنُجِيبُ دَاعِيَةَ ٱلصَّبَاحِ بِثَائِبٍ عَجِلِ ٱلرُّكُوبِ لِدَعْوَةِ ٱلْمُسْتَنْجِدِ
فَنَفُلُّ شَوْكَتَهَا وَنَفْثَأُ حَمْيَهَا حَتَّى تَبُوخَ وَحَمْيُنَا لَمْ يَبْرُدِ
وَتَحُلُّ فِي دَارِ ٱلْحِفَاظِ بُيُوتُنَا رُتَعَ ٱلْجَمَايِلِ فِي ٱلدَّرِينِ ٱلْأَسْوَدِ

٢٣٦ وَقَالَ عَنْتَرَةُ ٱلْعَبْسِيُّ :

وَٱجْهَدِي فِي عَدَاوَتِي وَعِنَادِي أَنْتِ وَٱللهِ لَمْ تُلِمِّي بِبَالِي
إِنَّ لِي هِمَّةً أَشَدَّ مِنَ ٱلصَّخْـ ـرِ وَأَقْوَى مِنْ رَاسِيَاتِ ٱلْجِبَالِ
وَحُسَامًا إِذَا ضَرَبْتُ بِهِ ٱلدَّهْـ ـرَ تَخَلَّتْ عَنْهُ ٱلْقُرُونُ ٱلْخَوَالِي
وَسِنَانًا إِذَا تَعَسَّفْتُ فِي ٱللَّيْـ ـلِ هَدَانِي وَرَدَّنِي عَنْ ضَلَالِي

وَجَوَادًا مَا سَارَ إِلَّا سَرَى ٱلْبَرْ قُ وَرَاهُ مِن ٱقْتِدَاحِ ٱلنِّعَالِ
أَدْهَمٌ يَصْدَعُ ٱلدُّجَى بِسَوَادٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ غُرَّةٌ كَٱلْهِلَالِ
يَفْتَدِينِي بِنَفْسِهِ وَأُفَدِّيهِ بِنَفْسِي يَوْمَ ٱلْقِتَالِ وَمَالِي
وَإِذَا قَامَ سُوقُ حَرْبِ ٱلْعَوَالِي وَتَلَظَّى بِٱلْمُرْهَفَاتِ ٱلصِّقَالِ
كُنْتُ دَلَّالَهَا وَكَانَ سِنَانِي تَاجِرًا يَشْتَرِي ٱلنُّفُوسَ ٱلْغَوَالِي
يَا سِبَاعَ ٱلْفَلَا إِذَا ٱشْتَعَلَ ٱلْحَرْ بُ ٱتْبَعِينِي مِنَ ٱلْقِفَارِ ٱلْخَوَالِي
إِتْبَعِينِي تَرَيْ دِمَاءَ ٱلْأَعَادِي سَائِلَاتٍ بَيْنَ ٱلرُّبَى وَٱلرِّمَالِ
ثُمَّ عُودِي مِنْ بَعْدِ ذَا وَٱشْكُرِينِي وَٱذْكُرِي مَا رَأَيْتِهِ مِنْ فِعَالِي
وَخُذِي مِنْ جَمَاجِمِ ٱلْقَوْمِ قُوتًا لِبَنِيكِ ٱلصِّغَارِ وَٱلْأَشْبَالِ

٢٣٧ وَقَالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ رَوَاحَةَ ٱلْأَنْصَارِيُّ:

مَتَى مَا تَأْتِ يَثْرِبَ أَوْ تَرِدْهَا تَجِدْنَا نَحْنُ أَكْرَمَهَا جُدُودَا
وَأَغْلَظَهَا عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ رُكْنًا وَأَلْيَنَهَا لِبَاغِي ٱلْخَيْرِ عُودَا
وَأَخْطَبَهَا إِذَا ٱجْتَمَعُوا لِأَمْرٍ وَأَقْصَدَهَا وَأَوْفَاهَا عُهُودَا
إِذَا نُدْعَى لِثَارٍ أَوْ لِجَارٍ فَنَحْنُ ٱلْأَكْثَرُونَ بِهَا عَدِيدَا
مَتَى مَا نُدْعَ فِي جُشَمٍ وَعَوْفٍ تَجِدْنِي لَا أَغَمَّ وَلَا وَحِيدَا
وَحَوْلِي جَمْعُ سَاعِدَةَ بْنِ عَمْرٍو وَتَيْمِ ٱللَّاتِ قَدْ لَبِسُوا ٱلْحَدِيدَا
زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ نِلْتُمْ مُلُوكًا وَنَزْعُمُ أَنَّنَا نِلْنَا عَبِيدَا
وَمَا نَبْغِي مِنَ ٱلْأَحْلَافِ وِتْرًا وَقَدْ نِلْنَا ٱلْمَسَوَّدَ وَٱلْمَسُودَا

٢٣٨ قَالَ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْبُسْتِيُّ:

وَنَحْـنُ أُنَاسٌ لَا نَذِلُّ لِجَانِفٍ عَلَيْنَا وَلَا نَرْضَى حُكُـومَةَ حَائِفِ
مَلَكْنَا ٱلْعَوَالِي بِٱلْمَعَـالِي فَجَارُنَا عَزِيزٌ وَمَنْ نَكْفُـلْ بِهِ غَيْرُ خَائِفِ
وَرِثْنَا عَنِ ٱلْآبَاءِ عِنْـدَ ٱخْتِرَامِهَا صَفَائِحَ تُغْنِي عَنْ رُسُومِ ٱلصَّحَائِفِ
تُؤَمِّرُنَا أَسْيَافُنَـا وَرِمَاحُنَا إِذَا لَمْ يُؤَمِّرْنَا لِوَاءُ ٱلْخَـلَائِفِ
بَنَيْنَا بِأَطْرَافِ ٱلْأَسِنَّةِ كَعْبَةً أَطَافَ بِهَا قَسْرًا مُلُوكُ ٱلطَّوَائِفِ
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَخْشُنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَلِـنْ فَمَا نَقْـدُنَا إِنْ قَارَضُونَا بِزَائِفِ
وَسَوْفَ نُجَازِي بِٱللَّطَائِفِ أَهْلَهَا وَنَسْقِي زُعَافَ ٱلسُّمِّ أَهْلَ ٱلْكَثَائِفِ

٢٣٩ قَالَ ٱلْقُرَيْطُ بْنُ أُنَيْفٍ يَفْتَخِرُ بِقَوْمِهِ:

قَوْمٌ إِذَا ٱلشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذَيْهِ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْـهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا
لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِـينَ يَنْدُبُهُمْ فِي ٱلنَّائِبَـاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانَا
لٰكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنَ ٱلشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا
يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ ٱلظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ ٱلسُّوءِ إِحْسَانَا
كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِخَشْيَتِـهِ سِوَاهُمُ مِنْ جَمِيعِ ٱلنَّاسِ إِنْسَانَا
فَلَيْتَ لِي بِهِمِ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا شَنُّوا ٱلْإِغَارَةَ فُرْسَانًا وَرُكْبَانَا

٢٤٠ وَلِلّٰهِ عَنْتَرُ حَيْثُ يَقُولُ:

أَنَا فِي ٱلْحَرْبِ ٱلْعَـوَانِ غَيْرُ مَجْهُـولِ ٱلْمَكَانِ
وَحُسَامِي مَعْ قَنَـاتِي لِفِعَـالِي شَاهِـدَانِ
إِنَّنِي أَطْعَـنُ خَصْمِـي وَهْوَ يَقْظَـانُ ٱلْجَنَـانِ
أَسْقِـهِ كَأْسَ ٱلْمَنَايَا وَقِرَاهَا مِنْـهُ دَانِ

خُلِقَ ٱلرُّمْحُ لِكَفِّي وَٱلْحُسامُ ٱلْهِنْدُوَانِي
وَمَعِي فِي ٱلْمَهْدِ كَانَا فَوْقَ صَدْرِي يُؤْنِسَانِي
وَإِذَا مَا ٱلْأَرْضُ صَارَتْ وَرْدَةً مِثْلَ ٱلدِّهَانِ
وَٱلدِّمَا تَجْرِي عَلَيْهَا لَوْنُهَا أَحْمَرُ قَانِي
فَٱسْقِيَانِي وَٱسْمِعَانِي نَغْمَةً كَيْ تُطْرِبَانِي
أَطْيَبُ ٱلْأَصْوَاتِ عِنْدِي حُسْنُ صَوْتِ ٱلْهُنْدُوَانِي
وَصَرِيرُ ٱلرُّمْحِ جَهْرًا فِي ٱلْوَغَى يَوْمَ ٱلطِّعَانِ
وَصِيَاحُ ٱلْقَوْمِ فِيهِ وَهْوَ لِلْأَبْطَالِ دَانِ

٢٤١ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي هَمْدَانَ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلْخَيْلَ تَقْرَعُ بِٱلْقَنَا فَوَارِسُهَا حُمْرُ ٱلْعُيُونِ دَوَامِ
وَأَقْبَلَ رَهْجٌ فِي ٱلسَّمَاءِ كَأَنَّهُ غَمَامَةُ دَجْنٍ أَوْ عِرَاضُ قَتَامِ
وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ قَدْ أَتَتْنَا عِصَابَةٌ ذَوُو نَجَدَاتٍ فِي ٱللِّقَاءِ كِرَامِ
وَنَادَيْتُ فِيهِمْ دَعْوَةً فَأَجَابَنِي فَوَارِسُ مِنْ هَمْدَانَ غَيْرُ لِئَامِ
فَوَارِسُ مِنْ هَمْدَانَ لَيْسُوا بِعُزَّلٍ غَدَاةَ ٱلْوَغَى مِنْ شَائِكٍ وَسَنَامِ
يَقُودُهُمُ حَامِي ٱلْحَقِيقَةِ مِنْهُمُ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ وَٱلْكَرِيمُ يُحَامِي
جَزَى ٱللهُ هَمْدَانَ ٱلْجِنَانَ فَإِنَّهُمْ سِهَامُ ٱلْأَعَادِي عِنْدَ كُلِّ حِمَامِ
مَتَى تَأْتِهِمْ فِي دَارِهِمْ تَسْتَضِيفُهُمْ تَبِتْ نَاعِمًا فِي غِبْطَةٍ وَطَعَامِ
وَقَوْمٌ يُحِبُّونَ ٱلْإِمَامَ وَهَدْيَهُ سِرَاعٌ إِلَى ٱلْهَيْجَا بِكُلِّ حُسَامِ
فَلَوْ كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ لَقُلْتُ لِهَمْدَانَ ٱدْخُلُوا بِسَلَامِ

٢٤٢ وَمِنَ ٱلْمُعْجِبِ فِي هٰذَا ٱلْبَابِ قَوْلُ مُجِيرِ ٱلدِّينِ بْنِ تَمِيمٍ :

لَوْ كُنْتَ تَشْهَدُنِي وَقَدْ حَمِيَ ٱلْوَغَى   فِي مَوْقِفٍ مَا ٱلْمَوْتُ فِيهِ بِمَعْزِلِ
لَتَرَى أَنَابِيبَ ٱلْقَنَاةِ عَلَى يَدِي   تَجْرِي دَمًا مِنْ تَحْتِ ظِلِّ ٱلْقَسْطَلِ

٢٤٣ قَالَ بَدْرُ ٱلدِّينِ بْنُ فَضْلِ ٱللّٰهِ يَتَهَدَّدُ تَيْمُورْلَنْكَ عَلَى لِسَانِ ٱلظَّاهِرِ بَرْقُوقَ

أَلسَّيْفُ وَٱلرُّمْحُ وَٱلنُّشَّابُ قَدْ عَلِمَتْ   مِنَّا ٱلْحُرُوبَ فَسَلْ مِنْهَا تُلَبِّيكَا
إِذَا ٱلْتَقَيْنَا تَجِدْ هٰذَا مُشَاهَدَةً   فِي ٱلْحَرْبِ فَٱثْبُتْ فَأَمْرُ ٱللّٰهِ آتِيكَا
بِخِدْمَةِ ٱلْحَرَمَيْنِ ٱللّٰهُ شَرَّفَنَا   فَضْلًا وَمَلَّكَنَا ٱلْأَمْصَارَ تَمْلِيكَا
وَبِٱلْجَمِيلِ وَحُلْوِ ٱلنَّصْرِ عَوَّدَنَا   خُذِ ٱلتَّوَارِيخَ وَٱقْرَأْهَا فَتُنْبِيكَا
وَمَنْ يَكُنْ رَبُّهُ ٱلْفَتَّاحُ نَاصِرَهُ   فَمَنْ يَخَافُ وَهٰذَا ٱلْقَوْلُ يَكْفِيكَا

٢٤٤ قصيدة ابن سناء الملك في الفخر

سِوَايَ يَهَابُ ٱلْمَوْتَ أَوْ يَرْهَبُ ٱلرَّدَى   وَغَيْرِي يَهْوَى أَنْ يَعِيشَ مُخَلَّدَا
وَلٰكِنَّنِي لَا أَرْهَبُ ٱلدَّهْرَ إِنْ سَطَا   وَلَا أَحْذَرُ ٱلْمَوْتَ ٱلزُّؤَامَ إِذَا عَدَا
وَلَوْ مَدَّ نَحْوِي حَادِثُ ٱلدَّهْرِ كَفَّهُ   لَحَدَّثْتُ نَفْسِي أَنْ أَمُدَّ لَهُ يَدَا
تَوَقُّدُ عَزْمِي يَتْرُكُ ٱلْمَاءَ جَمْرَةً   وَحِيلَةُ حِلْمِي تَتْرُكُ ٱلسَّيْفَ مِبْرَدَا
وَفَرْطُ ٱحْتِقَارِي لِلْأَنَامِ لِأَنَّنِي   أَرَى كُلَّ عَارٍ مِنْ حِلَى سُؤْدَدِي سُدَى
وَيَأْبَى إِبَائِي أَنْ يَرَانِيَ قَاعِدًا   وَإِنِّي أَرَى كُلَّ ٱلْبَرِيَّةِ مَقْعَدَا
وَأَظْمَأُ إِنْ أَبْدَى لِيَ ٱلْمَاءُ مِنَّةً   وَلَوْ كَانَ لِي نَهْرُ ٱلْمَجَرَّةِ مَوْرِدَا
وَلَوْ كَانَ إِدْرَاكُ ٱلْهُدَى بِتَذَلُّلٍ   رَأَيْتُ ٱلْهُدَى أَنْ لَا أَمِيلَ إِلَى ٱلْهُدَى
وَقِدْمًا بِغَيْرِي أَصْبَحَ ٱلدَّهْرُ أَشْيَبًا   وَبِي وَبِفَضْلِي أَصْبَحَ ٱلدَّهْرُ أَمْرَدَا

وَإِنَّكَ عَبْدِي يَا زَمَانُ وَإِنَّنِي … عَلَى ٱلرُّغْمِ مِنِّي أَنْ أَرَى لَكَ سَيِّدَا
وَمَا أَنَا رَاضٍ أَنَّنِي وَاطِئُ ٱلثَّرَى … وَلِي هِمَّةٌ لَا تَرْتَضِي ٱلْأُفْقَ مَقْعَدَا
وَلَوْ عَلِمَتْ زُهْرُ ٱلنُّجُومِ مَكَانَتِي … لَخَرَّتْ جَمِيعًا نَحْوَ وَجْهِي سُجَّدَا
أَرَى ٱلْخَلْقَ دُونِي إِذْ أَرَانِي فَوْقَهُمْ … ذَكَاءً وَعِلْمًا وَٱعْتِلَاءً وَسُؤْدَدَا
وَبَذْلُ نَوَالِي زَادَ حَتَّى لَقَدْ غَدَا … مِنَ ٱلْغَيْظِ مِنْهُ سَاكِنُ ٱلْبَحْرِ مُزْبِدَا
وَلِي قَلَمٌ فِي أَنْمُلِي إِنْ هَزَزْتُهُ … فَمَا ضَرَّنِي أَنْ لَا أَهُزَّ ٱلْمُهَنَّدَا
إِذَا صَالَ فَوْقَ ٱلطِّرْسِ وَقْعُ صَرِيرِهِ … فَإِنَّ صَلِيلَ ٱلْمَشْرَفِيِّ لَهُ صَدَى

٢٤٥ لِأَبِي ٱلطَّمَحَانِ ٱلْقَيْنِيِّ:

وَإِنِّي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ هُمُ هُمُ … إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهْ
نُجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا غَابَ كَوْكَبٌ … بَدَا كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهْ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ … دُجَى ٱللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ ٱلْجِزْعَ ثَاقِبُهْ
وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانُوا مُسَوَّدٌ … تَسِيرُ ٱلْمَنَايَا حَيْثُ سَارَتْ كَتَائِبُهْ

٢٤٦ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ ٱلْأَنْصَارِيِّ:

وَلَقَدْ تُقَلِّدُنَا ٱلْعَشِيرَةُ أَمْرَهَا … وَنَسُودُ يَوْمَ ٱلنَّائِبَاتِ وَنَعْتَلِي
وَتَزُورُ أَبْوَابَ ٱلْمُلُوكِ رِكَابُنَا … وَمَتَى نُحَكَّمْ فِي ٱلْبَرِيَّةِ نَعْدِلِ
وَنُحَاوِلُ ٱلْأَمْرَ ٱلْمُهِمَّ خِطَابُهُ … فِيهِمْ وَنَفْصِلُ كُلَّ أَمْرٍ مُعْضِلِ

٢٤٧ قَالَ أَبُو ٱلْجَرَّاحِ ٱلْبَكْرِيُّ:

إِنَّا لَنَبْنِي عَلَى مَا شَيَّدَتْهُ لَنَا … آبَاؤُنَا ٱلْغُرُّ مِنْ مَجْدٍ وَمِنْ كَرَمِ
لَا يَرْفَعُ ٱلضَّيْفُ عَيْنًا فِي مَنَازِلِنَا … إِلَّا إِلَى ضَاحِكٍ مِنَّا وَمُبْتَسِمِ

إِنِّي إِذَا كَانَ قَوْمِي فِي ٱلْوَرَى عَلَمًا   فَإِنَّنِي عَلَمٌ فِي ذٰلِكَ ٱلْعَلَمِ

٢٤٨ قَالَ ٱلْأَدِيبُ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ بَقِيٍّ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ:

هُوَ ٱلشِّعْرُ أَجْرَى فِي مَيَادِينِ سَبْقِهِ   وَأَفْرَجَ مِنْ أَبْوَابِهِ كُلَّ مُبْهَمِ
وَسَلْ أَهْلَهُ عَنِّي هَلِ ٱمْتَزَتْ مِنْهُمُ   بِطَبْعِي وَهَلْ غَادَرْتُ مِنْ مُتَرَدَّمِ
سَلَكْتُ أَسَالِيبَ ٱلْبَدِيعِ فَأَصْبَحَتْ   بِأَقْوَالِيَ ٱلرُّكْبَانُ فِي ٱلْبِيدِ تَرْتَمِي
وَرُبَّتَمَا غَنَّى بِهِ كُلُّ سَاجِعٍ   يُرَدِّدُهُ فِي شَجْوِهِ وَٱلتَّرَنُّمِ
وَضَيَّعَنِي قَوْمِي لِأَنِّي لِسَانُهُمْ   إِذَا أُفْحِمَ ٱلْأَقْوَامُ عِنْدَ ٱلتَّكَلُّمِ
وَطَالَبَنِي دَهْرِي لِأَنِّيَ زِينَتُهُ   وَأَنِّي فِيهِ غُرَّةٌ فَوْقَ أَدْهَمِ

٢٤٩ مِنْ شِعْرِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ قَوْلُهُ:

إِنَّ ٱلذَّوَائِبَ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ   قَدْ بَيَّنُوا سُنَنًا لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ   تَقْوَى ٱلْإِلٰهِ وَبِٱلْأَمْرِ ٱلَّذِي شَرَعُوا
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ   أَوْ حَاوَلُوا ٱلنَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحْدَثَةٍ   إِنَّ ٱلْخَلَائِقَ فَٱعْلَمْ شَرُّهَا ٱلْبِدَعُ
لَوْ كَانَ فِي ٱلنَّاسِ سَبَّاقُونَ بَعْدَهُمُ   فَكُلُّ سَبْقٍ لِأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبَعُ
لَا يَرْقَعُ ٱلنَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكُفُّهُمُ   عِنْدَ ٱلرِّقَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا
إِنْ سَابَقُوا ٱلنَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبْقُهُمُ   أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِٱلنَّدَى مَنَعُوا
لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمُ   وَإِنْ أُصِيبُوا فَلَا خُورٌ وَلَا هُلُعُ
وَلَا يَضَنُّونَ عَنْ جَارٍ بِفَضْلِهِمِ   وَلَا يَمَسُّهُمُ فِي مَطْمَعٍ طَمَعُ
كَأَنَّهُمْ أَفْضَلُ ٱلْأَحْيَاءِ كُلِّهِمِ   إِنْ جَدَّ بِٱلنَّاسِ جِدُّ ٱلْقَوْلِ أَوْ سَمِعُوا

٢٥٠ وَمِمَّا يُسْتَجَادُ لِعُبَيدِ بْنِ ٱلْأَبْرَصِ قَوْلُهُ :

يَا أَيُّهَا ٱلسَّائِلُ عَنْ مَجْدِنَا ... إِنَّكَ عَنْ مَسْعَاتِنَا جَاهِلُ
إِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْمَعْ بِآبَائِنَا ... فَسَلْ تُنَبَّأْ أَيُّهَا ٱلسَّائِلُ
سَائِلْ بِنَا حُجْرًا غَدَاةَ ٱلْوَغَى ... يَوْمَ تَوَلَّى جَمْعُهُ ٱلْحَافِلُ
قَوْمِي بَنُو دُودَانَ أَهْلُ ٱلْحِجَى ... يَوْمًا إِذَا أَلْقَحَتِ ٱلْحَائِلُ
كَمْ فِيهِمِ مِنْ آيِدٍ سَيِّدٍ ... ذِي نَفَحَاتٍ قَائِلٌ فَاعِلُ
مَنْ قَوْلُهُ قَوْلٌ وَمَنْ فِعْلُهُ ... فِعْلٌ وَمَنْ نَائِلُهُ نَائِلُ
لَا يَحْرِمُ ٱلسَّائِلَ إِنْ جَاءَهُ ... وَلَا يُعَفِّي سَيْبَهُ ٱلْعَاذِلُ
أَلطَّاعِنُ ٱلطَّعْنَةَ يَوْمَ ٱلْوَغَى ... يَذْهَلُ مِنْهُ ٱلْبَطَلُ ٱلْبَاسِلُ

٢٥١ وَقَالَ كَعْبٌ يَمْدَحُ ٱلْأَنْصَارَ :

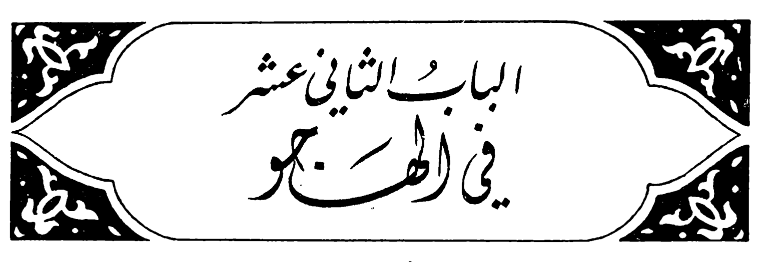
لَا يَشْتَكُونَ ٱلْمَوْتَ إِنْ نَزَلَتْ بِهِمْ ... شَهْبَاءُ ذَاتُ مَعَاقِرٍ وَأُوَارِ
وَرِثُوا ٱلسِّيَادَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ... إِنَّ ٱلْكِرَامَ هُمُ بَنُو ٱلْأَخْيَارِ

٢٥٢ قَالَ ٱلْمُتَنَبِّي :

سَيَعْلَمُ ٱلْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسُنَا ... بِأَنَّنِي خَيْرُ مَنْ تَسْعَى بِهِ قَدَمُ
أَنَا ٱلَّذِي نَظَرَ ٱلْأَعْمَى إِلَى أَدَبِي ... وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ
أَلْخَيْلُ وَٱللَّيْلُ وَٱلْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي ... وَٱلسَّيْفُ وَٱلرُّمْحُ وَٱلْقِرْطَاسُ وَٱلْقَلَمُ

٢٥٣ قَالَ جَعْفَرُ بْنُ شَمْسِ ٱلْخِلَافَةِ :

أَنَا ٱلذَّهَبُ ٱلْإِبْرِيزُ مَا لِيَ آفَةٌ ... سِوَى نَقْصِ تَمْيِيزِ ٱلْمُعَانِدِ فِي نَقْدِي
وَرُبَّ جَهُولٍ عَابَنِي بِمَحَاسِنِي ... وَيَقْبُحُ ضَوْءُ ٱلشَّمْسِ فِي ٱلْأَعْيُنِ ٱلرُّمْدِ



٢٥٤ كَانَ ٱلرَّشِيدُ أَحْمَدُ بْنُ ٱلزُّبَيْرِ قَدِ ٱجْتَمَعَتْ فِيهِ صِفَاتٌ وَأَخْلَاقٌ تَقْتَضِي أَنْ تُجَوِّدَ مَعَانِي ٱلْهِجَاءِ فِيهِ . مِنْ ذٰلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَسْوَدَ وَلَا يَزَالُ يَدَّعِي ٱلذَّكَاءَ وَأَنَّ خَاطِرَهُ مِنْ نَارٍ . فَقَالَ فِيهِ ٱبْنُ قَادُوسٍ :

إِنْ قُلْتَ مِنْ نَارٍ خُلِقْتَ وَفُقْتَ كُلَّ ٱلنَّاسِ فَهْمَا
قُلْنَا صَدَقْتَ فَمَا ٱلَّذِي أَطْفَاكَ حَتَّى صِرْتَ فَحْمَا

٢٥٥ قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي بَخِيلٍ :

يَرَاعَةٌ غَرَّنِي مِنْهَا وَمِيضُ سَنًا ... حَتَّى مَدَدْتُ إِلَيْهَا ٱلْكَفَّ مُقْتَبِسَا
فَصَادَفَتْ حَجَرًا لَوْ كُنْتَ تَضْرِبُهُ ... مِنْ لُؤْمِهِ بِعَصَا مُوسَى لَمَا ٱنْبَجَسَا

٢٥٦ قَالَ أَبُو نُوَاسٍ فِي آخَرَ :

أَبُو نُوحٍ دَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا ... فَغَدَّانِي بِرَائِحَةِ ٱلطَّعَامِ
وَقَدَّمَ بَيْنَنَا لَحْمًا سَمِينًا ... أَكَلْنَاهُ عَلَى طَبَقِ ٱلْكَلَامِ
فَلَمَّا أَنْ رَفَعْتُ يَدِي سَقَانِي ... كُؤُوسًا خَمْرُهَا رِيحُ ٱلْمُدَامِ
فَكَانَ كَمَنْ سَقَى ٱلظَّمْآنَ آلًا ... وَكُنْتُ كَمَنْ تَغَدَّى فِي ٱلْمَنَامِ

وَقَالَ أَيْضًا فِي غَيْرِهِ :

رَأَيْتُ أَبَا زُرَارَةَ قَالَ يَوْمًا ... لِحَاجِبِهِ وَفِي يَدِهِ ٱلْحُسَامُ
لَئِنْ وُضِعَ ٱلْخِوَانُ وَلَاحَ شَخْصٌ ... لَأَخْتَطِفَنَّ رَأْسَكَ وَٱلسَّلَامُ

فَمَا فِي ٱلْأَرْضِ أَقْبَحُ مِنْ خِوَانٍ ... عَلَيْهِ ٱلْخُبْزُ يَحْضُرُهُ ٱلزِّحَامُ

٢٥٧ قَالَ آخَرُ :

لَقَدْ عَثَرَتْ بِجُنْحِ ٱللَّيْلِ رِجْلِي ... عَلَى شَخْصٍ وَلَمْ يَكُ فِي حِسَابِي

فَقَالَ مُجَاوِبًا لِي أَنْتَ أَعْمَى ... فَقُلْتُ نَعَمْ وَدَوَّاسُ ٱلْكِلَابِ

٢٥٨ قَالَ أَبُو نُوَاسٍ فِي بَعْضِ مَنْ هَجَاهُ :

وَلَقَدْ قَتَلْتُكَ بِٱلْهِجَاءِ فَلَمْ تَمُتْ ... إِنَّ ٱلْكِلَابَ طَوِيلَةُ ٱلْأَعْمَارِ

٢٥٩ قَالَ جَرِيرٌ يَهْجُو ٱلْفَرَزْدَقَ :

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ ٱلْفَرَزْدَقَ حَيَّةٌ ... وَمَا قَتَلَ ٱلْحَيَّاتِ مِنْ أَحَدٍ قَبْلِي

٢٦٠ قَالَ ٱبْنُ دُرَيْدٍ فِي نِفْطَوَيْهِ :

لَوْ أُوحِيَ ٱلنَّحْوُ إِلَى نِفْطَوَيْهْ ... مَا كَانَ هٰذَا ٱلنَّحْوُ يُعْزَى إِلَيْهْ

أَحْرَقَهُ ٱللّٰهُ بِنِصْفِ ٱسْمِهِ ... وَصَيَّرَ ٱلْبَاقِي صُرَاخًا عَلَيْهْ

٢٦١ قَالَ إِبْرٰهِيمُ بْنُ ٱلْعَبَّاسِ ٱلصَّوْلِيُّ فِي مَنْ هَجَرَهُ :

وَكُنْتَ أَخِي بِٱلدَّهْرِ حَتَّى إِذَا نَبَا ... نَبَوْتَ فَلَمَّا عَادَ عُدْتَ مَعَ ٱلدَّهْرِ

فَلَا يَوْمَ إِقْبَالٍ عَدَدْتُكَ طَائِلًا ... وَلَا يَوْمَ إِدْبَارٍ عَدَدْتُكَ فِي وِتْرِ

وَمَا كُنْتَ إِلَّا مِثْلَ أَحْلَامِ نَائِمٍ ... كِلَا حَالَتَيْكَ مِنْ وَفَاءٍ وَمِنْ غَدْرِ

٢٦٢ هَجَا ٱبْنُ خَرُوفٍ مُهَذَّبَ ٱلدِّينِ بْنَ ٱلطَّبِيبِ :

إِنَّ ٱلْأُعَيْرِجَ حَازَ ٱلطِّبَّ أَجْمَعَهُ ... أَسْتَغْفِرُ ٱللّٰهَ إِلَّا ٱلْعِلْمَ وَٱلْعَمَلَا

وَلَيْسَ يَجْهَلُ شَيْئًا مِنْ غَوَامِضِهِ ... إِلَّا ٱلدَّلَائِلَ وَٱلْأَمْرَاضَ وَٱلْعِلَلَا

فِي حِيلَةِ ٱلْبُرْءِ قَلَّتْ عِنْدَهُ حِيَلٌ ... بَعْدَ ٱجْتِهَادٍ وَيَدْرِي لِلرَّدَى حِيَلَا

أَلرُّوحُ يَشْكُو لِجُثْمَانِ ٱلْعَلِيلِ عَلَى عِلَّاتِهِ فَإِذَا مَا طَبَّهُ رَحَلَا

٢٦٣ مِنْ شِعْرِ ٱبْنِ ٱلْمُبَارَكِ قَوْلُهُ فِي هَجْوِ قَاضٍ:

قَدْ يَفْتَحُ ٱلْمَرْءُ حَانُوتًا لِمَتْجَرِهِ وَقَدْ فَتَحْتَ لَكَ ٱلْحَانُوتَ بِٱلدِّينِ

بَيْنَ ٱلْأَسَاطِينِ حَانُوتٌ بِلَا غَلَقٍ تَبْتَاعُ بِٱلدِّينِ أَمْوَالَ ٱلْمَسَاكِينِ

صَيَّرْتَ دِينَكَ شَاهِينًا تَصِيدُ بِهِ وَلَيْسَ يُفْلِحُ أَصْحَابُ ٱلشَّوَاهِينِ

٢٦٤ مِنْ شِعْرِ أَبِي ٱلْعَبَّاسِ يَهْجُو بَنِي ٱلزُّبَيْرِ:

بَنِي أَسَدٍ لَا تَذْكُرُوا ٱلْفَخْرَ إِنَّكُمْ مَتَى تَذْكُرُوهُ تَكْذِبُوا وَتُحَمَّقُوا

مَتَى تُسْأَلُوا فَضْلًا تَضِنُّوا وَتَبْخَلُوا وَنِيرَانُكُمْ بِٱلشَّرِّ فِيهَا تَحَرُّقُ

إِذَا ٱسْتَبَقَتْ يَوْمًا قُرَيْشٌ خَرَجْتُمُ بَنِي أَسَدٍ سُكْتًا وَذُو ٱلْمَجْدِ يَسْبِقُ

تَجِيئُونَ خَلْفَ ٱلْقَوْمِ سُودًا وُجُوهُكُمْ إِذَا مَا قُرَيْشٌ لِلْأَضَامِيمِ أَصْفَقُوا

وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ لِلُّؤْمِ طَابَعًا يَلُوحُ عَلَيْكُمْ رَسْمُهُ لَيْسَ يَخْلَقُ

٢٦٥ قَالَ أَبُو ٱلْعَبَّاسِ ٱلْكُورَانِيُّ يَذُمُّ أَهْلَ مَدِينَةِ فَاسٍ:

مَشَى ٱللُّؤْمُ فِي ٱلدُّنْيَا طَرِيدًا مُشَرَّدًا يَجُوبُ بِلَادَ ٱللهِ شَرْقًا وَمَغْرِبَا

فَلَمَّا أَتَى فَاسًا تَلَقَّاهُ أَهْلُهَا وَقَالُوا لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبَا

٢٦٦ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ٱلْمُفَرِّجِ ٱلْمُنَجِّمُ لَمَّا ٱحْتَرَقَتْ دَارُ ٱبْنِ صُورَةَ بِمِصْرَ:

أَقُولُ وَقَدْ عَايَنْتُ دَارَ ٱبْنِ صُورَةٍ وَلِلنَّارِ فِيهَا مَارِجٌ يَتَضَرَّمُ

كَذَا كُلُّ مَالٍ أَصْلُهُ مِنْ مَهَاوِشٍ فَعَمَّا قَلِيلٍ فِي نَهَابِرَ يُعْدَمُ

وَمَا هُوَ إِلَّا كَافِرٌ طَالَ عُمْرُهُ فَجَاءَتْهُ لَمَّا ٱسْتَبْطَأَتْهُ جَهَنَّمُ

٢٦٧ قَالَ ٱلْأَدِيبُ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ بَقِيٍّ لَمَّا ٱنْصَرَفَ عَنِ ٱلْمَغْرِبِ

وَقَدْ ذَمَّ عِنْدَ أَهلِها مثواه . وصفِرَتْ مِنْ نائِلِهِمْ يداهُ :

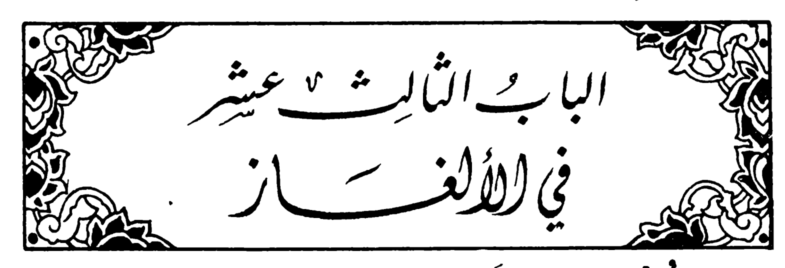
أَقَمْتُ فيكُمْ عَلى ٱلإِقتارِ وٱلعَدَمِ لو كُنْتُ حُرًّا أَبِيَّ ٱلنَّفْسِ لَمْ أُقِمِ
وَظَلْتُ أَبكِي لَكُمْ عُذْرًا لَعَلَّكُمُ تَستَيقِظُونَ وَقَدْ نِمْتُمْ عَنِ ٱلْكَرَمِ
فَلا حَدِيقَتُكُمْ يُجنَى بِها ثَمَرٌ وَلا سَماؤُكُمُ تَنْهَلُّ بِٱلدِّيَمِ
أَوغَلْتُ فِي ٱلْمَغْرِبِ ٱلأَقصى وَأَعجَزَنِي نَيْلُ ٱلرَّغائِبِ حَتَّى أُبْتُ بِٱلنَّدَمِ

٢٦٨ قالَ أَحمدُ ٱلشَّاهِينِيُّ يهجو أَبا ٱلبقاءِ ٱلصَّالِحِيَّ ٱلسَّاحِرَ :

أَبا ٱلْبَقاءِ لَحاكَ ٱللهُ مِنْ رَجُلٍ فِيكَ ٱلطَّبِيعَةُ قَدْ قُدَّتْ مِنَ ٱلْحَجَرِ
كَمْ يَدَّعِي بِعُلُومِ ٱلنَّجْمِ مَعْرِفَةً وَلَيْسَ تَفْرُقُ بَيْنَ ٱلنَّجْمِ وَٱلْقَمَرِ

٢٦٩ هجا بعضُ ٱلْمَغارِبَةِ قبائِلَ ٱلبربرِ فقالَ :

رَأَيتُ آدَمَ فِي نَوْمِي فَقُلْتُ لَهُ أَبا ٱلْبَرِيَّةِ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ حَكَمُوا
أَنَّ ٱلْبَرابِرَ نَسلٌ مِنْكَ قالَ إِذًا حَوَّاءُ طالِقَةٌ إِنْ كانَ ما زَعَمُوا



٢٧٠ لُغْزٌ فِي خاتَمٍ لِلصَّفَدِيِّ :

وَمُستَدِيرٍ تَرُوقُ ٱلْعَيْنَ بَهجَتُهُ كَأَنَّهُ مَلِكٌ نَجْمُ ٱلدُّجى فِيهِ
حُرُوفُهُ أَرْبَعٌ قَدْ رُكِّبَتْ فَإِذا ما قُلْتَ أَوَّلَ حَرْفٍ تَمَّ باقِيهِ

٢٧١ قالَ بعضُهُمْ مُلْغِزًا فِي قَلَمٍ :

وَطَائِرٍ فِي وَكْرِهِ نَائِمٍ   يَطِيرُ فِي ٱلْأَرْضِ بِأَسْرَارِهِ
حَيَاتُهُ فِي قَطْعِ أَوْدَاجِهِ   وَعَيْشُهُ فِي قَطِّ مِنْقَارِهِ
يَكْرَعُ مِنْ مُسْتَنْقَعِ ٱلْقَارِ كَيْ   يَأْخُذَ بِٱلْمِنْقَارِ مِنْ قَارِهِ

٢٧٢ قَالَ ٱبْنُ بُصَاقَةَ مُلْغِزًا فِي ٱلْبَيْضَةِ:

وَمَوْلُودَةٍ لَا رُوحَ فِيهَا وَإِنَّهَا   لَتَقْبَلُ نَفْخَ ٱلرُّوحِ بَعْدَ وِلَادِهَا
وَتَسْمُو عَلَى ٱلْأَقْرَانِ فِي حَوْمَةِ ٱلْوَغَى   وَلٰكِنْ سُمُوًّا لَمْ يَكُنْ بِمُرَادِهَا

أَرَادَ فِي ٱلْبَيْتِ ٱلْأَوَّلِ بَيْضَةَ ٱلدَّجَاجَةِ وَفِي ٱلثَّانِي بَيْضَةَ ٱلْحَرْبِ

٢٧٣ أَنْشَدَ ٱلْإِمَامُ ٱبْنُ ٱلْحَلَاوِيِّ رَجُلٌ لُغْزًا فِي شَبَّابَةٍ فَقَالَ:

وَنَاطِقَةٍ خَرْسَاءَ بَادٍ شُحُوبُهَا   تَكَنَّفَهَا عَشْرٌ وَعَنْهُنَّ تُخْبِرُ
يَلَذُّ إِلَى ٱلْأَسْمَاعِ رَجْعُ حَدِيثِهَا   إِذَا سُدَّ مِنْهَا مَنْخِرٌ جَاشَ مَنْخِرُ

٢٧٤ كَانَ ٱبْنُ شَبِيبٍ مُقَدَّمًا فِي حَلِّ ٱلْأَلْغَازِ لَا يَكَادُ يَتَوَقَّفُ عَمَّا يُسْأَلُ عَنْهُ. فَتَفَاوَضَ أَبُو غَالِبِ بْنُ ٱلْحُصَيْنِ وَأَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ فِي أَمْرِ ٱبْنِ شَبِيبٍ هٰذَا وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ حَلِّ ٱللُّغْزِ. فَقَالَ أَبُو مَنْصُورٍ: تَعَالَ حَتَّى نَعْمَلَ لُغْزًا مُحَالًا وَنَسْأَلَهُ عَنْهُ. فَنَظَمَ أَبُو ٱلْمَنْصُورِ:

وَمَا شَيْءٌ لَهُ فِي ٱلرَّأْسِ رِجْلٌ   وَمَوْضِعُ وَجْهِهِ مِنْهُ قَفَاهُ
إِذَا غَمَّضْتَ عَيْنَكَ أَبْصَرَتْهُ   وَإِنْ فَتَّحْتَ عَيْنَكَ لَا تَرَاهُ

وَنَظَمَ أَيْضًا:

وَجَارٍ هُوَ تَيَّارٌ   ضَعِيفُ ٱلْعَقْلِ ضَوَّارُ
بِلَا لَحْمٍ وَلَا رِيشٍ   وَهُوَ فِي ٱلرَّمْزِ طَيَّارُ

بطَبعٍ بَارِدٍ جِدًّا وَلٰكِنْ كُلُّهُ نَارُ

وَأَنْفَذَا ٱللُّغْزَيْنِ إِلَيْهِ . فَكَتَبَ عَلَى ٱلْأَوَّلِ: هُوَ طَيْفُ ٱلْخَيَالِ . وَكَتَبَ عَلَى ٱلثَّانِي: هُوَ ٱلزِّئْبَقُ . فَجَاءَا إِلَيْهِ وَقَالَا: هَبِ ٱللُّغْزَ ٱلْأَوَّلَ هُوَ طَيْفَ ٱلْخَيَالِ وَٱلْبَيْتَ ٱلثَّانِي يُسَاعِدُكَ عَلَيْهِ فَكَيْفَ تَعْمَلُ فِي ٱلْبَيْتِ ٱلْأَوَّلِ . فَقَالَ: لِأَنَّ ٱلْمَنَامَ يُفَسَّرُ بِٱلْعَكْسِ لِأَنَّ مَنْ بَكَى يُفَسَّرُ لَهُ بِٱلضَّحِكِ . وَمَنْ مَاتَ يُفَسَّرُ لَهُ بِطُولِ ٱلْحَيَاةِ . وَقَوْلُهُ فِي ٱلثَّانِي هُوَ طَيَّارٌ أَنَّ أَرْبَابَ صَنْعَةِ ٱلْكِيمِيَاءِ يَرْمُزُونَ لِلزِّئْبَقِ بِٱلطَّيَّارِ وَٱلْفَرَّارِ وَٱلْآبِقِ وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ لِأَنَّهُ يُنَاسِبُ صِفَتَهُ . وَأَمَّا بَرْدُهُ فَظَاهِرٌ . وَلِإِفْرَاطِ بَرْدِهِ ثَقُلَ جِسْمُهُ وَجِرْمُهُ . وَكُلُّهُ نَارٌ لِسُرْعَةِ حَرَكَتِهِ وَتَشَكُّلِهِ فِي ٱفْتِرَاقِهِ وَٱلْتِئَامِهِ . فَأَعْجِبَا مِنْ ذَكَائِهِ وَتَوَقُّدِ عَقْلِهِ (لابن حجّة الحموي)

٢٧٥ قَالَ ٱلصَّفَدِيُّ فِي ٱلْمُدَامِ:

وَمَا شَيْءٌ حَشَاهُ فِيهِ دَاءٌ وَأَوَّلُهُ وَآخِرُهُ سَوَاءُ
إِذَا مَا زَالَ آخِرُهُ فَجَمْعٌ يَكُونُ ٱلْحَدُّ فِيهِ وَٱلْمَضَاءُ
وَإِنْ أَهْمَلْتَ أَوَّلَهُ فَفِعْلٌ لَهُ بِٱلرَّفْعِ وَٱلنَّصْبِ ٱعْتِنَاءُ

٢٧٦ لِٱبْنِ ٱلْمُعْتَزِّ فِي شَمْعَةٍ:

صَفْرَاءُ مِنْ غَيْرِ عِلَلْ مَرْكُوزَةٌ مِثْلَ ٱلْأَسَلْ
كَأَنَّهَا عُمْرُ ٱلْفَتَى وَٱلنَّارُ فِيهَا كَٱلْأَجَلْ

٢٧٧ لِلْحِلِّيِّ فِي دُودِ ٱلْقَزِّ:

وَمَا حَيَوَانٌ عَكْسُهُ مِثْلُ طَرْدِهِ لَهُ جَسَدٌ سَبْطٌ وَلَيْسَ لَهُ قَلْبُ

ضَعيفٌ وَكَمْ أَغْنَتْ مُجَاجَةُ رِيْقِهِ فَقِيرًا بِهِ أَمْسَى وَمَرْبَعُهُ خَصْبُ
يُرَى مِنْ خَشَاشِ ٱلْأَرْضِ طَوْرًا وَتَارَةً مِنَ ٱلطَّيْرِ لٰكِنْ دُونَهُ تُسْبَلُ ٱلْحُجْبُ
شَقِيٌّ لِنَفْعِ ٱلْغَيْرِ يَسْجُنُ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ فِي ٱلسِّجْنِ أَكْلٌ وَلَا شُرْبُ

٢٧٨ لِبَعْضِهِمْ فِي ٱلْبَحْرِ:

وَحَمَّالِ أَثْقَالِ ٱلْبَرِيَّةِ قَادِرٍ وَيَعْجِزُ إِنْ حَمَّلْتَهُ نِصْفَ دِرْهَمِ
يَسِيرُ بِأَيْدِي ٱلنَّاسِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فَيَسْرِي بِلَا رِجْلٍ لَهُ سَيْرَ أَرْقَمِ

٢٧٩ لِآخَرَ فِي ٱلْفِكْرِ:

وَمَا شَيْءٌ يَجُوبُ ٱلْأَرْضَ سَبْقًا وَيُبْصِرُ مَا أَرَادَ بِغَيْرِ عَيْنِ
يُشَاهِدُ مَا يُرِيدُ بِلَا لُغُوبٍ وَلَا يَبْرَحْ بِلَا كَدَرٍ وَمَيْنِ

٢٨٠ لِلْمُتَنَبِّي فِي ٱلْحُمَّى:

وَزَائِرَةٍ كَأَنَّ بِهَا حَيَاءً فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي ٱلظَّلَامِ
بَذَلْتُ لَهَا ٱلْمَطَارِفَ وَٱلْحَشَايَا فَعَافَتْهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي
يَضِيقُ ٱلْجِلْدُ عَنْ نَفَسِي وَعَنْهَا فَتُوسِعُهُ بِأَنْوَاعِ ٱلسَّقَامِ

٢٨١ وَمِنْ لَطَائِفِ مَا وَقَعَ فِي بَابِ ٱلْأَلْغَازِ أَنَّ شَيْخَ ٱلشُّيُوخِ بِحَمَاةَ كَتَبَ إِلَى وَالِدِهِ مُلْغِزًا فِي بَابٍ بِقَوْلِهِ:

مَا وَاقِفٌ بِٱلْمَخْرَجِ يَذْهَبُ طَوْرًا وَيَجِي
لَسْتُ أَخَافُ شَرَّهُ مَا لَمْ يَكُنْ بِمُرْتَجِ

فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَالِدُهُ فِي ٱلْجَوَابِ: ذَهَابٌ وَمَجِيءٌ وَخَوْفٌ وَشَرٌّ هٰذَا بَابُ خُصُومَةٍ . وَٱلسَّلَامُ

٢٨٢ قَالَ ٱلْقَاضِي مُحْيِي ٱلدِّينِ بْنُ عَبْدِ ٱلظَّاهِرِ مُلْغِزًا فِي بَابٍ أَيْضًا:

أَيُّ شَيْءٍ تَرَاهُ فِي ٱلدُّورِ وَٱلْكُتْبِ مَجَازًا هٰذَا وَذَالِكَ مُحَقَّقْ
هُوَ زَوْجٌ وَتَارَةً هُوَ فَرْدٌ وَهُوَ فِي أَكْثَرِ ٱلْأَحَايِينِ يُطْرَقْ
وَطَلِيقٌ فِي نَشْأَتَيْهِ وَلٰكِنْ بِحَدِيدٍ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ يُوثَقْ
وَهُوَ فِي ٱلْقَلْبِ يَسْتَوِي وَتَرَاهُ بَانَ تَصْحِيفُهُ لِمَنْ يَتَرَمَّقْ
فَأَجِبْنِي عَنْهُ بَقِيتَ مُطَاعًا لَسْتَ فِي حَلْبَةِ ٱلْفَضَائِلِ تُسْبَقْ

٢٨٣ قَالَ صَاحِبُ دَوَاوِينِ ٱلْإِنْشَاءِ بِدِمَشْقَ ٱلْمَحْرُوسَةِ مُلْغِزًا فِي فَاخِتَةٍ:

وَمَا طَائِرٌ يَهْوَى ٱلرِّيَاضَ تَنَزُّهًا وَيَسْرَحُ فِي أَفْنَانِهَا وَيُغَرِّدُ
وَفِيهِ أَخٌ إِنْ تَهْتَ عَنْهُ فَأُخْتُهُ تَدُلُّ عَلَى مَا قَدْ عَنَيْتُ وَتُرْشِدُ

هٰذَا ٱللُّغْزُ وَرَدَ إِلَى ٱلدِّيَارِ ٱلْمِصْرِيَّةِ وَحَلَّهُ زَيْنُ ٱلدِّينِ بْنُ ٱلْعَجَمِيِّ بِقَوْلِهِ:

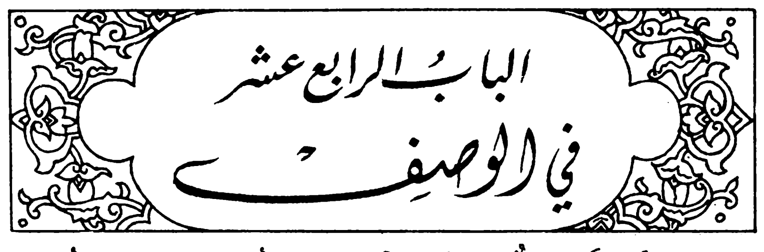
أَيَا مَنْ لَهُ مَجْدٌ أَثِيلٌ وَسُؤْدَدُ غَدَا دُونَ مَرْقَاهُ سِمَاكٌ وَفَرْقَدُ
تُفِيدُ يَسَارَ ٱلْمُقْتَرِينَ يَمِينُهُ وَيُسْرَاهُ مِنْ يُمْنَى ٱلْغَمَامَةِ أَجْوَدُ
سُؤَالُكَ عَنْ أُنْثَى طَرُوبٍ وَلَمْ تَزَلْ عَلَى عُودِهَا فِي ٱلرَّوْضِ تَشْدُو وَتُنْشِدُ
وَتَجْذُبُنِي بِٱلطَّوْقِ عِنْدَ نَشِيدِهَا لِنَحْوِ ٱلتَّصَابِي لَا أُطِيقُ أُفَنَّدُ
وَمُذْ بَانَ مِنْهَا ٱلطَّرْفُ أَمْسَتْ بِعَكْسِهَا تَخَافُ ٱلرَّدَى مِمَّنْ لَهَا يَتَرَصَّدُ
وَإِنْ سُلِبَتْ ثَانِي ٱلْأَخِيرِ فَإِنَّهُ عَلَى ٱلْعَكْسِ خَافٍ بَلْ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ
فَأَوَّلُهَا مَعْ مَا يَلِيهِ وَطَرْفُهَا لَنَا فَاهَ بِٱلْمَعْنَى ٱلَّذِي فِيهِ يُقْصَدُ
بَقِيتَ بَقَاءَ ٱلدَّهْرِ عِزُّكَ بَاذِخٌ وَفِي مَفْرِقِ ٱلْجَوْزَا لِوَاؤُكَ يُعْقَدُ
فَخُذْهُ مُبِينًا مُغْضِيًا عَنْ إِسَاءَتِي فَإِنَّكَ لِلْإِحْسَانِ أَهْلٌ وَمَقْصَدُ

٢٨٤ وقالَ مُلغِزًا في دُرَّةٍ :

أَيُّ شَيْءٍ مِنَ ٱلْجَمَادَاتِ يُلْفَى وَتَرَاهُ مِنْ بَعْدِ ذَا حَيَوَانَا
وَتَرَى ذٰلِكَ ٱلْجَمَادَ عَزِيزًا غَالِيًا مِنْهُ رَصَّعُوا تِيجَانَا
وَتَرَى ٱلرُّوحَ مِنْهُ فِي حَيَوَانٍ ذِي جَنَاحٍ وَيَأْلَفُ ٱلطَّيَرَانَا
وَإِذَا مَا شَدَا عَلَى ٱلْعُودِ يَوْمًا فَوْقَ دُفٍّ يُحَرِّكُ ٱلْأَغْصَانَا
أَوْ بَدَا فِي مُقَفَّصٍ فَٱبْنُ بُرْدٍ عِنْدَ أَسْجَاعِهِ يَصِيرُ مُهَانَا
كُلُّهُ طَائِرٌ وَفِي ثُلْثَيْهِ لَكَ ذُو أَرْبَعٍ مَعَ ٱلْعَكْسِ بَانَا
كُلُّهُ عَاطِلٌ بِهِ تَتَحَلَّى كُلُّ خَوْدٍ وَتَسْتَقِلُّ ٱلْجُمَانَا
وَتَرَاهُ عِنْدَ ٱلْمُلُوكِ عَظِيمًا وَبِتَصْحِيفِهِ حَقِيرًا مُهَانَا
عَكْسُهُ فِي تَصْحِيفِهِ زِدْ بِنَقْصٍ فَٱلْمُعَمَّى هُنَا فَكُنْ يَقْظَانَا
وَإِذَا لَمْ تَدْرِ ٱلتَّصَاحِيفَ ذَرْهُ لِلَّذِي فِيهِ فَهْوَ يَدْرِي ٱلْبَيَانَا
وَبِتَحْرِيفِهِ تُؤَدِّبُ مَنْ شِئْتَ إِذَا كَانَ يَجْهَلُ ٱلْعِرْفَانَا
ثُلْثَاهُ دُرٌّ نَفِيسٌ وَفِي فِيهِ إِذَا جَاءَ يَصْحَبُ ٱلْمَرْجَانَا
لٰكِنِ ٱلثُّلْثُ عِنْدَهُ نِصْفُ وَحْشٍ ذَبَّ عَنَّا تَصْحِيفُهُ مَا ٱعْتَرَانَا
وَهْوَ فِي ٱلْبَرِّ نَافِرٌ وَإِذَا مَا حَضَّرُوهُ قَدْ يَأْلَفُ ٱلْإِنْسَانَا
فَٱفْتَرِسْهُ بِٱلْحَلِّ إِنْ كُنْتَ لَيْثًا فَهْوَ لُغْزٌ عَنْ فَضْلِهِ قَدْ أَبَانَا

٢٨٥ قَالَ ٱلْحَمَوِيُّ فِي ٱلْقَفَصِ:

أَيُّ مَغْنًى أَعْوَادُهُ بَيْتُ شَدْوٍ مُرْقِصٌ مُطْرِبٌ وَبِٱلْقَلْبِ صَفَقْ
وَلِمَجْمُوعِهِ ٱلنَّبَاتِيِّ حُسْنٌ فُزْتُ مِنْ بَعْضِهِ بِسَجْعِ ٱلْمُطَوَّقْ



٢٨٦ (قَالَ أَعْرَابِيٌّ يَصِفُ قَوْمًا) : هُمْ لُيُوثُ غَابَاتٍ . وَغُيُوثُ جَدَبَاتٍ . مَا فِي عُهُودِهِمْ خَوَرٌ . وَلَا فِي صَفْوِهِمْ كَدَرٌ . وَلَا فِي خُدُودِهِمْ صَعَرٌ . وَلَا فِي عُيُونِهِمْ خَزَرٌ . وَلَا فِي صُدُورِهِمْ وَغَرٌ . وَلَا فِي حَدِيثِهِمْ زَوَرٌ . وَلَا فِي قَوْلِهِمْ خَلْفٌ

وصف مصر

٢٨٧ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ ٱلْخَطَّابِ كَتَبَ إِلَى عَمْرِو بْنِ ٱلْعَاصِ وَهُوَ أَمِيرُ مِصْرَ : أَنْ صِفْ لِي مِصْرَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَصْلَحَ ٱللهُ ٱلْأَمِيرَ . مِصْرُ تُرْبَةٌ غَبْرَاءُ . وَشَجَرَةٌ خَضْرَاءُ . طُولُهَا شَهْرٌ . وَعَرْضُهَا عَشْرٌ . يَكْنُفُهَا جَبَلٌ أَغْبَرُ . وَرَمْلٌ أَعْفَرُ . يَخُطُّ وَسَطَهَا نَهْرٌ مَيْمُونُ ٱلْغَدَوَاتِ . مُبَارَكُ ٱلرَّوْحَاتِ . يَجْرِي بِٱلزِّيَادَةِ وَٱلنُّقْصَانِ . كَجَرْيِ ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ لَهُ أَوَانٌ . تَظْهَرُ بِهِ عُيُونُ ٱلْأَرْضِ وَيَنَابِيعُهَا . حَتَّى إِذَا أُصْلِحَ عَجَاجُهُ . وَتَعَظَّمَتْ أَمْوَاجُهُ . لَمْ يَكُنْ وُصُولُ بَعْضِ أَهْلِ ٱلْقُرَى إِلَى بَعْضٍ إِلَّا فِي خِفَافِ ٱلْقَوَارِبِ . وَصِغَارِ ٱلْمَرَاكِبِ . فَإِذَا تَكَامَلَتْ تِلْكَ كَذَٰلِكَ نَكَصَ عَلَى عَقِبِهِ كَأَوَّلِ مَا بَدَأَ فِي شِدَّتِهِ وَطَمَا فِي حِدَّتِهِ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَظْهَرُ أَهْلُ مِلَّةٍ مَحْقُورَةٍ يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ مَحَلَّةٍ أَدِلَّةً . يَحْرُثُونَ بُطُونَ أَوْدِيَتِهِ وَرَوَابِيهِ . يَبْذُرُونَ ٱلْحَبَّ . يَرْجُونَ ٱلثِّمَارَ مِنَ ٱلرَّبِّ لِغَيْرِهِمْ مَا سَعَوْا مِنْ كَسْبِهِمْ .

وينال منهم من غير حدّهم، حتّى إذا أشرق وأشرف سقاه من فوقه الندى. وغذاه من تحته الثرى. فعند ذلك يدرّ حلابه. ويغني ذبابه. فبينما هي يا أمير المؤمنين درّة بيضاء. إذا هي عنبرة سوداء. فإذا هي زبرجدة خضراء. فتعالى الله الفعّال لما يشاء. فلمّا وقف عمر على كلامه قال: لله درّك يا ابن العاص لقد وصفت لي مصر حتّى كأنّي شاهدتها

وصف دابّة

٢٨٨ قيل اشترى رجل دابّةً من دميرة. فوجد بها عيوبًا كثيرة. فحضر إلى القاضي يشتكي حاله. وما أصابه من الغمّ وناله. فقال له القاضي: ما قصّتك وشكواك. وما الذي من الهمّ والغمّ دهاك. فقال: أيّها القاضي. إنّي بحكمك راضي. إشتريت من هذا الغريم دابّةً اشترط لي فيها الصحّة والسلامة. فوجدت بها عيوبًا أعقبتني ندامةً. وقد سألته ردّها فأبى. وقال عند رؤيته إيّاي: لا أهلًا بك ولا مرحبًا. فقال القاضي: أبن ما بها من العيوب. وإلّا جعلتك على هذه الخشبة مصلوب. فقال: كلّها عيوب وذنوب. وهي أيّها القاضي أنحس مركوب. وأخسّ مصحوب. إن ركبتها رفست. وإن نخستها شمست. وإن همزتها قمصت. وإن لكزتها رقصت. وإن سقتها رقدت. وإن نزلت عنها شردت. تقطع في يديها. وتصكّ برجليها. حدباء جرباء كبّاء. لا تقوم حتّى تحمل على الخشب. ولا تنام حتّى تكبّل بالسلب. إن قربت من الجدار كسرتها.

وَإِنْ دَنَتْ مِنَ ٱلصِّغَارِ رَفَسَتْهُمْ . وَإِنْ دَارَ حَوْلَهَا أَهْلُ ٱلدَّارِ كَدَمَتْهُمْ . تَكِشُّ عَلَى أَسْنَانِهَا . وَتَقْرِضُ فِي عِنَانِهَا . وَتَمْشِي فِي سَنَةٍ أَقَلَّ مِنْ يَوْمٍ . ٱلْوَيْلُ لِرَاكِبِهَا إِنْ وَثَبَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْمُ . وَإِنْ رُمْتَ تَقْدِيمَهَا تَأَخَّرَتْ . وَإِنْ أَكْرَيْتَهَا شَخَرَتْ وَنَخَرَتْ . مَنِ ٱسْتَنْصَرَ بِهَا خَذَلَتْهُ . وَمَنْ سَاقَهَا رَمَتْهُ . فَقَتَلَتْهُ . وَمَتَى حَمَّلْتَهَا فَلَا تَنْهَضُ . وَتَقْرِضُ فِي حَبْلِهَا . وَتَجْفَلُ مِنْ ظِلِّهَا . وَلَا تَعْرِفُ مَنْزِلَ أَهْلِهَا . كَدَّامَةٌ . هَجَّامَةٌ . نَوَّامَةٌ كَأَنَّهَا هَامَةٌ . وَهِيَ فِي ٱلدَّوَابِّ شَامَةٌ . حَرُونَةٌ . مَلْعُونَةٌ مَجْنُونَةٌ . تَقْلَعُ ٱلْوَتَدَ وَتُمْرِضُ ٱلْجَسَدَ . وَتُفَتِّتُ ٱلْكَبِدَ . وَلَا تَرْكَنُ إِلَى أَحَدٍ . تُشَمِّرُ وَتَغْدُرُ وَتَعْثُرُ . وَاقِفَةُ ٱلصَّدْرِ . مَحْلُولَةُ ٱلظَّهْرِ . بَدَاءَةُ ٱلْأُذُنَيْنِ . عَمْشَاءُ ٱلْعَيْنَيْنِ . طَوِيلَةُ ٱلْإِصْبَعَيْنِ . قَصِيرَةُ ٱلرِّجْلَيْنِ ضَيِّقَةُ ٱلْأَنْفَاسِ . مُقَلَّعَةُ ٱلْأَضْرَاسِ . صَغِيرَةُ ٱلرَّاسِ . كَثِيرَةُ ٱلنُّعَاسِ . مَشْيُهَا قَلِيلٌ . وَجِسْمُهَا نَحِيلٌ . وَرَاكِبُهَا عَلِيلٌ . وَهُوَ بَيْنَ ٱلْأَعِزَّاءِ ذَلِيلٌ . تُجْفِلُ مِنَ ٱلْهَوَا . وَتَعْثُرُ بِٱلنَّوَى . وَتُخَبِّلُ بِشَعْرَةٍ . نَهَّاقَةٌ شَهَّاقَةٌ غَيْرُ مِطْرَاقَةٍ . وَتَحْشُرُ صَاحِبَهَا فِي كُلِّ ضِيقٍ . وَتُهَوِّسُ عَلَيْهِ فِي ٱلْمَكَانِ ٱلْمَضِيقِ . وَتَنْقَطِعُ بِهِ فِي ٱلطَّرِيقِ عَنِ ٱلصَّدِيقِ . وَتَعَضُّ رُكْبَةَ ٱلرَّفِيقِ . وَهِيَ عَدِيمَةُ ٱلتَّوْفِيقِ . عَلَى ٱلتَّحْقِيقِ . فَإِنْ رَدَّهَا فَأَكْرِمْ جَانِبَهُ . وَإِنْ لَمْ يَرُدَّهَا فَٱصْفَعْ غَارِبَهُ . وَفُكَّ مَضَارِبَهُ . وَلَا تُحْوِجْنِي أَنْ أُضَارِبَهُ . وَٱلسَّلَامُ (الكنز المدفون للسيوطي)

وصف ابليس لنفسه

٢٨٩ قَالَ شَيْخُ ٱلْعَفَارِيتِ ٱلطُّغَاةِ ٱلْمَصَالِيتِ : إِنِّي مِنْ قَدِيمِ ٱلزَّمَانِ .

وَبَعِيدِ الحِدْثَانِ. أَضْلَلْتُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ. بِالْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ وَالْوَسْوَاسِ. وَكَانَ مِنْ جِنْسِ بَنِي آدَمَ كَذَا وَكَذَا أَلْفَ عَالَمٍ خُدَّامِي وَمَعِي. وَجُنْدِي وَتَبَعِي. مِنْهُمْ رُؤُوسُ الزُّهَّادِ. وَعُلَمَاءُ الْعُبَّادِ. وَعَلَى مَحَبَّتِي مَضَوْا. وَبِاتِّبَاعِ أَوَامِرِي قَضَوْا. فَأَنَا فِتْنَةُ الْعَالَمِ. وَأَعْدَى أَعْدَاءِ بَنِي آدَمَ. أَلشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ. وَإِبْلِيسُ الذَّمِيمُ. اِسْمُ ذَاتِي. وَوَصْفُ صِفَاتِي. أَنَا رَأْسُ الْعَفَارِيتِ الْمُتَمَرِّدِينَ. وَمَحَلُّ غَضَبِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. خُلِقْتُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ. وَطُبِعْتُ عَلَى إِلْقَاءِ الْبَوَارِ وَالدَّمَارِ. رُجُومُ النُّجُومِ إِنَّمَا أُعِدَّتْ لِأَجْلِي. وَعُتَاةُ الْغُوَاةِ لَا تَصِلُ رُؤُوسُهَا إِلَى مَوَاطِئِ رِجْلِي. أَلشَّيَاطِينُ تَسْتَمِدُّ مِنْ زَوَاخِرِ مَكْرِي. وَالزِّنْدِيقُ يَقْتَبِسُ مِنْ ضَمَائِرِ فِكْرِي. لَمْ تَمُرَّ قَضِيَّةٌ مِنَ الزَّمَانِ الْغَابِرِ إِلَّا وَلِي شِرْكَةٌ فِيهَا. وَلَا حَدَثَتْ مِحْنَةٌ لِنَبِيٍّ وَلَا وَلِيٍّ إِلَّا وَأَنَا مُتَعَاطِيهَا. جَدِّي إِبْلِيسُ. نَهَضَ لِجَدِّي التَّعِيسِ. وَإِلَى نَحْوِ آدَمَ هَوَى. فَعَصَى رَبَّهُ فَغَوَى. وَأَنَا قَضَيْتُ بِالتَّسْوِيلِ. حَتَّى قَتَلَ قَايِنُ هَابِيلَ. أَنَا سَوَّلْتُ لِأَوْلَادِ يَعْقُوبَ. وَحَاوَلْتُ فِي قَضِيَّةِ أَيُّوبَ. وَأَنَا كُنْتُ الْعَوْنَ. لِهَامَانَ وَفِرْعَوْنَ. وَجَرَّأْتُ عَلَى قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ. وَتَوَصَّلْتُ بِتَزْيِينِ الْوَسْوَاسِ. لِقَاتِلِي الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ. وَدَعَوْتُ إِلَى عِبَادَةِ الْعِجْلِ قَوْمَ مُوسَى. وَسَاعَدْتُ فِي التَّفْرِيقِ وَالْإِضْلَالِ بَيْنَ أُمَّةِ عِيسَى. وَكَمْ أَغْوَيْتُ مِنْ بُلْدَانٍ. بِمَا زَخْرَفْتُ مِنْ أَوْثَانٍ. وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ جَمْعٍ مِنْ مُسْتَرِقِي السَّمْعِ وَطَنَّ عَلَى أُذُنِي وَوَعَاهُ خَاطِرِي. وَوَقَرَ فِي ذِهْنِي.

وَأَنَا أُشَارِفُ ٱلتُّخُومَ . وَأُسَارِقُ ٱلنُّجُومَ . وَأُسَابِقُ ٱلرُّجُومَ . بِي تَكْثُرُ ٱلْبِدَعُ . بَيْنَ ٱلْجَمَاعَاتِ وَٱلْجُمَعِ . وَيَظْهَرُ مِنَ ٱلْفِتَنِ . مَا بَطَنَ . وَيَغْلِبُ مِنَ ٱلتَّتَارِ . وَأَهْلِ ٱلْبَوَارِ وَٱلْخَسَارِ . أَنْوَاعُ ٱلشُّرُورِ وَٱلْجِدَالِ . إِلَى حِينَ يَظْهَرُ ٱلدَّجَّالُ . وَتَسْتَمِرُّ إِلَيَّ هٰذِهِ ٱلْأُمُورُ . إِلَى يَوْمِ ٱلْبَعْثِ وَٱلنُّشُورِ . وَبِٱلْجُمْلَةِ وَٱلتَّفْصِيلِ . أَنَا شَيْخُ ٱلتَّكْفِيرِ وَٱلتَّضْلِيلِ . وَتِلْكَ صَنْعَتِي مِنَ ٱلِٱبْتِدَاءِ . وَحِرْفَتِي إِلَى ٱلِٱنْتِهَاءِ . أَسْهُمُ مَرَامِيَّ ٱلْمَشْؤُومَةُ نَافِذَةٌ فِي ٱلْمَشَارِقِ وَٱلْمَغَارِبِ . وَسُيُوفُ مَنَاشِرِيَ ٱلْمَسْمُومَةُ قَاطِعَةٌ فِي ٱلْأَعَاجِمِ وَٱلْأَعَارِبِ . كَمْ لِي فِي ٱلْأَطْرَافِ وَٱلْآفَاقِ وَٱلْأَكْنَافِ مِنْ قَاضٍ وَنَائِبٍ . وَمَانِعٍ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَحَاجِبٍ . وَكَمْ لِي مِنْ جَابِي . مَنُوطٍ بِتَفْرِيقِ قُلُوبِهِمْ وَجَمْعِ سُوَيْدَائِهَا إِلَى بَابِي . وَكَمْ لِي فِي ٱلزَّوَايَا . مِنْ خَبَايَا . وَفِي أَصْحَابِ ٱلرِّوَايَاتِ . مِنْ دِرَايَاتِ . وَفَقِيهٍ فِي ٱلنَّادِي . فَاقَ ٱلْحَاضِرَ وَٱلْبَادِي . يُعَلِّمُ لِي فِي ٱلشَّيْطَنَةِ أَوْلَادِي . وَفِي ٱلْبَلْسَةِ حَفَدَتِي وَأَجْنَادِي . وَبِٱلْجُمْلَةِ غَالِبُ ٱلطَّوَائِفِ . وَأَرْبَابُ ٱلْوَظَائِفِ . عَلَى بَابِ خِدْمَتِي وَاقِفٌ . وَعَلَى طَاعَةِ مَرَاسِيمِي لَيْلًا وَنَهَارًا عَاكِفٌ . مُنَايَ مُنَاهُمْ . وَرِضَايَ رِضَاهُمْ . وَإِنْ خَالَفَ بَعْضَ سِرِّي نَجْوَاهُمْ . إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ (ابن عربشاه)

٢٩٠ وَصَفَ بَعْضُ ٱلْبُلَغَاءِ رَجُلًا فَقَالَ : إِنَّهُ بَسِيطُ ٱلْكَفِّ . رَحْبُ ٱلصَّدْرِ . مُوَطَّأُ ٱلْأَكْنَافِ . سَهْلُ ٱلْخُلُقِ . كَرِيمُ ٱلطِّبَاعِ . غَيْثٌ مَغُوثٌ . وَبَحْرٌ زَخُورٌ . وَضَحُوكُ ٱلسِّنِّ . بَشِيرُ ٱلْوَجْهِ . بَادِي ٱلْقَبُولِ .

غيرُ عبوسٍ . يستقبلك بطلاقةٍ . ويحييك ببشرٍ . ويستدبرك بكرمٍ غيثٍ وجميلٍ بشرٍ . تبهجك طلاقته . ويرضيك بشره . ضحّاكٌ على مائدته . عبدٌ لضيفانه . غير ملاحظٍ لآكيله . بطينٌ من العقل . خميصٌ من الجهل . راجحُ الحلم . ثاقبُ الرأي . طيّبُ الخلق . محصنُ الضريبة . معطٍ غيرُ سائلٍ . كاسٍ من كلّ مكرمةٍ . عارٍ من كلّ ملامةٍ . إن سُئل بذل . وإن قال فعل (للقيرواني)

٢٩١ قال مجير الدين بن تميم في وصف ناعورةٍ :

وناعورةٍ قد ألبست لحيائها ... من الشمس ثوبًا فوق أثوابها الخضرِ
كطاووس بستانٍ تدور وتنجلي ... وتنفض عن أرياشها بلل القطرِ

٢٩٢ قال نور الدين بن سعدٍ الأندلسيّ في دولاب الناعورة :

للهِ دولابٌ يفيض بسلسلٍ ... في روضةٍ قد أينعت أفنانا
قد طارحته بها الحمائم شجوها ... فيجيبها ويرجّع الألحانا
فكأنّه دنفٌ يدور بمعهدٍ ... يبكي ويسأل فيه عمّن بانا
ضاقت مجاري جفنه عن دمعه ... فتفتّحت أضلاعه أجفانا

٢٩٣ قال ابن النبيه :

وروضةٍ وجناتُ الورد قد خجلت ... فيها ضحًى وعيونُ النرجس انفتحت
تشاجر الطير في أفنانها سحرًا ... ومالت القضب للتعنيق واصطلحت
والقطر قد رشّ ثوب الدوح حين رأى ... مجامر الزهر في أذياله نفحت

٢٩٤ قال عليّ بن رستم المعروف بابن الساعاتيّ :

وَٱلطَّلُّ فِي سِلْكِ ٱلْغُصُونِ كَلُؤْلُؤٍ رَطْبٍ يُصَافِحُهُ ٱلنَّسِيمُ فَيَسْقُطُ
وَٱلطَّيْرُ تَقْرَأُ وَٱلْغَدِيرُ صَحِيفَةٌ وَٱلرِّيحُ تَكْتُبُ وَٱلْغَمَامُ يُنَقِّطُ

٢٩٥ قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ ٱلظَّاهِرِ يَصِفُ رَوْضًا :

رَوْضٌ بِهِ أَشْيَاءُ لَيْـ سَتْ فِي سِوَاهُ تُؤَلَّفُ
فَمِنَ ٱلْهَزَارِ تَهَازُرٌ وَمِنَ ٱلْقَضِيبِ تَقَصُّفُ
وَمِنَ ٱلنَّسِيمِ تَلَطُّفٌ وَمِنَ ٱلْغَدِيرِ تَعَطُّفُ

٢٩٦ زهرية صفي الدين الحلّي

وَرَدَ ٱلرَّبِيعُ فَمَرْحَبًا بِوُرُودِهِ وَبِنُورِ بَهْجَتِهِ وَنَوْرِ وُرُودِهِ
وَبِحُسْنِ مَنْظَرِهِ وَطِيبِ نَسِيمِهِ وَأَنِيقِ مَلْبَسِهِ وَوَشْيِ بُرُودِهِ
فَصْلٌ إِذَا ٱفْتَخَرَ ٱلزَّمَانُ فَإِنَّهُ إِنْسَانُ مُقْلَتِهِ وَبَيْتُ قَصِيدِهِ
يُغْنِي ٱلْمِزَاجَ عَنِ ٱلْعِلَاجِ نَسِيمُهُ بِٱللُّطْفِ عِنْدَ هُبُوبِهِ وَرُكُودِهِ
يَا حَبَّذَا أَزْهَارُهُ وَثِمَارُهُ وَنَبَاتُ نَاجِمِهِ وَحَبُّ حَصِيدِهِ
وَتَجَاوُبُ ٱلْأَطْيَارِ فِي أَشْجَارِهِ كَبَنَاتِ مَعْبَدَ فِي مَوَاجِبِ عُودِهِ
وَٱلْغُصْنُ قَدْ كُسِيَ ٱلْغَلَائِلَ بَعْدَ مَا أَخَذَتْ يَدَا كَانُونَ فِي تَجْرِيدِهِ
نَالَ ٱلصِّبَا بَعْدَ ٱلْمَشِيبِ وَقَدْ جَرَى مَاءُ ٱلشَّبِيبَةِ فِي مَنَابِتِ عُودِهِ
وَٱلْوَرْدُ فِي أَعْلَى ٱلْغُصُونِ كَأَنَّهُ مَلِكٌ تَحُفُّ بِهِ سَرَاةُ جُنُودِهِ
وَٱنْظُرْ لِنَرْجِسِهِ ٱلْجَنِيِّ كَأَنَّهُ طَرْفٌ تَنَبَّهَ بَعْدَ طُولِ هُجُودِهِ
وَٱعْجَبْ لِأَذْرِيُونِهِ وَبَهَارِهِ كَٱلتِّبْرِ يَزْهُو بِٱخْتِلَافِ نُقُودِهِ
وَٱنْظُرْ إِلَى ٱلْمَنْظُومِ مِنْ مَنْثُورِهِ مُتَنَوِّعًا بِفُصُولِهِ وَعُقُودِهِ

أَوَ مَا تَرَى ٱلْغَيْمَ ٱلرَّقِيقَ وَمَا بَدَا ... لِلْعَيْنِ مِنْ أَشْكَالِهِ وَطُرُودِهِ
وَٱلسُّحْبُ تَعْقِدُ فِي ٱلسَّمَاءِ مَآتِمًا ... وَٱلْأَرْضُ فِي عُرْسِ ٱلزَّمَانِ وَعِيدِهِ
وَٱلْغَيْمُ يَحْكِي ٱلْمَاءَ فِي جَرَيَانِهِ ... وَٱلْمَاءُ يَحْكِي ٱلْغَيْمَ فِي تَجْعِيدِهِ
فَٱبْكُرْ إِلَى رَوْضِ ٱلصَّرَاةِ وَظِلِّهَا ... فَٱلْعَيْشُ بَيْنَ بَسِيطِهِ وَمَدِيدِهِ

٢٩٧ قَالَ أَبُو ٱلْحَسَنِ بْنُ نِزَارٍ فِي مَدِينَةِ وَادِي آشَ :

وَادِي ٱلْأَشَاتِ يَهِيجُ وَجْدِي كُلَّمَا ... أُذْكِرْتُ مَا أَفْضَتْ بِكَ ٱلنَّعْمَاءُ
لِلّٰهِ ظِلُّكَ وَٱلْهَجِيرُ مُسَلَّطٌ ... قَدْ بَرَّدَتْ لَفَحَاتِهِ ٱلْأَنْدَاءُ
وَٱلشَّمْسُ تَرْغَبُ أَنْ تَفُوزَ بِلَحْظَةٍ ... مِنْهُ فَتَطْرِفُ طَرْفَهَا ٱلْأَفْيَاءُ
وَٱلنَّهْرُ يَبْسِمُ بِٱلْحَبَابِ كَأَنَّهُ ... سِلْخٌ نَضَتْهُ حَيَّةٌ رَقْطَاءُ
فَلِذَاكَ تَحْذَرُهُ ٱلْغُصُونُ فَمَيْلُهَا ... أَبَدًا عَلَى جَنَبَاتِهِ إِيمَاءُ

٢٩٨ قَالَ مُجِيرُ ٱلدِّينِ بْنُ تَمِيمٍ :

مُذْ قِيلَ لِلْأَغْصَانِ إِنَّ ٱلْوَرْدَ قَدْ ... وَافَى إِلَى ٱلْأَزْهَارِ وَهْوَ أَمِيرُ
بَسَمَتْ ثُغُورُ ٱلْأُقْحُوَانِ مَسَرَّةً ... لِقُدُومِهِ وَتَلَوَّنَ ٱلْمَنْثُورُ

٢٩٩ قَالَ ٱلصَّابِئُ فِي شَمْعَةٍ

وَلَيْلَةٍ مِنْ مُحَاقِ ٱلشَّهْرِ مُدْجِنَةٍ ... لَا ٱلنَّجْمُ يَهْدِي ٱلسُّرَى فِيهَا وَلَا ٱلْقَمَرُ
كَلَّفْتُ نَفْسِي بِهَا ٱلْإِدْلَاجَ مُمْتَطِيًا ... عَزْمًا هُوَ ٱلصَّارِمُ ٱلصَّمْصَامَةُ ٱلذَّكَرُ
إِلَى حَبِيبٍ لَهُ فِي ٱلنَّفْسِ مَنْزِلَةٌ ... مَا حَلَّهَا قَبْلَهُ سَمْعٌ وَلَا بَصَرُ
وَلَا دَلِيلٌ سِوَى هَيْفَاءَ مُخْطَفَةٍ ... تَهْدِي ٱلرِّكَابَ وَجِنْحُ ٱللَّيْلِ مُعْتَكِرُ
غُصْنٌ مِنَ ٱلذَّهَبِ ٱلْإِبْرِيزِ أَثْمَرَ فِي ... أَعْلَاهُ يَاقُوتَةٌ صَفْرَاءُ تَسْتَعِرُ

تَأْتِيكَ لَيْلًا كَمَا يَأْتِي ٱلْمُرِيبُ فَإِنْ ... لَاحَ ٱلصَّبَاحُ طَوَتْهَا دُونَهَا ٱلْجُدُرُ

٣٠٠ قَالَ أَبُو ٱلْعَلَاءِ ٱلْمَعَرِّيُّ فِي ٱلشَّمْعَةِ أَيْضًا:

وَصَفْرَاءَ لَوْنَ ٱلتِّبْرِ مِثْلِي جَلِيدَةٍ ... عَلَى نُوَبِ ٱلْأَيَّامِ وَٱلْعِيشَةِ ٱلضَّنْكِ
تُرِيكَ ٱبْتِسَامًا دَائِمًا وَتَجَلُّدًا ... وَصَبْرًا عَلَى مَا نَابَهَا وَهْيَ فِي ٱلْهُلْكِ
وَلَوْ نَطَقَتْ يَوْمًا لَقَالَتْ أَظُنُّكُمْ ... تَخَالُونَ أَنِّي مِنْ حِذَارِ ٱلرَّدَى أَبْكِي
فَلَا تَحْسَبُوا دَمْعِي لِوَجْدٍ وَجَدْتُهُ ... فَقَدْ تَدْمَعُ ٱلْأَحْدَاقُ مِنْ كَثْرَةِ ٱلضِّحْكِ

٣٠١ كَتَبَ ٱلصَّابِئُ فِي وَصْفِ ٱلْبَبَّغَاءِ إِلَى ٱبْنِ نَصْرٍ ٱلْمَعْرُوفِ بِٱلْبَبَّغَاءِ:

أَلِفْتُهَا صَبِيحَةً مَلِيحَهْ ... نَاطِقَةً بِٱللُّغَةِ ٱلْفَصِيحَهْ
عُدَّتْ مِنَ ٱلْأَطْيَارِ وَٱللِّسَانُ ... يُوهِمُنِي بِأَنَّهَا إِنْسَانُ
تُنْهِي إِلَى صَاحِبِهَا ٱلْأَخْبَارَا ... وَتَكْشِفُ ٱلْأَسْرَارَ وَٱلْأَسْتَارَا
بَكْمَاءُ إِلَّا أَنَّهَا سَمِيعَهْ ... تُعِيدُ مَا تَسْمَعُهُ طَبِيعَهْ
زَارَتْكَ مِنْ بِلَادِهَا ٱلْبَعِيدَهْ ... وَٱسْتَوْطَنَتْ عِنْدَكَ كَٱلْقَعِيدَهْ
ضَيْفٌ قِرَاهُ ٱلْجَوْزُ وَٱلْأَرُزُّ ... وَٱلضَّيْفُ فِي إِتْيَانِهِ يُعَزُّ
تَرَاهُ فِي مِنْقَارِهَا ٱلْخَلُوقِي ... كَلُؤْلُؤٍ يُلْقَطُ بِٱلْعَقِيقِ
تَمِيسُ فِي حُلَّتِهَا ٱلْخَضْرَاءِ ... مِثْلَ ٱلْفَتَاةِ ٱلْغَادَةِ ٱلْعَذْرَاءِ
خَرِيدَةٌ خُدُورُهَا ٱلْأَقْفَاصُ ... لَيْسَ لَهَا مِنْ حَبْسِهَا خَلَاصُ
نَحْبِسُهَا وَمَا لَهَا مِنْ ذَنْبِ ... وَإِنَّمَا ذَاكَ لِفَرْطِ ٱلْحُبِّ
تِلْكَ ٱلَّتِي قَلْبِي بِهَا مَشْغُوفُ ... كُنِيتُ عَنْهَا وَٱسْمُهَا مَعْرُوفُ
يُشْرِكُ فِيهَا شَاعِرُ ٱلزَّمَانِ ... أَلْكَاتِبُ ٱلْمَعْرُوفُ بِٱلْبَيَانِ

ذٰلِكَ عَبْدُ ٱلْوَاحِدِ بْنُ نَصْرٍ تَقِيهِ نَفْسِي حَادِثَاتِ ٱلدَّهْرِ

٣٠٢ قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ يَصِفُ بَغْدَادَ بَعْدَ أَنْ حَاصَرَهَا طَاهِرُ بْنُ ٱلْحُسَيْنِ وَخَرَّبَ بِنَاءَهَا:

بَكَيْتُ دَمًا عَلَى بَغْدَادَ لَمَّا فَقَدْتُ نَضَارَةَ ٱلْعَيْشِ ٱلْأَنِيقِ
تَبَدَّلْنَا هُمُومًا مِنْ سُرُورٍ وَمِنْ سَعَةٍ تَبَدَّلْنَا بِضِيقِ
أَصَابَتْنَا مِنَ ٱلْحُسَّادِ عَيْنٌ فَأَفْنَتْ أَهْلَهَا بِٱلْمَنْجَنِيقِ
وَقَوْمٍ أُحْرِقُوا بِٱلنَّارِ قَسْرًا وَنَائِحَةٍ تَنُوحُ عَلَى غَرِيقِ
وَصَائِحَةٍ تُنَادِي وَاصَبَاحَا وَبَاكِيَةٍ لِفِقْدَانِ ٱلشَّقِيقِ
تَفِرُّ مِنَ ٱلْحَرِيقِ إِلَى ٱنْتِهَابٍ وَوَالِدُهَا يَفِرُّ إِلَى ٱلْحَرِيقِ
حَيَارَى هٰكَذَا وَمُفَكَّرَاتٌ عَلَيْهِنَّ ٱلْقَلَائِدُ فِي ٱلْحُلُوقِ
يُنَادِينَ ٱلشَّفِيقَ وَلَا شَفِيقٌ وَقَدْ فُقِدَ ٱلشَّفِيقُ مِنَ ٱلشَّفِيقِ
وَمُغْتَرِبٍ قَرِيبِ ٱلدَّارِ مُلْقًى بِلَا رَأْسٍ بِقَارِعَةِ ٱلطَّرِيقِ
تَوَسَّطَ مِنْ قِتَالِهِمِ جَمِيعًا فَمَا يَدْرُونَ مِنْ أَيِّ ٱلْفَرِيقِ
فَمَا وَلَدٌ يُقِيمُ عَلَى أَبِيهِ وَقَدْ فَرَّ ٱلصَّدِيقُ مِنَ ٱلصَّدِيقِ
وَمَهْمَا أَنْسَ مِنْ شَيْءٍ تَوَلَّى فَإِنِّي ذَاكِرٌ دَارَ ٱلرَّفِيقِ

وَوَصَفَ صَفِيُّ ٱلدِّينِ ٱلْحِلِّيُّ حَدِيقَةً قَالَ:

وَأَطْلَقَ ٱلطَّيْرُ فِيهَا سَجْعَ مَنْطِقِهِ مَا بَيْنَ مُخْتَلِفٍ فِيهَا وَمُتَّفِقِ
وَٱلظِّلُّ يَسْرِقُ بَيْنَ ٱلدَّوْحِ خُطْوَتَهُ وَلِلْمِيَاهِ دَبِيبٌ غَيْرُ مُسْتَرَقِ
وَقَدْ بَدَا ٱلْوَرْدُ مُفْتَرًّا مَبَاسِمُهُ وَٱلنَّرْجِسُ ٱلْغَضُّ فِيهَا شَاخِصُ ٱلْحَدَقِ

مِنْ أَحْمَرٍ سَاطِعٍ أَوْ أَخْضَرٍ نَضِرٍ أَوْ أَصْفَرٍ فَاقِعٍ أَوْ أَبْيَضٍ يَقَقِ
وَٱلسُّحْبُ تَبْكِي وَثَغْرُ ٱلبَرْقِ مُبْتَسِمٌ وَٱلطَّيْرُ تَسْجَعُ مِنْ تِيهٍ وَمِنْ أَنَقِ
فَٱلطَّيْرُ فِي طَرَبٍ وَٱلسُّحْبُ فِي حَرَبٍ وَٱلْمَاءُ فِي هَرَبٍ وَٱلْغُصْنُ فِي قَلَقِ

٣٠٣ قَالَ ٱلْقَاضِي ٱلتَّنُوخِيُّ يَصِفُ دِجْلَةَ فِي ٱلظَّلَامِ وَٱلْقَمَرُ يَلْمَعُ عَلَيْهَا:

أَحْسِنْ بِدِجْلَةَ وَٱلدُّجَى مُتَصَوِّبٌ وَٱلْبَدْرُ فِي أُفُقِ ٱلسَّمَاءِ مُغَرِّبُ
فَكَأَنَّهَا فِيهِ بِسَاطٌ أَزْرَقٌ وَكَأَنَّهُ فِيهَا طِرَازٌ مُذْهَبُ

٣٠٤ وَقَالَ أَيْضًا:

كَمْ لَيْلَةٍ سَامَرْتُ فِيهَا بَدْرَهَا مِنْ فَوْقِ دِجْلَةَ قَبْلَ أَنْ يَتَغَيَّبَا
وَٱلْبَدْرُ يَجْنَحُ لِلْأُفُولِ كَأَنَّهُ قَدْ سَلَّ فَوْقَ ٱلْمَاءِ سَيْفًا مُذْهَبَا

٣٠٥ قَالَ ٱبْنُ ٱلْجَزَرِيِّ فِي حَمَامَةٍ:

وَمَا نَازِحَاتٌ سَاجِعَاتٌ بِشَجْوِهَا تَرَنَّحُ أَغْصَانُ ٱلنَّقَا وَتَرَنَّمُ
تَنُوحُ بِلَا إِلْفٍ وَتُمْلِي غَرَامَهَا عَلَى وَرَقِ ٱلْأَشْجَارِ وَٱلطَّلُّ يَرْقُمُ
وَتُغْرِبُ فِي أَلْحَانِهَا وَفُنُونِهَا فَتُعْرِبُ عَنْ أَشْجَانِهَا وَهْيَ تُعْجِمُ
وَتَنْظُرُ فَرْخَيْهَا قَدِ ٱخْتَطَفَتْهُمَا كَوَاسِرُ أَطْيَارٍ عَلَى ٱلْأُفْقِ حُوَّمُ
تَرَامَتْ بِهَا أَيْدِي ٱلنَّوَى عَنْ وُكُونِهَا فَلَا عَيْشُهَا يَصْفُو وَلَا يَتَصَرَّمُ
بِأَكْثَرَ مِنِّي لَوْعَةً وَصَبَابَةً سِوَى أَنَّهَا تُبْدِي ٱلْغَرَامَ وَأَكْتُمُ

٣٠٦ مِنَ ٱلْمُعْجِبِ قَوْلُ بَدْرِ ٱلدِّينِ يُوسُفَ بْنِ لُؤْلُؤٍ مِنْ قَصِيدَةٍ:

بَاكِرْ إِلَى ٱلرَّوْضَةِ تَسْتَجْلِهَا فَثَغْرُهَا فِي ٱلصُّبْحِ بَسَّامُ
وَٱلنَّرْجِسُ ٱلْغَضُّ ٱعْتَرَاهُ ٱلْحَيَا فَغَضَّ طَرْفًا فِيهِ أَسْقَامُ

وَبُلْبُلُ ٱلدَّوحِ فَصِيحٌ عَلَى ٱلْأَيْكَةِ وَٱلشُّحْرُورُ تَمْتَامُ
وَنَسْمَةُ ٱلرِّيحِ وَفِي ضُعْفِهَا لَهَا بِنَا مَرٌّ وَإِلْمَامُ

٣٠٧ قَالَ ٱلشَّيْخُ أَبُو سَهْلٍ فِي وَصْفِ فَرَسٍ:

أَطِرْفٌ فَاتَ طَرْفِي أَمْ شِهَابُ هَفَا كَٱلْبَرْقِ ضَرَّمَهُ ٱلْتِهَابُ
أَعَارَ ٱلصُّبْحُ صَفْحَتَهُ نِقَابًا فَقَرَّبَهُ وَصَحَّ لَنَا ٱلنِّقَابُ
إِذَا مَا ٱنْقَضَّ كَلَّ ٱلنَّجْمُ عَنْهُ وَضَلَّتْ عَنْ مَسَالِكِهِ ٱلسَّحَابُ
سَلِ ٱلْأَرْوَاحَ عَنْ أَدْنَى مَدَاهُ فَعِنْدَ ٱلرِّيحِ قَدْ يُلْقَى ٱلْجَوَابُ

٣٠٨ قصيدة الشيخ عبد الغني النابلسي في وصف الشام

إِنْ سَامَكَ ٱلْخَطْبُ ٱلْمَهُولُ فَأَقْلَقَا فَٱنْزِلْ بِأَرْضِ ٱلشَّامِ وَٱسْكُنْ جِلَّقَا
تَجِدِ ٱلْمَرَامَ بِهَا وَكُلَّ مُنَاكَ بَلْ وَتَرَى بِهَا عِزًّا وَتَفْصَحُ مَنْطِقَا
بَلَدٌ سَمَتْ بَيْنَ ٱلْبِلَادِ مَحَاسِنًا وَنَمَتْ بَهَاءً وَٱسْتَزَادَتْ رَوْنَقَا
زَادَ ٱلسُّرُورُ بِهَا لِكُلِّ مُعَرِّجٍ لَاسِيَّمَا إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ ٱلتُّقَى
إِنْ تَعْشَقُوا وَطَنًا فَذِي أَوْلَى لَكُمْ دُونَ ٱلْبِلَادِ بِأَنْ تُحَبَّ وَتُعْشَقَا
خَيْرُ ٱلْأُنَاسِ أُنَاسُهَا يَرْعَوْنَ أَنْوَاعَ ٱلْوِدَادِ وَيَحْفَظُونَ ٱلْمَوْثِقَا
هِيَ جَنَّةٌ لِلطَّائِعِينَ مُعَدَّةٌ ، يَتَمَتَّعُونَ وَلَا يَرَوْنَ بِهَا شَقَا
طَابَتْ هَوَاءً لِلنُّفُوسِ وَمَاؤُهَا عَذْبٌ زُلَالٌ سَائِغٌ لِمَنِ ٱسْتَقَى
جَلَّتْ مَحَاسِنُهَا عَنِ ٱلتَّعْدَادِ فَلْـنَأْتِ بِمَا يُخْتَارُ مِنْهُ وَيُنْتَقَى
يَا حُسْنَ وَادِيهَا وَطِيبَ شَمِيمِهِ قَدْ فَاحَ عَرْفُ ٱلزَّهْرِ فِيهِ وَعَبَّقَا
وَتَرَاسَلَتْ أَطْيَارُهُ بَيْنَ ٱلرُّبَى سَحَرًا فَهَيَّجَتِ ٱلْفُؤَادَ ٱلشَّيِّقَا

كَيفَ اتَّجهتَ يَجُرُّ نَحْوكَ مَاؤُهُ ... وَإِلَيْكَ يَرْكَعُ كُلُّ غُصنٍ أَوْرَقَا
يَا حَبَّذَا إِشْرَاقُ مَرْجَتِهَا ٱلَّتِي ... أَضْحَى غَنِيُّ ٱلْهَمِّ فِيهَا مُمْلِقَا
وَتَلَاعَبَتْ فُرْسَانُهَا وَتَرَاكَضَتْ ... مَا بَيْنَهَا تَعْلُو ٱلْجِيَادَ ٱلسُّبَّقَا
ضَحِكَتْ أَزَاهِرُهَا عَلَى أَغْصَانِهَا ... فَأَتَى ٱلنَّسِيمُ يُمِيلُهُنَّ وَصَفَّقَا
قَدْ دَنْدَنَتْ أَنْهَارُهَا فِي جَرْيِهَا ... لَمَّا شَدَا ذَاكَ ٱلْحَمَامُ وَشَقْشَقَا
وَٱلصَّالِحِيَّةُ يَا لَهَا مِنْ مَنْزِلٍ ... فِيهَا قُبُورُ ٱلصَّالِحِينَ أُولِي ٱلتُّقَى
وَبِهَا ٱلْقُصُورُ ٱلْعَالِيَاتُ تَزَخْرَفَتْ ... مِثْلَ ٱلنُّجُومِ زَهَتْ بِكُلِّ مَنِ ٱرْتَقَى
تَسْمُو عَلَى أَطْرَافِ جِلَّقَ بَهْجَةً ... وَطَلَاوَةً فِيهَا ٱلسُّرُورُ تَحَقَّقَا
سُقِيَتْ دِمَشْقُ ٱلشَّامِ صَوْبَ غَمَامَةٍ ... أَشْفَى عَلَى غِيطَانِهَا فَتَدَفَّقَا
كَمْ نُزْهَةٍ لِلْعَيْنِ فِيهَا قَدْ زَهَتْ ... وَسَرَتْ عَلَى طَرْفِ ٱلْهُمُومِ فَأَطْرَقَا
مَا ٱلْجَامِعُ ٱلْأُمَوِيُّ (*) إِلَّا نُزْهَةٌ ... فِيهَا تَرَاهُ بِٱلْعِبَادَةِ مُشْرِقَا

(*) ذكر ابن جُبَير جامع دمشق قال : هذا الجامع من اشهر جوامع الاسلام حسناً واتقانَ بناءٍ وغرابةَ صنعةٍ واحتفـالَ تنميقٍ وتزيينٍ . انتدب لبنائهِ الوليد وبلغ الغاية في التأنق فيهِ . وأُنزلت جُدُرُهُ كلها بفصوص الذهب المعروفة بالفُسَيفساء. وخلطت بها انواع من الاصبغة الغريبة قد مثّلت اشجارًا وفرّعت اغصاناً منظومة بالفصوص ببديع الصنعة المعجزة وصف كل واصف . فجاء يغشي العيون وميضاً وبصيصاً . وبلغت النفقة فيهِ احد عشر الف الف دينار ومائتي الف دينار . وطول هذا الجامع من الغرب الى الشرق ذرعهُ ثلاثمائة ذراع . وذرعهُ في السعة من القبلة الى الشمال مائتنا ذراع . وبلاطاتهُ المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة من المشرق الى المغرب سعة كل بلاطة منها ثماني عشرة خطوة. وقد قامت البلاطات على ثمانية وستين عمودًا منها ٥٤ سارية و٨ ارجل واثنتان مرخمة مُلصقة بالجدار الذي يلي الصحن. واربع ارجل مرخمة ابدع ترخيم مرصَّعة بفصوص من الرخام ملوَّنة قد نُظمت خواتيم وصُوّرت محاريب واشكالًا غريبة قائمة في البلاط الاوسط . دَور كل رجل منها اثنان وسبعون شبرًا . ويستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهاتهِ سعتهُ عَشر خُطًا . عدد قوائمهِ سبع واربعون منها اربعة عشر رجلًا والباقي سوار.

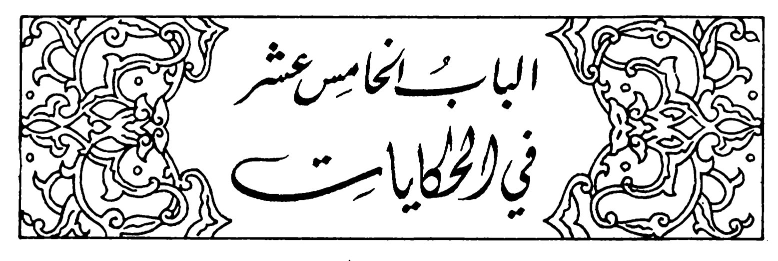
قَدْ أَتْقَنَتْ صُنَّاعُهُ بُنْيَانَهُ فَأَتَى ٱلْمُزَخْرَفُ زَانَهُ وَتَأَنَّقَا
وَتَرَى دُرُوسَ ٱلْعِلْمِ فِيهِ دَائِمًا فِي كُلِّ فَنٍّ مَنْ تَدَاوَلَهُ رَقَى
وَثَلَاثُ هَاتِيكَ ٱلْمَآذِنِ تَنْجَلِي مِثْلَ ٱلْعَرَائِسِ قَدْ لَبِسْنَ ٱلْيَلْمَقَا
مِنْ فَوْقِهَا أَهْلُ ٱلْأَذَانِ تَرَسَّلُوا بِتَرَنُّمٍ يُشْجِي ٱلْفُؤَادَ ٱلشَّيِّقَا
وَٱلْعَشَرَةُ ٱلْأَبْوَابُ لَمَّا أَنْ زَهَتْ فَتَحَتْ عَلَى ٱلْمُشْتَاقِ بَابًا مُغْلَقَا
يَا حَبَّذَاكَ ٱلصَّحْنُ أَشْرَقَ وَٱنْجَلَى فَغَدَا بِهِ مَاءُ ٱلنَّسِيمِ مُرَقْرَقَا
فِيهِ ٱلصِّحَابُ رَوَائِحًا وَغَوَادِيًا مَا بَيْنَهُ وَتَجَمُّعًا وَتَفَرُّقَا
مِنْ حَوْلِهِ ٱلْأَسْوَاقُ تُشْرِقُ فِي ٱلدُّجَى مِثْلَ ٱلنَّهَارِ بِمَا بِهَا قَدْ عُلِّقَا
فِيهَا تَرَى مَا تَشْتَهِي وَتَلَذُّهُ وَبُيُوتُ قَهْوَاتٍ شَذَاهَا عَبِقَا
هِيَ شَامُنَا أَعْلَى ٱلْإِلٰهُ مَنَارَهَا وَبِهَا أَدَامَ ٱللّٰهُ عَيْشًا رَيِّقَا
لَمْ تَرْضَ عَيْنِي غَيْرَهَا مِنْ مَنْظَرٍ وَلِذَا تَرَى قَلْبِي بِهَا مُتَعَلِّقَا

وسقف الجامع كلهُ من خارج الواح رصاص . واعظم ما فيهِ قبَّة الرصاص المتَّصلة بالمحراب وهي سامية في الهواء عظيمة الاستدارة وقد استقلَّ بها هيكل عظيم هو عماد لها يتصل من المحراب الى الصحن . والقبَّة قد اغصَّت الهواء فاذا استقبلتها رأَيت مرأى هائلًا . ومن اي جهة استقبلت البلد ترى القبَّة في الهواء كانها معلَّقة في الجوّ . وعدد شمَّاساتها الزجاجيَّة المذهبة الملوَّنة اربع وسبعون . فاذا قابلتها الشمس واتَّصل شعاعها بها انعكس الشعاع الى كل لون منها واتَّصل ذلك بالجدار القبلي . ويتَّصل بالابصار منها اشعَّة ملوَّنة هائلة لا تبلغ العبارة تصوّرها . ومحرابهُ من اعجب المحاريب الاسلاميَّة حسنًا وغرابة صنعة يتقد ذهبًا كلهُ . قد قامت في وسطهِ محاريب صغار متَّصلة بجدارهِ تحفّها سويريات مفتولات فتل الاسورة . فانها مخروطة بعضها احمر كانها مرجان لم يُرَ شيء اجمل منها . ولهُ اربعة ابواب وباب جَيرون اعظمها ولهُ والمغربي دهاليز متسعة يفضي كل دهليز منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل للكنيسة . فبقيت على حالها

ثم ذكر ابن جُبَير في الصحن عجائب من الابنية والقباب والمياه المدبرة فيهِ ما يطول وصفهُ واختصارهُ انهُ قال : هذا الصحن من اجمل المناظر واحسنها . وللجامع اربع سقايات في كل جهة

لِلّٰهِ أَيَّامٌ تَقَضَّتْ لِي بِهَا مَا زِلْتُ نَحْوَ ظِلَالِهَا مُتَشَوِّقَا
هِيَ مَنْشَإِي لَا حَاجِرٌ وَطُوَيْلِعٌ وَمَحَلُّ أُنْسِي لَا ٱلْغُوَيْرُ وَلَا ٱلنَّقَا
وَطَنِي وَأَوَّلُ مَا وَطِئْتُ بِهَا ٱلثَّرَى لَا زَالَ يَمْشِي عَنْ حِمَاهَا مُطْلَقَا
لُذْ يَا فُؤَادُ بِمَا بِهَا مِنْ مَعْشَرٍ إِنْ سَامَكَ ٱلْخَطْبُ ٱلْمَهُولُ فَأَقْلَقَا

سقاية وأعظمها سقاية باب جيرون . وذكر ان حول باب جيرون من الابنية الغريبة ما يطول وصفهُ . وذكر باب جيرون فقال : يخرج من دهليز الى بلاط طويل عريض لهُ خمسة ابواب مقوّسة لها ستة اعمدة في جهة اليسار منهُ مشهد كبير كان فيهِ راس الحسين قبل ان ينقل الى القاهرة بازائهِ مسجد صغير لعُمر بن عبد العزيز . وقد انتظمت امام البلاط ادراج ينحدَر عليها الى الدهليز وهي كالخندق العظيم تتصل الى باب عظيم الارتفاع يتحير الطرف دونهُ سموًّا . قد حفّتهُ اعمدة كالجذوع طولًا وكالاطواد ضخامة وبجانبي الدهليز اعمدة قامت عليها شوارع مستديرة فيها حوانيت العطّارين وغيرهم . وعليها شوارع مستطيلة فيها الحُجر والبيوت للكراء مشرفة على الدهاليز . وفوقها سطح يبيت فيهِ سكان الحجر والبيوت وفي وسط الدهليز حوض كبير مستدير من الرخام عليهِ قبة تُقِلّها اعمدة من الرخام . وفي وسط الحوض انبوب صُفر يزعج الماء بقوَّة فيرتفع في الهواء ازيد من القامة . وحولهُ انابيب صغار ترمي الماء علوًّا فتخرج منها كقضبان اللجين فكأنها اغصان تلك الدوحة المائيّة . ومنظرها ابدع من ان يوصف . وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي امامهُ شبه غُرفة لها هيئة طاق كبير مستدير فيهِ طيقان من صُفر وقد فتحت ابوابًا صغارًا على عدد ساعات النهار ودُبّرت تدابير هندسيّة . فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من فمي بازيين من صفر قائمين على طاستين من صفر مثقوبتين فتبصر البازيين يمدَّان اعناقهما بالبندقتين الى الطاستين ويقذفانها بسرعة بتدبير عجيب تتخيَّلهُ الاوهام سحرًا . فعند وقوعهما يسمع لهما دويٌّ فيعودان من الاثقاب الى داخل الجدار الى الغرفة وينغلق باب تلك الساعة بلوح اصفر. فلا يزال كذلك حتى تنقضي الساعات فتنغلق الابواب كلها . ثم تعود الى حالاتها الأُول ولها بالليل تدبير آخر . وذلك ان في القوس المنعطف على الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرَّمة في كل دائرة زجاجة وخلف الزجاجة مصباح يدور بهِ الماء على ترتيب مقدار الساعة . فاذا انقضت عمّ الزجاجة ضوء المصباح وافاض على الدائرة شعاعًا فلاحت دائرة محمرَّة ثم ينتقل الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل . وقد وكل بها من يدبّر شأنها فيعيد فتح الابواب ويسرح الصنج الى موضعهِ وهي التي تُسمَّى الميقاتة . ثم ذكر في دمشق عجائب ليس من غرضنا اثباتها (للشريشي)



الباب الخامس عشر في الحكايات

هارون بن عبد الله والفيل

٣٠٩ قَالَ ٱلْقَزْوِينِيُّ: كَانَ هَارُونُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ مَوْلَى ٱلْأَزْدِ شُجَاعًا شَاعِرًا. وَلَمَّا حَارَبَ ٱلْهِنْدُ ٱلْمُسْلِمِينَ بِٱلْفِيلِ لَمْ يَقِفْ قُدَّامَ ٱلْفِيلِ شَيْءٌ. وَقَدْ رَبَطُوا فِي خُرْطُومِهِ سَيْفًا هُذَامًا طَوِيلًا ثَقِيلًا يَضْرِبُ بِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا لَا يَرْفَعُهُ فَوْقَ رَأْسِ ٱلْفَيَّالِينَ عَلَى ظَهْرِهِ وَيَضْرِبُ بِهِ. فَوَثَبَ هَارُونُ وَثْبَةً أَعْجَلَهُ بِهَا عَنِ ٱلضَّرْبِ وَلَزِقَ بِصَدْرِ ٱلْفِيلِ وَتَعَلَّقَ بِأَنْيَابِهِ. فَجَالَ بِهِ ٱلْفَيَّالُ جَوْلَةً كَادَ يَحْطِمُهُ مِنْ شِدَّةِ مَا جَالَ بِهِ. وَكَانَ هَارُونُ شَدِيدَ ٱلْخَلْقِ رَابِطَ ٱلْجَاشِ. فَٱعْتَمَدَ فِي تِلْكَ ٱلْحَالَةِ عَلَى نَابَيْهِ وَأَصْلُهُمَا مُجَوَّفٌ فَٱنْقَلَعَتَا مِنْ أَصْلِهِمَا. وَأَدْبَرَ ٱلْفِيلُ وَبَقِيَ ٱلنَّابَانِ فِي يَدِ هَارُونَ. وَكَانَ ذٰلِكَ سَبَبَ هَزِيمَةِ ٱلْهِنْدِ وَغَنِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ. فَقَالَ هَارُونُ فِي ذٰلِكَ:

مَشَيْتُ إِلَيْهِ رَادِعًا مُتَمَهِّلًا وَقَدْ وَصَلُوا خُرْطُومَهُ بِحُسَامِ
فَقُلْتُ لِنَفْسِي إِنَّهُ ٱلْفِيلُ ضَارِبًا بِأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ ٱلْحَدِيدِ هُذَامِ
فَإِنْ تَنْكَلِي مِنْهُ فَعُذْرُكِ وَاضِحٌ لَدَى كُلِّ مَنْخُوبِ ٱلْفُؤَادِ عَبَامِ
وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلسَّيْفَ فِي رَأْسِ هَضْبَةٍ كَمَا لَاحَ بَرْقٌ مِنْ خِلَالِ غَمَامِ
فَعَافَسْتُهُ حَتَّى لَزِقْتُ بِصَدْرِهِ فَلَمَّا هَوَى لَازَمْتُ أَيَّ لِزَامِ
وَعُذْتُ بِنَابَيْهِ وَأَدْبَرَ هَارِبًا وَذٰلِكَ مِنْ عَادَاتِ كُلِّ مُحَامِي

الوفاء والفضل والمعروف عند بعض الكرماء

٣١٠ حُكِيَ أَنَّهُ بَيْنَمَا كَانَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ جَالِسًا فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ وَعِنْدَهُ أَكَابِرُ ٱلصَّحَابَةِ . وَأَهْلُ ٱلرَّأْيِ وَٱلْإِصَابَةِ . وَهُوَ فِي ٱلْقَضَايَا . يَحْكُمُ بَيْنَ ٱلرَّعَايَا . إِذْ أَقْبَلَ شَابٌّ مِنْ أَحْسَنِ ٱلشَّبَابِ . نَظِيفُ ٱلْأَثْوَابِ . يَكْتَنِفُهُ شَابَّانِ مِنْ أَحْسَنِ ٱلشَّبَابِ أَيْضًا . وَقَدْ جَذَبَاهُ وَسَحَبَاهُ . وَأَوْقَفَاهُ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلَبَّبَاهُ . فَلَمَّا وَقَفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ . نَظَرَ إِلَيْهِمَا وَإِلَيْهِ . فَقَالَا : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ نَحْنُ أَخَوَانِ شَقِيقَانِ . جَدِيرَانِ بِٱتِّبَاعِ ٱلْحَقِّ حَقِيقَانِ . كَانَ لَنَا أَبٌ شَيْخٌ كَبِيرٌ . حَسَنُ ٱلتَّدْبِيرِ . مُعَظَّمٌ فِي قَبَائِلِهِ . مُنَزَّهٌ عَنْ رَذَائِلِهِ . مَعْرُوفٌ بِفَضَائِلِهِ . رَبَّانَا صِغَارًا . وَأَوْلَانَا مِنَنًا غِزَارًا . كَمَا قِيلَ فِي ٱلْمَعْنَى :

لَنَا وَالِدٌ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ مِثْلُهُ أَبٌ آخَرٌ أَغْنَاهُمُ بِٱلْمَنَاقِبِ

فَخَرَجَ ٱلْيَوْمَ إِلَى حَدِيقَةٍ لَهُ يَتَنَزَّهُ فِي أَشْجَارِهَا . وَيَقْتَطِفُ يَانِعَ أَثْمَارِهَا . فَقَتَلَهُ هٰذَا ٱلشَّابُّ . وَعَدَلَ عَنْ طَرِيقِ ٱلصَّوَابِ . فَنَسْأَلُكَ ٱلْقِصَاصَ عَمَّا جَنَاهُ . وَٱلْحُكْمَ فِيهِ بِمَا أَمَرَكَ ٱللهُ . قَالَ ٱلرَّاوِي : فَنَظَرَ عُمَرُ إِلَى ٱلشَّابِّ . وَقَالَ لَهُ : قَدْ سَمِعْتَ فَمَا ٱلْجَوَابُ . وَٱلْغُلَامُ مَعَ ذٰلِكَ ثَابِتُ ٱلْجَنَانِ . خَالٍ عَنِ ٱلِٱسْتِيحَاشِ . قَدْ خَلَعَ ثِيَابَ ٱلْهَلَعِ . وَنَزَعَ لِبَاسَ ٱلْجَزَعِ . فَتَبَسَّمَ عَنْ مِثْلِ ٱلْجُمَانِ . وَتَكَلَّمَ بِأَفْصَحِ لِسَانٍ . وَحَيَّا بِكَلِمَاتٍ حِسَانٍ . ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱللهِ لَقَدْ وَعَيَا . فِي مَا ٱدَّعَيَا . وَصَدَقَا . فِي مَا نَطَقَا . وَأَخْبَرَا بِمَا جَرَى . وَعَبَّرَا عَمَّا طَرَا . وَسَأُنْهِي

قِصَّتِي بَيْنَ يَدَيْكَ . وَٱلْأَمْرُ فِيهَا إِلَيْكَ . إِعْلَمْ أَنِّي عَرِيمٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ ٱلْعَرْبَاءِ نَبَتُّ فِي مَنَازِلِ ٱلْبَادِيَةِ . وَصَبَحَتْ عَلَيَّ أُسُودُ ٱلسِّنِينَ ٱلْعَادِيَةِ . فَأَقْبَلْتُ إِلَى ظَاهِرِ هٰذَا ٱلْبَلَدِ . بِٱلْأَهْلِ وَٱلْمَالِ وَٱلْوَلَدِ . فَأَفْضَتْ بِي بَعْضُ طَرَائِقِهَا . إِلَى ٱلْمَسِيرِ بَيْنَ حَدَائِقِهَا . بِنِيَاقٍ إِلَيَّ حَبِيبَاتٍ . عَلَيَّ عَزِيزَاتٍ . بَيْنَهُنَّ فَحْلٌ كَرِيمُ ٱلْأَصْلِ . كَثِيرُ ٱلنَّسْلِ . مَلِيحُ ٱلشَّكْلِ . حَسَنُ ٱلنِّتَاجِ . يَمْشِي بَيْنَهُنَّ كَأَنَّهُ مَلِكٌ عَلَيْهِ تَاجٌ . فَدَنَتِ ٱلنُّوقُ إِلَى حَدِيقَةٍ قَدْ ظَهَرَ مِنَ ٱلْحَائِطِ شَجَرُهَا . فَتَنَاوَلَتْهَا بِمِشْفَرِهَا . فَطَرَدْتُهَا عَنْ تِلْكَ ٱلْحَدِيقَةِ فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ ظَهَرَ . وَتَسَوَّرَ ٱلْحَائِطَ وَزَفَرَ . وَفِي يَدِهِ ٱلْيُمْنَى حَجَرٌ . يَتَهَادَى كَٱللَّيْثِ إِذَا خَطَرَ . فَضَرَبَ ٱلْفَحْلَ بِذٰلِكَ ٱلْحَجَرِ فَأَصَابَ مَقْتَلَهُ وَأَبَادَهُ . فَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلْفَحْلَ سَقَطَ لِجَنْبِهِ وَٱنْقَلَبَ . تَوَقَّدَتْ فِيَّ جَمَرَاتُ ٱلْغَضَبِ . فَتَنَاوَلْتُ ذٰلِكَ ٱلْحَجَرَ بِعَيْنِهِ فَضَرَبْتُهُ بِهِ . فَكَانَ سَبَبَ حَيْنِهِ وَلَقِيَ سُوءَ مُنْقَلَبِهِ . وَٱلْمَرْءُ مَقْتُولٌ بِمَا قَتَلَ بِهِ . بَعْدَ أَنْ صَاحَ صَيْحَةً عَظِيمَةً . وَصَرَخَ صَرْخَةً أَلِيمَةً . فَأَسْرَعْتُ هَارِبًا مِنْ مَكَانِي . فَلَمْ أَكُنْ بِأَسْرَعَ مِنْ هٰذَيْنِ ٱلشَّابَّيْنِ فَأَمْسَكَانِي . وَأَحْضَرَانِي كَمَا تَرَانِي . قَالَ عُمَرُ : قَدِ ٱعْتَرَفْتَ . بِمَا ٱقْتَرَفْتَ . وَتَعَذَّرَ ٱلْخَلَاصُ . وَوَجَبَ ٱلْقِصَاصُ . وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ . فَقَالَ ٱلشَّابُّ : سَمْعًا وَطَوْعًا لِمَا حَكَمَ ٱلْإِمَامُ . وَرَضِيتُ بِمَا ٱقْتَضَتْهُ شَرِيعَةُ ٱلْإِسْلَامِ . وَلٰكِنْ لِي أَخٌ صَغِيرٌ . كَانَ لَهُ أَبٌ كَبِيرٌ . خَصَّهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِمَالٍ جَزِيلٍ . وَذَهَبٍ جَلِيلٍ . وَأَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيَّ . وَسَلَّمَ أَمْرَهُ إِلَيَّ . وَأَشْهَدَ ٱللّٰهَ

عَلَيَّ. وَقَالَ: هٰذَا لِأَخِيكَ عِنْدَكَ. فَٱحْفَظْهُ جهْدَكَ. فَٱتَّخَذْتُ لِذٰلِكَ مَدْفِنًا. ووَضَعْتُـهُ فِيهِ وَلَا يعلمُ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا أَنَا. فَإِنْ حكَمْتَ ٱلْآنَ بِقَتْلِي ذَهَبَ ٱلذَّهَبُ. وَكُنْتَ أَنتَ ٱلسَّبَبَ. وَطَالَبَكَ ٱلصَّغِيرُ بِحَقِّهِ. يَوْمَ يَقْضِي ٱللهُ بَيْنَ خَلْقِـهِ. وَإِنْ أَنظَرْتَنِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. أَقَمْتُ مَنْ يَتَوَلَّى أَمْرَ ٱلْغُـلَامِ. وَعُدتُّ وَافِيًا بِٱلذِّمَامِ. وَلِي مَنْ يَضْمَنُنِي عَلَى هٰذَا ٱلْكَلَامِ. فَأَطْرَقَ عُمَرُ سَاعَةً ثُمَّ نَظَرَ. إِلَى مَنْ حَضَرَ. وَقَالَ: مَنْ يَقُومُ عَلَى ضَمَانِهِ. وَٱلْعَوْدِ إِلَى مَكَانِهِ. قَالَ: فَنَظَرَ ٱلْغُلَامُ إِلَى وُجُوهِ أَهْلِ ٱلْمَجْلِسِ ٱلنَّاظِرِينَ. وَأَشَارَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ دُونَ ٱلْحَاضِرِينَ. وَقَالَ: هٰذَا يَكْفُلُنِي. وَهُوَ ٱلَّذِي يَضْمَنُنِي. فَقَالَ عُمَرُ: أَتَضْمَنُـهُ يَا أَبَا ذَرٍّ عَلَى هٰذَا ٱلْكَلَامِ. قَالَ: نَعَمْ أَضْمَنُـهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. فَرَضِيَ ٱلشَّابَّانِ بِضَمَانِ أَبِي ذَرٍّ. وَأَنْظَرَاهُ ذٰلِكَ ٱلْقَدْرَ. فَلَمَّا ٱنْقَضَتْ مُدَّةُ ٱلْإِمْهَالِ. وَكَادَ وَقْتُهَا يَزُولُ أَوْ زَالَ. حَضَرَ ٱلشَّابَّانِ إِلَى مَجْلِسِ عُمَرَ. وَٱلصَّحَابَةُ حَوْلَهُ كَٱلنُّجُومِ حَوْلَ ٱلْقَمَرِ. وَأَبُو ذَرٍّ قَدْ حَضَرَ. وَٱلْخَصْمُ يُنْتَظَرُ. فَقَالَا: أَيْنَ ٱلْغَرِيمُ يَا أَبَا ذَرٍّ. وَكَيْفَ يَرْجِعُ مَنْ قَدْ فَرَّ. فَـلَا نَبْرَحُ مِنْ مَكَانِنَا. حَتَّى تَفِيَ بِضَمَانِنَـا. فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: وَحَقِّ ٱلْمَلِكِ ٱلْعَلَّامِ. إِنِ ٱنْقَضَى تَمَامُ ٱلْأَيَّامِ. وَلَمْ يَحْضُرِ ٱلْغُلَامُ. وَفَّيْتُ بِٱلضَّمَانِ. وَأَسْلَمْتُ نَفْسِي وَبِٱللهِ ٱلْمُسْتَعَانِ. فَقَالَ عُمَرُ: وَٱللهِ إِنْ تَأَخَّرَ ٱلْغُلَامُ. لَأُمْضِيَنَّ فِي أَبِي ذَرٍّ مَا ٱقْتَضَتْهُ شَرِيعَـةُ ٱلْإِسْلَامِ. فَهَمَلَتْ عَبَرَاتُ ٱلْحَاضِرِينَ. وَٱرْفَضَّتْ زَفَرَاتُ ٱلنَّاظِرِينَ. وَعَظُمَ ٱلضَّجِيجُ. وَتَزَايَدَ

ٱلنَّشِيجُ . فَعَرَضَ كِبَارُ ٱلصَّحَابَةِ عَلَى ٱلشَّابَّيْنِ أَخْذَ ٱلدِّيَةِ . وَٱغْتِنَامَ ٱلْأَثْنِيَةِ . فَأَصَرَّا عَلَى عَدَمِ ٱلْقَبُولِ . وَأَبَيَا إِلَّا ٱلْأَخْذَ بِثَارِ ٱلْمَقْتُولِ . فَبَيْنَمَا ٱلنَّاسُ يَمُوجُونَ تَلَهُّفًا لِمَا مَرَّ . وَيَضِجُّونَ تَأَسُّفًا عَلَى أَبِي ذَرٍّ . إِذْ أَقْبَلَ ٱلْغُلَامُ . وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْإِمَامِ . وَسَلَّمَ عَلَيْهِ أَتَمَّ سَلَامٍ . وَوَجْهُهُ يَتَهَلَّلُ مُشْرِقًا . وَيَتَكَلَّلُ عَرَقًا . وَقَالَ : قَدْ أَسْلَمْتُ ٱلصَّبِيَّ إِلَى أَخْوَالِي . وَعَرَّفْتُهُمْ خَفِيَّ أَحْوَالِي . وَأَطْلَعْتُهُمْ عَلَى مَكَانِ مَالِهِ وَأَمْوَالِي . ثُمَّ ٱقْتَحَمْتُ هَاجِرَاتِ ٱلْحَرِّ . وَوَفَيْتُ وَفَاءَ ٱلْحُرِّ ٱلْأَغَرِّ . فَعَجِبَ ٱلنَّاسُ مِنْ صِدْقِهِ وَوَفَائِهِ . وَإِقْدَامِهِ عَلَى ٱلْمَوْتِ وَٱجْتِرَائِهِ . فَقَالَ : مَنْ غَدَرَ . لَمْ يَعْفُ عَنْهُ مَنْ قَدَرَ . وَمَنْ وَفَى . رَحِمَهُ ٱلطَّالِبُ وَعَفَا . وَتَحَقَّقْتُ أَنَّ ٱلْمَوْتَ إِذَا حَضَرَ لَمْ يُنْجِ مِنْهُ ٱحْتِرَاسٌ . وَبَادَرْتُ كَيْ لَا يُقَالَ ذَهَبَ ٱلْوَفَاءُ مِنَ ٱلنَّاسِ . فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : وَٱللهِ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ ضَمِنْتُ هٰذَا ٱلْغُلَامَ وَلَمْ أَعْرِفْهُ مِنْ أَيِّ قَوْمٍ . وَلَا رَأَيْتُهُ قَبْلَ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ . وَلٰكِنَّهُ نَظَرَ إِلَى مَنْ حَضَرَ فَقَصَدَنِي . وَقَالَ : هٰذَا يَضْمَنُنِي . فَلَمْ أَسْتَحْسِنْ رَدَّهُ . وَأَبَتِ ٱلْمُرُوءَةُ أَنْ تُخَيِّبَ قَصْدَهُ . إِذْ لَيْسَ فِي إِجَابَةِ ٱلْقَصْدِ مِنْ بَاسٍ . كَيْ لَا يُقَالَ : ذَهَبَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱلنَّاسِ . فَقَالَ ٱلشَّابَّانِ عِنْدَ ذٰلِكَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . قَدْ وَهَبْنَا لِهٰذَا ٱلْغُلَامِ دَمَ أَبِينَا . فَلْتُبْدَلْ وَحْشَتُهُ بِإِينَاسٍ . كَيْ لَا يُقَالَ : ذَهَبَ ٱلْمَعْرُوفُ مِنَ ٱلنَّاسِ . فَٱسْتَبْشَرَ ٱلْإِمَامُ . بِٱلْعَفْوِ عَنِ ٱلْغُلَامِ . وَعَجِبَ مِنْ صِدْقِهِ وَوَفَائِهِ . وَٱسْتَغْزَرَ مُرُوءَةَ أَبِي ذَرٍّ دُونَ جُلَسَائِهِ . وَٱسْتَحْسَنَ ٱعْتِمَادَ ٱلشَّابَّيْنِ فِي ٱصْطِنَاعِ ٱلْمَعْرُوفِ

وَأَثْنَى عَلَيْهِمَا أَحسَنَ ثَنَاءٍ وَتَمَثَّلَ بِهٰذَا ٱلْبَيْتِ :

مَنْ يَصْنَعِ ٱلْخَيْرَ لَمْ يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ ٱلْعُرْفُ بَيْنَ ٱللهِ وَٱلنَّاسِ

ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِمَا أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَصْرِفَ لَهُمَا مِنْ بَيْتِ ٱلْمَالِ دِيَةَ أَبِيهِمَا . فَقَالَا : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا عَفَوْنَا عَنْهُ ٱبْتِغَاءَ لِوَجْهِ ٱللهِ . وَمَنْ نِيَّتُهُ كَذَا . لَا يُتْبِعُ إِحْسَانَهُ مَنًّا وَلَا أَذًى . قَالَ ٱلرَّاوِي : فَٱعْتَدَدْتُهَا مِنْ أَنْفَسِ ٱلْعَجَائِبِ . وَأَثْبَتُّهَا فِي دِيوَانِ ٱلْغَرَائِبِ (للاتليدي)

جحدر والسبع

٣١١ قِيلَ إِنَّ جَحْدَرَ بْنَ رَبِيعَةَ كَانَ بَطَلًا شُجَاعًا فَاتِكًا شَاعِرًا بَلِيغًا. فَغَزَا أَهْلَ ٱلْيَمَامَةِ وَأَبَادَهُمْ فَبَلَغَ ذٰلِكَ ٱلْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ . فَكَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ يُوَبِّخُهُ بِتَغَلُّبِ جَحْدَرٍ وَيَأْمُرُهُ بِٱلتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَقْتُلَهُ أَوْ يَحْمِلَهُ إِلَيْهِ أَسِيرًا . فَوَجَّهَ ٱلْعَامِلُ إِلَيْهِ فِتْيَةً مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ وَجَعَلَ لَهُمُ ٱلْجَعَائِلَ ٱلْعَظِيمَةَ إِنْ هُمْ قَتَلُوا جَحْدَرًا أَوْ أَتَوْا بِهِ أَسِيرًا . فَتَوَجَّهَ ٱلْفِتْيَةُ إِلَى طَلَبِهِ فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ مَكَانِهِ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ ٱلِٱنْقِطَاعَ إِلَيْهِ وَٱلْقِيَامَ بِخِدْمَتِهِ . فَوَثِقَ بِذٰلِكَ مِنْهُمْ وَسَكَنَ إِلَى قَوْلِهِمْ. فَبَيْنَمَا هُوَ مَعَهُمْ يَوْمًا إِذْ وَثَبُوا إِلَيْهِ فَشَدُّوهُ وَثَاقًا وَقَدِمُوا بِهِ إِلَى ٱلْعَامِلِ . فَوَجَّهَهُ مَعَهُمْ إِلَى ٱلْحَجَّاجِ . فَلَمَّا قَدِمُوا بِهِ عَلَيْهِ مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ . قَالَ لَهُ : أَنْتَ جَحْدَرٌ . قَالَ : نَعَمْ أَصْلَحَ ٱللهُ ٱلْأَمِيرَ . قَالَ : مَا جَرَّأَكَ عَلَى مَا بَلَغَنِي عَنْكَ . قَالَ : أَصْلَحَ ٱللهُ ٱلْأَمِيرَ . كَلَبُ ٱلزَّمَانِ . وَجَفْوَةُ ٱلسُّلْطَانِ . وَجَرَاءَةُ ٱلْجَنَانِ . قَالَ : وَمَا بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ . قَالَ : لَوِ ٱبْتَلَانِي ٱلْأَمِيرُ

وَجعلني مع ٱلفُرْسانِ لرأى مِنّي ما يُعْجِبُهُ . قَالَ ٱلرَّاوِي : فَتَعَجَّبَ ٱلحَجَّاجُ مِن ثَباتِ عقْلِهِ ومنطقِهِ . ثُمَّ قالَ : يا جَحْدَرُ إنّي قاذفٌ بكَ فِي حفائرَ بِها أَسدٌ عظِيمٌ . فإنْ قتلَكَ كفانا مؤنتكَ . وإنْ قتلتهُ عفونا عنكَ . قالَ : أَصلحَ ٱللهُ ٱلأَمِيرَ قربَ ٱلفرجُ إنْ شاءَ ٱللهُ تعالى . فأَمَرَ بِهِ فصفّدُوهُ بالحديدِ ثُمَّ كتبَ لِعامِلِهِ أَنْ يرتادَ لهُ أَسدًا عظِيمًا ويحملهُ إِلَيْهِ . فارتادَ لهُ ٱلعامِلُ أسدًا كرِيهَ ٱلمنظرِ كاشِرًا خبيثًا قدْ أفنى عامّةَ ٱلمواشِي . وأمرَ بأنْ يصيرَ فِي قفصِ حديدٍ ويُسحبَ ٱلقفصُ على عجلٍ . فلمّا قدمَ بِهِ على ٱلعجلِ إلى ٱلحجّاجِ أمرَ بِهِ فأُلقِيَ فِي ٱلحفائرِ ولمْ يُطعَمْ شيئًا ثلاثةَ أيّامٍ حتّى جاعَ وٱستكلبَ . ثُمَّ أمرَ بجحدرٍ أنْ ينزلُوهُ إليهِ فأَعطوهُ سيفًا وأنزلُوهُ إليهِ مُقيّدًا وأشرفَ ٱلحجّاجُ عليهِ وٱلنّاسُ حولهُ ينظرُونَ إلى ٱلأَسدِ ما هُوَ صانعٌ بجحدرٍ . فلمّا نظرَ ٱلأَسدُ إلى جحدرٍ نهضَ ووثبَ وتمطّى وزأرَ زئيرًا دوى مِنهُ ٱلجبالُ وٱرتاعتْ مِنهُ أهلُ ٱلأَرضِ . فشدَّ عليهِ جحدرٌ وهوَ يقولُ :

لَيْثٌ وَلَيْثٌ فِي مجالٍ ضنْكِ كِلاهُما ذُو قُوَّةٍ وَسفْكِ
وَصولَةٍ وبطْشَةٍ وفتْكِ . إنْ يكشفِ ٱللهُ قِناعَ ٱلشَّكِّ
فأَنتَ لِي فِي قبضَتِي وملْكِي

ثُمَّ دنا مِنهُ وضربهُ بسيفِهِ ففلقَ هامتهُ . فكبَّرَ ٱلنّاسُ وأُعجِبَ ٱلحجّاجُ وقالَ : للهِ درُّكَ ما أَنجدَكَ . ثُمَّ أمرَ بِهِ فأُخرِجَ مِنَ ٱلحفائرِ وفُكَّ وِثاقُهُ وقيدُهُ . وقالَ لهُ : ٱخترْ إمّا أنْ تُقِيمَ عِندنا فنكرمَكَ ونُقرِّبَ

مُنْزِلَتَكَ . وَإِمَّا أَنْ نَأْذَنَ لَكَ فَتَلْحَقَ بِبِلَادِكَ وَنَشْرِطَ عَلَيْكَ أَنْ لَا تُحْدِثَ مُنْكَرًا وَلَا تُؤْذِيَ أَحَدًا . قَالَ : بَلْ أَخْتَارُ صُحْبَتَكَ أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ . فَجَعَلَهُ مِنْ سُمَّارِهِ وَخَوَاصِّهِ . ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ وَلَّاهُ عَلَى ٱلْيَمَامَةِ وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ

عصيان ابرهيم بن المهديّ على امير المؤمنين المأمون وما جرى لهُ في اختفائهِ

٣١٢ حَكَى ٱلْوَاقِدِيُّ قَالَ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ ٱلْمَهْدِيِّ أَخَا هَارُونَ ٱلرَّشِيدِ لَمَّا آلَ أَمْرُ ٱلْخِلَافَةِ إِلَى ٱلْمَأْمُونِ ٱبْنِ أَخِيهِ هَارُونَ ٱلرَّشِيدِ لَمْ يُبَايِعْهُ بَلْ ذَهَبَ إِلَى ٱلرَّيِّ وَٱدَّعَى فِيهَا ٱلْخِلَافَةَ لِنَفْسِهِ . وَأَقَامَ مَالِكَهَا سَنَةً وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا وَٱثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا وَٱبْنُ أَخِيهِ ٱلْمَأْمُونُ يَتَوَقَّعُ مِنْهُ ٱلِٱنْقِيَادَ إِلَى ٱلطَّاعَةِ وَٱلِٱنْتِظَامَ فِي سِلْكِ ٱلْجَمَاعَةِ حَتَّى يَئِسَ مِنْ عَوْدِهِ . فَرَكِبَ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ وَذَهَبَ إِلَى ٱلرَّيِّ وَحَاصَرَ ٱلْمَدِينَةَ وَٱفْتَتَحَهَا وَدَخَلَهَا . قَالَ إِبْرٰهِيمُ عَنْ نَفْسِهِ : فَخِفْتُ عَلَى دَمِي وَخَرَجْتُ مُسْرِعًا مِنْ دَارِي عِنْدَ ٱلظُّهْرِ وَأَنَا لَا أَدْرِي إِلَى أَيْنَ أَتَوَجَّهُ . وَكَانَ ٱلْمَأْمُونُ قَدْ جَعَلَ لِمَنْ أَتَاهُ بِي مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . وَفِيمَا كُنْتُ سَائِرًا فِي ٱلطَّرِيقِ إِذَا أَنَا بِزُقَاقٍ فَمَشَيْتُ فِيهِ فَوَجَدْتُهُ غَيْرَ نَافِذٍ . فَقُلْتُ : إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ إِنْ رَجَعْتُ عَلَى أَثَرِي يُرْتَابُ فِي أَمْرِي وَٱلشَّارِعُ غَيْرُ نَافِذٍ فَمَا ٱلْحِيلَةُ . ثُمَّ نَظَرْتُ فَرَأَيْتُ فِي صَدْرِ ٱلشَّارِعِ عَبْدًا أَسْوَدَ قَائِمًا عَلَى بَابِ دَارٍ . فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : هَلْ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ أُقِيمُ بِهِ سَاعَةً مِنَ ٱلنَّهَارِ . فَقَالَ : نَعَمْ وَفَتَحَ ٱلْبَابَ . فَدَخَلْتُ إِلَى بَيْتٍ نَظِيفٍ

فِيهِ حصِيرٌ وَبِسَاطٌ وَوُسُدٌ نَظِيفَةٌ مِنْ جُلُودٍ . ثُمَّ إِنَّ ٱلْأَسْوَدَ أَغْلَقَ عَلَيَّ ٱلْبَابَ وَمَضَى . فَتَوَهَّمْتُ أَنَّهُ سَمِعَ بِجَعَالَةِ ٱلْمَأْمُونِ لِلَّذِي يَأْتِيهِ بِي وَطَمِعَ بِٱلرِّبْحِ وَخَرَجَ يَدُلُّ عَلَيَّ فَبَقِيتُ أَتَقَلَّى عَلَى جَمْرِ ٱلْغَضَا . فَبَيْنَمَا كُنْتُ أُفَكِّرُ فِي ذٰلِكَ إِذْ أَقْبَلَ وَمَعَهُ حَمَّالٌ حَامِلٌ كُلَّ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ خُبْزٍ وَلَحْمٍ وَقِدْرًا جَدِيدَةً وَجَرَّةً نَظِيفَةً وَكِيزَانًا جُدُدًا فَحَطَّهَا عَنِ ٱلْحَمَّالِ وَقَالَ لَهُ : ٱمْضِ بِخَيْرٍ . فَخَرَجَ وَأَقْفَلَ وَرَاءَهُ بَابَ ٱلدَّارِ وَجَاءَ إِلَيَّ وَقَالَ لِي : جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا مَوْلَايَ إِنِّي رَجُلٌ حَجَّامٌ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ تَتَقَذَّرُ مِنِّي لِمَا أَتَوَلَّاهُ مِنْ مَعِيشَتِي . فَشَأْنَكَ أَنْتَ بِمَا لَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ يَدِي . قَالَ إِبْرٰهِيمُ : وَكُنْتُ شَدِيدَ ٱلْجُوعِ وَلِي حَاجَةٌ عَظِيمَةٌ إِلَى ٱلطَّعَامِ فَطَبَخْتُ لِنَفْسِي قِدْرًا لَمْ أَدْرِ فِي عُمْرِي أَنِّي أَكَلْتُ أَلَذَّ مِنْهَا . فَلَمَّا قَضَيْتُ أَرَبِي مِنَ ٱلطَّعَامِ قَالَ لِيَ ٱلْأَسْوَدُ : هَلْ لَكَ يَا مَوْلَايَ فِي شَرَابٍ فَإِنَّهُ يَنْفِي ٱلْهَمَّ وَيَدْفَعُ ٱلْغَمَّ . فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَكْرَهُ ذٰلِكَ رَغْبَةً فِي مُؤَانَسَتِكَ . فَمَضَى وَجَاءَنِي بِقَدَحٍ وَبِدَسْتٍ مَلْآنَ شَرَابًا مُطَيَّبًا وَقَالَ لِي : رَوِّقْ لِنَفْسِكَ مَخَافَةَ أَنْ تَتَقَزَّزَ مِنِّي . فَنَظَرْتُ فِي ٱلدَّسْتِ فَرَأَيْتُ شَرَابًا فِي غَايَةِ ٱلْجُودَةِ فَرَوَّقْتُ مِنْهُ . ثُمَّ أَتَانِي بِفَاكِهَةٍ وَأَبْقَالٍ مُخْتَلِفَةٍ . وَبَعْدَهُ قَالَ لِي : يَا مَوْلَايَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَقْعُدَ فِي نَاحِيَةٍ أَمَامَكَ وَآتِيَ بِشَرَابٍ لِي فَأَشْرَبَهُ سُرُورًا بِكَ . فَقُلْتُ لَهُ : ٱفْعَلْ فَشَرِبَ وَشَرِبْتُ . ثُمَّ دَخَلَ إِلَى خِزَانَةٍ لَهُ فَأَخْرَجَ مِنْهَا عُودًا وَقَالَ لِي : لَيْسَ مِنْ قَدْرِي أَنْ أَسْأَلَكَ فِي ٱلْغِنَاءِ وَلٰكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنَّ

عَبْدَكَ يُغَنِّي فَلَكَ عُلُوُّ ٱلرَّأْيِ. فَقُلْتُ لَهُ: وَمِنْ أَيْنَ لَكَ أَنِّي أُحْسِنُ ٱلْغِنَاءَ. فَقَالَ: يَا سُبْحَانَ ٱللهِ. مَوْلَايَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يَخْفَى أَلَسْتَ أَنْتَ سَيِّدِي إِبْرٰهِيمَ بْنَ ٱلْمَهْدِيِّ خَلِيفَتَنَا فِي ٱلْأَمْسِ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلْمَأْمُونُ لِمَنْ دَلَّهُ عَلَيْكَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَلَمَّا سَمِعْتُ ذٰلِكَ عَظُمَ ٱلرَّجُلُ فِي عَيْنِيَّ وَثَبَتَتْ مُرُوءَتُهُ عِنْدِي. فَتَنَاوَلْتُ ٱلْعُودَ وَأَصْلَحْتُهُ وَقَدْ مَرَّ بِخَاطِرِي فِرَاقُ أَهْلِي وَوَلَدِي وَوَطَنِي فَغَنَّيْتُ:

وَعَسَى ٱلَّذِي أَهْدَى لِيُوسُفَ أَهْلَهُ ... وَأَعَزَّهُ فِي ٱلسِّجْنِ وَهُوَ أَسِيرُ
أَنْ يَسْتَجِيبَ لَنَا وَيَجْمَعَ شَمْلَنَا ... وَٱللهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ قَدِيرُ

فَٱسْتَوْلَى عَلَيْهِ ٱلطَّرَبُ ٱلْمُفْرِطُ وَطَابَ خَاطِرُهُ وَقَالَ لِي: يَا سَيِّدِي وَمَوْلَايَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُغَنِّيَ مَا سَنَحَ بِخَاطِرِي وَإِنْ كُنْتُ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ ٱلصِّنَاعَةِ. فَقُلْتُ: وَهٰذَا مِنْ زِيَادَةِ أَدَبِكَ وَمُرُوءَتِكَ. فَأَخَذَ ٱلْعُودَ وَأَنْشَدَ:

شَكَوْنَا إِلَى أَحْبَابِنَا طُولَ لَيْلِنَا ... فَقَالُوا لَنَا مَا أَقْصَرَ ٱللَّيْلَ عِنْدَنَا
وَذَاكَ لِأَنَّ ٱلنَّوْمَ يَغْشَى عُيُونَهُمْ ... سَرِيعًا وَلَا يَغْشَى لَنَا ٱلنَّوْمُ أَعْيُنَا
فَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُلَاقُونَ مِثْلَمَا ... نُلَاقِي لَكَانُوا فِي ٱلْمَضَاجِعِ مِثْلَنَا

قَالَ إِبْرٰهِيمُ فَدَاخَلَنِي مِنَ ٱلطَّرَبِ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ وَأَذْهَبَ مِنِّي كُلَّ مَا كَانَ بِي مِنَ ٱلْهَلَعِ فَقُلْتُ لَهُ: لَقَدْ أَحْسَنْتَ كُلَّ ٱلْإِحْسَانِ وَأَذْهَبْتَ عَنِّي أَلَمَ ٱلْأَحْزَانِ. فَزِدْنِي مِنْ هٰذِهِ ٱلنُّزْهَاتِ فَأَنْشَدَ لِلسَّمَوْءَلِ:

تُعَيِّرُنَا أَنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا ... فَقُلْنَا لَهَا إِنَّ ٱلْكِرَامَ قَلِيلُ

قَالَ إِبْرٰهِيمُ : فَاشْتَدَّ عَلَيَّ الطَّرَبُ وَنِمْتُ وَلَمْ أَسْتَيْقِظْ إِلَّا بَعْدَ الْعِشَاءِ . فَعَاوَدَنِي فِكْرِي فِي نَفَاسَةِ هٰذَا الْحَجَّامِ وَحُسْنِ أَدَبِهِ . فَقُمْتُ ثُمَّ أَخَذْتُ خَرِيطَةً كَانَتْ صُحْبَتِي فِيهَا دَنَانِيرُ لَهَا قِيمَةٌ . فَرَمَيْتُ بِهَا إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : أَسْتَوْدِعُكَ اللّٰهَ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَتَصَرَّفَ فِي هٰذَا وَلَكَ عِنْدِي الْمَزِيدُ إِنْ أَمِنْتُ مِنْ خَوْفِي . فَأَبَى أَخْذَهَا وَأَعَادَهَا عَلَيَّ بِعِزَّةٍ وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ إِنَّ الصَّعَالِيكَ مِنَّا لَا قَدْرَ لَهُمْ عِنْدَكُمْ . أَآخُذُ عَلَى مَا وَهَبَنِيهِ الزَّمَانُ . قُرْبَكَ وَحُلُولَكَ فِي مَنْزِلِي غِنًى . وَاللّٰهِ لَئِنْ رَاجَعْتَنِي بِهَا لَأَقْتُلَنَّ نَفْسِي . فَأَعَدْتُ الْخَرِيطَةَ إِلَى كُمِّي وَقَدْ أَثْقَلَنِي حَمْلُهَا وَانْصَرَفْتُ . وَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى بَابِ دَارِهِ قَالَ لِي : يَا سَيِّدِي إِنَّ هٰذَا الْمَكَانَ أَخْفَى لَكَ مِنْ غَيْرِهِ وَلَيْسَ عَلَيَّ فِي مَؤُونَتِكَ ثِقْلٌ فَأَقِمْ عِنْدِي إِلَى أَنْ يُفَرِّجَ اللّٰهُ عَنْكَ . فَقُلْتُ لَهُ : بِشَرْطِ أَنْ تُنْفِقَ مِمَّا فِي هٰذِهِ الْخَرِيطَةِ . فَأَوْهَمَنِي الرِّضَا بِذٰلِكَ الشَّرْطِ . فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ أَيَّامًا عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فِي أَلَذِّ عَيْشٍ وَهُوَ لَمْ يَصْرِفْ مِنَ الْخَرِيطَةِ شَيْئًا . فَتَذَمَّمْتُ مِنَ الْإِقَامَةِ فِي بَيْتِهِ وَاحْتَشَمْتُ مِنَ التَّثْقِيلِ عَلَيْهِ . فَتَزَيَّيْتُ بِزِيِّ النِّسَاءِ بِالْخُفِّ وَالنِّقَابِ وَوَدَّعْتُهُ وَخَرَجْتُ . فَلَمَّا صِرْتُ فِي الطَّرِيقِ دَاخَلَنِي مِنَ الْخَوْفِ أَمْرٌ شَدِيدٌ وَجِئْتُ لِأَعْبُرَ الْجِسْرَ وَإِذَا بِمَوْضِعٍ مَرْشُوشٍ فَنَظَرَنِي جُنْدِيٌّ مِمَّنْ كَانَ يَخْدِمُنِي فَصَاحَ وَقَالَ : هٰذَا حَاجَةُ الْمَأْمُونِ . ثُمَّ تَعَلَّقَ بِي فَمِنْ حَلَاوَةِ الرُّوحِ دَفَعْتُهُ هُوَ وَفَرَسَهُ فَوَقَعَا فِي ذٰلِكَ الْمَزْلَقِ فَصَارَ عِبْرَةً . وَتَبَادَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَاجْتَهَدْتُ

أَنَا فِي ٱلْمَشْيِ حَتَّى قَطَعْتُ ٱلْجِسْرَ فَدَخَلْتُ شَارِعًا فَوَجَدْتُ بَابَ دَارٍ وَٱمْرَأَةً وَاقِفَةً فِي ٱلدِّهْلِيزِ . فَقُلْتُ لَهَا : يَا سَيِّدَةَ ٱلنِّسَاءِ ٱحْقِنِي دَمِي فَإِنِّي رَجُلٌ خَائِفٌ . فَقَالَتْ لِي : عَلَى ٱلرُّحْبِ وَٱلسَّعَةِ . وَأَطْلَعَتْنِي إِلَى غُرْفَةٍ وَفَرَشَتْ لِي فِرَاشًا وَقَدَّمَتْ لِي طَعَامًا وَقَالَتْ : هَدِّئْ رَوْعَكَ فَمَا عَلِمَ بِكَ مَخْلُوقٌ . فَبَيْنَمَا هِيَ كَذٰلِكَ إِذَا بِٱلْبَابِ يُطْرَقُ طَرْقًا عَنِيفًا . فَخَرَجَتْ وَفَتَحَتِ ٱلْبَابَ وَإِذَا بِصَاحِبِي ٱلَّذِي دَفَعْتُهُ عَلَى ٱلْجِسْرِ وَهُوَ مَشْدُوخُ ٱلرَّأْسِ وَدَمُهُ يَسِيلُ عَلَى ثِيَابِهِ وَلَيْسَ مَعَهُ فَرَسٌ . فَقَالَتْ لَهُ : يَا هٰذَا مَا دَهَاكَ . فَقَالَ : إِنِّي ظَفِرْتُ بِٱلْغَنِيِّ وَٱنْفَلَتَ مِنِّي . وَأَخْبَرَهَا بِمَا جَرَى لَهُ . فَأَخْرَجَتْ لَهُ عِصَابًا وَعَصَّبَتْ رَأْسَهُ وَفَرَشَتْ لَهُ فَنَامَ عَلِيلًا . ثُمَّ إِنَّهَا طَلَعَتْ إِلَيَّ وَقَالَتْ : أَظُنُّكَ أَنْتَ صَاحِبَ ٱلْقَضِيَّةِ . فَقُلْتُ لَهَا : نَعَمْ . فَقَالَتْ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ وَلَا تَخَفْ . ثُمَّ جَدَّدَتْ لِيَ ٱلْكَرَامَةَ فَأَقَمْتُ عِنْدَهَا ثَلَاثًا . ثُمَّ قَالَتْ لِي : إِنِّي خَائِفَةٌ عَلَيْكَ مِنْ هٰذَا ٱلرَّجُلِ (وَعَنَتْ زَوْجَهَا) لِئَلَّا يَطَّلِعَ عَلَيْكَ فَيَنِمَّ بِكَ . فَٱلْأَوْلَى بِكَ أَنْ تَنْجُوَ بِنَفْسِكَ فِي خَيْرٍ . فَسَأَلْتُهَا ٱلْمُهْلَةَ إِلَى ٱللَّيْلِ . فَقَالَتْ : لَا بَأْسَ بِذٰلِكَ . فَلَمَّا جَنَّ ٱللَّيْلُ لَبِسْتُ زِيَّ ٱلنِّسَاءِ وَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهَا وَأَتَيْتُ إِلَى بَيْتِ جَارِيَةٍ لِي . فَلَمَّا رَأَتْنِي بَكَتْ وَتَوَجَّعَتْ وَحَمِدَتِ ٱللّٰهَ عَلَى سَلَامَتِي وَخَرَجَتْ وَهِيَ تُوهِمُنِي أَنَّهَا تُرِيدُ ٱلسُّوقَ لِلِٱهْتِمَامِ بِٱلضِّيَافَةِ وَظَنَنْتُ بِهَا خَيْرًا . فَمَا شَعَرْتُ إِلَّا بِإِبْرٰهِيمَ ٱلْمَوْصِلِيِّ قَدْ أَقْبَلَ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ وَٱلْجَارِيَةُ مَعَهُ . فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ فَرَأَيْتُ ٱلْمَوْتَ

عِيَانًا. فَحَمَلُونِي بِالزِّيِّ الَّذِي أَنَا فِيهِ إِلَى الْمَأْمُونِ. فَعَقَدَ مَجْلِسًا عَامًّا وَأَدْخَلَنِي إِلَيْهِ فَلَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ. فَقَالَ: لَا سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَلَا حَيَّاكَ وَلَا رَعَاكَ. فَقُلْتُ لَهُ: مَهْلًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ وَلِيَّ الثَّارِ مُحَكَّمٌ بِالْقِصَاصِ وَلَكِنَّ الْعَفْوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى. وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ فَوْقَ كُلِّ عَفْوٍ كَمَا جَعَلَ ذَنْبِي فَوْقَ كُلِّ ذَنْبٍ. فَإِنْ تَقْتُلْ فَبِعَدْلِكَ وَإِنْ تَعْفُ فَمِنْ فَضْلِكَ. ثُمَّ أَنْشَدْتُ:

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ
فَخُذْ بِحَقِّكَ أَوْ لَا فَاصْفَحْ بِحِلْمِكَ عَنْهُ
إِنْ لَمْ أَكُنْ عِنْدَ فِعْلِي مِنَ الْكِرَامِ فَكُنْهُ

قَالَ: فَرَفَعَ الْمَأْمُونُ رَأْسَهُ وَنَظَرَ إِلَيَّ فَبَدَرْتُهُ قَائِلًا:

أَتَيْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا وَأَنْتَ لِلْعَفْوِ أَهْلُ
فَإِنْ عَفَوْتَ فَمَنٌّ وَإِنْ قَتَلْتَ فَعَدْلُ

فَرَقَّ لِي الْمَأْمُونُ فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ قَدْ هَشَّ وَاسْتَرْوَحْتُ رَوَائِحَ الرَّحْمَةِ مِنْ شَمَائِلِهِ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْعَبَّاسِ وَأَخِيهِ أَبِي إِسْحَاقَ وَجَمِيعِ مَنْ حَضَرَ مِنْ خَاصَّتِهِ وَقَالَ لَهُمْ: مَاذَا تَرَوْنَ فِي أَمْرِهِ فَكُلٌّ أَشَارَ بِقَتْلِي إِلَّا أَنَّهُمُ اخْتَلَفُوا فِي الْقِتْلَةِ. فَقَالَ الْمَأْمُونُ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ: مَا تَقُولُ يَا أَحْمَدُ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ قَتَلْتَهُ فَقَدْ وَجَدْنَا مِثْلَكَ قَدْ قَتَلَ مِثْلَهُ. وَإِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ لَمْ نَجِدْ مِثْلَكَ قَدْ عَفَا عَنْ مِثْلِهِ. فَنَكَّسَ الْمَأْمُونُ رَأْسَهُ مُطْرِقًا إِلَى الْأَرْضِ سَاعَةً. ثُمَّ رَفَعَهُ وَأَنْشَدَ:

قَوْمِي هُمُ قَتَلُوا أُمَيمَ أَخِي ... فإذا رَمَيتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي

(قال) فكشفتُ عِنْدَ ذٰلِكَ الْمِقْنَعَةَ عن رأسي وَكَبَّرتُ تكبيرةً عظيمةً فَرَحًا وقُلْتُ: عفا وَاللهِ أميرُ الْمُؤْمِنِينَ. فقالَ الْمَأْمُونُ: لا بَأْسَ عَلَيكَ يا عمَّاه. فقُلْتُ: يا أميرَ الْمُؤْمِنِينَ ذَنْبِي أَعظمُ مِنْ أَنْ أتفوهَ معهُ بعُذْرٍ وَعفوكَ أَعظمُ مِنْ انْ أَنطقَ معهُ بِشُكْرٍ ولَكِنّي أقولُ:

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْمَكَارِمَ حَازَهَا ... فِي صُلْبِ آدَمَ لِلإمَامِ السَّابِعِ

مُلِئَتْ قُلُوبُ النَّاسِ مِنْكَ مَهَابَةً ... وَتَظَلُّ تَكْلَأُهُمْ بِقَلْبٍ خَاشِعِ

فَعَفَوْتَ عَمَّنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ مِثْلِهِ ... عَفْوٌ وَلَمْ يُشْفَعْ إِلَيْكَ بِشَافِعِ

وَرَحِمْتَ أَطْفَالًا كَأَفْرَاخِ الْقَطَا ... وَحَنِينَ وَالِدَةٍ بِقَلْبٍ جَازِعِ

فَقَالَ الْمَأْمُونُ: لا تَثْرِيبَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ. وقَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ وَرَدَدتُ عَلَيْكَ مَالَكَ وَضِيَاعَكَ بِأَجْمَعِهَا. فَقَبَّلْتُ الأَرْضَ وَأَنْشَدتُ:

رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تَبْخَلْ عَلَيَّ بِهِ ... وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَنْتَ دَمِي

تَأَيَّتُ مِنْكَ وَقَدْ خَوَّلْتَنِي نِعَمًا ... هُمَا الْحَيَاتَانِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ عَدَمِ

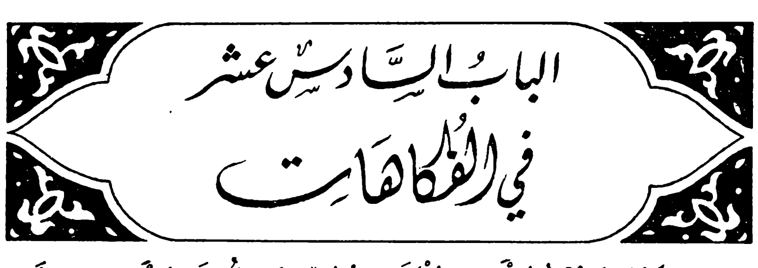
فَلَوْ بَذَلْتُ دَمِي أَبْغِي رِضَاكَ بِهِ ... وَالْمَالَ حَتَّى أَسُلَّ النَّعْلَ مِنْ قَدَمِي

مَا كَانَ ذَاكَ سِوَى عَارِيَةٍ رَجَعَتْ ... إِلَيْكَ لَوْ لَمْ تُعِرْهَا كُنْتَ لَمْ تُلَمِ

فَإِنْ جَحَدتُّكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ ... إِنِّي إِلَى اللُّؤْمِ أَوْلَى مِنْكَ بِالْكَرَمِ

فقَالَ الْمَأْمُونُ: إِنَّ مِنَ الْكَلَامِ لَدُرًّا وَهٰذَا مِنْهُ. ثُمَّ خَلَعَ عَلَيَّ وَقَالَ لِي: يا عَمُّ إِنَّ أَبَا إِسْحَاقَ أَخِي وَالْعَبَّاسَ أَشَارَا عَلَيَّ بِقَتْلِكَ. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمَا نَصَحَاكَ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ. فَقَالَ

ٱلْمَأْمُونُ : يَا عَمِّ لَقَدْ أَمَتَّ حِقْدِي بِحَيَاةِ عُذْرِكَ . وَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ وَلَمْ أُجَرِّعْكَ مَرَارَةَ ٱمْتِنَانِ ٱلشَّافِعِينَ . ثُمَّ إِنَّ ٱلْمَأْمُونَ سَجَدَ وَقَبَّلَ ٱلْأَرْضَ وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ لِي : يَا عَمِّ أَتَدْرِي لِمَاذَا سَجَدْتُ وَقَبَّلْتُ ٱلْأَرْضَ . فَقُلْتُ : نَعَمْ أَظُنُّهُ شُكْرًا لِلهِ تَعَالَى ٱلَّذِي أَظْفَرَكَ بِعَدُوِّ دَوْلَتِكَ . فَقَالَ : مَا أَرَدْتُ هٰذَا وَلٰكِنْ شُكْرًا لِلهِ تَعَالَى ٱلَّذِي أَلْهَمَنِي ٱلْعَفْوَ عَنْكَ فَحَدِّثْنِي ٱلْآنَ حَدِيثَكَ فِي ٱخْتِفَائِكَ . فَشَرَحْتُ لَهُ صُورَةَ أَمْرِي مَعَ ٱلْحَجَّامِ وَٱلْجُنْدِيِّ وَٱمْرَأَتِهِ وَمَا جَرَى لِي مَعَ جَارِيَتِي . فَأَمَرَ ٱلْمَأْمُونُ بِإِحْضَارِ ٱلْجَمِيعِ . فَدَعَا جَارِيَتِي وَكَانَتْ مُنْتَظِرَةً لِلْجَائِزَةِ . فَقَالَ لَهَا : مَا حَمَلَكِ عَلَى مَا فَعَلْتِ بِسَيِّدِكِ . فَقَالَتِ : ٱلرَّغْبَةُ فِي ٱلْمَالِ . فَقَالَ لَهَا ٱلْمَأْمُونُ : أَلَكِ وَلَدٌ أَوْ زَوْجٌ . فَقَالَتْ : لَا . فَأَمَرَ بِضَرْبِهَا مِائَةَ سَوْطٍ وَخَلَّدَ سِجْنَهَا . ثُمَّ أَحْضَرَ ٱلْجُنْدِيَّ وَٱمْرَأَتَهُ وَٱلْحَجَّامَ . فَسَأَلَ ٱلْجُنْدِيَّ مَا حَمَلَهُ عَلَى مَا فَعَلَ . فَقَالَ : ٱلرَّغْبَةُ فِي ٱلْمَالِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْمَأْمُونُ : أَنْتَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ حَجَّامًا لِتَتَعَلَّمَ ٱلْحِجَامَةَ . ثُمَّ طَرَدَهُ مِنَ ٱلْجُنْدِيَّةِ وَأَكْرَمَ زَوْجَتَهُ وَأَمَرَ فَأَدْخَلُوهَا قَصْرَهُ وَقَالَ : هٰذِهِ ٱمْرَأَةٌ عَاقِلَةٌ تَصْلُحُ لِلْمُهِمَّاتِ . ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِلَى ٱلْحَجَّامِ وَقَالَ لَهُ : لَقَدْ ظَهَرَ مِنْ مُرُوءَتِكَ مَا يُوجِبُ ٱلْمُبَالَغَةَ فِي إِكْرَامِكَ . فَسَلَّمَ إِلَيْهِ دَارَ ٱلْجُنْدِيِّ بِمَا فِيهَا وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ رِزْقَ ٱلْجُنْدِيِّ وَأَجْرَى لَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ . فَلَمْ يَزَلْ فِي تِلْكَ ٱلنِّعْمَةِ إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ ٱللهُ (حديقة الافراح لليمني)



الباب السادس عشر
في الفكاهات

٣١٣ كَتَبَ ٱبْنُ ٱلْخَازِنِ ٱلْكَاتِبُ ٱلدِّينَوَرِيُّ إِلَى ٱلْحَكِيمِ أَبِي ٱلْقَاسِمِ ٱلْأَهْوَازِيِّ وَقَدْ فَصَدَهُ وَآلَمَهُ:

رَحِمَ ٱلْإِلٰهُ مُجَدَّلِينَ سَلِيمُهُمْ ... مِنْ سَاعِدَيْكَ مُبَضَّعٌ بِمُبَضَّعِ
فَمَصَائِبٌ تَأْتِيهِمِ بِمَصَائِبٍ ... نُشِرَتْ فَتَطْوِي أَذْرُعًا فِي ٱلْأَذْرُعِ
أَفَصَدْتَهُمْ بِٱللّٰهِ أَمْ أَقْصَدْتَهُمْ ... وَخْزًا بِأَطْرَافِ ٱلرِّمَاحِ ٱلشُّرَّعِ
دَسْتُ ٱلْمَبَاضِعِ أَمْ كِنَانَةُ أَسْهُمٍ ... أَمْ ذُو ٱلْفَقَارِ مَعَ ٱلْبَطِينِ ٱلْأَنْزَعِ
غَرَرًا بِنَفْسِي إِنْ لَقِيتُكَ بَعْدَهَا ... يَا عَنْتَرَ ٱلْعَبْسِيَّ غَيْرَ مُدَرَّعِ

٣١٤ كَتَبَ بَعْضُ ٱلظُّرَفَاءِ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ يَطْلُبُ خَمْرًا:

أَشْكُو إِلَيْكَ بَرَاغِيثًا بُلِيتُ بِهَا ... سُودًا إِذَا ٱنْتَبَهُوا فِي ٱللَّيْلِ لَمْ أَنَمِ
أَصِيدُ هٰذَا فَيَبْقَى ذَا فَيَلْدَغُنِي ... فَيَنْقَضِي ٱللَّيْلُ فِي صَيْدِي وَلَدْغِهِمِ
وَقَدْ تَيَقَّنْتُ أَنِّي لَيْسَ يُنْقِذُنِي ... سِوَى ٱبْنَةِ ٱلْكَرْمِ يَا ٱبْنَ ٱلْجُودِ وَٱلْكَرَمِ
إِبْعَثْ إِلَيَّ دَمَ ٱلْعُنْقُودِ أَشْرَبُهَا ... لِكَيْ أَنَامَ وَلَا أَشْعُرْ بِسَفْكِ دَمِي

٣١٥ قَالَ ٱبْنُ ٱلذَّرْوِيِّ فِي ٱبْنِ أَبِي حُصَيْنَةَ ٱلْأَحْدَبِ:

لَا تَظُنَّنَّ حَدْبَةَ ٱلظَّهْرِ عَيْبًا ... فَهْيَ فِي ٱلْحُسْنِ مِنْ صِفَاتِ ٱلْهِلَالِ
وَكَذَاكَ ٱلْقِسِيُّ مُحْدَوْدِبَاتٌ ... وَهْيَ أَنْكَى مِنَ ٱلظُّبَا وَٱلْعَوَالِي
وَإِذَا مَا عَلَا ٱلسَّنَامُ فَفِيهِ ... لِقُرُومِ ٱلْجِمَالِ أَيُّ جَمَالِ

كَوَّنَ ٱللهُ حَدْبَةً فِيكَ إِنْ شِئْـ ... ـتَ مِنَ ٱلْفَضْلِ لَا مِنَ ٱلْإِفْضَالِ
فَأَتَتْ رُبْوَةً عَلَى طَوْدِ حِلْمٍ ... مِنْكَ أَوْ مَوْجَةً بِبَحْرِ نَوَالِ
مَا رَأَتْهَا ٱلنِّسَاءُ إِلَّا تَمَنَّتْ ... أَنَّهَا حِلْيَةٌ لِكُلِّ ٱلرِّجَالِ

٣١٦ قَالَ ٱبْنُ دَانِيَالَ فِي أَحْدَبَ يُسَمَّى حَسَّانَ:

قَسَمًا بِحُسْنِ قَوَامِكَ ٱلْفَتَّانِ ... يَا أَوْحَدَ ٱلْأُمَرَاءِ فِي ٱلْحُدْبَانِ
يَا مُشْبِهَ ٱلْغُصْنِ ٱلرَّطِيبِ إِذَا ٱنْثَنَى ... مِنْ حَدْبَةٍ فَيَمِيسُ كَٱلرَّيَّانِ
يَا مُخْجِلًا شَكْلَ ٱلزَّمَانِ بِقَدِّهِ ... حَاشَاكَ أَنْ تُعْزَى إِلَى نُقْصَانِ
مَا عَابَ قَامَتَكَ ٱلْحَسُودُ جَهَالَةً ... إِلَّا أَجَبْتَ مَقَالَةً بِبَيَانِ
هَلْ تَحْسُنُ ٱلْحَرَكَاتُ إِلَّا أَنْ يُرَى ... ذُو حَدْبَةٍ فِي حَلْبَةِ ٱلْمَيْدَانِ
لَوْلَاكَ مَا ٱشْتَقْنَا قِبَابَ ٱلْمُنْحَنَى ... مِنْ حَاجِرٍ وَٱلتَّلِّ مِنْ عُسْفَانِ
وَٱلْعُودُ أَحْدَبُ وَهُوَ يُلْهِي مُطْرِبًا ... وَلَقَدْ سَمِعْتَ بِنَغْمَةِ ٱلْعِيدَانِ
وَٱنْظُرْ سَفِينَ ٱلْبَحْرِ لَوْلَا حَدْبَةٌ ... فِي ظَهْرِهِ لَمْ يَقْوَ لِلطُّوفَانِ
وَمُدَبِّرُ ٱلْإِكْسِيرِ يُدْعَى أَحْدَبًا ... فِي عِلْمِهِ وَٱلْقِسْطُ فِي ٱلْمِيزَانِ
وَإِذَا ٱكْتَسَى ٱلْإِنْسَانُ قِيلَ تَمَثُّلًا ... بِٱلْمَدْحِ قَامَتْ حَدْبَةُ ٱلْإِنْسَانِ
يَفْدِيكَ فِي ٱلْحُدْبَانِ كُلُّ مُكَرْبَسٍ ... يَمْشِي ٱلْهُوَيْنَا مِشْيَةَ ٱلسَّرَطَانِ
مُتَجَمِّعُ ٱلْكَتِفَيْنِ أَقْوَسَ قَدْ بَدَا ... فِي هَيْئَةِ ٱلْمُتَخَوِّفِ ٱلضَّعْفَانِ

الطبيب والخليفة

٣١٧ يُحْكَى أَنَّ فَلَّاحًا حَصَلَ لَهُ شِدَّةٌ مِنْ مَرَضٍ آلَمَهُ وَأَصَابَ قَدَمَهُ فَجَاءَ إِلَى طَبِيبٍ وَشَكَا إِلَيْهِ ٱلْآلَامَ وَقَالَ: أَلَمِي فِي رِجْلِي ضَاعَفَ هَمِّي

وَأَضْعَفَ هِمَمِي . فَقَالَ لَهُ ٱلطَّبِيبُ : لَا بَأْسَ يَا حَبِيبُ هٰذَا دَاءٌ هَيِّنٌ . وَعِلَاجُهُ بَيِّنٌ . أَعْطِنِي دِينَارًا أَصِفْ لَكَ دَوَاءً شَافِيًا . فَأَعْطَاهُ مَا ٱشْتَهَى وَٱسْتَوْصَفَهُ ٱلدَّوَاءَ . فَقَالَ ضَمِّدْهُ بِمُحَّةِ بَيْضٍ كَثِيرَةِ ٱلْأَبْزَارِ . وَضَعْ عَلَيْهِ عَسَلًا مُسَخَّنًا عَلَى ٱلنَّارِ . فَفَعَلَ ذٰلِكَ فَبَرِئَتْ قَدَمُهُ . وَزَالَ بِٱلْكُلِّيَّةِ أَلَمُهُ . فَفَكَّرَ ٱلْفَلَّاحُ فِي أَمْرِ ٱلطَّبِيبِ . وَقَوْلِهِ ٱلْمُصِيبِ . فَرَأَى ٱلرَّاحَةَ . فِي تَرْكِ ٱلْفِلَاحَةِ . وَٱلِٱشْتِغَالِ بِعِلْمِ ٱلطِّبِّ فَإِنَّهُ أَمْرٌ هَيِّنٌ يَسِيرٌ . وَبِأَدْنَى أَمْرٍ حَقِيرٍ . يُحَصِّلُ ٱلْمَالَ ٱلْكَثِيرَ . فَبَاعَ آلَاتِ ٱلزِّرَاعَةِ . وَعَزَمَ عَلَى تَعَاطِي مَا فِي ٱلطِّبِّ وَٱلتَّعْبِيرِ مِنَ ٱلصِّنَاعَةِ . وَجَمَعَ كُتُبًا وَدَفَاتِرَ . وَكَرَارِيسَ مُخَرَّمَةً مَنَاثِرَ . وَوَسَّعَ أَكْمَامَهُ . وَوَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةً كَغَمَامَةٍ . وَجَمَعَ عَقَاقِيرَ وَأَوْرَاقًا وَبَسَطَ بُسْطَهُ فِي بَعْضِ ٱلْأَسْوَاقِ وَأَشَارَ عَلَى لِسَانِ مُخْبِرٍ : أَنَّ ٱلْمَكَانَ ٱلْفُلَانِيَّ فِيهِ طَبِيبٌ مُعَبِّرٌ وَهُوَ أُسْتَاذُ ٱلزَّمَانِ وَعَلَّامَةُ ٱلْأَوَانِ . وَتَلَامِذَتُهُ فِي ٱلطِّبِّ حُكَمَاءُ ٱلْيُونَانِ . وَفِي ٱلتَّعْبِيرِ ٱبْنُ سِيرِينَ وَكَرْمَانُ . وَتَصَدَّرَ كَأَبِي زَيْدٍ وَسَاسَانَ . عَامِلًا بِمَا قَالَهُ شَيْخُ ٱلْبَيَانِ وَهُوَ :

أَلطِّبُّ أَهْوَنُ عِلْمٍ يُسْتَفَادُ فَطِرْ ... بَيْنَ ٱلْأَنَامِ بِهِ طَيْرَ ٱلزَّنَابِيرِ
وَٱجْمَعْ لِذَاكَ كَرَارِيسًا مُنَثَّرَةً ... وَجُمْلَةً مِنْ حَشِيشٍ مِنْ عَقَاقِيرِ
وَضَعْ عَلَى ٱلرَّأْسِ بَقْيَارًا تُدَوِّرُهُ ... كَقُبَّةِ ٱلنَّسْرِ فِي وَزْنِ ٱلْقَنَاطِيرِ
وَٱجْمَعْ مَعَاجِينَ مِنْ رُبٍّ تُخَلِّطُهَا ... وَٱسْحَقْ سَفُوفًا وَأَكْحَالَ ٱلْعَوَاوِيرِ
وَسَمِّ مَا شِئْتَ مِنْ أَسْمَاءَ مُغْرِبَةٍ ... كَٱلسِّنْدِ وَٱلْهِنْدِ وَٱلسَّرْحَا وَخُنْفُورِ
وَقُلْ مِنَ ٱلْهِنْدِ جَا هٰذَا وَمِنْ عَدَنٍ ... هٰذَا وَهٰذَا أَتَى مِنْ مُلْكِ تَقْفُورِ

وَذَا مِنَ ٱلْبَحْرِ بَحْرِ ٱلصِّينِ مَعْدِنُهُ   وَذَا مِنَ ٱلْـبَرْبَرِ ٱلْمَدْعُو بِبَرْبُورِ
فَإِنْ رَأَيْتَ بِٱلِٱسْتِسْقَاءِ ذَا وَرَمٍ   فَقُـلْ تَوَرَّمَ مِنْ لَسْعِ ٱلزَّنَابِيرِ
إِنِ ٱقْشَعَرَّ فَقُـلْ بَرْدٌ عَرَاهُ وَإِنْ   يُحَمَّ قُلْ حَرُّهُ وَهَجُ ٱلتَّنَـانِيرِ
وَإِنْ أَتَاكَ مَرِيضٌ لَا تَخَفْ وَأَشِرْ   بِمَا تَرَى مِنْ دَوَاءٍ دُونَهُ ٱلْبُورِي
فَإِنْ يَعِشْ قُلْ دَوَائِي كَانَ مُنْعِشَهُ   وَإِنْ يَمُتْ قُلْ أَتَاهُ حُكْمُ مَقْدُورِ
فَإِنْ أَصَبْتَ فَقُلْ عِلْمِي وَمَعْرِفَتِي   وَفِي ٱلتَّخَالُفِ قُلْ ضِدُّ ٱلْمَقَادِيرِ
وَإِنْ رَأَيْتَ فَقِيهًا فِرَّ مِنْـهُ وَلَا   تَنْطِقْ يُخَطِّئْكَ فِي جَهْلٍ وَتَكْفِيرِ
وَأَنْتَ تَحْتَاجُ فِي هٰذَا وَذَاكَ إِلَى   ذَوْقٍ وَمَعْرِفَةٍ مَعْ حُسْنِ تَدْبِـيرِ

فَٱتَّفَقَ أَنَّ زِمَامَ خَلِيفَةِ ٱلْأَنَامِ . رَأَى فِي ٱلْمَنَامِ . شَيْئًا هَالَهُ . وَغَيَّرَ حَالَهُ . فَحَصَلَ لَهُ فِي رَأْسِهِ صُدَاعٌ . وَفِي فُؤَادِهِ أَوْجَاعٌ . فَسَمِعَ بِهٰذَا ٱلْمُعَبِّرِ ٱلْجَدِيدِ . وَأَنَّهُ أُسْتَاذٌ مُفِيـدٌ . فَقَالَ : مَاذَا تَشْكُو . فَقَالَ : فِي فُؤَادِي أَوْجَاعٌ . وَفِي رَأْسِي صُدَاعٌ . فَقَالَ : يَا زَيْنَ مَنْ فَاخَرَ . أَعْطِنِي دِينَـارًا آخَرَ . أَصِفْ لَكَ أَيْسَرَ دَوَاءٍ . يَحْصُـلُ لَكَ مِنْهُ ٱلْعَافِيَةُ وَٱلشِّفَاءُ . فَدَفَعَ إِلَيْهِ ٱلدِّينَارَ . وَطَلَبَ مِنْـهُ دَوَاءَ ٱلدُّوَارِ . وَمَا بِفُؤَادِهِ مِنْ أَلَمٍ . أَوْرَثَهُ ٱلْوَهَجَ وَٱلضَّرَمَ . فَقَالَ : يَا أَبَا ٱلْفَيْضِ . ضَمِّدْ رِجْلَكَ بِمُحَّةِ بَيْضٍ . مُضَافًا إِلَيْهَا عَسَلٌ مُشْتَارٌ . وَلٰكِنْ ذٰلِكَ مُسَخَّنًا بِٱلنَّارِ . فَٱسْتَشَاطَ غَضَبًا . وَفَارَ كَٱلنَّارِ شُوَاظًا وَلَهَبًا . وَعَرَفَ أَنَّهُ جَاهِلٌ . وَعَنْ طُرُقِ ٱلْعِلْمِ غَافِلٌ . فَأَدَّبَهُ ٱلتَّأْدِيبَ ٱلْبَالِغَ . وَرَدَّهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مُنَادَمَةِ ٱلسَّالِغِ . وَٱسْتَمَرَّ عَلَى كَلَاحَتِهِ . بَعْدَ رُجُوعِهِ إِلَى فِلَاحَتِهِ (فاكهة الخلفاء لابن عربشاه)

الفضل بن يحيي والاعرابي

٣١٨ ومما جاء من أخبار البرامكة ما رواه الأصمعي قال خرج الفضل للصيد والقنص. وبينما هو في موكبه إذ رأى أعرابياً على ناقة قد أقبل من صدر البرية يركض في سيره. قال: هذا يقصدني فلا يكلمه أحد غيري. فلما دنا الأعرابي ورأى المضارب تضرب. والخيام تنصب. والعسكر الكثير والجم الغفير. وسمع الغوغاء والضجة ظن أنه أمير المؤمنين. فنزل وعقل راحلته وتقدم إليه وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. قال: اخفض عليك ما تقول. فقال: السلام عليك أيها الأمير. قال: الآن قاربت اجلس فجلس الأعرابي. فقال له الفضل: من أين أقبلت يا أخا العرب. قال: من قضاعة. قال: من أدناها أو من أقصاها. قال: من أقصاها. فقال يا أخا العرب: مثلك من يقصد من ثمانمائة فرسخ إلى العراق لأي شيء. قال: قصدت هؤلاء الأماجد الأنجاد الذين قد اشتهر معروفهم في البلاد. قال: من هم. قال: البرامكة. قال الفضل: يا أخا العرب إن البرامكة خلق كثير. وفيهم جليل وخطير. ولكل منهم خاصة وعامة. فهل أفرزت لنفسك منهم من اخترت لنفسك وأتيته لحاجتك. قال: أجل أطولهم باعاً وأسمحهم كفاً. قال: من هو. قال: الفضل ابن يحيى بن خالد. فقال له الفضل: يا أخا العرب إن الفضل جليل القدر عظيم الخطر. إذا جلس للناس مجلساً عاماً لم يحضر مجلسه

إِلَّا الْعُلَمَاءُ وَالْفُقَهَاءُ وَالْأُدَبَاءُ وَالشُّعَرَاءُ وَالْكُتَّابُ وَالْمُنَاظِرُونَ لِلْعِلْمِ. أَعَالِمٌ أَنْتَ. قَالَ: لَا. قَالَ: أَفَأَدِيبٌ أَنْتَ. قَالَ: لَا. قَالَ: أَفَعَارِفٌ أَنْتَ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا. قَالَ: لَا. قَالَ: وَرَدْتَ عَلَى الْفَضْلِ بِكِتَابٍ وَسِيلَةٍ. قَالَ: لَا. فَقَالَ: يَا أَخَا الْعَرَبِ غَرَّتْكَ نَفْسُكَ. مِثْلُكَ يَقْصِدُ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى وَهُوَ مَا عَرَفْتُكَ عَنْهُ مِنَ الْجَلَالَةِ. بِأَيِّ ذَرِيعَةٍ أَوْ وَسِيلَةٍ تَقْدَمُ عَلَيْهِ. قَالَ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرُ مَا قَصَدْتُهُ إِلَّا لِإِحْسَانِهِ الْمَعْرُوفِ. وَكَرَمِهِ الْمَوْصُوفِ. وَبَيْتَيْنِ مِنَ الشِّعْرِ قُلْتُهُمَا فِيهِ. فَقَالَ الْفَضْلُ: يَا أَخَا الْعَرَبِ أَنْشِدْنِي الْبَيْتَيْنِ فَإِنْ كَانَا يَصْلُحَانِ أَنْ تَلْقَاهُ بِهِمَا أَشَرْتُ عَلَيْكَ بِلِقَائِهِ. وَإِنْ كَانَا لَا يَصْلُحَانِ أَنْ تَلْقَاهُ بِهِمَا بَرَرْتُكَ بِشَيْءٍ مِنْ مَالِي وَرَجَعْتَ إِلَى بَادِيَتِكَ وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْتَحِقَّ بِشِعْرِكَ شَيْئًا. قَالَ: أَفَتَفْعَلُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنِّي أَقُولُ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْجُودَ مِنْ عَهْدِ آدَمٍ ... تَحَدَّرَ حَتَّى صَارَ يَمْتَصُّهُ الْفَضْلُ
وَلَوْ أَنَّ أُمًّا مَسَّهَا جُوعُ طِفْلِهَا ... غَذَتْهُ بِاسْمِ الْفَضْلِ لَاغْتَذَى الطِّفْلُ

قَالَ: أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ. فَإِنْ قَالَ لَكَ: هٰذَانِ الْبَيْتَانِ قَدْ مَدَحَنَا بِهِمَا شَاعِرٌ وَأَخَذَ الْجَائِزَةَ عَلَيْهِمَا فَأَنْشِدْنِي غَيْرَهُمَا. فَمَا تَقُولُ. قَالَ أَقُولُ:

قَدْ كَانَ آدَمُ حِينَ حَانَ وَفَاتُهُ ... أَوْصَاكَ وَهْوَ يَجُودُ بِالْحَوْبَاءِ
بِبَنِيهِ أَنْ تَرْعَاهُمُ فَرَعَيْتَهُمْ ... وَكَفَيْتَ آدَمَ عَوْلَةَ الْأَبْنَاءِ

قَالَ: أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ. فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ مُمْتَحِنًا. هٰذَانِ الْبَيْتَانِ أَخَذْتَهُمَا مِنْ أَفْوَاهِ النَّاسِ. فَأَنْشِدْنِي غَيْرَهُمَا. فَمَا تَقُولُ وَقَدْ

رَمَقَتْكَ ٱلْأُدَبَاءُ بِٱلْأَبْصارِ وَٱمْتَدَّتِ ٱلْأَعْناقُ إِلَيْكَ وَتَحْتاجُ أَنْ تُناضِلَ عَنْ نَفْسِكَ. قالَ: إِذَنْ أَقُولَ:

مَلَّتْ جَهابِذُ فَضْلٍ وَزْنَ نائِلِهِ ... وَمَلَّ كُتَّابُهُ إِحْصاءَ ما يَهَبُ

وَٱللهِ لَوْلاكَ لَمْ يُمْدَحْ بِمَكْرُمَةٍ ... خَلْقٌ وَلَمْ يَرْتَفِعْ مَجْدٌ وَلا حَسَبُ

قَالَ: أَحْسَنْتَ يا أَخا ٱلعَرَبِ. فَإِنْ قالَ لَكَ ٱلْفَضْلُ هٰذانِ ٱلْبَيْتانِ مَسْرُوقانِ. أَنْشِدْنِي غَيْرَهُما. فَما تَقُولُ: قالَ. إِذَنْ أَقُولَ:

وَلَوْ قِيلَ لِلْمَعْرُوفِ نادِ أَخا ٱلْعُلا ... لَنادَى بِأَعْلَى ٱلصَّوْتِ يا فَضْلُ يا فَضْلُ

وَلَوْ أَنْفَقَتْ جَدْواكَ مِنْ رَمْلِ عالِجٍ ... لَأَصْبَحَ مِنْ جَدْواكَ قَدْ نَفِدَ ٱلرَّمْلُ

قَالَ: أَحْسَنْتَ يا أَخا ٱلْعَرَبِ فَإِنْ قالَ لَكَ ٱلْفَضْلُ: هٰذانِ ٱلْبَيْتانِ مَسْرُوقانِ أَيْضًا. أَنْشِدْنِي غَيْرَهُما فَما تَقُولُ: قالَ أَقُولُ:

وَما ٱلنَّاسُ إِلَّا ٱثْنانِ صَبٌّ وَباذِلٌ ... وَإِنِّي لِذاكَ ٱلصَّبِّ وَٱلْباذِلُ ٱلْفَضْلُ

عَلَى أَنَّ لِي مِثْلًا إِذا ذُكِرَ ٱلْوَرَى ... وَلَيْسَ لِفَضْلٍ فِي سَماحَتِهِ مِثْلُ

قَالَ: أَحْسَنْتَ يا أَخا ٱلْعَرَبِ. فَإِنْ قالَ لَكَ ٱلْفَضْلُ: أَنْشِدْنِي غَيْرَهُما فَما تَقُولُ. قالَ: أَقُولُ أَيُّها ٱلأَمِيرُ:

حَكَى ٱلْفَضْلُ عَنْ يَحْيَى سَماحَةَ خالِدٍ ... فَقامَتْ بِهِ ٱلتَّقْوَى وَقامَ بِهِ ٱلْعَدْلُ

وَقامَ بِهِ ٱلْمَعْرُوفُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا ... وَلَمْ يَكُ لِلْمَعْرُوفِ بَعْدٌ وَلا قَبْلُ

قَالَ: أَحْسَنْتَ. فَإِنْ قالَ لَكَ: قَدْ ضَجِرْنا مِنَ ٱلْفاضِلِ وَٱلْمَفْضُولِ أَنْشِدْنِي بَيْتَيْنِ عَلَى ٱلْكُنْيَةِ لا عَلَى ٱلِاسْمِ فَما تَقُولُ. قالَ: إِذَنْ أَقُولَ:

أَلا يا أَبا ٱلْعَبَّاسِ يا واحِدَ ٱلْوَرَى ... وَيا مَلِكًا خَدُّ ٱلْمُلُوكِ لَهُ نَعْلُ

إِلَيْكَ تَسِيرُ ٱلنَّاسُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا ... فُرَادَى وَأَزْوَاجًا كَأَنَّهُمُ نَحْلُ

قَالَ: أَحْسَنْتَ يَا أَخَا ٱلعَرَبِ فَإِنْ قَالَ لَكَ ٱلْفَضْلُ. أَنْشِدْنَا غَيْرَ ٱلِٱسْمِ وَٱلْكُنْيَةِ وَٱلْقَافِيَةِ. قَالَ: وَٱللهِ لَئِنْ زَادَنِي ٱلْفَضْلُ وَٱمْتَحَنَنِي بَعْدَ هٰذَا لَأَقُولَنَّ أَرْبَعَةَ أَبْيَاتٍ مَا سَبَقَنِي إِلَيْهِنَّ عَرَبِيٌّ وَلَا أَعْجَمِيٌّ. وَلَئِنْ زَادَنِي بَعْدَهَا لَأَجْمَعَنَّ قَوَائِمَ نَاقَتِي هٰذِهِ وَأَجْعَلُهَا فِي فَمِ ٱلْفَضْلِ. وَلَأَرْجِعَنَّ إِلَى قُضَاعَةَ خَاسِرًا وَلَا أُبَالِي. فَنَكَّسَ ٱلْفَضْلُ رَأْسَهُ وَقَالَ لِلْأَعْرَابِيِّ: يَا أَخَا ٱلعَرَبِ أَسْمِعْنِي ٱلْأَبْيَاتَ ٱلْأَرْبَعَةَ. قَالَ أَقُولُ:

وَلَائِمَةٍ لَامَتْكَ يَا فَضْلُ فِي ٱلنَّدَى ... فَقُلْتُ لَهَا هَلْ يَقْدَحُ ٱللَّوْمُ فِي ٱلْبَحْرِ
أَتَنْهَيْنَ فَضْلًا عَنْ عَطَايَاهُ لِلْوَرَى ... فَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يَنْهَى ٱلسَّحَابَ عَنِ ٱلْقَطْرِ
كَأَنَّ نَوَالَ ٱلْفَضْلِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ ... تَحَدُّرُ مَاءِ ٱلْمُزْنِ فِي مَهْمَهٍ قَفْرِ
كَأَنَّ وُفُودَ ٱلنَّاسِ فِي كُلِّ وُجْهَةٍ ... إِلَى ٱلْفَضْلِ لَاقَوْا عِنْدَهُ لَيْلَةَ ٱلْقَدْرِ

قَالَ فَأَمْسَكَ ٱلْفَضْلُ عَنْ فِيهِ وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ ضَاحِكًا. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ. وَقَالَ: يَا أَخَا ٱلعَرَبِ أَنَا وَٱللهِ ٱلْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى. سَلْ مَا شِئْتَ. فَقَالَ: سَأَلْتُكَ بِٱللهِ أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ إِنَّكَ لَهُوَ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ لَهُ: فَأَقِلْنِي قَالَ: أَقَالَكَ ٱللهُ ٱذْكُرْ حَاجَتَكَ. قَالَ عَشَرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ. قَالَ ٱلْفَضْلُ: ٱزْدَرَيْتَ بِنَا وَبِنَفْسِكَ يَا أَخَا ٱلعَرَبِ. تُعْطَى عَشَرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ وَأَمَرَ بِدَفْعِ ٱلْمَالِ. فَلَمَّا صَارَ ٱلْمَالُ إِلَيْهِ حَسَدَهُ وَزِيرُ ٱلْفَضْلِ وَقَالَ: يَا مَوْلَايَ هٰذَا إِسْرَافٌ. يَأْتِيكَ جِلْفٌ مِنْ أَجْلَافِ ٱلعَرَبِ بِأَبْيَاتٍ ٱسْتَرَقَهَا مِنْ أَشْعَارِ ٱلعَرَبِ فَتُجْزِيهِ بِهٰذَا ٱلْمَالِ.

فَقَالَ : ٱسْتَحَقَّهُ بِحُضُورِهِ إِلَيْنَا مِنْ أَرْضِ قُضَاعَةَ . قَالَ ٱلْوَزِيرُ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا أَخَذْتَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِكَ وَرَكَّبْتَهُ فِي كَبِدِ قَوْسِكَ وَأَوْمَأْتَ بِهِ إِلَى ٱلْأَعْرَابِيِّ . فَإِنْ رَدَّ عَنْ نَفْسِهِ بِبَيْتٍ مِنَ ٱلشِّعْرِ . وَإِلَّا فَٱسْتَعْطِفْ مَالَكَ وَيَكُونَ لَهُ فِي بَعْضِهِ كِفَايَةٌ . فَأَخَذَ ٱلْفَضْلُ سَهْمًا وَرَكَّبَهُ فِي كَبِدِ قَوْسِهِ وَأَوْمَأَ بِهِ إِلَى ٱلْأَعْرَابِيِّ وَقَالَ لَهُ : رُدَّ سَهْمِي بِبَيْتٍ مِنَ ٱلشِّعْرِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

لَقَوْسُكَ قَوْسُ ٱلْجُودِ وَٱلْوَتَرُ ٱلنَّدَى وَسَهْمُكَ سَهْمُ ٱلْعِزِّ فَٱرْمِ بِهِ فَقْرِي

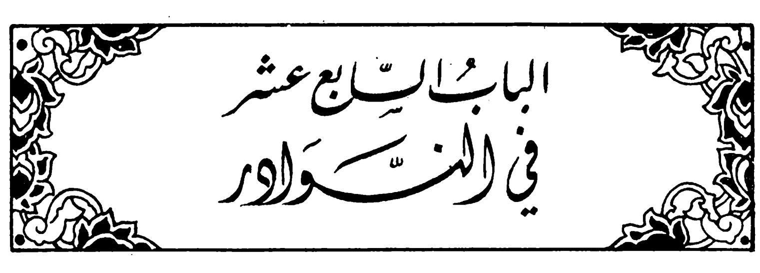
قَالَ فَضَحِكَ ٱلْفَضْلُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

إِذَا مَلَكَتْ كَفِّي مَنَالًا وَلَمْ أُنِلْ فَلَا ٱنْبَسَطَتْ كَفِّي وَلَا نَهَضَتْ رِجْلِي
عَلَى ٱللهِ إِخْلَافُ ٱلَّذِي قَدْ بَذَلْتُهُ فَلَا مُبْقٍ لِي بُخْلِي وَلَا مُتْلِفِي بَذْلِي
أَرُونِي بَخِيلًا نَالَ مَجْدًا بِبُخْلِهِ وَهَاتُوا كَرِيمًا مَاتَ مِنْ كَثْرَةِ ٱلْبَذْلِ

ثُمَّ قَالَ ٱلْفَضْلُ لِوَزِيرِهِ . أَعْطِ ٱلْأَعْرَابِيَّ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ لِقَصْدِهِ وَشِعْرِهِ وَمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ لِيَكْفِينَا شَرَّ قَوَائِمِ نَاقَتِهِ . فَأَخَذَ ٱلْأَعْرَابِيُّ ٱلْمَالَ وَٱنْصَرَفَ . وَهُوَ يَبْكِي فَقَالَ لَهُ ٱلْفَضْلُ : مِمَّ بُكَاؤُكَ يَا أَعْرَابِيُّ . أَٱسْتِقْلَالًا لِلْمَالِ ٱلَّذِي أَعْطَيْنَاكَ . قَالَ : لَا وَلَكِنِّي أَبْكِي عَلَى مِثْلِكَ يَأْكُلُهُ ٱلتُّرَابُ وَتُوَارِيهِ ٱلْأَرْضُ . وَتَذَكَّرْتُ قَوْلَ ٱلشَّاعِرِ :

لَعَمْرُكَ مَا ٱلرَّزِيَّةُ فَقْدُ مَالٍ وَلَا فَرَسٌ يَمُوتُ وَلَا بَعِيرُ
وَلَكِنَّ ٱلرَّزِيَّةَ فَقْدُ حُرٍّ يَمُوتُ لِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرُ

ثُمَّ ٱنْصَرَفَ ٱلْأَعْرَابِيُّ مَسْرُورًا (اعلام الناس للاتليدي)



مدينة الزهراء في الاندلس

٣١٩ كَانَ ٱلْخَلِيفَةُ عَبْدُ ٱلرَّحْمَانِ ٱلنَّاصِرُ كَلِفًا بِعِمَارَةِ ٱلْأَنْدَلُسِ وَإِقَامَةِ مَعَالِمِهَا وَتَخْلِيدِ ٱلْآثَارِ ٱلدَّالَّةِ عَلَى قُوَّةِ ٱلْمُلْكِ وَعِزَّةِ ٱلسُّلْطَانِ. فَأَفْضَى بِهِ ٱلْإِغْرَاقُ فِي ذٰلِكَ إِلَى أَنِ ٱبْتَنَى مَدِينَةَ ٱلزَّهْرَاءِ ٱلْبِنَاءَ ٱلشَّائِعَ ذِكْرُهُ ٱلْمُنْتَشِرَ صِيتُهُ. وَٱسْتَفْرَغَ جُهْدَهُ فِي تَنْمِيقِهَا وَإِتْقَانِ قُصُورِهَا وَزَخْرَفَةِ مَصَانِعِهَا. فَٱسْتَدْعَى عُرَفَاءَ ٱلْمُهَنْدِسِينَ وَحَشَدَ بُرَعَاءَ ٱلْبَنَّائِينَ مِنْ كُلِّ قُطْرٍ فَوَفَدُوا عَلَيْهِ حَتَّى مِنْ بَغْدَادَ وَٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ. ثُمَّ أَخَذَ فِي بِنَاءِ ٱلْمُسْتَنْزَهَاتِ وَإِنْشَاءِ مَدِينَةِ ٱلزَّهْرَاءِ ٱلْمَوْصُوفَةِ بِٱلْقُصُورِ ٱلْبَاهِرَةِ. وَأَقَامَهَا بِطَرَفِ ٱلْبَلَدِ عَلَى ضِفَّةِ نَهْرِ قُرْطُبَةَ. وَنَسَقَ فِيهَا كُلَّ ٱقْتِدَارٍ مُعْجِزٍ وَنِظَامٍ. وَكَانَ قَصْرُ ٱلْخَلِيفَةِ مُتَنَاهِيًا فِي ٱلْجَلَالَةِ وَٱلْفَخَامَةِ. أَطْبَقَ ٱلنَّاسُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُبْنَ مِثْلُهُ فِي ٱلْإِسْلَامِ ٱلْبَتَّةَ. وَمَا دَخَلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ سَائِرِ ٱلْبِلَادِ ٱلنَّائِيَةِ وَٱلنِّحَلِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ إِلَّا وَكُلُّهُمْ قَطَعَ أَنَّهُ لَمْ يَرَ لَهُ شِبْهًا بَلْ لَمْ يَسْمَعْ بِهِ بَلْ لَمْ يَتَوَهَّمْ كَوْنَ مِثْلِهِ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا ٱلسَّطْحُ ٱلْمُمَرَّدُ ٱلْمُشْرِفُ عَلَى ٱلرَّوْضَةِ ٱلْمُبَاهِي بِمَجْلِسِ ٱلذَّهَبِ وَٱلْقُبَّةِ. وَعَجِيبِ مَا تَضَمَّنَهُ مِنْ إِتْقَانِ ٱلصَّنْعَةِ وَفَخَامَةِ ٱلْهِمَّةِ وَحُسْنِ ٱلْمُسْتَشْرَفِ وَبَرَاعَةِ ٱلْمَلْبَسِ وَٱلْحُلَّةِ مَا بَيْنَ مَرْمَرٍ مَسْنُونٍ وَذَهَبٍ مَصُونٍ وَعَمَدٍ كَأَنَّمَا أُفْرِغَتْ فِي ٱلْقَوَالِبِ. وَتَمَاثِيلَ

لا تُهْدَى ٱلْأَوْهَامُ إِلَى سَبِيلِ ٱسْتِقْصَاءِ ٱلتَّعْبِيرِ عَنْهَا (ٱلْكَفَى مَثَلًا). وَكُنْتَ تَرَى فِي مَقْصُورَةِ ٱلْخَلِيفَةِ بِرْكَةً يَجْرِي ٱلْمَاءُ فِيهَا بِصَنْعَةٍ مُحْكَمَةٍ وَفِي وَسَطِهَا يَعُومُ أَسَدٌ عَظِيمُ ٱلصُّورَةِ بَدِيعُ ٱلصَّنْعَةِ شَدِيدُ ٱلرَّوْعَةِ. لَمْ يُشَاهَدْ أَبْهَى مِنْهُ فِيمَا صَوَّرَ ٱلْمُلُوكُ فِي غَابِرِ ٱلدَّهْرِ. مَطْلِيٌّ بِذَهَبٍ إِبْرِيزٍ وَعَيْنَاهُ جَوْهَرَتَانِ لَهُمَا وَبِيصٌ شَدِيدٌ. فَيَمُجُّ ٱلْمَاءَ فِي تِلْكَ ٱلْبِرْكَةِ مِنْ فِيهِ فَيَبْهَرُ ٱلْمَنَاظِرَ بِحُسْنِهِ وَرَوْعَةِ مَنْظَرِهِ وَثَجَاجَةِ صَبِّهِ. فَتُسْقَى مِنْ مَجَاجِهِ جِنَانُ هٰذَا ٱلْقَصْرِ عَلَى سَعَتِهَا وَيَسْتَفِيضُ عَلَى سَاحَاتِهِ وَجَنَبَاتِهِ. وَهٰذِهِ ٱلْبِرْكَةُ وَتِمْثَالُهَا مِنْ أَعْظَمِ آثَارِ ٱلْمُلُوكِ فِي غَابِرِ ٱلدَّهْرِ لِفَخَامَةِ بُنْيَانِهَا. وَمَا يَخُصُّ سَائِرَ ٱلْبِنَايَا فَكَانَ ٱلنَّاصِرُ قَدْ جَلَبَ إِلَيْهَا ٱلرُّخَامَ ٱلْأَبْيَضَ ٱلْمُجَزَّعَ مِنْ رَيَّةَ وَٱلْأَبْيَضَ مِنْ غَيْرِهَا وَٱلْوَرْدِيَّ وَٱلْأَخْضَرَ مِنْ أَفْرِيقِيَّةَ

وَبَنَى فِي ٱلْقَصْرِ ٱلْمَجْلِسَ وَجَعَلَ فِي وَسَطِهِ ٱلْيَتِيمَةَ ٱلَّتِي أَتْحَفَ ٱلنَّاصِرَ بِهَا إِلْيُونُ مَلِكُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ. وَكَانَتْ قَرَامِدُ هٰذَا ٱلْقَصْرِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَهٰذَا ٱلْمَجْلِسُ فِي وَسَطِهِ صِهْرِيجٌ عَظِيمٌ مَمْلُوءٌ بِٱلزِّئْبَقِ. وَكَانَ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ هٰذَا ٱلْمَجْلِسِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ قَدِ ٱنْعَقَدَتْ عَلَى حَنَايَا مِنَ ٱلْعَاجِ وَٱلْأَبْنُوسِ ٱلْمُرَصَّعِ بِٱلذَّهَبِ وَأَصْنَافِ ٱلْجَوَاهِرِ قَامَتْ عَلَى سَوَارٍ مِنَ ٱلرُّخَامِ ٱلْمُلَوَّنِ وَٱلْبَلُّورِ ٱلصَّافِي. وَكَانَتِ ٱلشَّمْسُ تَدْخُلُ عَلَى تِلْكَ ٱلْأَبْوَابِ فَيَضْرِبُ شُعَاعُهَا فِي صَدْرِ ٱلْمَجْلِسِ وَحِيطَانِهِ فَيَصِيرُ مِنْ ذٰلِكَ نُورٌ يَأْخُذُ بِٱلْأَبْصَارِ. وَكَانَ بِنَاءُ ٱلزَّهْرَاءِ فِي غَايَةِ ٱلْإِتْقَانِ وَٱلْحُسْنِ وَبِهَا مِنَ ٱلْمَرْمَرِ وَٱلْعَمَدِ كَثِيرٌ وَأَجْرَى فِيهَا ٱلْمِيَاهَ وَأَحْدَقَ بِهَا

ٱلبساتين وقد أتقنه إلى ٱلغاية وأنفق عليه أموالًا طائلة . ووضع في وسط ٱلبحيرة قبّةً من زجاج ملوّن منقوش بٱلذهب وجلب ٱلماء على رأس ٱلقبّة بتدبيرٍ أحكمه ٱلمهندسون . فكان ٱلماء ينزل من أعلى ٱلقبّة على جوانبها محيطًا بها ويتّصل بعضه ببعض وكانت قبّة ٱلزجاج في غلالة ممّا سكب خلف ٱلزجاج لا يفتر من ٱلجري وتوقد فيها ٱلشموع فيُرى لذلك منظرٌ بديع . وتمّ بناء ٱلزهراء بأربعين سنة (للمقري)

عجائب مصر منها المقياس والاهرام والنيل

٣٢٠ قال ضياء ٱلدين بن ٱلأثير في وصف مصر : ولقد شاهدت منها بلدًا يشهد بفضله على ٱلبلاد . ووجدته هو ٱلمصر وما عداه فهو ٱلسواد . فما رآه راءٍ إلّا ملأ عينه وصدره . ولا وصفه واصفٌ إلّا علم أنّه لم يقدِر قدره . وبه من عجائب ٱلآثار ما لا يضبطها ٱلعيان فضلًا عن ٱلإخبار . من ذلك ٱلهرمان ٱللذان هرم ٱلدهر وهما لا يهرمان . قد ٱختصّ كلٌّ منهما بعظم ٱلبناء . وسعة ٱلفناء . وبلغ من ٱلارتفاع غايةً لا يبلغها ٱلطير على بُعد تحليقه . ولا يدركها ٱلطرف على مدى تحديقه . فإذا أضرم برأسه قبس ظنّه ٱلمتأمّل نجمًا . وإذا ٱستدار عليه قوس ٱلسماء كان له سهمًا . ومن عجائب مصر ٱلمقياس ٱلذي يُعتبر فيه قدرُ زيادة فيض ٱلنيل كلّ سنة . وٱبتداؤه من شهر جونة ومعظم ٱنتهائه أغشت وآخرها أوّل شهر أكتوبر . وٱلمقياس عمود رخام سمّر في موضع ينحصر فيه ٱلماء عند ٱنتهائه إليه . وهو مفصّل على ٱثنتين وعشرين

ذِرَاعًا. وَكُلُّ ذِرَاعٍ مُفَصَّلَةٌ عَلَى أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ قِسْمًا أَقْسَامًا مُتَسَاوِيَةً تُعْرَفُ بِالْأَصَابِعِ. فَإِذَا اسْتَوَى الْمَاءُ تِسْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فِي الْفَيْضِ فَهِيَ الْغَايَةُ عِنْدَهُمْ فِي طِيبِ الْعَامِ. وَرُبَّمَا كَانَ الْمَاءُ فِيهَا كَثِيرًا الْعُمُومِ الْفَيْضِ. وَالْمُتَوَسِّطُ مَا اسْتَوَى سَبْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَهُوَ أَحْسَنُ مِمَّا زَادَ عَلَيْهِ. وَالَّذِي يَسْتَحِقُّ بِهِ السُّلْطَانُ خَرَاجَهُ سِتَّ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فَصَاعِدًا. وَعَلَيْهَا تُعْطَى الْبِشَارَةُ لِلَّذِي يَرْقُبُ الزِّيَادَةَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيُعْلِمُ بِهَا مُيَاوَمَةً

وَمِنَ الْمَبَانِي الَّتِي يَبْلَى الزَّمَانُ وَلَا تَبْلَى وَتَدْرُسُ مَعَالِمُهُ وَأَخْبَارُهَا لَا تَدْرُسُ الْأَهْرَامُ الَّتِي بِأَعْمَالِ مِصْرَ. وَهِيَ عَلَى نَحْوِ سَبْعَةِ أَمْيَالٍ فِي الصَّحْرَاءِ الَّتِي يُفْضَى مِنْهَا إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ. وَهِيَ قَدِيمَةُ الْعَهْدِ مُعْجِزَةُ الْبِنَاءِ غَرِيبَةُ الْمَنْظَرِ مُرَبَّعَةُ الشَّكْلِ كَأَنَّهَا الْقِبَابُ الْمَضْرُوبَةُ. قَدْ قَامَتْ فِي جَوِّ السَّمَاءِ لَاسِيَّمَا الِاثْنَانِ مِنْهَا. فِي سَعَةِ الْوَاحِدِ مِنْهُمَا مِنْ رُكْنِهِ إِلَى رُكْنِهِ ثَلَاثُمِائَةِ خُطْوَةٍ وَسِتٌّ وَسِتُّونَ خُطْوَةً مُحَدَّدَةُ الْأَطْرَافِ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ. وَرُبَّمَا أَمْكَنَ الصُّعُودُ إِلَيْهَا عَلَى خَطَرٍ وَمَشَقَّةٍ فَتُلْفَى أَطْرَافُهَا الْمُحَدَّدَةُ كَأَوْسَعِ مَا يَكُونُ مِنَ الرِّحَابِ. قَدْ أُقِيمَتْ مِنَ الصُّخُورِ الْعِظَامِ الْمَنْحُوتَةِ وَرُكِّبَتْ تَرْكِيبًا بَدِيعَ الْإِلْصَاقِ يَكَادُ يُعْجِزُ أَهْلَ الْأَرْضِ نَقْضُ بُنْيَانِهَا. أَمَّا الْهَرَمَانِ الْعَظِيمَانِ فَمُحَاذِيَانِ لِلْفُسْطَاطِ. كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا جِسْمٌ مِنْ أَعْظَمِ الْحِجَارَةِ مُرَبَّعُ الْقَاعِدَةِ. إِرْتِفَاعُ عَمُودِهِ أَرْبَعُمِائَةِ ذِرَاعٍ يُحِيطُ بِهَا أَرْبَعَةُ سُطُوحٍ مُتَسَاوِيَاتِ الْأَضْلَاعِ وَفِي أَعْلَاهُ سَطْحٌ مُرَبَّعٌ رَحْبٌ. وَهُمَا مَعَ هٰذَا الْعِظَمِ مِنْ إِحْكَامِ الصَّنْعَةِ وَإِتْقَانِ

الهندسة وحسن التقدير بحيث إنه لم يتأثر بعصف الرياح وهطل السحاب وزعزعة الزلازل . وهذا البناء ليس بين حجارته ملاط إلا ما يتخيل أنه ثوب أبيض فرش بين حجرين أو ورقة لا يتخلل بينهما الشعرة. وطول الحجر منها خمسة أذرع في سمك ذراعين. قال بعضهم : ما سمعت بشيء عظيم فجئته إلا رأيته دون صفته إلا الهرمين . فإني لما رأيتهما كان رؤيتهما أعظم من صفتهما . وقد اختلفوا في من بنى الأهرام . قال بعضهم :

حسرت عقول ذوي النهى الأهرام واستصغرت لعظيمها الأجرام
ملس مونقة البناء شواهق قصرت لعال دونهن سهام
لم أدر حين كبا التفكر دونها واستوهمت لعجيبها الأوهام
أقبور أملاك الأعاجم هن أم طلسم رمل هن أم أعلام

وزعم بعضهم أن الأهرام بمصر قبور ملوك عظام بها آثروا أن يتميزوا على سائر الملوك بعد مماتهم كما تميزوا عنهم في حياتهم. فيبقى ذكرهم على تطاول الدهور . قال أمية بن عبد العزيز :

بعيشك هل أبصرت أحسن منظرا على ما رأت عيناك من هرمي مصر
أنافا بأعنان السماء وأشرفا على الجو إشراف السماك أو النسر

وقال الفقيه عمارة اليمني الشاعر :

خليلي ما تحت السماء بنية تماثل في إتقانها هرمي مصر
تنزه طرفي في بديع بنائها ولم يتنزه في المراد بها فكري

وَقَالَ سَيْفُ ٱلدِّينِ بْنُ حبارَةَ :

لِلّٰهِ أَيُّ غَرِيبَةٍ وَعَجِيبَةٍ فِي صَنْعَةِ ٱلْأَهْرامِ لِلْأَلْبَابِ
أَخفَتْ عَنِ ٱلْأَسْماعِ قِصَّةَ أَهْلِهَا وَقَصَتْ عَلَى ٱلْأَنْباءِ كُلَّ نِقَابِ
فَكَأَنَّمَا هِيَ كَٱلْخِيَامِ مُقَامَةٌ مِنْ غَيْرِ ما عَمَدٍ وَلَا أَطْنَابِ

قَالَ ٱلْقُضَاعِيُّ: مِنْ عَجَائِبِ مِصرَ ٱلنِّيلُ. قَالُوا لَيْسَ عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ نَهْرٌ أَطْوَلُ مِنَ ٱلنِّيلِ. لِأَنَّ مَسِيرَهُ شَهْرٌ فِي بِلَادِ ٱلْإِسْلَامِ وَشَهْرَانِ فِي بِلَادِ ٱلنُّوبَةِ وَأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ فِي ٱلْخَرَابِ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ بِبِلَادِ ٱلْقَمَرِ خَلْفَ خَطِّ ٱلْاِسْتِوَاءِ. وَلَيْسَ فِي ٱلدُّنْيَا نَهْرٌ يَصُبُّ مِنَ ٱلْجَنُوبِ إِلَى ٱلشَّمَالِ وَيَمُدُّ فِي شِدَّةِ ٱلْحَرِّ عِنْدَ إِنْتِقَاصِ ٱلْمِيَاهِ وَٱلْأَنْهَارِ كُلِّهَا وَيَزِيدُ بِتَرْتِيبٍ وَيَنْقُصُ بِتَرْتِيبٍ إِلَّا ٱلنِّيلُ. وَجَعَلَهُ ٱللهُ تَعَالَى سَقْيًا يُزْرَعُ عَلَيْهِ وَيُسْتَغْنَى عَنِ ٱلْمَطَرِ بِهِ فِي زَمَانِ ٱلْقَيْظِ إِذَا نَضَبَ ٱلْمِيَاهُ. قَالَ ٱبْنُ خَرُوفٍ :

ما أَعْجَبَ ٱلنِّيلَ مَا أَبْهَى شَمَائِلَهُ فِي ضِفَّتَيْهِ مِنَ ٱلْأَشْجَارِ أَدْوَاحُ
مِنْ جَنَّةِ ٱلْخُلْدِ فَيَّاضٌ عَلَى تُرَعٍ تَهُبُّ فِيهَا هُبُوبَ ٱلرِّيحِ أَرْوَاحُ
لَيْسَتْ زِيَادَتُهُ مَاءً كَمَا زَعَمُوا وَإِنَّمَا هِيَ أَرْزَاقٌ وَأَرْبَاحُ

(اخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي)

عنترة والاسد

٣٢١ قَالَ ٱلرَّاوِي: وَفِي يَوْمٍ مِنَ ٱلْأَيَّامِ تَوَغَّلَ عَنْتَرٌ فِي ٱلْبَرِّ بِٱلْجِمَالِ وَٱلْغَنَمِ. وَقَصَدَ بِهَا ٱلرَّوَابِيَ وَٱلْأَكَمَ. إِلَى أَنْ حَمِيَتْ عَلَيْهِ ٱلشَّمْسُ وَبَعُدَ عَنْ حَيِّ عَبْسٍ. فَقَصَدَ شَجَرَةً مِنَ ٱلْأَشْجَارِ يَسْتَظِلُّ بِهَا مِنْ حَرِّ ٱلنَّهَارِ.

وَسَرَحَتِ ٱلْأَغْنَامُ تَرْعَى. فِي ذٰلِكَ ٱلْمَرْعَى. وَإِذَا هُوَ بِأَسَدٍ كَبِيرٍ. مِنْ بَطْنِ ٱلْوَادِي ظَهَرَ يَمْشِي وَيَتَبَخْتَرُ. أَفْطَسُ ٱلْمَنْخَرِ. يَطِيرُ مِنْ عَيْنَيْهِ ٱلشَّرَرُ. يَقْلِبُ ٱلْوَادِيَ إِذَا هَمَرَ. بِأَنْيَابٍ أَحَدَّ مِنَ ٱلنَّوَائِبِ. وَمَخَالِبَ أَمَرَّ مِنَ ٱلْمَصَائِبِ. شَدُوقٌ شَدْقَمٌ. عَبُوسٌ أَدْغَمُ. تَسْمَعُ ٱلرَّعْدَ إِذَا هَمْهَمَ وَدَمْدَمَ. يَلْمَعُ ٱلْبَرْقُ مِنْ عَيْنَيْهِ إِذَا أَظْلَمَ ٱللَّيْلُ وَأَعْتَمَ. شَدِيدُ ٱلْحَيْلِ صَعْبُ ٱلْمِرَاسِ. عَرِيضُ ٱلْكَتِفِ كَبِيرُ ٱلرَّاسِ. فَلَمَّا ظَهَرَ مِنْ بَطْنِ ٱلْوَادِي وَشَمَّتِ ٱلْخَيْلُ رَائِحَتَهُ فَرَّتْ مِنْ هَيْبَتِهِ. وَكَذٰلِكَ ٱلنُّوقُ وَٱلْجِمَالُ. شَرَدَتْ فِي ٱلْيَمِينِ وَٱلشِّمَالِ. فَلَمَّا نَظَرَ عَنْتَرُ. إِلَى ذٰلِكَ ٱلْأَمْرِ ٱلْمُنْكَرِ. نَزَلَ إِلَى ٱلْوَادِي حَتَّى يُبْصِرَ. وَٱلسَّيْفُ فِي يَدِهِ مُشْهَرٌ. وَإِذَا هُوَ بِٱلْأَسَدِ رَابِطٌ بَاسِطٌ يَدَيْهِ. وَهُوَ يَلْعَبُ بِذَنَبِهِ وَيَضْرِبُ بِهِ جَنْبَيْهِ. وَٱلشَّرَرُ يَطِيرُ مِنْ عَيْنَيْهِ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ زَعَقَ عَنْتَرُ عَلَيْهِ زَعْقَةً دَوَتْ بِهَا ٱلْجِبَالُ. وَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا ٱلْأَشْبَالِ. يَا كَلْبَ ٱلْفَلَا. يَا نَحْسَ وُحُوشِ ٱلْبَيْدَا. فَلَقَدْ أَبْدَيْتَ بَأْسَكَ وَصَوْلَتَكَ. وَٱفْتَخَرْتَ بِهِمَّتِكَ وَهَمْهَمَتِكَ. فَلَا شَكَّ أَنَّكَ مَلِكُ ٱلسِّبَاعِ. وَسُلْطَانُهُمُ ٱلْمُطَاعُ. وَلٰكِنْ عُدْ بِٱلْخَيْبَةِ وَٱلْإِذْلَالِ. فَمَا أَنَا كَمَنْ لَاقَيْتَهُ مِنَ ٱلرِّجَالِ. أَنَا مُهْلِكُ ٱلْأَبْطَالِ. أَنَا مُيَتِّمُ ٱلْأَطْفَالِ. فَأَنَا لَا أَرْضَى أَنْ أَقْتُلَكَ بِسِنَانٍ وَلَا بِحُسَامٍ. وَلَا بُدَّ أَنْ أَسْقِيَكَ كَأْسَ ٱلْحِمَامِ. ثُمَّ إِنَّهُ أَلْقَى ٱلسَّيْفَ مِنْ يَدِهِ وَحَمَلَ عَلَى ٱلسَّبْعِ وَهُوَ يُنْشِدُ:

يَا أَيُّهَا ٱلسَّبْعُ ٱلْهَجُومُ عَلَى ٱلرَّدَى   هَا قَدْ بَقِيتَ مُعَفَّرًا مَنْهُوبَا
أَتُرِيدُ أَمْوَالِي تَكُونُ مُبَاحَةً   هَا قَدْ تَرَكْتُكَ بِٱلدِّمَا مَخْضُوبَا

شَرَّدتَ أَغنَامِي وَلَمْ تَكُ عَالِمًا أَنِّي هِزَبْرٌ لَا أَزَالُ مَهِيبَا
هٰذِي فِعَالِي فِيكَ يَا كَلْبَ ٱلْفَلَا هَلَّا شَهِدتَّ مَوَاقِعًا وَحُرُوبَا
لَوْ كُنْتَ تَعلَمُ أَنَّ هٰذَا تَلْتَقِي مِنِّي وَتُضْحِي لِلْحِمَامِ شَرُوبَا
لَمْ تَأْتِ نَحْوِي تَبْتَغِي صَيْدًا فَقَدْ وَافَاكَ حَتْفُكَ عَاجِلًا مَصْبُوبَا

ثُمَّ هَجَمَ عَلَى ٱلْأَسَدِ. وَوَقَعَ عَلَيْهِ كَوُقُوعِ ٱلْبَرَدِ. وَنَفَخَ عَلَيْهِ مِثْلَ ٱلثُّعْبَانِ ٱلْأَسْوَدِ. وَوَثَبَ عَلَيْهِ حَتَّى سَاوَاهُ فِي وَثْبَتِهِ. وَصَرَخَ عَلَيْهِ صَرْخَةً أَعْظَمَ مِنْ صَرْخَتِهِ. وَقَبَضَ عَلَى فَمِهِ بِكَفَّيْهِ. وَٱتَّكَأَ عَلَيْهِ فَشَقَّ حَنَكَيْهِ. إِلَى حَدِّ كَتِفَيْهِ. وَصَاحَ صَيْحَةً أَزْعَجَ بِهَا ٱلْوَادِيَ وَجَانِبَيْهِ. وَصَبَرَ عَلَى ٱلْأَسَدِ حَتَّى قَضِيَ عَلَيْهِ (سيرة عنتر لابن اسمعيل)

ذكر القهوة

٣٢٢ إِعْلَمْ أَنَّ ٱلْقَهْوَةَ هِيَ ٱلنَّوْعُ ٱلْمُتَّخَذُ مِنْ قِشْرِ ٱلْبُنِّ أَوْ مِنْهُ مَعَ حَبِّهِ ٱلْمُحَمَّمِ أَيِ ٱلْمَقْلِيِّ. وَصِفَتُهَا أَنْ يُوضَعَ ٱلْقِشْرُ إِمَّا وَحْدَهُ وَهِيَ ٱلْقِشْرِيَّةُ أَوْ مَعَ ٱلْبُنِّ ٱلْمُحَمَّمِ ٱلْمَدْقُوقِ وَهِيَ ٱلْبُنِّيَّةُ فِي مَاءٍ. ثُمَّ يُغْلَى عَلَيْهِ حَتَّى تَخْرُجَ خَاصِّيَّتُهُ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَجِدُ غَايَةَ ٱعْتِدَالِ ٱسْتِوَائِهَا بِطَعْمِ مَذَاقِهَا إِلَى ٱلْمَرَارَةِ. ثُمَّ تُشْرَبُ. فَمِنْ قَائِلٍ بِحِلِّهَا يَرَى أَنَّهَا ٱلشَّرَابُ ٱلطَّهُورُ ٱلْمُبَارَكَةُ عَلَى أَرْبَابِهَا. ٱلْمُوجِبَةُ لِلنَّشَاطِ وَٱلْإِعَانَةِ عَلَى ذِكْرِ ٱللّٰهِ تَعَالَى وَفِعْلِ ٱلْعِبَادَةِ لِطُلَّابِهَا. وَمِنْ قَائِلٍ بِحُرْمَتِهَا مُفْرِطٍ فِي ذَمِّهَا وَٱلتَّشْنِيعِ عَلَى شُرَّابِهَا. وَكَثُرَ فِيهَا مِنَ ٱلْجَانِبَيْنِ ٱلتَّصَانِيفُ وَٱلْفَتَاوَى. وَبَالَغَ ٱلْقَائِلُ بِحُرْمَتِهَا فَٱدَّعَى أَنَّهَا مِنَ ٱلْخَمْرِ وَقَاسَهَا بِهِ وَسَاوَى. وَبَعْضُهُمْ نَسَبَ إِلَيْهَا

ٱلْإِضْرَارَ بِٱلْعَقْلِ وَٱلْبَدَنِ . إِلَى غَيْرِ ذَٰلِكَ مِنَ ٱلدَّعَاوَى وَٱلتَّعَصُّبَاتِ ٱلْمُؤَدِّيَةِ إِلَى ٱلْجِدَالِ وَٱلْفِتَنِ . وَأَمَّا ٱشْتِقَاقُ ٱسْمِ ٱلْقَهْوَةِ (كَمَا قَالَ ٱلْعَلَّامَةُ ٱلْفَخْرُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي يَزِيدَ فِي مُؤَلَّفِهِ إِثَارَةِ ٱلنَّخْوَةِ بِحِلِّ ٱلْقَهْوَةِ) فَمِنَ ٱلْإِقْهَاءِ وَهُوَ ٱلِاجْتِوَاءُ أَيِ ٱلْكَرَاهَةُ . أَوْ مِنَ ٱلْإِقْهَاءِ بِمَعْنَى ٱلْإِقْعَادِ مِنْ أَقْهَى ٱلرَّجُلُ عَنِ ٱلشَّيْءِ أَيْ قَعَدَ عَنْهُ وَكَرَاهَةُ كُلِّ شَيْءٍ وَٱلْقُعُودُ عَنْهُ بِحَسَبِهِ . وَمِنْهُ سُمِّيَتِ ٱلْخَمْرَةُ قَهْوَةً لِأَنَّهَا تُقْهِي أَيْ تُكَرِّهُ ٱلطَّعَامَ أَوْ تُقْعِدُ عَنْهُ أَوْ تُقْعِدُ عَنِ ٱلنَّوْمِ . وَكَانَ ظُهُورُهَا وَٱنْتِشَارُهَا عَلَى يَدِ جَمَالِ ٱلدِّينِ بْنِ سَعِيدٍ ٱلْمَعْرُوفِ بِٱلذَّبْحَانِيِّ . وَكَانَ مُتَوَلِّيًا لِوَظِيفَةِ تَصْحِيحِ ٱلْفَتَاوَى بِعَدَنَ . وَسَبَبُ إِظْهَارِهِ لَهَا أَنَّهُ كَانَ عَرَضَ لَهُ أَمْرٌ ٱقْتَضَى لَهُ ٱلْخُرُوجَ مِنْ عَدَنَ إِلَى بَرِّ ٱلْعَجَمِ فَأَقَامَ بِهِ مُدَّةً فَوَجَدَ أَهْلَهُ يَسْتَعْمِلُونَ ٱلْقَهْوَةَ وَلَمْ يَعْلَمْ لَهَا خَاصِّيَّةً . ثُمَّ عَرَضَ لَهُ لَمَّا رَجَعَ إِلَى عَدَنَ مَرَضٌ فَتَذَكَّرَهَا فَشَرِبَهَا فَنَفَعَتْهُ فِيهِ . وَوَجَدَ فِيهَا مِنَ ٱلْخَوَاصِّ أَنَّهَا تُذْهِبُ ٱلنُّعَاسَ وَٱلْكَسَلَ وَتُورِثُ ٱلْبَدَنَ خِفَّةً وَنَشَاطًا . فَلَمَّا سَلَكَ طَرِيقَ ٱلتَّصَوُّفِ صَارَ هُوَ وَغَيْرُهُ مِنَ ٱلصُّوفِيَّةِ بِعَدَنَ يَسْتَعِينُونَ بِشُرْبِهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ . ثُمَّ تَتَابَعَ ٱلنَّاسُ بِعَدَنَ عَلَى شُرْبِهَا لِلِاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى مُطَالَعَةِ ٱلْعِلْمِ وَغَيْرِ ذَٰلِكَ مِنَ ٱلْحِرَفِ وَٱلصِّنَاعَاتِ وَلَمْ تَزَلْ فِي ٱنْتِشَارٍ . قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِهَا :

يَا قَهْوَةً تُذْهِبُ هَمَّ ٱلْفَتَى ... أَنْتِ لِحَاوِي ٱلْعِلْمِ نِعْمَ ٱلْمُرَادْ

شَرَابُ أَهْلِ ٱللهِ فِيهَا ٱلشِّفَا ... لِطَالِبِ ٱلْحِكْمَةِ بَيْنَ ٱلْعِبَادْ

نَطْبُخُهَا قِشْرًا فَتَأْتِي لَنَا ... فِي نَكْهَةِ ٱلْمِسْكِ وَلَوْنِ ٱلْمِدَادْ

فِيهَا لَنَا تِبرٌ وَفِي حَانِهَا صُحْبَةُ أَبْنَاءِ ٱلْكِرَامِ ٱلْجِيَادْ
كَاللَّبَنِ ٱلْخَالِصِ فِي حِلِّهِ مَا خَرَجَتْ عَنْهُ سِوَى بِٱلسَّوَادْ

قَالَ آخَرُ :

عَرِّجْ عَلَى ٱلْقَهْوَةِ فِي حَانِهَا فَٱللُّطْفُ قَدْ حَفَّ بِنُدْمَانِهَا
فَإِنَّهَا لَا غَمَّ تُبْقِي إِذَا قَابَلَكَ ٱلسَّاقِي بِفِنْجَانِهَا
لَا يُوجَدُ ٱلْغَمُّ بِحَانَاتِهَا قَدْ خَضَعَ ٱلْغَمُّ لِسُلْطَانِهَا
بِمَائِهَا نَغْسِلُ أَكْدَارَنَا وَنُحْرِقُ ٱلْهَمَّ بِنِيرَانِهَا
يَقُولُ مَنْ أَبْصَرَ كَانُونَهَا أُفٍّ عَلَى ٱلْخَمْرِ وَأَدْنَانِهَا
فَٱشْرَبْ وَلَا تَسْمَعْ كَلَامَ ٱلَّذِي بِجَهْلِهِ يُفْتِي بِبُطْلَانِهَا

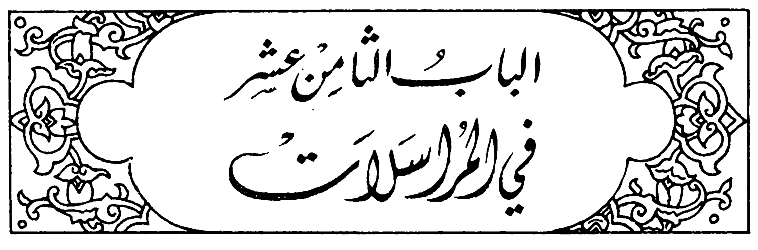
(عمدة الصفوة في حل القهوة لعبد القادر الجزيري)

ذكر الاندلس وما خُصَّ بِهِ اهلها من العوائد والاختراعات

٣٢٣ إِعْلَمْ أَنَّ فَضْلَ ٱلْأَنْدَلُسِ ظَاهِرٌ. كَمَا أَنَّ حُسْنَ بِلَادِهِمْ بَاهِرٌ. أَشْرَافُ عَرَبِ ٱلْمَشْرِقِ ٱفْتَتَحُوهَا. وَسَادَاتُ أَشْرَافِ ٱلشَّامِ وَٱلْعِرَاقِ نَزَلُوهَا. فَبَقِيَ ٱلنَّسْلُ فِيهَا بِكُلِّ إِقْلِيمٍ. عَلَى عِرْقٍ كَرِيمٍ. فَلَا يَكَادُ بَلَدٌ مِنْهَا يَخْلُو مِنْ كَاتِبٍ مَاهِرٍ. وَشَاعِرٍ قَاهِرٍ. وَقَدْ أَعَانَتْهُمْ عَلَى ٱلشِّعْرِ أَنْسَابُهُمُ ٱلْعَرَبِيَّةُ. وَبِقَاعُهُمُ ٱلنَّضِرَةُ وَهِمَمُهُمُ ٱلْأَبِيَّةُ. قَالَ صَاحِبُ ٱلْفَرْحَةِ: أَهْلُ ٱلْأَنْدَلُسِ عَرَبٌ فِي ٱلْأَنْسَابِ وَٱلْعِزَّةِ وَٱلْأَنَفَةِ وَعُلُوِّ ٱلْهِمَمِ وَفَصَاحَةِ ٱلْأَلْسُنِ وَطِيبِ ٱلنُّفُوسِ وَإِبَاءِ ٱلضَّيْمِ وَقِلَّةِ ٱحْتِمَالِ ٱلذُّلِّ وَٱلسَّمَاحَةِ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَٱلنَّزَاهَةِ عَنِ ٱلْخُضُوعِ وَإِتْيَانِ ٱلدَّنِيَّةِ.

هِنْدِيُّونَ فِي إِفْرَاطِ عِنَايَتِهِمْ بِالْعُلُومِ وَحُبِّهِمْ فِيهَا وَضَبْطِهِمْ لَهَا وَرِوَايَتِهِمْ. صِينِيُّونَ فِي إِتْقَانِ الصَّنَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ وَإِحْكَامِ الْمِهَنِ الصُّورِيَّةِ. تُرْكِيُّونَ فِي مُعَانَاةِ الْحُرُوبِ وَمُعَالَجَاتِ آلَاتِهَا وَالنَّظَرِ فِي مُهِمَّاتِهَا. بَغْدَادِيُّونَ فِي نَظَافَتِهِمْ وَظَرْفِهِمْ وَرِقَّةِ أَخْلَاقِهِمْ وَنَبَاهَتِهِمْ وَذَكَائِهِمْ وَحُسْنِ نَظَرِهِمْ وَجُودَةِ قَرَائِحِهِمْ وَلَطَافَةِ أَذْهَانِهِمْ وَحِدَّةِ أَفْكَارِهِمْ وَنُفُوذِ خَوَاطِرِهِمْ. يُونَانِيُّونَ فِي اسْتِنْبَاطِهِمْ لِلْمِيَاهِ وَمُعَانَاتِهِمْ لِضُرُوبِ الْفِرَاسَاتِ وَاخْتِيَارِهِمْ لِأَجْنَاسِ الْفَوَاكِهِ وَتَدْبِيرِهِمْ لِتَرْكِيبِ الشَّجَرِ وَتَحْسِينِهِمْ لِلْبَسَاتِينِ بِأَنْوَاعِ الْخُضَرِ وَصُنُوفِ الزَّهَرِ. فَهُمْ أَحْكَمُ النَّاسِ لِأَسْبَابِ الْفِلَاحَةِ. وَمِنْهُمُ ابْنُ بَصَّالٍ صَاحِبُ كِتَابِ الْفِلَاحَةِ الَّذِي شَهِدَتْ لَهُ التَّجْرِبَةُ بِفَضْلِهِ. وَهُمْ أَصْبَرُ النَّاسِ عَلَى مُطَاوَلَةِ التَّعَبِ فِي تَجْوِيدِ الْأَعْمَالِ. وَمُقَاسَاةِ النَّصَبِ فِي تَحْسِينِ الصَّنَائِعِ. أَحْذَقُ النَّاسِ بِالْفُرُوسِيَّةِ وَأَبْصَرُهُمْ بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ. وَمِنْ فَضَائِلِهِمْ اخْتِرَاعُهُمْ لِلْخُطُوطِ الْمَخْصُوصَةِ بِهِمْ (قَالَ) وَكَانَ خَطُّهُمْ أَوَّلًا مَشْرِقِيًّا. وَعَدَّ ابْنُ غَالِبٍ فِي فَضَائِلِهِمِ اخْتِرَاعَهُمْ لِلْمُوَشَّحَاتِ الَّتِي اسْتَحْسَنَهَا أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَصَارُوا يَنْزِعُونَ مَنْزَعَهَا. وَأَمَّا نَظْمُهُمْ وَنَثْرُهُمْ فَلَا يَخْفَى عَلَى مَنْ وَقَفَ عَلَيْهِمَا عُلُوُّ طَبَقَاتِهِمْ. ثُمَّ قَالَ ابْنُ غَالِبٍ: وَلَمَّا نَفَذَ قَضَاءُ اللّٰهِ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ بِخُرُوجِ أَكْثَرِهِمْ عَنْهَا فِي هٰذِهِ الْفِتْنَةِ الْأَخِيرَةِ الْمُبِيرَةِ تَفَرَّقُوا بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى مِنْ بَرِّ الْعُدْوَةِ فِي بِلَادِ أَفْرِيقِيَّةَ. فَأَمَّا أَهْلُ الْبَادِيَةِ فَمَالُوا فِي الْبَوَادِي إِلَى مَا اعْتَادُوهُ وَدَاخَلُوا أَهْلَهَا

وَشَارَكُوهُمْ فِيهَا . فَٱسْتَنْبَطُوا ٱلْمِيَاهَ وَغَرَسُوا ٱلْأَشْجَارَ وَأَحْدَثُوا ٱلْأَرْحِيَ ٱلطَّاحِنَةَ بِٱلْمَاءِ وَغَيْرَ ذٰلِكَ . وَعَلَّمُوهُمْ أَشْيَاءَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَهَا وَلَا رَأَوْهَا . فَشَرُفَتْ بِلَادُهُمْ وَصَلُحَتْ أُمُورُهُمْ وَكَثُرَتْ مُسْتَغَلَّاتُهُمْ وَعَمَّتْهُمُ ٱلْخَيْرَاتُ . وَأَمَّا أَهْلُ ٱلْحَوَاضِرِ فَمَالُوا إِلَى ٱلْحَوَاضِرِ وَٱسْتَوْطَنُوهَا : وَأَمَّا أَهْلُ ٱلْأَدَبِ فَكَانَ مِنْهُمُ ٱلْوُزَرَاءُ وَٱلْكُتَّابُ وَٱلْعُمَّالُ وَجُبَاةُ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْمُسْتَعْمَلُونَ فِي أُمُورِ ٱلْمَمْلَكَةِ . وَلَا يُسْتَعْمَلُ بِلَدِيٌّ مَا وُجِدَ أَنْدَلُسِيٌّ . وَأَمَّا أَهْلُ ٱلصَّنَائِعِ فَإِنَّهُمْ فَاقُوا أَهْلَ ٱلْبِلَادِ وَقَطَعُوا مَعَاشَهُمْ وَأَخْمَلُوا أَعْمَالَهُمْ وَصَيَّرُوهُمْ أَتْبَاعًا لَهُمْ وَمُتَصَرِّفِينَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . وَمَتَى دَخَلُوا فِي شُغْلٍ عَمِلُوهُ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ وَأَفْرَغُوا فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ ٱلْحِذْقِ وَٱلتَّجْوِيدِ مَا يُمِيلُونَ بِهِ ٱلنُّفُوسَ إِلَيْهِمْ وَيُصَيِّرُ ٱلذِّكْرَ لَهُمْ . وَلَا يَدْفَعُ هٰذَا عَنْهُمْ إِلَّا جَاهِلِيٌّ أَوْ مُبْطِلٌ . وَمِنْ حِكَايَاتِهِمْ فِي ٱلذَّكَاءِ وَٱسْتِخْرَاجِ ٱلْعُلُومِ وَٱسْتِنْبَاطِهَا أَنَّ أَبَا ٱلْقَاسِمِ عَبَّاسَ بْنَ فِرْنَاسٍ حَكِيمَ ٱلْأَنْدَلُسِ أَوَّلُ مَنِ ٱسْتَنْبَطَ بِٱلْأَنْدَلُسِ صِنَاعَةَ ٱلزُّجَاجِ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ بِهَا كِتَابَ ٱلْعَرُوضِ لِلْخَلِيلِ . وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ ٱلْمُوسِيقَى وَصَنَعَ ٱلْآلَةَ ٱلْمَعْرُوفَةَ بِٱلْمِنْقَالِ لِيَعْرِفَ ٱلْأَوْقَاتَ عَلَى غَيْرِ رَسْمٍ وَمِثَالٍ . وَٱحْتَالَ فِي تَطْيِيرِ جُثْمَانِهِ وَكَسَا نَفْسَهُ ٱلرِّيشَ وَمَدَّ لَهُ جَنَاحَيْنِ وَطَارَ فِي ٱلْجَوِّ مَسَافَةً بَعِيدَةً . وَلٰكِنَّهُ لَمْ يُحْسِنِ ٱلِٱحْتِيَالَ فِي وُقُوعِهِ . وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ ٱلطَّائِرَ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى زِمِكِّهِ وَلَمْ يَعْمَلْ لَهُ ذَنَبًا . وَصَنَعَ فِي بَيْتِهِ هَيْئَةَ ٱلسَّمَاءِ وَخَيَّلَ لِلنَّاظِرِ فِيهَا ٱلنُّجُومَ وَٱلْغُيُومَ وَٱلْبُرُوقَ وَٱلرُّعُودَ (لِلْمَقَّرِي)



فصل في المراسلات بين الملوك والامراء

كتاب كسرى بن هرمز الى موريقي ملك الروم

لمّا وثب الفُرس على هرمز ملكهم فسملوا عينيهِ ثم قتلوهُ وملّكوا عليهم بهرامَ المرزُبان. كان لهرمز ابنٌ حدَثٌ اسمهُ كسرى وهو المعروف بانوشروان العادل . فتنكّر كانهُ سائلٌ وشقّ سلطانَ الفُرس حتى جاء نصيبين وصار الى الرُّها ومنها الى منبج وكتب الى موريقي كتاباً نسختهُ:

٣٢٤ لِلْأَبِ ٱلْمُبَارَكِ وَٱلسَّيِّدِ ٱلْمُقَدَّمِ مُورِيقِي مَلِكِ ٱلرُّومِ مِنْ كِسْرَى ٱبْنِ هُرْمُزَ ٱلسَّلَامُ . أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُعْلِمُ ٱلْمَلِكَ أَنَّ بَهْرَامَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ عَبِيدِ أَبِي جَهِلُوا قَدْرَهُمْ وَنَسُوا أَنَّهُمْ عَبِيدٌ وَأَنَا مَوْلَاهُمْ . وَكَفَرُوا نِعَمَ آبَائِي لَدَيْهِمْ فَٱعْتَدَوْا عَلَيَّ وَأَرَادُوا قَتْلِي . فَهَمَمْتُ أَنْ أَفْزَعَ إِلَى مِثْلِكَ فَأَعْتَصِمَ بِفَضْلِكَ وَأَكُونَ خَاضِعًا لَكَ . لِأَنَّ ٱلْخُضُوعَ لِمَلِكٍ مِثْلِكَ وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا أَيْسَرُ مِنَ ٱلْوُقُوعِ فِي أَيْدِي ٱلْعَبِيدِ ٱلْمَرَدَةِ . وَلَأَنْ يَكُونَ مَوْتِي عَلَى أَيْدِي ٱلْمُلُوكِ أَفْضَلُ وَأَقَلُّ عَارًا مِنْ أَنْ يَجْرِيَ عَلَى أَيْدِي ٱلْعَبِيدِ . فَفَزِعْتُ إِلَيْكَ ثِقَةً بِفَضْلِكَ وَرَجَاءَ أَنْ تَتَرَأَّفَ عَلَى مِثْلِي وَتُمِدَّنِي بِجُيُوشِكَ لِأَقْوَى بِهِمْ عَلَى مُحَارَبَةِ ٱلْعَدُوِّ وَأَصِيرَ لَكَ وَلَدًا سَامِعًا وَمُطِيعًا إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى

فلمّا قرأ موريقي كتاب كسرى بن هرمز عزم على إجابة مسئلتهِ لانهُ لجأ اليهِ فأنجدهُ بعشرين ألفاً . وسيّر لهُ من الأموال أربعين قنطاراً ذهباً وكتب اليهِ كتاباً نسختهُ :

٣٢٥ مِنْ مُورِيقِي عَبْدِ يَشُوعَ ٱلْمَسِيحِ إِلَى كِسْرَى مَلِكِ ٱلْفُرْسِ وَلَدِي

وَأَخِي ٱلسَّلَامُ . أَمَّا بعدُ فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ وَفَهِمتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ مِنْ أَمْرِ ٱلْعَبِيدِ ٱلَّذِينَ تَمَرَّدُوا عَلَيْكَ . وَكَوْنِهِمْ غَمَطُوا أَنْعُمَ آبَائِكَ وَأَسْلَافِكَ غَمْطًا وَخُرُوجِهِم عَلَيْكَ وَدَحْضِهِمْ إِيَّاكَ عَنْ مُلْكِكَ فَتَدَاخَلَنِي مِنْ ذٰلِكَ أَمْرٌ حَرَّكَنِي عَلَى ٱلتَّرَأُّفِ بِكَ وَعَلَيْكَ وَإِمْدَادِكَ بِمَا سَأَلْتَ . فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَنَّ ٱلِاسْتِتَارَ تَحْتَ جَنَاحِ مَلِكٍ عَدُوٍّ وَٱلِاسْتِظْلَالَ بِكَنَفِهِ آثَرُ مِنَ ٱلْوُقُوعِ فِي أَيْدِي ٱلْعَبِيدِ ٱلْمَرَدَةِ وَٱلْمَوْتَ عَلَى أَيْدِي ٱلْمُلُوكِ أَفْضَلُ مِنَ ٱلْمَوْتِ عَلَى أَيْدِي ٱلْعَبِيدِ فَإِنَّكَ ٱخْتَرْتَ أَفْضَلَ ٱلْخِصَالِ وَرَغِبْتَ إِلَيْنَا فِي ذٰلِكَ فَقَدْ صَدَّقْنَا قَوْلَكَ وَقَبِلْنَا كَلَامَكَ وَحَقَّقْنَا أَمَلَكَ وَأَتْمَمْنَا بُغْيَتَكَ وَقَضَيْنَا حَاجَتَكَ وَحَمِدْنَا سَعْيَكَ وَشَكَرْنَا حُسْنَ ظَنِّكَ بِنَا . وَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ بِمَا سَأَلْتَ مِنَ ٱلْجُيُوشِ وَٱلْأَمْوَالِ وَصَيَّرْتُكَ لِي وَلَدًا وَكُنْتُ لَكَ أَبًا . فَٱقْبِضِ ٱلْأَمْوَالَ مُبَارَكًا لَكَ فِيهَا وَقُدِ ٱلْجُيُوشَ وَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ ٱللهِ وَعَوْنِهِ وَلَا يَعْتَرِكَ ٱلضَّجَرُ وَٱلْهَلَعُ . بَلْ تَشَمَّرْ لِعَدُوِّكَ وَلَا تُقَصِّرْ فِيمَا يَجِبُ لَكَ إِذَا تَطَأْطَأْتَ مِنْ دَرَجَتِكَ وَٱنْحَطَطْتَ عَنْ مَرْتَبَتِكَ . فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُظْفِرَكَ ٱللهُ بِعَدُوِّكَ وَيَرُدَّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ وَيُعِيدَكَ إِلَى مَرْتَبَتِكَ بِرَجَاءِ ٱللهِ تَعَالَى (لابي الفرج الملطي)

كتاب عُمر بن الخطّاب الى عمرو بن العاص

٣٢٦ إِنِي أَحْمَدُ إِلَيْكَ ٱللهَ ٱلَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ . أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ كَثْرَةِ كُتُبِي إِلَيْكَ فِي إِبْطَائِكَ بِٱلْخَرَاجِ وَكِتَابِكَ إِلَيَّ بِثَنِيَّاتِ ٱلطُّرُقِ . وَقَدْ عَلِمْتَ أَنِّي لَسْتُ أَرْضَى مِنْكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ٱلْبَيِّنِ . وَلَمْ

أُقدِمْكَ مِصرَ أَجعَلُهَا لَكَ طُعمَةً وَلَا لِقَومِكَ . وَلٰكِنِّي وَجَّهتُكَ لِمَا رَجَوتُ مِن تَوفِيرِكَ ٱلخَرَاجَ وَحُسنِ سِيَاسَتِكَ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَٱحمِلِ ٱلخَرَاجَ فَإِنَّمَا هُوَ فَيْءُ ٱلمُسلِمِينَ وَعِندِي مَن تَعلَمُ قَومٌ مَحصُورُونَ . وَٱلسَّلَامُ

٣٢٧ (فَكَتَبَ إِلَيهِ عَمرُو بنُ ٱلعَاصِ) : أَمَّا بَعدُ فَقَد أَتَانِي كِتَابُ أَمِيرِ ٱلمُؤمِنِينَ يَستَبطِئُنِي فِي ٱلخَرَاجِ . وَيَزعُمُ أَنِّي أَعنُدُ عَنِ ٱلحَقِّ وَأَنكُبُ عَنِ ٱلطَّرِيقِ . وَإِنِّي وَٱللّٰهِ مَا أَرغَبُ عَن صَالِحِ مَا تَعلَمُ وَلٰكِنَّ أَهلَ ٱلأَرضِ ٱستَنظَرُونِي إِلَى أَن تُدرِكَ غَلَّتُهُم فَنَظَرتُ لِلمُسلِمِينَ فَكَانَ ٱلرِّفقُ بِهِم خَيرًا مِن أَن يُخرَقَ بِهِم فَنَصِيرَ إِلَى مَا لَا غِنَى بِهِم عَنهُ . وَٱلسَّلَامُ (لجلال الدين السيوطي)

كتاب عنبسة بن اسحاق الى المأمون وهو عاملهُ على الرَّقَّة
يصف خروج الأعراب بناحية سنجار وعبثهم بها

٣٢٨ يَا أَمِيرَ ٱلمُؤمِنِينَ قَد قَطَعَ سُبُلَ ٱلمُجتَازِينَ مِنَ ٱلمُسلِمِينَ وَٱلمُعَاهِدِينَ نَفَرٌ مِن شُذَّاذِ ٱلأَعرَابِ ٱلَّذِينَ لَا يَرقُبُونَ فِي مُؤمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَلَا يَخَافُونَ فِي ٱللّٰهِ حَدًّا وَلَا عُقُوبَةً . وَلَولَا ثِقَتِي بِسَيفِ أَمِيرِ ٱلمُؤمِنِينَ وَحَصدِهِ هٰذِهِ ٱلطَّائِفَةَ وَبُلُوغِهِ فِي أَعدَاءِ ٱللّٰهِ مَا يَردَعُ قَاصِيَهُم وَدَانِيَهُم لَأَذَّنتُ بِٱلِٱستِنجَادِ عَلَيهِم وَلَأَسعَيتُ ٱلخَيلَ إِلَيهِم . وَأَمِيرُ ٱلمُؤمِنِينَ مُعَانٌ فِي أُمُورِهِ بِٱلتَّأَيُّدِ وَٱلنَّصرِ . (فَكَتَبَ إِلَيهِ ٱلمَأمُونُ) :

أَسمَعتَ غَيرَ كَهَامِ ٱلسَّمعِ وَٱلبَصَرِ ... لَا يَقطَعُ ٱلسَّيفُ إِلَّا فِي يَدِ ٱلحَذِرِ
سَيُصبِحُ ٱلقَومُ مِن سَيفِي وَضَارِبِهِ ... مِثلَ ٱلهَشِيمِ ذَرَتهُ ٱلرِّيحُ بِٱلمَطَرِ

(فوجّه عنبسة بالبيتين الى الاعراب فما بقي منهم اثنان) (لابن عبد ربّه)

في الطلب وحسن التواصل

كتاب ابي العيناء الى عُبيد الله بن سليمان

٣٢٩ أَنَا أَعزَّكَ ٱللهُ وَوُلْدِي وَعِيَالِي زَرْعٌ مِنْ زَرْعِكَ إِنْ أَسْقَيْتَهُ رَاعَ وَزَكَا. وَإِنْ جَفَوْتَهُ ذَبَلَ وَذَوَى. وَقَدْ مَسَّنِي مِنْكَ جَفَاءٌ بَعْدَ بِرٍّ وَإِغْفَالٌ بَعْدَ تَعَاهُدٍ حَتَّى تَكَلَّمَ عَدُوٌّ وَشَمِتَ حَاسِدٌ. وَلَعِبَتْ بِي ظُنُونُ رِجَالٍ كُنْتُ بِهِمْ لَاعِبًا وَلَهُمْ مُخْرِسًا. وَلِلّهِ دَرُّ أَبِي ٱلْأَسْوَدِ فِي قَوْلِهِ:

لَا تُهِنِّي بَعْدَ أَنْ أَكْرَمْتَنِي وَشَدِيدٌ عَادَةٌ مُنْتَزَعَهْ

٣٣٠ (فوقَّع في رُقْعَتِهِ): أَنَا أَسْعَدَكَ ٱللهُ عَلَى ٱلْحَالِ ٱلَّتِي عَهِدْتَ وَمَيْلِي إِلَيْكَ كَمَا عَلِمْتَ. وَلَيْسَ مَنْ أُنْسِينَاهُ أَهْمَلْنَاهُ وَلَا مَنْ أَخَّرْنَاهُ تَرَكْنَاهُ مَعَ ٱقْتِطَاعِ ٱلشُّغْلِ لَنَا وَٱقْتِسَامِ زَمَانِنَا. وَكَانَ مِنْ حَقِّكَ عَلَيْنَا أَنْ تُذَكِّرَنَا بِنَفْسِكَ وَتُعْلِمَنَا أَمْرَكَ. وَقَدْ وَقَّعْتُ لَكَ بِرِزْقِ شَهْرَيْنِ لِتُرِيحَ عِلَّتَكَ وَتُعَرِّفَنِي مَبْلَغَ ٱسْتِحْقَاقِكَ لِأُطْلِقَ لَكَ بَاقِيَ أَرْزَاقِكَ إِنْ شَاءَ ٱللهُ. وَٱلسَّلَامُ (للقيرواني)

فصول لابن عبد ربه

٣٣١ لِلْمُفْضِلِ أَنْ يَخُصَّ بِفَضْلِهِ مَنْ شَاءَ وَلِلّهِ ٱلْحَمْدُ ثُمَّ لَهُ فِيمَا أَعْطَى وَلَا حُجَّةَ عَلَيْهِ فِيمَا مَنَعَ. كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنِّي وَاجِدٌ أَمْرِي خَالِصَةَ سَرِيرَتِي. أَرَى بِبَقَائِكَ بَقَاءَ سُرُورِي وَبِدَوَامِ ٱلنِّعْمَةِ عِنْدَكَ دَوَامَهَا عِنْدِي. لَا أَزَالَ أَبْقَاكَ ٱللهُ أَسْأَلُ ٱلْكِتَابَ إِلَيْكَ. فَمَرَّةً أَتَوَقَّفُ تَوَقُّفَ ٱلْمُخَفِّفِ عَنْكَ

مِنَ ٱلْمُؤُونَةِ وَمَرَّةً أَكْتُبُ كِتَابَ ٱلرَّاجِعِ مِنْكَ إِلَى ٱلثِّقَةِ. وَٱلْمُعْتَمِدِ مِنْكَ عَلَى ٱلْمُقِيلِ لَا أَعْدَمَنَا ٱللهُ دَوَامَ عِزِّكَ وَلَا سَلَبَ ٱلدُّنْيَا بَهْجَتَهَا بِكَ وَلَا أَخْلَانَا مِنَ ٱلصُّنْعِ لِلهِ. فَإِنَّا لَا نَعْرِفُ إِلَّا نِعْمَتَكَ وَلَا نَجِدُ لِلْحَيَاةِ طَعْمًا إِلَّا فِي ظِلِّكَ. وَلَئِنْ كَانَتِ ٱلرَّغْبَةُ إِلَى بَشَرٍ مِنَ ٱلنَّاسِ خَسَاسَةً وَذُلًّا لَقَدْ جَعَلَ ٱللهُ ٱلرَّغْبَةَ إِلَيْكَ كَرَامَةً وَعِزًّا. لِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ حُرًّا قَعَدَ بِهِ دَهْرُهُ إِلَّا سَبَقَتْ مَسْأَلَتَهُ بِٱلْعَطِيَّةِ وَصُنْتَ وَجْهَهُ عَنِ ٱلطَّلَبِ وَٱلذِّلَّةِ. (فَصْلٌ): لَكَ أَصْلَحَكَ ٱللهُ عِنْدِي أَيَادٍ تَشْفَعُ لِي إِلَى مَحَبَّتِكَ وَمَعْرُوفٌ يُوجِبُ عَلَيْكَ ٱلْوِدَّ وَٱلْإِتْمَامَ. وَأَنَا أَسْأَلُ ٱللهَ أَنْ يُنْجِزَنِي مَا لَمْ تَزَلِ ٱلْفِرَاسَةُ تَعِدُنِيهِ فِيكَ. (فَصْلٌ): قَدْ أَجَلَّ ٱللهُ قَدْرَكَ عَنِ ٱلِاعْتِذَارِ وَأَغْنَانِي فِي ٱلْقَوْلِ وَأَوْجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تَقْنَعَ بِمَا فَعَلْتُ وَتَرْضَى بِمَا أَنْعَمْتُ وَصَلْتُ أَوْ قَطَعْتُ (العقد الفريد)

كان الامير عبد الرحمان قد جفا ابنَهُ المنذرَ وابعدهُ لسوء خُلقهِ فكتب الى ابيهِ:

٣٣٢ إِنِّي قَدْ تَوَحَّشْتُ فِي هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ تَوَحُّشًا مَا عَلَيْهِ مِنْ مَزِيدٍ وَعَدِمْتُ فِيهِ مَنْ كُنْتُ آنَسُ إِلَيْهِ. وَأَصْبَحْتُ مَسْلُوبَ ٱلْعِزِّ فَقِيدَ ٱلْأَمْرِ وَٱلنَّهْيِ فَإِنْ كَانَ ذٰلِكَ عِقَابًا لِذَنْبٍ كَبِيرٍ ٱرْتَكَبْتُهُ وَعَلِمَهُ مَوْلَايَ وَلَمْ أَعْلَمْهُ فَإِنِّي صَابِرٌ عَلَى تَأْدِيبِهِ ضَارِعٌ إِلَيْهِ عَفْوَهُ وَصَفْحَهُ:

وَإِنَّ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَفِعْلَهُ لَكَٱلدَّهْرِ لَا عَارٌ بِمَا فَعَلَ ٱلدَّهْرُ

(فلمَّا وقف الأمير على رُقعتهِ أَرجعهُ الى ما اعتادهُ) (المقري)

في الاشواق

كتاب اسحاق بن ابرهيم الموصلي الى بعض الجلّة يستدعيه

٣٣٣ يَوْمُنَا يومٌ لَيِّنُ ٱلْحَوَاشِي وَطِيءُ ٱلنَّوَاحِي وَسَمَاؤُنَا قَدْ أَقْبَلَتْ وَرَعَدَتْ بِٱلْخَيْرِ وَبَرَقَتْ. وَأَنتَ قُطْبُ ٱلسُّرُورِ وَنِظَامُ ٱلْأُمُورِ. فَلَا تُفْرِدْنَا فَنَقِلَّ. وَلَا تَفَرَّدْ عَنَّا فَنَذِلَّ (للقيرواني)

كتاب ابي العباس الغسَّاني كاتب صاحب افريقية لبعض الاصدقاء

٣٣٤ سِرْ إِلَى مَجْلِسٍ يَكَادُ يَسِيرُ شَوْقًا إِلَيْكَ. وَيَطِيرُ بِأَجْنِحَةٍ مِنْ جَوَاهُ حَتَّى يَحُلَّ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَلِلّٰهِ دَرُّ كَمَالِهِ إِنْ طَلَعَتْ بَدْرًا بِأَعْلَاهُ وَجَمَالِهِ إِنْ ظَهَرَتْ غُرَّةً بِمُحَيَّاهُ. فَهُوَ أُفُقٌ قَدْ حَوَى نُجُومًا تَتَشَوَّقُ إِلَى طُلُوعِ بَدْرِهَا. وَقُطْرٌ قَدِ ٱشْتَمَلَ عَلَى أَنْهَارٍ تَتَشَوَّقُ إِلَى بَحْرِهَا. لِتَسْتَمِدَّ مِنْهُ. فَإِنْ مَنَنْتَ بِٱلْحُضُورِ. وَإِلَّا فَيَا خَيْبَةَ ٱلسُّرُورِ. قَالَ ٱبْنُ ٱلزَّيْنِ:

قَامَتْ لِغَيْبَتِكَ ٱلدُّنْيَا عَلَى سَاقِ ... وَٱلْكَأْسُ أَصْبَحَ غَضْبَانًا عَلَى ٱلسَّاقِي
وَٱلرَّاحُ قَدْ أَقْسَمَتْ أَنْ لَا تَطِيبَ لَنَا ... حَتَّى تَرَى وَجْهَكَ ٱلزَّاهِي بِإِشْرَاقِ
وَأَعْيُنُ ٱلزَّهْرِ نَحْوَ ٱلْبَابِ نَاظِرَةٌ ... وَقَدْ صَغَتْ أُذُنُ ٱلسُّوسَانِ لِلطَّاقِ
فَٱسْمَحْ بِجُودِكَ فَضْلًا بِٱلْحُضُورِ لَنَا ... مَا دَامَ شَمْلُ مَسَرَّاتِ ٱلْهَنَا بَاقِ
فَلَوْ دُعِيتُ إِلَى هٰذَا سَعَيْتُ لَهُ ... يَا حَبَّذَاكَ عَلَى رَأْسِي وَأَحْدَاقِي

كتاب الصاحب ابن عبَّاد الى صديق له

٣٣٥ مَجْلِسُنَا يَا سَيِّدِي مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ مُعَوِّلٌ فِي شَوْقِهِ عَلَيْكَ. وَقَدْ أَبَتْ رَاحَتُهُ أَنْ تَصْفُوَ إِلَّا أَنْ تَتَنَاوَلَهَا يُمْنَاكَ. وَأَقْسَمَ غِنَاؤُهُ لَا يَطِيبُ حَتَّى

تَعِبَهُ أَذْنَاكَ . وَنَحْنُ لِغَيْبَتِكَ كَعِقْدٍ ذَهَبَتْ وَاسِطَتُهُ وَشَبَابٍ قَدْ أُخِذَتْ جِدَّتُهُ . وَإِذَا غَابَتْ شَمْسُ ٱلسَّمَاءِ عَنَّا فَلَا بُدَّ أَنْ تَدْنُوَ شَمْسُ ٱلْأَرْضِ مِنَّا . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَحْضُرَ لِتَتَّصِلَ ٱلْوَاسِطَةُ بِٱلْعِقْدِ . وَنَحْصُلَ بِكَ فِي جَنَّةِ ٱلْخُلْدِ . فَكُنْ إِلَيْنَا أَسْرَعَ مِنَ ٱلسَّهْمِ فِي مَمَرِّهِ . وَٱلْمَاءِ إِلَى مَقَرِّهِ . لِئَلَّا يَخْبُثَ مِنْ يَوْمِي مَا طَابَ . وَيَعُودَ مِنْ نَوْمِي مَا طَارَ . وَٱللهُ أَعْلَمُ (للنواجي)

فصول في العتاب والاعتذار

فصول لاحمد بن يوسف

٣٣٦ لَوْلَا حُسْنُ ٱلظَّنِّ بِكَ أَعَزَّكَ ٱللهُ لَكَانَ فِي إِغْضَائِكَ عَنِّي مَا يَقْبِضُنِي عَنِ ٱلطَّلِبَةِ إِلَيْكَ . وَلٰكِنْ أَمْسَكَ بِرَمَقٍ مِنَ ٱلرَّجَاءِ عِلْمِي بِرَأْيِكَ فِي رِعَايَةِ ٱلْحَقِّ وَبَسْطِ يَدِكَ إِلَى ٱلَّذِي لَوْ قَبَضْتَهَا عَنْهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا كَرَمُكَ مُذَكِّرًا وَسُؤْدُدُكَ شَافِعًا . (فَصْلٌ) . لَا سَبِيلَ إِلَى شِكَايَتِكَ إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا ٱسْتِعَانَةَ إِلَّا بِكَ . وَمَا أَحَقَّ مَنْ جَعَلَكَ عَلَى أَمْرٍ عَوْنًا أَنْ تَكُونَ لَهُ إِلَى ٱلنَّجَاحِ سَبَبًا . وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

عَجِبْتُ لِقَلْبِكَ كَيْفَ ٱنْقَلَبْ ... وَمِنْ طُولِ وِدِّكَ أَنَّى ذَهَبْ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا وَذَا أَنَّنِي ... أَرَاكَ بِعَيْنِ ٱلرِّضَا فِي ٱلْغَضَبْ

(فَصْلٌ) . إِنَّ مَسْأَلَتِي إِلَيْكَ حَوَائِجِي مَعَ عَتْبِكَ عَلَيَّ مِنَ ٱللُّؤْمِ . وَإِنَّ إِمْسَاكِي عَنْهَا فِي حَالِ ضَرُورَةٍ إِلَيْهَا مَعَ عِلْمِي بِكَرَمِكَ فِي ٱلسُّخْطِ وَٱلرِّضَا لَعَجْزٌ . غَيْرَ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ أَقْرَبَ ٱلْوَسَائِلِ فِي طَلَبِ رِضَاكَ مَسْأَلَتُكَ مَا سَنَحَ مِنَ ٱلْحَاجَةِ . إِذْ كُنْتَ لَا تَجْعَلُ عَتْبَكَ سَبَبًا لِمَنْعِ مَعْرُوفِكَ

فصل في العتاب للعتابي

٣٣٧ تَأَنَّيْنَا إِفَاقَتَكَ مِنْ سَكْرَتِكَ وَتَرَقَّبْنَا انْتِبَاهَكَ مِنْ رَقْدَتِكَ. وَصَبَرْنَا عَلَى تَجَرُّعِ الْغَيْظِ فِيكَ. فَهَا أَنَا قَدْ عَرَفْتُكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ فِي تَعَدِّيكَ لِطَوْرِكَ وَاطِّرَاحِكَ حَقَّ مَنْ غَلِطَ فِي اخْتِيَارِكَ (لابن عبد ربّه)

فصول لابن مكرَّم في الاعتذار

٣٣٨ لَيْسَ يُزِيلُنِي عَنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِكَ فِعْلٌ حَمَلَكَ الْأَعْدَاءُ عَلَيْهِ. وَلَا يَقْطَعُنِي عَنْ رَجَائِكَ عَتْبٌ حَدَثَ عَلَيَّ مِنْكَ. بَلْ أَرْجُو أَنْ يَتَقَاضَى كَرَمُكَ إِنْجَازَ وَعْدِكَ إِذْ كَانَ أَبْلَغَ الشُّفَعَاءِ إِلَيْكَ. وَأَوْجَبَ الْوَسَائِلِ لَدَيْكَ. (فَصْلٌ) أَنْتَ أَعَزَّكَ اللّٰهُ أَعْلَمُ بِالْعَفْوِ وَالْعُقُوبَةِ مِنْ أَنْ تُجَازِيَنِي بِالسُّوءِ عَلَى ذَنْبٍ لَمْ أَجْنِهِ بِيَدٍ وَلَا لِسَانٍ بَلْ جَنَاهُ عَلَيَّ لِسَانُ وَاشٍ. فَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّكَ لَا تُسَهِّلُ سَبِيلَ الْعُذْرِ فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْكَرَمِ وَأَرْعَى لِحُقُوقِهِ. وَأَقْعَدُ بِالشَّرَفِ وَأَحْفَظُ لِذِمَامَاتِهِ. مِنْ أَنْ تَرُدَّ يَدَ مُؤَمِّلِكَ صِفْرًا مِنْ عَفْوِكَ إِذَا الْتَمَسَهُ. وَمِنْ عُذْرِكَ إِذَا جَعَلَ فَضْلَكَ شَافِعًا فِيهِ

٣٣٩ مرض الحسن بن وهب فلم يَعُدهُ ابن الزيّات ولم يتعرَّف خبرهُ فكتب اليهِ:

أَيُّهَا ذَا الْوَزِيرُ أَيَّدَكَ اللّٰـ ـهُ وَأَبْقَاكَ لِي زَمَانًا طَوِيلَا
أَجَمِيلًا تَرَاهُ يَا أَكْرَمَ النَّا سِ لِكَيْمَا أَرَاهُ أَيْضًا جَمِيلَا
أَنَّنِي قَدْ أَقَمْتُ عَشْرًا عَلِيلًا مَا تَرَى مُرْسِلًا إِلَيَّ رَسُولَا
إِنْ يَكُنْ يُوجِبُ التَّعَهُّدَ فِي الصُّحْـ ـبَةِ مَنًّا عَلَيَّ مِنْكَ طَوِيلَا
فَهْوَ أَوْلَى يَا سَيِّدَ النَّاسِ بِرًّا وَافْتِقَادًا لِمَنْ يَكُونُ عَلِيلَا

فاجابه ابن الزيّات :

دَفَعَ ٱللهُ عَنكَ نائبةَ ٱلدَّهْرِ وحاشاكَ أَنْ تكونَ عليلا
أُشهِدُ ٱللهَ ما علمتُ وماذا لكَ مِنَ ٱلعُذْرِ جائزًا مقبولا
ولعمري أَنْ لو علمتُ فلازمْتُكَ حولًا لكانَ عندي قليلا
فٱجعلنْ لي إلى ٱلتعلّقِ بٱلعُذْرِ سبيلًا إنْ لم أجدْ لي سبيلا
فقديمًا ما جادَ بٱلصَّفحِ وٱلعَفْوِ وما سامَحَ ٱلخليلُ خليلا

فصول في الذمّ

كتاب ابي بكر الخوارزمي الى العامل على البريد بالاهواز

٣٤٠ كُنتُ ظننتُ بكَ يا أخي ظنًّا كذَّبهُ قبحُ فعلكَ. وضعفُ هجرِكَ ووصلكَ. فإنَّكَ لا تعملُ فيهما على قياسٍ واجبٍ ولا تصبرُ منهما على طعامٍ واحدٍ. فلاجرمَ لقد رجعتُ في ودّي لكَ وما كنتُ أرجعُ في هبةٍ. وندمتُ على ثقتي بكَ وعهدي أنْ لا أندمَ على حسنةٍ (للخوارزمي)

كتاب عُمر بن الخطّاب الى ابي موسى الاشْعريّ

٣٤١ أمَّا بعدُ فإنَّ للنَّاسِ نفرةً عن سلطانهم. فٱحذرْ أنْ تدركَني وإيَّاكَ عمياءُ مجهولةٌ. وضغائنُ محمولةٌ. وأهواءٌ متَّبعةٌ ودنيا مؤثرةٌ. فأقمِ ٱلحدودَ ولو ساعةً مِنَ ٱلنهارِ وباشرْ أمورَ ٱلمسلمينَ وٱفتحْ بابكَ لهم. فإنَّما أنتَ رجلٌ منهم غيرَ أنَّ ٱللهَ جعلكَ أثقلَهم حملًا. وقد بلغَ أميرَ ٱلمؤمنينَ أنَّهُ فشتْ لكَ ولأهلِ بيتكَ هيئةٌ في لباسكَ ومطعمكَ ومركبكَ ليسَ للمسلمينَ مثلُها. فإيَّاكَ يا عبدَ ٱللهِ أنْ تكونَ كالبهيمةِ

هَمُّهَا فِي ٱلسِّمَنِ وَٱلسِّمَنُ حَتْفُهَا . وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلْعَامِلَ إِذَا زَاغَ زَاغَتْ رَعِيَّتُهُ . وَأَشْقَى ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْقَى بِهِ ٱلنَّاسُ . وَٱلسَّلَامُ (لابن عبد ربه)

كتاب صلاح الدين الى معزّ الدين صاحب الجزيرة

٣٤٢ إِنَّكَ أَنْتَ قَصَدْتَ ٱلِٱنْتِمَاءَ إِلَيَّ ٱبْتِدَاءً وَرَاجَعْتَنِي فِي ذٰلِكَ مِرَارًا . وَأَظْهَرْتَ ٱلْخِيفَةَ عَلَى نَفْسِكَ وَقَلْبِكَ وَبَلَدِكَ مِنْ أَهْلِكَ . فَقَبِلْتُكَ وَآوَيْتُكَ وَنَصَرْتُكَ وَبَسَطْتَ يَدَاكَ فِي أَمْوَالِ ٱلنَّاسِ وَدِمَائِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ . فَنَفَذْتُ إِلَيْكَ وَنَهَيْتُكَ عَنْ ذٰلِكَ مِرَارًا فَلَمْ تَنْتَهِ . فَٱتَّفَقَ وُقُوعُ هٰذِهِ ٱلْوَاقِعَةِ لِلْإِسْلَامِ فَدَعَوْنَاكَ فَأَتَيْتَ بِعَسْكَرٍ قَدْ عَرَفْتَهُ وَعَرَفَهُ ٱلنَّاسُ . وَأَقَمْتَ هٰذِهِ ٱلْمُدَّةَ ٱلْمَدِيدَةَ وَقَلِقْتَ هٰذَا ٱلْقَلَقَ وَتَحَرَّكْتَ هٰذِهِ ٱلْحَرَكَةَ . وَٱنْصَرَفْتَ عَنْ غَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ وَغَيْرِ قَصْدِ حَالٍ مَعَ ٱلْعَدُوِّ . فَٱنْظُرْ لِنَفْسِكَ وَأَبْصِرْ مَنْ تَنْتَمِي إِلَيْهِ غَيْرِي . وَٱحْفَظْ نَفْسَكَ مِمَّنْ يَقْصِدُكَ فَمَا لِي إِلَى جَانِبِكَ ٱلْتِفَاتٌ (سيرة صلاح الدين لابن شازي)

٣٤٣ كتاب عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيّات

أَحُلْتَ عَمَّا عَهِدتُّ مِنْ أَدَبِكْ ... أَمْ نِلْتَ مُلْكًا فَتِهْتَ فِي كُتُبِكْ
أَمْ قَدْ تَرَى أَنَّ فِي مُلَاطَفَةِ ٱلْ ... إِخْوَانِ نَقْصًا عَلَيْكَ فِي أَدَبِكْ
أَكَانَ حَقًّا كِتَابُ ذِي مِقَةٍ ... يَكُونُ فِي صَدْرِهِ وَأَمْتَعَ بِكْ
أَتْعَبْتَ كَفَّيْكَ فِي مُكَاتَبَتِي ... حَسْبُكَ مِمَّا لَقِيتَ مِنْ تَعَبِكْ

(فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ ٱلزَّيَّاتُ)

كَيْفَ أَخُونُ ٱلْإِخَاءَ يَا أَمَلِي ... وَكُلُّ شَيْءٍ أَنَالُ مِنْ سَبَبِكْ

أَنْكَرْتَ شَيْئًا فَلَسْتُ فَاعِلَهُ   وَلَنْ تَرَاهُ يُخَطُّ فِي كُتُبِكْ
إِنْ يَكُ جَهْلٌ أَتَاكَ مِنْ قِبَلِي   فَعُدْ بِفَضْلٍ عَلَيَّ مِنْ حَسَبِكْ
فَٱعْفُ فَدَتْكَ ٱلنُّفُوسُ عَنْ رَجُلٍ   يَعِيشُ حَتَّى ٱلْمَمَاتِ فِي أَدَبِكْ

فصول في التوصية

كتاب عُمر الى ابي عُبَيدة بعد فتوح الشام

٣٤٤ وَبَعْدُ فَإِنِّي وَلَّيْتُكَ أُمُورَ ٱلْمُسْلِمِينَ فَلَا تَسْتَحْيِ فَإِنَّ ٱللهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ ٱلْحَقِّ. وَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى ٱللهِ ٱلَّذِي يَبْقَى وَيَفْنَى مَا سِوَاهُ وَٱلَّذِي ٱسْتَخْرَجَكَ مِنَ ٱلضَّلَالِ إِلَى ٱلْهُدَى وَقَدِ ٱسْتَعْمَلْتُكَ عَلَى جُنْدِ مَا هُنَالِكَ مَعَ خَالِدٍ فَٱقْبِضْ جُنْدَهُ وَٱعْزِلْهُ عَنْ إِمَارَتِهِ. وَلَا تَقُلْ إِنِّي أَرْجُو لَكُمُ ٱلنَّصْرَ فَإِنَّ ٱلنَّصْرَ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ ٱلْيَقِينِ وَٱلثِّقَةِ بِٱللهِ. وَإِيَّاكَ وَٱلتَّغْرِيرَ بِإِلْقَاءِ ٱلْمُسْلِمِينَ إِلَى ٱلْهَلَكَةِ. وَغُضَّ عَنِ ٱلدُّنْيَا عَيْنَكَ وَأَلْهِ عَنْهَا قَلْبَكَ. وَإِنَّمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلْآخِرَةِ سِتْرُ ٱلْخِمَارِ وَقَدْ تَقَدَّمَكَ سَلَفُكَ. وَأَنْتَ كَأَنَّكَ مُنْتَظِرٌ سَفَرًا وَرَحِيلًا مِنْ دَارٍ مَضَتْ نَضَارَتُهَا وَذَهَبَتْ زَهْرَتُهَا. فَأَحْزَمُ ٱلنَّاسِ فِيهَا ٱلرَّحَّالُ عَنْهَا لِغَيْرِهَا وَيَكُونُ زَادُهُ ٱلتَّقْوَى. وَرَاعِ ٱلْمُسْلِمِينَ مَا ٱسْتَطَعْتَ. وَأَمَّا ٱخْتِصَامُكَ أَنْتَ وَخَالِدٌ فِي ٱلصُّلْحِ أَوِ ٱلْقِتَالِ فَأَنْتَ ٱلْوَلِيُّ وَصَاحِبُ ٱلْأَمْرِ. وَٱلسَّلَامُ وَرَحْمَةُ ٱللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَى جَمِيعِ ٱلْمُسْلِمِينَ (فتوح الشام للواقدي)

كتاب بديع الزمان الى ابن اخته

٣٤٥ أَنْتَ وَلَدِي مَا دُمْتَ وَٱلْعِلْمُ شَأْنُكَ. وَٱلْمَدْرَسَةُ مَكَانُكَ.

وَالْمِحْبَرَةُ حَلِيفُكَ . وَالدَّفْتَرُ أَلِيفُكَ . فَإِنْ قَصَّرْتَ وَلَا إِخَالُكَ . فَغَيْرِي خَالُكَ وَالسَّلَامُ (رسائل بديع الزمان الهمذاني)

فصول لمحمد بن عبد الملك الزيات للخلفاء في التوصية

٢٤٦ إِنَّ حَقَّ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى السُّلْطَانِ تَنْفِيذُ أُمُورِهِمْ وَتَقْوِيمُ أَوَدِهِمْ وَرِيَاضَةُ أَخْلَاقِهِمْ . وَأَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَهُمْ فَيُقَدِّمَ مُحْسِنَهُمْ وَيُؤَخِّرَ مُسِيئَهُمْ . لِيَزْدَادَ هٰؤُلَاءِ فِي إِحْسَانِهِمْ وَيَزْدَجِرَ هٰؤُلَاءِ عَنْ إِسَاءَتِهِمْ . (وَفَصْلٌ لَهُ): إِنَّ ٱللهَ أَوْجَبَ لِخُلَفَائِهِ عَلَى عِبَادِهِ حَقَّ الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ . وَلِعَبِيدِهِ عَلَى خُلَفَائِهِ بَسْطَ الْعَدْلِ وَالرَّأْفَةِ وَإِحْيَاءَ السُّنَنِ الصَّالِحَةِ . فَإِذَا أَدَّى كُلٌّ إِلَى كُلٍّ حَقَّهُ كَانَ ذٰلِكَ سَبَبًا لِتَمَامِ الْمَعُونَةِ وَاتِّصَالِ الزِّيَادَةِ وَاتِّسَاقِ الْكَلِمَةِ وَدَوَامِ الْأُلْفَةِ . (وَفَصْلٌ) : لَيْسَ مِنْ نِعْمَةٍ يُجَدِّدُهَا ٱللهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي نَفْسِهِ خَاصَّةً إِلَّا اتَّصَلَتْ بِرَعِيَّتِهِ عَامَّةً وَشَمَلَتِ الرَّعِيَّةَ كَافَّةً وَعَظُمَ بَلَاءُ ٱللهِ عِنْدَهُمْ فِيهَا وَوَجَبَ عَلَيْهِمْ شُكْرُهُ عَلَيْهَا . لِأَنَّ ٱللهَ جَعَلَ بِنِعْمَتِهِ تَمَامَ نِعْمَتِهِمْ وَبِتَدْبِيرِهِ وَذَبِّهِ عَنْ دِينِهِ حِفْظَ حَرِيمِهِمْ . وَبِحِيَاطَتِهِ حَقْنَ دِمَائِهِمْ وَأَمْنَ سَبِيلِهِمْ . فَأَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُنْطَوِيَ الْقَلْبِ عَلَى مُنَاصَحَتِهِمْ مُؤَيَّدًا بِالنَّصْرِ . مُعَزَّزًا بِالتَّمْكِينِ . مَوْصُولَ الْبَقَاءِ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ

فصول في المديح والشكر

فصول للحسن بن وهب

٣٤٧ مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا أَوْ ثَرْوَةٍ أَقْدَرْتَهُ إِيَّاهَا . فَإِنَّ

شُكْرِي لَكَ عَلَى مُهْجَةٍ أَحْيَيْتَهَا وَحُشَاشَةٍ أَبْقَيْتَهَا وَرَمَقٍ أَمْسَكْتَ بِهِ وَقُمْتَ بَيْنَ ٱلتَّلَفِ وَبَيْنَهُ . فَلِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ ٱلدُّنْيَا حَدٌّ تَنْتَهِي إِلَيْهِ وَمَدًى يُوقَفُ عِنْدَهُ وَغَايَةٌ مِنَ ٱلشُّكْرِ يَسْمُو إِلَيْهَا ٱلطَّرْفُ . خَلَا هٰذِهِ ٱلنِّعْمَةِ ٱلَّتِي قَدْ فَاقَتِ ٱلْوَصْفَ وَأَطَالَتِ ٱلشُّكْرَ وَتَجَاوَزَتْ قَدْرَهُ . وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَايَةٍ . رَدَدْتَ عَنَّا كَيْدَ ٱلْعَدُوِّ وَأَرْغَمْتَ أَنْفَ ٱلْحَسُودِ فَنَحْنُ نَلْجَأُ إِلَيْهِ مِنْهَا إِلَى ظِلٍّ ظَلِيلٍ وَكَنَفٍ كَرِيمٍ فَكَيْفَ يَشْكُرُ ٱلشَّاكِرُ وَأَيْنَ يَبْلُغُ جُهْدُ ٱلْمُجْتَهِدِ . (وَلَهُ إِلَى إِبْرٰهِيمَ بْنِ ٱلْعَبَّاسِ) : وَصَلَ كِتَابُكَ فَمَا رَأَيْتُ كِتَابًا أَسْهَلَ فُنُونًا وَلَا أَمْلَسَ مُتُونًا وَلَا أَكْثَرَ عُيُونًا وَلَا أَحْسَنَ مَقَاطِعَ وَمَطَالِعَ مِنْهُ . أَنْجَزْتَ فِيهِ عِدَةَ ٱلرَّأْيِ وَبُشْرَى ٱلْفِرَاسَةِ . وَعَادَ ٱلظَّنُّ يَقِينًا وَٱلْأَمَلُ مَبْلُوغًا وَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ ٱلصَّالِحَاتُ

كتاب ابن مُكَرَّم الى احمد بن المدبِّر

٣٤٨ إِنَّ مِنَ ٱلنِّعْمَةِ عَلَى ٱلْمُثْنِي عَلَيْكَ أَنْ لَا يَخَافَ ٱلْإِفْرَاطَ وَلَا يَأْمَنَ ٱلتَّقْصِيرَ . وَيَأْمَنَ أَنْ تَلْحَقَهُ نَقِيصَةُ ٱلْكَذِبِ . وَلَا يَنْتَهِيَ بِهِ ٱلْمَدْحُ إِلَى غَايَةٍ إِلَّا وَجَدَ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا . وَمِنْ سَعَادَةِ جَدِّكَ أَنَّ ٱلدَّاعِيَ لَا يُقَدِّمُ كَثْرَةَ ٱلْمُتَابِعِينَ لَهُ وَٱلْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ (لابن عبد ربه)

فصول في التهنئة والهدايا

فصل للحسن بن وهب

٣٤٩ لَئِنْ تَخَلَّفْتُ عَنْ عِيَادَتِكَ بِٱلْعُذْرِ ٱلْوَاضِحِ مِنَ ٱلْعِلَّةِ مَا أَغْفَلَ قَلْبِي ذِكْرَكَ وَلَا لِسَانِي فَحْصًا عَنْ خَبَرِكَ . وَلَمَّا بَلَغَتْنِي إِفَاقَتُكَ كَتَبْتُ

مُهَنِّئًا بِالْعَافِيَةِ مُعْفِيًا مِنَ الْجَوَابِ إِلَّا بِخَبَرِ السَّلَامَةِ (للقيرواني)

كتاب سعيد بن حميد الى بعض اهل السلطان في يوم النيروز

٣٥٠ أَيُّهَا السَّيِّدُ الشَّرِيفُ عِشْتَ أَطْوَلَ الْأَعْمَارِ بِزِيَادَةٍ مِنَ الْعُمْرِ مَوْصُولَةٍ بِفَرَائِضِهَا مِنَ الشُّكْرِ . لَا يَنْقَضِي حَقُّ نِعْمَةٍ حَتَّى يُجَدِّدَ لَكَ أُخْرَى وَلَا يَمُرُّ بِكَ يَوْمٌ إِلَّا كَانَ مُقَصِّرًا عَمَّا بَعْدَهُ مُوفِيًا عَمَّا قَبْلَهُ . وَإِنِّي وَإِنْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي فَهِيَ مُلْكٌ لَكَ لَا حَظَّ فِيهَا لِغَيْرِكَ . وَرَمَيْتُ بِطَرْفِي إِلَى كَرَائِمِ مَالِي فَوَجَدْتُهَا مِنْكَ . فَإِنْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ مِنْهَا شَيْئًا لَمْ أُهْدِ مَا لَكَ إِلَيْكَ . وَنَزَعْتُ إِلَى مَوَدَّتِي فَوَجَدْتُهَا خَالِصَةً لَكَ قَدِيمَةً غَيْرَ مُسْتَحْدَثَةٍ . فَرَأَيْتُنِي إِنْ جَعَلْتُهَا هَدِيَّتِي لَمْ أُجَدِّدْ لِهٰذَا الْيَوْمِ الْجَدِيدِ بِرًّا وَلَا لُطْفًا . وَلَمْ أُمَيِّزْ مَنْزِلَةً مِنْ شُكْرِي بِمَنْزِلَةٍ مِنْ نِعْمَتِكَ إِلَّا كَانَ الشُّكْرُ مُقَصِّرًا عَنِ الْحَقِّ وَالنِّعْمَةِ زَائِدًا عَلَى مَا تَبْلُغُهُ الطَّاقَةُ . فَجَعَلْتُ الْاِعْتِرَافَ بِالتَّقْصِيرِ عَنْ حَقِّكَ هَدِيَّةً إِلَيْكَ وَالْإِقْرَارَ بِالْعَجْزِ عَمَّا يَجِبُ لَكَ بِرًّا أَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَيْكَ

وكتب بعض الكتّاب الى بعض الملوك

٣٥١ أَلنَّفْسُ لَكَ وَالرَّجَاءُ مَوْقُوفٌ عَلَيْكَ وَالْأَمَلُ مَصْرُوفٌ نَحْوَكَ . فَمَا عَسَى أَنْ أُهْدِيَ إِلَيْكَ فِي هٰذَا الْيَوْمِ . وَهُوَ يَوْمٌ سَهَّلَتْ فِيهِ الْعَادَةُ سَبِيلَ الْهَدَايَا لِلسَّادَةِ . فَاقْتَصَرْنَا عَلَى هَدِيَّةٍ تَقْتَضِي بَعْضَ الْحَقِّ وَتَقُومُ عِنْدَكَ مَقَامَ أَجْمَلِ الْبِرِّ . وَلَا زِلْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ دَائِمَ السُّرُورِ وَالْغِبْطَةِ فِي أَتَمِّ أَحْوَالِ الْعَافِيَةِ وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْكَرَامَةِ تَمُرُّ بِكَ الْأَعْيَادُ الصَّالِحَةُ .

فتخلقها وأنت جديد تستقبل أمثالها فتلقاك بهائها (لابن عبد ربه)

فصول في التعزية

كتاب الخوارزمي الى الشيخ ابي بكر

٣٥٢ بلغني ما قاساه شيخي أيده الله تعالى في هذه المصيبة من غم يشكي بل يبكي. وجزع يضني بل يفني. والموت خطب ثقل حتى خف وكثر حتى قل. وهان على الباقي لما رآه بالماضي. وعلى المعزي لما نظره في المعزى. ودخل الجميع تحت قول المتنبي:

فيدفن بعضنا بعضاً ويمشي أواخرنا على هام الأوالي

وشيخي أعرف بالله. من أن يتأدب بغير أدب الله. ولا يسلم لقضاء الله. ولكن لمفاجأة المصيبة لذعة يستراح منها إلى مباثة الصديق. وإلى تسلية الأخ الشقيق. والسلام (رسائل الخوارزمي)

غيره لبعضهم

٣٥٣ أما بعد فإن أحق من تعزى وأولى من تأنس وسلم لأمر الله وقبل تأديبه في الصبر على نكبات الدنيا وتجرع غصص البلوى من تنجز من الله وعده وأخلص له نفسه واعترف له بما هو أهله. وفي قلبه سلوة من فقد كل حبيب وإن لم تطب النفس عنه وأنس من كل فقيد وإن عظمت اللوعة به. والموت سبيل الماضين والغابرين ومورد الخلائق أجمعين. وفي أنبياء الله وسالف أوليائه أفضل العبرة وأحسن الأسوة. فهل أحد منهم إلا وقد أخذ من فجائع الدنيا بأجزل الإعطاء

وَمِنَ ٱلصَّبْرِ عَلَيْهَا بِٱحْتِسَابِ ٱلْأَجْرِ فِيهَا بِأَوْفَرِ ٱلْأَنْصِبَاءِ . فَوَهَبَ ٱللهُ لَكَ مِنْ عِصْمَةِ ٱلصَّبْرِ مَا يُكْمِلُ لَكَ بِهِ زُلْفَى ٱلْفَائِزِينَ وَقُرْبَةَ ٱلشَّاكِرِينَ . وَجَعَلَكَ مِنَ ٱلْمَرْضِيِّينَ قَوْلًا وَفِعْلًا (لابن عبد ربه)

كتاب ابي العيناء الى المهديّ بعد موت الخليفة المنصور

٣٥٤ أَجَرَ ٱللهُ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَبْلَهُ وَبَارَكَ لَهُ فِيمَا خَلَّفَهُ لَهُ . فَلَا مُصِيبَةَ أَعْظَمُ مِنْ مُصِيبَةِ إِمَامٍ وَالِدٍ وَلَا عُقْبَى أَفْضَلُ مِنْ خِلَافَةِ ٱللهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ . فَٱقْبَلْ مِنَ ٱللهِ أَفْضَلَ ٱلْعَطِيَّةِ وَٱصْبِرْ لَهُ عَلَى أَعْظَمِ ٱلرَّزِيَّةِ

فصول الى عليل

كتاب ابي بكر الخُوارزمي الى تِلميذٍ لهُ قد ظهر عليهِ الجدري

٣٥٥ وَصَلَنِي خَبَرُ ٱلْجُدَرِيِّ فَنَالَ مِنِّي وَهَيَّجَ حُزْنِي . وَرَاعَ قَلْبِي وَأَسْهَرَ عَيْنِي . وَهٰذِهِ ٱلْعِلَّةُ وَإِنْ كَانَتْ مُوجِعَةً . وَفِي رَأْيِ ٱلْعَيْنِ فَظِيعَةً شَنِيعَةً . فَإِنَّهَا إِلَى ٱلسَّلَامَةِ أَقْرَبُ . وَطَرِيقُهَا إِلَى ٱلْحَيَاةِ أَقْصَدُ . لِأَنَّ عَيْنَ ٱلطَّبِيبِ تَقَعُ عَلَيْهَا . وَظَاهِرُ ٱلدَّاءِ أَسْلَمُ مِنْ بَاطِنِهِ . وَبَارِزُ ٱلْجُرْحِ أَهْوَنُ مِنْ كَامِنِهِ . وَلَعَمْرِي إِنَّهَا تُورِثُ سَوَادَ ٱللَّوْنِ . وَتَذْهَبُ مِنَ ٱلْوَجْهِ بِدِيبَاجَةِ ٱلْحُسْنِ وَلٰكِنَّ ذٰلِكَ يَسِيرٌ فِي جَنْبِ ٱلسَّلَامَةِ لِلرُّوحِ ٱللَّطِيفَةِ . وَٱلنَّفْسِ ٱلشَّرِيفَةِ . وَلَسْتُ أَسْتَطِيعُ لَكَ غَيْرَ ٱلدُّعَاءِ . لَا أَسْأَلُ صِحَّتَكَ . إِلَّا مِمَّنْ خَلَقَ عِلَّتَكَ . وَأَرَى لَكَ أَنْ تُحْسِنَ ظَنَّكَ بِرَبِّكَ . وَتَسْتَغْفِرَ مِنْ ذَنْبِكَ . وَتَجْعَلَ ٱلصَّدَقَةَ شَفِيعَكَ . وَٱلْيَقِينَ طَبِيبَكَ . وَتَعْلَمَ أَنَّهُ لَا دَاءَ أَدْوَأُ مِنْ أَجَلٍ . وَلَا دَوَاءَ أَشْفَى مِنْ مَهَلٍ . وَلَا فِرَاشَ

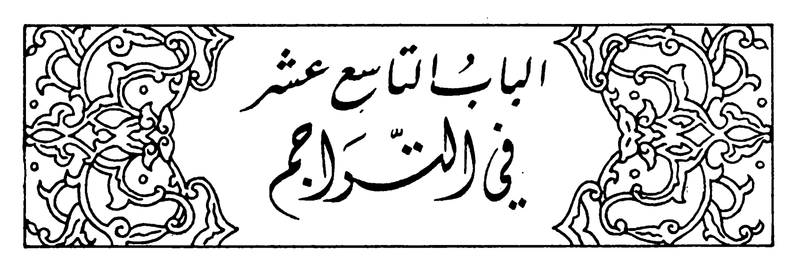
أَوْطأُ مِنْ أَمَلٍ . شَفَاكَ ٱللهُ تَعَالَى . وَحَسْبُكَ بِهِ طَبِيبًا (للخوارزمي)

وكتب الى تلميذٍ لهُ ورد عليهِ كتابهُ بانهُ عليل

٣٥٦ وَصَلَ كِتَابُكَ يَا سَيِّدِي فَسَرَّنِي نَظَرِي إِلَيْهِ . ثُمَّ غَمَّنِي ٱطِّلَاعِي عَلَيْهِ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ ذِكْرِ عِلَّتِكَ . جَعَلَ ٱللهُ تَعَالَى أَوَّلَهَا كَفَّارَةً وَآخِرَهَا عَافِيَةً . وَلَا أَعْدَمَكَ عَلَى ٱلْأُولَى أَجْرًا . وَعَلَى ٱلْآخِرَةِ شُكْرًا . وَبِوُدِّي لَوْ قَرُبَ عَلَيَّ مُتَنَاوَلُ عِيَادَتِكَ . فَٱحْتَمَلْتُ عَنْكَ بِٱلتَّعَهُّدِ وَٱلْمُسَاعَدَةِ بَعْضَ أَعْبَاءِ عِلَّتِكَ . فَلَقَدْ خَصَّنِي مِنْ هٰذِهِ ٱلْعِلَّةِ قِسْمٌ كَقِسْمِكَ . وَمَرِضَ قَلْبِي لِمَرَضِ جِسْمِكَ . وَأَظُنُّ أَنِّي لَوْ لَقِيتُكَ عَلِيلًا لَٱنْصَرَفْتُ عَنْكَ وَأَنَا أَعَلُّ مِنْكَ فَإِنِّي بِحَمْدِ ٱللهِ تَعَالَى جَلْدٌ عَلَى أَوْجَاعِ أَعْضَائِي . غَيْرُ جَلْدٍ عَلَى أَوْجَاعِ أَصْدِقَائِي . شَفَاكَ ٱللهُ وَعَافَاكَ . وَكَفَانِي فِيكَ ٱلْمَحْذُورَ وَكَفَاكَ . وَغَفَرَ ذَنْبَكَ . وَشَرَحَ قَلْبَكَ وَأَعْلَى كَعْبَكَ (لهُ)

فصول في وصاة للجاحظ

٣٥٧ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ أَسْعَفْتَهُ فِي حَاجَتِهِ وَأَجَبْتَهُ إِلَى طَلِبَتِهِ مَنْ تَوَسَّلَ إِلَيْكَ بِٱلْأَمَلِ وَنَزَعَ نَحْوَكَ بِٱلرَّجَاءِ . وَإِنَّ فُلَانًا أَسْبَابُهُ مُتَّصِلَةٌ بِنَا يَلْزَمُنَا ذِمَامُهُ وَبُلُوغُ مُوَافَقَتِهِ مِنْ أَيَادِيكَ عِنْدَنَا . وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ ٱلثِّقَةِ مِنْ مُكَافَأَتِهِ فَأَوْلِنَا فِيهِ مَا نَعْرِفُ مَوْقِعَنَا مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ وَتَكُونَ مُكَافَأَةً لِحَقِّهِ عَلَيْنَا (وَلَهُ) : أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانَا كِتَابُكَ فِي فُلَانٍ وَلَهُ لَدَيْنَا مِنَ ٱلذِّمَامِ مَا يُلْزِمُنَا مُكَافَأَتَهُ وَرِعَايَةَ حَقِّهِ . وَنَحْنُ مِنَ ٱلْمَعْتَبَةِ بِأَمْرِهِ عَلَى مَا كَانَ فِي حُرْمَتِهِ وَيُؤَدِّي شُكْرَهُ (لابن عبد ربهِ)



الباب التاسع عشر في التراجم

شعراء النصرانية

٣٥٨ (أَلْبَرَّاقُ بْنُ رَوْحَانَ ٥٢٥). هُوَ أَبُو ٱلنَّصْرِ بْنُ رَوْحَانَ بْنِ أَسَدٍ ٱلتَّمِيمِيُّ مِنْ شُعَرَاءِ ٱلطَّبَقَةِ ٱلثَّانِيَةِ وَهُوَ جَاهِلِيٌّ قَدِيمٌ. وَكَانَ فِي صِغَرِهِ يَتْبَعُ رُعَاةَ ٱلْإِبِلِ وَيَحْلُبُ ٱللَّبَنَ وَيَأْتِي بِهِ إِلَى رَاهِبٍ حَوْلَ ٱلْمَرَاعِي فَيَتَعَلَّمُ مِنْهُ تِلَاوَةَ ٱلْإِنْجِيلِ وَكَانَ يَدِينُ بِدِينِهِ. ثُمَّ ٱشْتَهَرَ أَمْرُهُ وَسَارَ بَعْدَ ذٰلِكَ. وَظَهَرَ مِنْهُ مِنَ ٱلْقِيَامِ وَٱلْفُرُوسِيَّةِ فِي ٱلْحَرْبِ ٱلَّتِي وَقَعَتْ بَيْنَ بَنِي رَبِيعَةَ وَبَنِي إِيَادٍ وَلَخْمٍ مَا لَمْ يَكُنْ لِغَيْرِهِ. وَمِنْ شِعْرِهِ:

يَا طَالِبَ ٱلْأَمْرِ لَا يُعْطَى أَمَانِيهِ ... إِسْتَعْمِلِ ٱلصَّبْرَ فِي مَا كُنْتَ تَبْغِيهِ

وَٱلْبَسْ لِسِرِّكَ مَا تُخْفِيهِ مُجْتَهِدًا ... وَٱلْبَسْ عَفَافَكَ فِي مَا كُنْتَ تَعْنِيهِ

فَصَاحِبُ ٱلصِّدْقِ يَجْنِي صِدْقُهُ حَسَنًا ... وَصَاحِبُ ٱلشَّرِّ سُوءُ ٱلشَّرِّ يَجْنِيهِ

وَلَمَّا وَقَعَتْ بَيْنَ بَنِي رَبِيعَةَ وَبَنِي طَيٍّ وَقُضَاعَةَ ٱلْحُرُوبُ ٱلْمَشْهُورَةُ وَتَعَاظَمَتِ ٱلْفِتْنَةُ بَيْنَهُمْ وَٱتَّسَعَتْ أَعْيَا ٱلتَّدْبِيرُ فِي ٱلصُّلْحِ حَتَّى لَحِقَ شَرُّهُمْ مَنْ كَانَ مُعْتَزِلًا عَنْهُمْ. فَٱجْتَمَعَ إِلَى ٱلْبَرَّاقِ كُلَيْبُ بْنُ رَبِيعَةَ وَإِخْوَتُهُ

(*) قد افردنا هذا الباب لذكر تراجم المشاهير من اهل النصرانيَّة الذين مع اشتهارهم يخفى على الكثير تاريخهم. وقد افردنا بابًا آخر لتراجم المشاهير من الاسلام وغيرهم قضى علينا ضيق المقام بوضعهِ في الجزء التالي. وقد اصطلحنا في الارقام ان يكون العدد الاوَّل دالًّا على سنة الميلاد والثاني على سنة الوفاة. وان لم ترَ الَّا عددًا فذلك تاريخ سنة الوفاة. وهو بحسب التاريخ المسيحي

وسائرُ قبائل ربيعة يستنجدونه وقالوا: قد جلَّ الخطبُ فلا قرار لنا عليه. وكان البرَّاق معتزلًا عنهم بقومه. فأخذته الغيرة وأنشأ يقول:

أعمري لست أتركُ آلَ قومي وأرحلُ عن فنائي أو أسيرُ
أأنزل بينهم إن كان يسرٌ وأرحلُ إن ألمَّ بهم عسيرُ

ثمَّ نادى في قومه وقال: قد علمتم كثرة قبائل طيّ وشدَّة بأسهم ونجدتهم فشدُّوا بنا الخيلَ وابدؤوهم بالغارة. فوضعوا فيهم السيوفَ وعلت الأصواتُ وتبادرت إليهم النَّاسُ وحملت عليهم كلَّ قبيلة بما يليها. فاعتركوا ساعةً وولَّت طيٌّ وقضاعة بعد قتلةٍ مريعةٍ. واتَّبعهم البرَّاق. وامتلأت أيديهم من الغنائم وانقادت إليهم العربان. وعظمت منزلة البرَّاق في أعين النَّاس واستهالوا أمره وأثنوا عليه جميلًا. وكانت وفاته سنة خمسمائةٍ وخمسٍ وعشرين للمسيح

٣٥٩ (إمرؤُ القيس ٥٦٦). قال الأصمعيُّ: هو امرؤُ القيس بن حجر ابن الحارث من بني كندة صاحب المعلَّقة المشهورة. وكان من فحول شعراء الطبقة الأولى مقدَّمًا على سائر شعراء الجاهليَّة. سبق إلى أشياء ابتدعها واستحسنتها العربُ واتَّبعته عليها الشُّعراء. وكان حُجْرٌ أبو امرئ القيس ملكًا على بني أسدٍ فقتلوه غيلةً. قال ابن السّكّيت: فجاء رسولٌ إلى امرئ القيس فأخبره عن أمر أبيه فقال: الخمرُ عليَّ واللّعبُ حرامٌ حتّى أقتلَ من بني أسدٍ مائةً. وأجزَّ نواصي مائةٍ

ثمَّ قام امرؤُ القيس وكان إذ ذاك غلامًا قد ترعرع يسيرُ في أحياء

ٱلْعَرَبِ. وَلَمَّا جَنَّهُ ٱللَّيْلُ رَأَى بَرْقًا فَقَالَ:

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ بِلَيْلٍ أَهَلّْ يُضِيءُ سَنَاهُ بِأَعْلَى ٱلْجَبَلْ
أَتَانِي حَدِيثٌ فَكَذَّبْتُهُ بِأَمْرٍ تَزَعْزَعُ مِنْهُ ٱلْقُلَلْ
بِقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ رَبَّهُمْ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلْ

ثُمَّ ٱرْتَحَلَ حَتَّى نَزَلَ بَكْرًا وَتَغْلِبَ فَسَأَلَهُمُ ٱلنَّصْرَ عَلَى بَنِي أَسَدٍ. وَبَعَثَ ٱلْعُيُونَ عَلَى بَنِي أَسَدٍ فَنَذِرُوا بِٱلْعُيُونِ وَلَجَأُوا إِلَى بَنِي كِنَانَةَ. فَنَهَضَ إِلَيْهِمْ وَبَنُو أَسَدٍ جَامُّونَ عَلَى ٱلْمَاءِ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى كَثُرَتِ ٱلْجَرْحَى وَٱلْقَتْلَى فِيهِمْ. وَحَجَزَ ٱللَّيْلُ بَيْنَهُمْ وَهَرَبَتْ بَنُو أَسَدٍ. فَلَمَّا أَصْبَحَتْ بَكْرٌ وَتَغْلِبُ أَبَوْا أَنْ يَتَّبِعُوهُ وَقَالُوا لَهُ: قَدْ أَصَبْتَ ثَأْرَكَ. فَقَالَ: وَٱللهِ مَا فَعَلْتُ وَلَا أَصَبْتُ مِنْ بَنِي كَاهِلٍ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَحَدًا. قَالُوا: بَلَى وَلٰكِنَّكَ رَجُلٌ مَشْؤُومٌ. وَكَرِهُوا قِتَالَهُمْ بَنِي كِنَانَةَ وَٱنْصَرَفُوا عَنْهُ فَمَضَى هَارِبًا لِوَجْهِهِ حَتَّى لَحِقَ بِحِمْيَرَ. ثُمَّ خَرَجَ فَظَفِرَ بِبَنِي أَسَدٍ (قَالُوا) وَأَلَحَّ ٱلْمُنْذِرُ فِي طَلَبِ ٱمْرِئِ ٱلْقَيْسِ وَأَمَدَّهُ أَنُوشِرْوَانُ بِجَيْشٍ مِنَ ٱلْأَسَاوِرَةِ فَسَرَّحَهُمْ فِي طَلَبِهِ. وَتَفَرَّقَ حِمْيَرُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ عَنْهُ فَنَجَا فِي عُصْبَةٍ مِنْ بَنِي آكِلِ ٱلْمُرَارِ حَتَّى نَزَلَ بِٱلْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ وَمَعَ ٱمْرِئِ ٱلْقَيْسِ أَدْرَاعٌ يَتَوَارَثُونَهَا مَلِكًا عَنْ مَلِكٍ. فَقَلَّمَا لَبِثُوا عِنْدَ ٱلْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ حَتَّى بَعَثَ إِلَيْهِ ٱلْمُنْذِرُ مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ يُوعِدُهُ بِٱلْحَرْبِ إِنْ لَمْ يُسَلِّمْ إِلَيْهِ بَنِي آكِلِ ٱلْمُرَارِ. فَأَسْلَمَهُمْ وَنَجَا ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ وَمَعَهُ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ ٱلْحَارِثِ وَبِنْتُهُ هِنْدُ بِنْتُ ٱمْرِئِ

ٱلْقَيْسِ وَٱلْأَدْرُعُ وَٱلسِّلَاحُ . ثُمَّ قَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ جَابِرِ بْنِ مَازِنٍ ٱلْفَزَارِيُّ : يَا ٱبْنَ حُجْرٍ إِنِّي أَرَاكَ فِي خَلَلٍ مِنْ قَوْمِكَ وَأَنَا أَنْفَسُ بِمِثْلِكَ مِنْ أَهْلِ ٱلشَّرَفِ . أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَلَدٍ فَقَدْ جِئْتُ قَيْصَرَ وَجِئْتُ ٱلنُّعْمَانَ فَلَمْ أَرَ لِضَيْفٍ نَازِلٍ وَلَا لِمُجْتَدٍ مِثْلَهُ وَلَا مِثْلَ صَاحِبِهِ . قَالَ : مَنْ هُوَ وَأَيْنَ مَنْزِلُهُ . قَالَ : ٱلسَّمَوْءَلُ بِتَيْمَاءَ وَسَوْفَ أَضْرِبُ لَكَ مَثَلَهُ . هُوَ يَمْنَعُ ضُعْفَكَ حَتَّى تَرَى ذَاتَ غَيْبِكَ . وَهُوَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَحَسَبٍ كَبِيرٍ . فَمَضَى ٱلْقَوْمُ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى ٱلسَّمَوْءَلِ فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ :

وَلَقَدْ أَتَيْتُ بَنِي ٱلْمُصَاصِ مُفَاخِرًا ... وَإِلَى ٱلسَّمَوْءَلِ زُرْتُهُ بِٱلْأَبْلَقِ

فَأَتَيْتُ أَفْضَلَ مَنْ تَحَمَّلَ حَاجَةً ... إِنْ جِئْتَهُ فِي غَارِمٍ أَوْ مُرْهَقِ

عَرَفَتْ لَهُ ٱلْأَقْوَامُ كُلَّ فَضِيلَةٍ ... وَحَوَى ٱلْمَكَارِمَ سَابِقًا لَمْ يُسْبَقِ

وَعَرَفَ لَهُمُ ٱلسَّمَوْءَلُ حَقَّهُمْ فَأَنْزَلَهُمْ فِي مَجْلِسٍ لَهُ بَرَاحٍ فَكَانَ عِنْدَهُ مَا شَاءَ ٱللّٰهُ . ثُمَّ إِنَّهُ طَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ إِلَى ٱلْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ ٱلْغَسَّانِيِّ بِٱلشَّأْمِ لِيُوصِلَهُ إِلَى قَيْصَرَ . فَٱسْتَنْجَدَ لَهُ رَجُلًا وَٱسْتَوْدَعَ عِنْدَهُ ٱلْأَدْرَاعَ وَٱلْمَالَ وَأَقَامَ مَعَهَا يَزِيدَ بْنَ ٱلْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ٱبْنَ عَمِّهِ . فَمَضَى حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى قَيْصَرَ فَقَبِلَهُ وَأَكْرَمَهُ وَكَانَتْ لَهُ عِنْدَهُ مَنْزِلَةٌ . فَٱنْدَسَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ ٱلطَّمَّاحُ حَتَّى أَتَى إِلَى بِلَادِ ٱلرُّومِ فَأَقَامَ مُسْتَخْفِيًا . ثُمَّ إِنَّ قَيْصَرَ ضَمَّ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا وَفِيهِمْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَبْنَاءِ ٱلْمُلُوكِ . فَلَمَّا فَصَلَ دَخَلَ ٱلطَّمَّاحُ عَلَى قَيْصَرَ فَقَالَ : إِنَّ ٱلْعَرَبَ قَوْمٌ غُدُرٌ وَلَا تَأْمَنْ أَنْ يَظْفَرَ بِمَا يُرِيدُ ثُمَّ يَغْزُوكَ بِمَنْ بَعَثْتَ مَعَهُ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ قَيْصَرُ

حِينَئِذٍ بِحُلَّةِ وَشْيٍ مَسْمُومَةٍ مَنْسُوجَةٍ بِالذَّهَبِ . وَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ بِحُلَّتِي الَّتِي كُنْتُ أَلْبَسُهَا تَكْرِمَةً لَكَ فَإِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكَ فَالْبَسْهَا بِالْيُمْنِ وَالْبَرَكَةِ . وَاكْتُبْ إِلَيَّ بِخَبَرِكَ مِنْ مَنْزِلٍ مَنْزِلٍ . فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ لَبِسَهَا فَأَسْرَعَ فِيهِ السُّمُّ وَسَقَطَ جِلْدُهُ فَسُمِّيَ ذَا الْقُرُوحِ (الاغاني)

٣٦٠ (عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ ٥٨٢). هُوَ مِنْ أَوْلَادِ نِزَارٍ وَكَانَ شَاعِرًا فَصِيحًا مِنْ شُعَرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ نَصْرَانِيًّا . وَكَانَ أَبُوهُ لَمَّا أَيْفَعَ طَرَحَهُ فِي الْكُتَّابِ حَتَّى إِذَا حَذَقَ أَرْسَلَهُ الْمَرْزُبَانُ مَعَ ابْنِهِ شَاهَانَ مَرْدَ إِلَى كُتَّابِ الْفَارِسِيَّةِ . فَكَانَ يَخْتَلِفُ مَعَ ابْنِهِ وَيَتَعَلَّمُ الْكِتَابَةَ وَالْكَلَامَ بِالْفَارِسِيَّةِ . حَتَّى خَرَجَ مِنْ أَفْهَمِ النَّاسِ بِهِمَا وَأَفْصَحِهِمْ بِالْعَرَبِيَّةِ . وَقَالَ الشِّعْرَ وَتَعَلَّمَ الرَّمْيَ بِالنُّشَّابِ فَخَرَجَ مِنَ الْأَسَاوِرَةِ الرُّمَاةِ . وَتَعَلَّمَ لَعِبَ الْعَجَمِ عَلَى الْخَيْلِ بِالصَّوَالِجَةِ وَغَيْرِهَا . ثُمَّ أَثْبَتَهُ كِسْرَى مَعَ وَلَدِ الْمَرْزُبَانِ فَكَانَ عَدِيٌّ أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ فِي دِيوَانِ كِسْرَى . يُؤْذَنُ لَهُ عَلَيْهِ فِي الْخَاصَّةِ وَهُوَ مُعْجَبٌ بِهِ قَرِيبٌ مِنْهُ فَارْتَفَعَ ذِكْرُ عَدِيٍّ . وَلَمَّا تَوَلَّى النُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذِرِ عَلَى الْحِيرَةِ اسْتَدْعَى عَدِيَّ بْنَ زَيْدٍ مِنَ الْمَدَائِنِ مَعَ أَخَوَيْنِ لَهُ اسْمُهُمَا أُبَيٌّ وَعَامِرٌ فَأَكْرَمَهُمْ وَأَجْزَلَ صِلَاتِهِمْ وَزَوَّجَ عَدِيًّا ابْنَتَهُ هِنْدًا وَوَلَّاهُ مَمْلَكَتَهُ وَكُلَّ شَيْءٍ سِوَى اسْمِ الْمُلْكِ . ثُمَّ حَسَدَهُ وَحَبَسَهُ فِي مَحْبَسٍ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِيهِ أَحَدٌ . فَجَعَلَ عَدِيٌّ يَقُولُ الشِّعْرَ وَهُوَ فِي الْحَبْسِ فَمِنْ قَوْلِهِ :

أَلَا مَنْ مُبْلِغُ النُّعْمَانِ عَنِّي ... وَقَدْ تُهْدَى النَّصِيحَةُ بِالْمَغِيبِ

أَحَظِّي كَانَ سِلْسِلَةً وَقَيْدًا ... وَغُلًّا وَالْبَيَانُ لَدَى الطَّبِيبِ

أَتَاكَ بِأَنِّي قَدْ طَالَ حَبْسِي   وَلَمْ تَسْأَمْ بِمَسْجُونٍ حَرِيبِ
وَبَيْتِي مُقْفِرٌ إِلَّا نِسَاءً   أَرَامِلَ قَدْ هَلَكْنَ مِنَ النَّحِيبِ
يُبَادِرْنَ الدُّمُوعَ عَلَى عَدِيٍّ   كَشَنٍّ خَانَهُ خَرْزُ الرَّبِيبِ
فَهَلْ لَكَ أَنْ تَدَارَكَ مَا لَدَيْنَا   وَلَا تُغْلَبْ عَلَى الرَّأْيِ الْمُصِيبِ
فَإِنِّي قَدْ وَكَلْتُ الْيَوْمَ أَمْرِي   إِلَى رَبٍّ قَرِيبٍ مُسْتَجِيبِ

وَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ أُبَيٍّ وَهُوَ مَعَ كِسْرَى:

وَتَقُولُ الْعُدَاةُ أَوْدَى عَدِيٌّ   وَبَنُوهُ قَدْ أَيْقَنُوا بِعَلَاقِ
يَا أَبَا مُسْهِرٍ فَأَبْلِغْ رَسُولًا   إِخْوَتِي إِنْ أَتَيْتَ صَحْنَ الْعِرَاقِ
أَبْلِغَا عَامِرًا وَأَبْلِغْ أَخَاهُ   أَنَّنِي مُوثَقٌ شَدِيدٌ وِثَاقِي
فِي حَدِيدٍ مُضَاعَفٍ وَغِلَالٍ   وَثِيَابٍ مُنَضَّحَاتٍ خِلَاقِ
فَارْكَبُوا فِي الْحَرَامِ فُكُّوا أَخَاكُمْ   إِنَّ عِيرًا تَجَهَّزَتْ لِانْطِلَاقِ

فَلَمَّا قَرَأَ أُبَيٌّ كِتَابَ عَدِيٍّ قَامَ إِلَى كِسْرَى فَكَلَّمَهُ فِي أَمْرِهِ وَعَرَّفَهُ خَبَرَهُ. فَكَتَبَ إِلَى النُّعْمَانِ يَأْمُرُهُ بِإِطْلَاقِهِ. فَأَتَى النُّعْمَانَ أَعْدَاءُ عَدِيٍّ فَأَغْرَوْهُ عَلَى قَتْلِهِ فَقَتَلَهُ (*) (لابي الفرج الاصبهاني)

(*) واخبر صاحب كتاب الاغاني انهُ لمَّا انتهى خبر قتل عديّ الى كسرى سكت اشهرًا على ذلك ووقع في قلبهِ منهُ ما وقع. وجعل النعمان يستعدّ ويتوقَّع حتى أتاهُ كتابهُ أن أقبل فانَّ للملك حاجةً اليك. فحمل سلاحهُ وما قوي عليهِ ثم لحق بالبادية وأقبل يطوف على قبائل العرب وليس احدٌ منهم يقبلهُ خوفًا من كسرى. فقال لهُ بعض أصحابهِ: عندي رأيٌ لك لستُ أُشير بهِ عليك لأدفعك عمَّا تريدهُ من مجاورتي ولكنهُ الصواب. فقال: هاتهِ. فقال: ان كل أمرٍ يجمل بالرجل ان يكون عليهِ الَّا أن يكون بعد الملك سوقةً والموت نازلٌ بكل أحدٍ. ولأَن تموت كريمًا خيرٌ من أن تجرع الذلّ أو تبقى سوقةً بعد الملك. فامض الى صاحبك واحمل

٣٦١ (حَاتِمٌ ٱلطَّائِيُّ ٦٠٥) . هُوَ ٱبْنُ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ سَعْدٍ ٱلطَّائِيُّ . وَكَانَ نَصْرَانِيًّا مِنَ ٱلْكَرَمِ عَلَى أَفْضَلِ جَانِبٍ . فَيَفُكُّ ٱلْعَانِيَ وَيَحْمِي ٱلذِّمَارَ وَيَقْرِي ٱلضَّيْفَ وَيُشْبِعُ ٱلْجَائِعَ وَيُفَرِّجُ عَنِ ٱلْمَكْرُوبِ وَيُطْعِمُ ٱلطَّعَامَ وَيُفْشِي ٱلسَّلَامَ . وَلَمْ يَرُدَّ طَالِبَ حَاجَةٍ قَطُّ . وَكَانَ حَاتِمٌ مِنْ شُعَرَاءِ ٱلْعَرَبِ جَوَادًا يُشْبِهُ شِعْرُهُ جُودَهُ . وَيُصَدِّقُ قَوْلَهُ فِعْلُهُ . وَكَانَ حَيْثُمَا نَزَلَ عُرِفَ مَنْزِلُهُ وَكَانَ مُظَفَّرًا إِذَا قَاتَلَ غَلَبَ . وَإِذَا غَنِمَ أَنْهَبَ . وَإِذَا سُئِلَ وَهَبَ . وَكَانَ إِذَا جَنَّ ٱللَّيْلُ يُوعِزُ إِلَى غُلَامِهِ أَنْ يُوقِدَ ٱلنَّارَ فِي يَفَاعٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا مَنْ أَضَلَّهُ ٱلطَّرِيقُ فَيَأْوِي إِلَى مَنْزِلِهِ وَيَقُولُ:

أَوْقِدْ فَإِنَّ ٱللَّيْلَ لَيْلٌ قَرٌّ وَٱلرِّيحَ يَا مُوقِدُ رِيحٌ صِرٌّ
عَسَى يَرَى نَارَكَ مَنْ يَمُرُّ إِنْ جَلَبَتْ ضَيْفًا فَأَنْتَ حُرٌّ

وَكَانَ إِذَا أَهَلَّ ٱلشَّهْرُ يَنْحَرُ عَشْرًا مِنَ ٱلْإِبِلِ فَيُطْعِمُ ٱلنَّاسَ (دواوين العرب)

٣٦٢ (أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي ٱلصَّلْتِ ٦٢٤) هُوَ أَبُو ٱلْقَاسِمِ بْنُ أَبِي ٱلصَّلْتِ ٱلثَّقَفِيُّ مِنْ أَهْلِ ٱلطَّائِفِ مِنْ شُعَرَاءِ ٱلطَّبَقَةِ ٱلْأُولَى . وَكَانَ أُمَيَّةُ مِنْ رُؤَسَاءِ ثَقِيفٍ وَفُصَحَائِهِمْ يَتَعَبَّدُ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ وَيُؤْمِنُ بِٱلْبَعْثِ . وَيُنْشِدُ فِي أَثْنَائِهِ ٱلشِّعْرَ ٱلْمَلِيحَ وَأَدْرَكَ ٱلْإِسْلَامَ وَلَمْ يُسْلِمْ . وَلَهُ فِي ٱلْفَخْرِ :

اليهِ هدايا ومالًا وألقِ نفسك بين يديهِ . فامّا إنْ صفح عنك فعدتَ ملكًا عزيزًا . وامّا ان اصابك فالموت خيرٌ من ان يتلعَّب بك صعاليك العرب وبتخطّفك ذئابها وتاكل مالك وتعيش فقيرًا مجاورًا او تُقتل مقهورًا . فمضى الى كسرى حتى اذا وصل الى المدائن بلغ كسرى انهُ بالباب فبعث اليهِ فقيَّدهُ وبعث بهِ الى سجن كان لهُ بخانقين فلم يزل فيهِ حتى مات . وقال الكلبي : القاهُ تحت ارجل الفِيَلة فوطئتهُ حتى مات وذلك قُبيل الاسلام بحين (الاغاني)

وَرِثْنَا ٱلْمَجْدَ عَنْ كُبَرَا نِزَارٍ ... فَأَوْرَثْنَا مَآثِرَنَا بَنِينَا
وَكُنَّا حَيْثُمَا عَلِمَتْ مَعَدٌّ ... أَقَمْنَا حَيْثُ سَارُوا هَارِبِينَا
تُخَبِّرُكَ ٱلْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ ... إِذَا عَدُّوا سِعَايَةَ أَوَّلِينَا
بِأَنَّا ٱلنَّازِلُونَ بِكُلِّ ثَغْرٍ ... وَأَنَّا ٱلضَّارِبُونَ إِذَا ٱلْتَقَيْنَا
وَأَنَّا ٱلْمَانِعُونَ إِذَا أَرَدْنَا ... وَأَنَّا ٱلْعَاطِفُونَ إِذَا دُعِينَا
وَأَنَّا ٱلْحَامِلُونَ إِذَا أَنَاخَتْ ... خُطُوبٌ فِي ٱلْعَشِيرَةِ تَبْتَلِينَا
وَأَنَّا ٱلرَّافِعُونَ عَلَى مَعَدٍّ ... أَكُفًّا فِي ٱلْمَكَارِمِ مَا بَقِينَا
نُشَرِّدُ بِٱلْمَخَافَةِ مَنْ أَتَانَا ... وَيُعْطِينَا ٱلْمَقَادَةَ مَنْ يَلِينَا
نَسِيرُ بِمَعْشَرٍ قَوْمًا لِقَوْمٍ ... وَنَدْخُلُ دَارَ قَوْمٍ آخَرِينَا

وَحَضَرَ يَوْمًا مَجْلِسَ بَعْضِ ٱلرُّؤَسَاءِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَطْبَاقٌ مِنَ ٱلذَّهَبِ فِيهَا وَرْدٌ أَبْيَضُ وَأَحْمَرُ فَأَمَرَهُ بِوَصْفِهَا فَقَالَ:

كَأَنَّمَا ٱلْوَرْدُ ٱلَّذِي نَشْرُهُ ... يَعْبَقُ مِنْ طِيبِ مَعَانِيكَا
دِمَاءُ أَعْدَائِكَ مَسْفُوكَةً ... قَدْ قَابَلَتْ بِيضَ أَيَادِيكَا

وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ يَمْدَحُ ٱبْنَ جَدْعَانَ ٱلتَّيْمِيَّ صَدِيقَهُ:

خَلِيلٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ ... عَنِ ٱلْخُلُقِ ٱلْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرُمَةٍ بَنَتْهَا ... بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ ٱلْمَرْءُ يَوْمًا ... كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ ٱلثَّنَاءُ

قَالَ ٱللَّيْثِيُّ: لَمَّا مَرِضَ أُمَيَّةُ ٱلْمَرَضَ ٱلَّذِي مَاتَ فِيهِ جَعَلَ يَقُولُ: قَدْ دَنَا أَجَلِي وَهٰذِهِ ٱلْمَرْضَةُ مَنِيَّتِي. فَلَمَّا دَنَتْ وَفَاتُهُ أُغْمِيَ عَلَيْهِ قَلِيلًا

ثُمَّ أَفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ: لَبَّيْكُمَا لَبَّيْكُمَا هَا أَنَا ذَا لَدَيْكُمَا. لَا مَالَ لِي يَفْدِينِي وَلَا عَشِيرَةَ تَحْمِينِي. وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَهُوَ يَقُولُ:

كُلُّ حَيٍّ وَإِنْ تَطَاوَلَ دَهْرًا ... حَائِرٌ مَرَّةً إِلَى أَنْ يَزُولَا
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَا لِي ... فِي قِلَالِ الْجِبَالِ أَرْعَى الْوُعُولَا
إِجْعَلِ الْمَوْتَ نُصْبَ عَيْنِكَ وَاحْذَرْ ... غَوْلَةَ الدَّهْرِ إِنَّ لِلدَّهْرِ غُولَا

ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ فِي قَصْرٍ مِنْ قُصُورِ الطَّائِفِ (لابي زكريا النووي)

٣٦٣ (أَبُو زُبَيْدٍ ٦٤٥) هُوَ حَرْمَلَةُ بْنُ الْمُنْذِرِ مِنْ بَنِي طَيِّئٍ. وَكَانَ نَصْرَانِيًّا وَعَلَى دِينِهِ مَاتَ. وَهُوَ مِمَّنْ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ. كَانَ يَزُورُ الْمُلُوكَ وَخَاصَّةً مُلُوكَ الْعَجَمِ وَكَانَ عَالِمًا بِسِيَرِهِمْ. وَكَانَ عُثْمَانُ ابْنُ عَفَّانَ يُقَرِّبُهُ إِلَى ذَلِكَ وَيُدْنِي مَجْلِسَهُ. وَكَانَ يُكْثِرُ وَصْفَ الْأَسَدِ فَتَذَاكَرُوا مَآثِرَ الْعَرَبِ وَأَشْعَارَهَا فَالْتَفَتَ عُثْمَانُ إِلَى أَبِي زُبَيْدٍ وَقَالَ: يَا أَخَا تُبَّعِ الْمَسِيحِ أَسْمِعْنَا بَعْضَ قَوْلِكَ. فَقَدْ أُنْبِئْتُ أَنَّكَ تُجِيدُ. فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

مَنْ مُبْلِغٌ قَوْمَنَا النَّائِينَ إِذْ شَحَطُوا ... أَنَّ الْفُؤَادَ إِلَيْهِمْ شَيِّقٌ وَلِعُ

وَوَصَفَ الْأَسَدَ فَقَالَ عُثْمَانُ: تَاللّٰهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ الْأَسَدَ مَا حَيِيتَ وَاللّٰهِ إِنِّي لَأَحْسَبُكَ جَبَانًا هَرَّابًا. قَالَ: كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلٰكِنِّي رَأَيْتُ مِنْهُ مَنْظَرًا وَشَهِدْتُ مِنْهُ مَشْهَدًا لَا يَبْرَحُ ذِكْرُهُ يَتَجَدَّدُ وَيَتَرَدَّدُ فِي قَلْبِي. وَمَعْذُورٌ أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ مَلُومٍ. فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: وَأَنَّى كَانَ ذٰلِكَ. قَالَ: خَرَجْتُ فِي صُيَّابَةِ أَشْرَافٍ مِنْ أَبْنَاءِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ ذَوِي هَيْئَةٍ

وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ تَرْمِي بِنَا الْمَهَارِيُّ بِأَكْسَائِهَا وَنَحْنُ نُرِيدُ الْحَارِثَ بْنَ أَبِي شَمِر الْغَسَّانِيَّ مَلِكَ الشَّامِ. فَاخْرَوَّطَ بِنَا السَّيْرُ فِي حَمَارَّةِ الْقَيْظِ حَتَّى إِذَا عَصَبَتِ الْأَفْوَاهُ. وَذَبَلَتِ الشِّفَاهُ وَسَالَتِ الْمِيَاهُ. وَأَذْكَتِ الْجَوْزَاءُ الْمَعْزَاءَ وَصَرَّ الْجُنْدَبُ قَالَ قَائِلٌ: أَيُّهَا الرَّكْبُ غُورُوا بِنَا فِي ضَوْجِ هٰذَا الْوَادِي. وَإِذَا وَادٍ قَدْ بَدَا لَنَا كَثِيرُ الدَّغَلِ دَائِمُ الْغَلَلِ. أَشْجَارُهُ مُغِنَّةٌ وَأَطْيَارُهُ مُرِنَّةٌ. فَحَطَطْنَا رِحَالَنَا بِأُصُولِ دَوْحَاتٍ كَنَهْبَلَاتٍ. فَأَصَبْنَا مِنْ فَضَلَاتِ الزَّادِ وَأَتْبَعْنَاهَا الْمَاءَ الْبَارِدَ. فَإِنَّا لَنَصِفُ حَرَّ يَوْمِنَا وَمُمَاطَلَتَهُ إِذْ صَرَّ أَقْصَى الْخَيْلِ أُذُنَيْهِ. وَفَحَصَ الْأَرْضَ بِيَدَيْهِ. فَوَاللّٰهِ مَا لَبِثَ أَنْ جَالَ. ثُمَّ حَمْحَمَ الْخَيْلُ وَتَكَعْكَعَتِ الْإِبِلُ وَتَقَهْقَرَتِ الْبِغَالُ. فَمِنْ نَافِرٍ بِشِكَالِهِ. وَنَاهِضٍ بِعِقَالِهِ. فَعَلِمْنَا أَنْ قَدْ أُتِينَا وَأَنَّهُ السَّبُعُ فَفَزِعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَى سَيْفِهِ فَاسْتَلَّهُ مِنْ جِرَابِهِ. ثُمَّ وَقَفْنَا رَزْدَقًا أَرْسَالًا وَأَقْبَلَ أَبُو الْحَارِثِ مِنْ أَجَمَتِهِ يَتَظَالَعُ فِي مِشْيَتِهِ. مِنْ نَعْتِهِ كَأَنَّهُ مَجْنُوبٌ أَوْ فِي هِجَارٍ بِصَدْرِهِ نَحِيطٌ. وَلِبَلَاعِمِهِ غَطِيطٌ. وَلِطَرْفِهِ وَمِيضٌ. وَلِأَرْسَاغِهِ نَقِيضٌ. كَأَنَّمَا يَخْبِطُ هَشِيمًا. أَوْ يَطَأُ صَرِيمًا. وَإِذَا هَامَةٌ كَالْمِجَنِّ. وَخَدٌّ كَالْمِسَنِّ. وَعَيْنَانِ سَجْرَاوَانِ. كَأَنَّهُمَا سِرَاجَانِ يَتَّقِدَانِ. وَكَفٌّ شَثْنَةُ الْبَرَاثِنِ إِلَى مَخَالِبَ كَالْمَحَاجِنِ. فَضَرَبَ بِيَدِهِ فَأَرْهَجَ. وَكَشَرَ فَأَفْرَجَ عَنْ أَنْيَابٍ كَالْمَعَاوِلِ مَصْقُولَةٍ غَيْرِ مَفْلُولَةٍ. ثُمَّ أَقْعَى فَاقْشَعَرَّ ثُمَّ مَثَلَ فَاكْفَهَرَّ. ثُمَّ تَجَهَّمَ فَازْبَأَرَّ. فَلَا وَذُو بَيْتُهُ فِي السَّمَاءِ مَا اتَّقَيْنَاهُ إِلَّا بِأَخٍ لَنَا مِنْ فَزَارَةَ كَانَ ضَخْمَ الْجُزَارَةِ. فَوَقَصَهُ ثُمَّ نَفَضَهُ نَفْضَةً فَقَضْقَضَ مَتْنَيْهِ فَجَعَلَ

يَلِغُ فِي دَمِهِ . فَذَمَرتُ لِأَصْحَابِي فَاخْتَلَجَ رَجُلًا أَعْجَرَ ذَا حَوَايَا فَنَفَضَهُ نَفْضَةً تَزَايَلَتْ مَفَاصِلُهُ . ثُمَّ نَهَمَ فَفَرْفَرَ ثُمَّ زَفَرَ فَبَرْبَرَ . ثُمَّ زَأَرَ فَجَرْجَرَ . ثُمَّ لَحَظَ فَوَاللهِ لَخِلْتُ الْبَرْقَ يَتَطَايَرُ مِنْ تَحْتِ جُفُونِهِ مِنْ شِمَالِهِ وَيَمِينِهِ . فَأَرْعَشَتِ الْأَيْدِي وَاصْطَكَّتِ الْأَرْجُلُ وَأَطَّتِ الْأَضْلَاعُ . وَارْتَجَّتِ الْأَسْمَاعُ . وَشَخَصَتِ الْعُيُونُ . وَتَحَقَّقَتِ الظُّنُونُ وَانْخَزَلَتِ الْمُتُونُ . فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : اسْكُتْ فَقَدْ أَرْعَبْتَ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ . وَيُقَالُ إِنَّ أَبَا زُبَيْدٍ عُمِّرَ مِائَةَ سَنَةٍ بِنَيِّفٍ وَدُفِنَ فِي الرَّقَّةِ فِي بِيعَةِ النَّصَارَى (الاغاني)

٣٦٤ (أَلْقَطَامِيُّ ٧١٠) . هُوَ لَقَبٌ غَلَبَ عَلَيْهِ وَاسْمُهُ عُمَيْرُ بْنُ شُيَيْمٍ وَكَانَ نَصْرَانِيًّا . قَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ : أَوَّلُ مَا حَرَّكَ مِنَ الْقَطَامِيِّ وَرَفَعَ مِنْ ذِكْرِهِ أَنَّهُ قَدِمَ فِي خِلَافَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ دِمَشْقَ لِيَمْدَحَهُ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ بَخِيلٌ لَا يُعْطِي الشُّعَرَاءَ وَالشِّعْرُ لَا يَنْفُقُ عِنْدَهُ . وَهٰذَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سُلَيْمَانَ فَامْدَحْهُ . فَمَدَحَهُ فَقَالَ لَهُ : كَمْ أَمَّلْتَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : أَمَّلْتُ أَنْ يُعْطِيَنِي ثَلَاثِينَ نَاقَةً . فَقَالَ : قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِخَمْسِينَ نَاقَةً مُوقَرَةً بُرًّا وَتَمْرًا وَثِيَابًا ثُمَّ أَمَرَ بِدَفْعِ ذٰلِكَ إِلَيْهِ . وَلَمَّا سَارَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ لِمُحَارَبَةِ بَنِي عَتَّابٍ وَفِيهِمْ أَخْلَاطُ تَغْلِبَ اسْتَحَرَّ بِهِمِ الْقَتْلُ وَأُصِيبَ أَكْثَرُهُمْ وَأُسِرَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ مِنْهُمُ الْقَطَامِيُّ . وَأُخِذَتْ إِبِلُهُ فَأَتَى الْأَمِيرَ زُفَرَ فَخَلَّى سَبِيلَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ مِائَةَ نَاقَةٍ . فَقَالَ الْقَطَامِيُّ يَمْدَحُهُ :

يَا زُفَرَ بْنَ الْحَارِثِ ابْنَ الْأَكْرَمِ ... قَدْ كُنْتَ فِي الْحَيِّ قَدِيمَ الْمُقْدَمِ
إِذْ أَحْجَمَ الْقَوْمُ وَلَمَّا تُحْجِمِ ... إِنَّكَ وَابْنَيْكَ حَفِظْتُمْ مَحْرَمِي

وَحَقَنَ ٱللهُ بِكَفَّيْكَ دَمِي مِنْ بَعْدِ مَا جَفَّ لِسَانِي وَفَمِي
أَنقَذْتَنِي مِنْ بَطَلٍ مُعَمَّمِ وَٱلْخَيْلُ تَحْتَ ٱلْعَارِضِ ٱلْمُسَوَّمِ

أَخْبَرَ ٱلْمَدَائِنِيُّ قَالَ: قَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِلْأَخْطَلِ وَعِنْدَهُ عَامِرٌ ٱلشَّعْبِيُّ: أَتُحِبُّ أَنَّ لَكَ قِيَاضًا بِشِعْرِكَ شِعْرَ أَحَدٍ مِنَ ٱلْعَرَبِ أَمْ تُحِبُّ أَنَّكَ قُلْتَهُ. قَالَ: لَا وَٱللهِ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَّا أَنِّي وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ قُلْتُ أَبْيَاتًا قَالَهَا رَجُلٌ مِنَّا مُغْدِفُ ٱلْقِنَاعِ. قَلِيلُ ٱلسَّمَاعِ. قَصِيرُ ٱلذِّرَاعِ. قَالَ: وَمَا قَالَ. فَأَنْشَدَهُ قَوْلَ ٱلْقَطَامِيِّ فِي عَبْدِ ٱلْوَاحِدِ سُلَيْمَانَ:

إِنَّا مُحَيُّوكَ فَٱسْلَمْ أَيُّهَا ٱلطَّلَلُ وَإِنْ بَلِيتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ ٱلطِّيَلُ
لَيْسَ ٱلْجَدِيدُ بِهِ تَبْقَى بَشَاشَتُهُ إِلَّا قَلِيلًا وَلَا ذُو خَلَّةٍ يَصِلُ
وَٱلْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ وَلَا حَالَ إِلَّا سَوْفَ تَنْتَقِلُ
قَدْ يُدْرِكُ ٱلْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ ٱلْمُسْتَعْجِلِ ٱلزَّلَلُ

حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا. فَقَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ: ثَكِلَتِ ٱلْقَطَامِيَّ أُمُّهُ. هٰذَا وَٱللهِ ٱلشِّعْرُ

٣٦٥ (ٱلْأَخْطَلُ ٧١٢) هُوَ أَبُو مَالِكٍ غِيَاثُ بْنُ غَوْثِ بْنِ ٱلصَّلْتِ بْنِ ٱلطَّارِقَةِ. وَأَصْلُ تَسْمِيَتِهِ بِٱلْأَخْطَلِ أَنَّهُ هَجَا رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُ: يَا غُلَامُ إِنَّكَ لَأَخْطَلُ ٱللِّسَانِ. فَغَلَبَتْ عَلَيْهِ. وَكَانَ ٱلْأَخْطَلُ نَصْرَانِيًّا وَمَحَلُّهُ فِي ٱلشِّعْرِ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى وَصْفٍ. وَهُوَ وَجَرِيرٌ وَٱلْفَرَزْدَقُ طَبَقَةٌ وَاحِدَةٌ. سُئِلَ حَمَّادُ ٱلرَّاوِيَةُ عَنِ ٱلْأَخْطَلِ فَقَالَ: مَا تَسْأَلُونِي عَنْ رَجُلٍ قَدْ حَبَّبَ شِعْرُهُ إِلَيَّ ٱلنَّصْرَانِيَّةَ. وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: لَوْ أَدْرَكَ

ٱلْأَخْطَلُ يَوْمًا وَاحِدًا مِنَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ مَا قَدَّمْتُ عَلَيْهِ أَحَدًا . قِيلَ لِجَرِيرٍ مَا تَقُولُ فِي ٱلْأَخْطَلِ . قَالَ : كَانَ أَشَدَّنَا ٱجْتِرَاءً وَأَرْمَانَا لِلْفَرَائِصِ وَأَمْدَحَ ٱلنَّاسِ لِكَرِيمٍ . وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَقُولُ : شُعَرَاءُ ٱلْإِسْلَامِ ٱلْأَخْطَلُ ثُمَّ جَرِيرٌ ثُمَّ ٱلْفَرَزْدَقُ . وَكَانَ يُشَبِّهُ ٱلْأَخْطَلَ بِٱلنَّابِغَةِ لِصِحَّةِ شِعْرِهِ وَيَقُولُ : ٱلْأَخْطَلُ أَشْبَهُ بِٱلْجَاهِلِيَّةِ وَأَشَدُّهُمْ أَسْرَ شِعْرٍ وَأَقَلُّهُمْ سَقَطًا . أَخْبَرَ عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ قَالَ : دَخَلَ ٱلْأَخْطَلُ عَلَى عَبْدِ ٱلْمَلِكِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ زَعَمَ ٱبْنُ ٱلْمَرَاغَةِ أَنَّهُ يَبْلُغُ مِدْحَتَكَ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . وَقَدْ أَقَمْتُ فِي مِدْحَتِكَ (خَفَّ ٱلْقَطِينُ فَرَاحُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا) سَنَةً فَمَا بَلَغْتُ كُلَّمَا أَرَدْتُ . فَقَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ : مَا سَمِعْنَاهَا يَا أَخْطَلُ . فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا فَجَعَلْتُ أَرَى عَبْدَ ٱلْمَلِكِ يَتَطَاوَلُ لَهَا . ثُمَّ قَالَ : وَيْحَكَ يَا أَخْطَلُ أَتُرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى ٱلْآفَاقِ أَنَّكَ أَشْعَرُ ٱلْعَرَبِ . قَالَ : أَكْتَفِي بِقَوْلِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . وَأَمَرَ لَهُ بِجَفْنَةٍ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَمُلِئَتْ دَرَاهِمَ وَأَلْقَى عَلَيْهِ خِلَعًا . وَخَرَجَ بِهِ مَوْلًى لِعَبْدِ ٱلْمَلِكِ عَلَى ٱلنَّاسِ يَقُولُ : هٰذَا شَاعِرُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ هٰذَا أَشْعَرُ ٱلْعَرَبِ . وَأَخْبَرَ أَبُو عَمْرٍو قَالَ : لَقَدْ كَانَ ٱلْأَخْطَلُ يَجِيءُ وَعَلَيْهِ جُبَّةُ خَزٍّ وَفِي عُنُقِهِ سِلْسِلَةُ ذَهَبٍ فِيهَا صَلِيبُ ذَهَبٍ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَى عَبْدِ ٱلْمَلِكِ بِغَيْرِ إِذْنٍ . قَالَ ٱلْأَخْطَلُ : فَضَلْتُ ٱلشُّعَرَاءَ فِي ٱلْمَدِيحِ وَٱلْهِجَاءِ بِمَا لَا يَلْحَقُ بِي فِيهِ . فَقَوْلِي بِٱلْمَدِيحِ :

نَفْسِي فِدَاءُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا ... أَبْدَى ٱلنَّوَاجِذَ يَوْمٌ عَارِمٌ ذَكَرُ
ٱلْخَائِضُ ٱلْغَمْرَةِ ٱلْمَيْمُونُ طَائِرُهُ ... خَلِيفَةُ ٱللهِ يُسْتَسْقَى بِهِ ٱلْمَطَرُ

وَقَوْلِي فِي ٱلْهِجَاءِ :

وَكُنْتُ إِذَا لَقِيتُ عَبِيدَ تَيْمٍ وَتَيْمًا قُلْتُ أَيُّهُمَا ٱلْعَبِيدُ
لَئِيمُ ٱلْعَالَمِينَ يَسُودُ تَيْمًا وَسَيِّدُهُمْ وَإِنْ كَرِهُوا مَسُودُ

قَالَ عَبْدُ ٱلْخَالِقِ : وَصَدَقَ لَعَمْرِي لَقَدْ فَضَلَهُمْ . قَالَ ٱلْجَوْهَرِيُّ : كَانَ مِمَّا يُقَدَّمُ بِهِ ٱلْأَخْطَلُ أَنَّهُ كَانَ أَخْبَثَ ٱلشُّعَرَاءِ هِجَاءً فِي عَفَافٍ مِنَ ٱلْفُحْشِ . وَقَالَ ٱلْأَخْطَلُ : مَا هَجَوْتُ أَحَدًا قَطُّ بِمَا تَسْتَحِي ٱلْعَذْرَاءُ أَنْ تُنْشِدَهُ أَبَاهَا . قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ : قَدِمْتُ ٱلشَّامَ وَأَنَا شَابٌّ . فَكُنْتُ أَطُوفُ فِي كَنَائِسِهَا وَمَسَاجِدِهَا فَدَخَلْتُ كَنِيسَةَ دِمَشْقَ وَإِذَا ٱلْأَخْطَلُ فِيهَا مَحْبُوسٌ . فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَسَأَلَ عَنِّي فَأُخْبِرَ بِنَسَبِي . فَقَالَ : يَا فَتَى إِنَّكَ لَرَجُلٌ شَرِيفٌ وَإِنِّي أَسْأَلُكَ حَاجَةً . فَقُلْتُ : حَاجَتُكَ مَقْضِيَّةٌ . قَالَ : إِنَّ ٱلْقَسَّ حَبَسَنِي هٰهُنَا فَتُكَلِّمُهُ لِيُخَلِّيَ عَنِّي . فَأَتَيْتُ ٱلْقَسَّ فَٱنْتَسَبْتُ لَهُ فَرَحَّبَ وَعَظَّمَ . فَقُلْتُ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً . قَالَ : مَا حَاجَتُكَ . قُلْتُ : ٱلْأَخْطَلُ تُخَلِّي عَنْهُ . قَالَ : أُعِيذُكَ بِٱللّٰهِ مِنْ هٰذَا . مِثْلُكَ لَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ . فَاسِقٌ يَشْتِمُ أَعْرَاضَ ٱلنَّاسِ وَيَهْجُوهُمْ . فَلَمْ أَزَلْ أَطْلُبُ إِلَيْهِ حَتَّى مَضَى مَعِي مُتَّكِئًا عَلَى عَصَاهُ . فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَرَفَعَ عَصَاهُ وَقَالَ : يَا عَدُوَّ ٱللّٰهِ أَتَعُودُ تَشْتِمُ ٱلنَّاسَ وَتَهْجُوهُمْ وَتَقْذِفُ ٱلْمُحْصَنَاتِ . وَهُوَ يَقُولُ : لَسْتُ بِعَائِدٍ وَلَا أَفْعَلُ وَيَسْتَخْذِي لَهُ . قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا مَالِكٍ ٱلنَّاسُ يَهَابُونَكَ وَٱلْخَلِيفَةُ يُكْرِمُكَ وَقَدْرُكَ فِي ٱلنَّاسِ قَدْرُكَ وَأَنْتَ تَخْضَعُ لِهٰذَا هٰذَا ٱلْخُضُوعَ

وَتَسْتَخْذِي لَهُ . فَجَعَلَ يَقُولُ لِي : إِنَّهُ ٱلدِّينُ إِنَّهُ ٱلدِّينُ (الاغاني)(*)

خطباء النصرانية

٣٦٦ (قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ ٦٠٠) . هُوَ أُسْقُفُ نَجْرَانَ خَطِيبُ ٱلْعَرَبِ وَشَاعِرُهَا وَحَلِيمُهَا وَحَكِيمُهَا وَحَكَمُهَا فِي عَصْرِهِ . يُقَالُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَلَا عَلَى شَرَفٍ وَخَطَبَ عَلَيْهِ وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ فِي كَلَامِهِ : أَمَّا بَعْدُ . وَأَوَّلُ مَنِ ٱتَّكَأَ عِنْدَ خُطْبَتِهِ عَلَى سَيْفٍ أَوْ عَصًا . حَدَّثَ بَعْضُهُمْ قَالَ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قُسٍّ بِسُوقِ عُكَاظَ وَهُوَ يَقُولُ : أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱسْمَعُوا وَعُوا : مَنْ عَاشَ مَاتَ . وَمَنْ مَاتَ فَاتَ . وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ . لَيْلٌ دَاجٍ . وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ . بِحَارٌ تَزْخَرُ . وَنُجُومٌ تَزْهَرُ . وَضَوْءٌ وَظَلَامٌ . وَبِرٌّ وَآثَامٌ . وَمَطْعَمٌ وَمَشْرَبٌ . وَمَلْبَسٌ وَمَرْكَبٌ . مَا لِي أَرَى ٱلنَّاسَ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ . أَرَضُوا بِٱلْمُقَامِ فَأَقَامُوا أَمْ تُرِكُوا فَنَامُوا . وَإِلٰهِ قُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ مَا عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ أَفْضَلُ مِنَ ٱلدِّينِ . فَطُوبَى لِمَنْ أَدْرَكَهُ فَٱتَّبَعَهُ وَوَيْلٌ لِمَنْ خَالَفَهُ . ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

فِي ٱلذَّاهِبِينَ ٱلْأَوَّلِيـ نَ مِنَ ٱلْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرْ

(*) ومن شعراء النصرانيَّة المتلمّس وحُنَين الحيريّ من فحول المغنّين . ولهُ صنعة فاضلة متقدمة . ومنهم قيس بن زهير تنصَّر قبل وفاتهِ . ومنهم ابو قابوس والرباب بن البراء وخالد القسري . وقد ذكرهم جميعاً صاحب الاغاني . ومنهم ابو المليح الماني ذكرهُ ابن خلكان . ومنهم ثابت بن هارون الرقي ورثاؤهُ للمتنبي معروف . ومنهم المرغوي ذكرهُ المقري في نفح الطيب . ومنهم سليمان بن اسماعيل المارديني ولهُ نظم رقيق حسن الموقع في النفوس . ومنهم الاسقف جبرائيل الكلداني الكاثوليكي ولهُ القصائد الطنَّانة . ومنهم السيد جرمانوس فرحات والخوري نيقولا الصائغ وغيرهم ممَّن يستغني بشهرتهم عن ذكرهم

لمَّا رأيتُ مواردًا للموتِ ليسَ لها مصادرْ
ورأيتُ قومي نحوها يمضي الأصاغرُ والأكابرْ
أيقنتُ أنِّي لا محا لة حيثُ صارَ القومُ صائرْ (*)

٣٦٧ (إِليَّا الثالثُ ١١٢٨ ــ ١١٩٠). هوَ ابنُ الحديثيّ المعروفُ بأبي حليمٍ. هذا الأبُ كانَ كهلًا حسنَ الخلقةِ تامَّ القامةِ خبيبًا كريمًا عالمًا فاضلًا من أهلِ بلدِ ميَّا فارقينَ وكانَ مطرانًا على نصيبينَ فانتشرت شهرتُهُ. ولمَّا استنَاحَ يشوعيابُ وردَ إلى بغدادَ معَ الآباءِ للاختيارِ. واتَّفقَ عليهِ الجمهورُ لأنَّ الآباءَ الواردينَ معهُ لم يكنْ منهم من يماثلُهُ علمًا وحكمةً وكرمًا وحسنًا وبلاغةً وفصاحةً. فاختيرَ في خلافةِ المستضيءِ وأُقيمَ فطركًا بديرِ المدائنِ . . . ووفَّقهُ اللهُ وأجرى الخيراتِ على يدِهِ. وأقامَ جماعةً من المطارنةِ وجدَّدَ بناءَ هيكلِ مارِ

(*) وجاء في كتاب الأغاني عن بعضهم قال: بينا أنا بجبلٍ يُقال لهُ سمعان في يوم شديد الحرّ إذ أنا بقُسّ بن ساعدة وبقبرَين بينهما مسجد فقلتُ لهُ: ما هذان القبران قال: هذان قبرا أخوين كانا لي فماتا فاتخذتُ بينهما مسجدًا أعبد الله جلَّ وعزَّ فيهِ حتى ألحق بهما. ثمَّ ذكر أيَّامهما فبكى ثم أنشأ يقول:

خليليَّ هبَّا طالما قد رقدتُما أجدَّاكما لا تقضيان كراكما
ألم تعلما ما لي براوندَ هذه ولا بخُزاقٍ من نديمٍ سواكما
مُقيمٌ على قبرَيكما لستُ بارحًا طِوالَ الليالي أو يُجيبَ صداكما
جرى الموت مجرى اللحم والعظم منكما كأنَّ الذي يسقي العُقارَ سقاكما
أُناديكما كيما تجيبا وتنطقا وليس مجابًا صوتُهُ مَن دعاكما
أمن طولِ نومٍ لا تجيبان داعيًا خليليَّ ما هذا الذي قد دهاكما
قضيتُ بأنِّي لا محالة هالكٌ وأنِّي سيعروني الذي قد عراكما
سأبكيكما طولَ الحياة وما الذي يردُّ على ذي عولةٍ إن بكاكما

مَارِي ٱلرَّسُولِ وَغَيْرِهِ مِنَ ٱلْبِيَعِ وَٱلْأَدْيَارِ . وَكَانَ مَعَ أَوْصَافِهِ ٱلْجَمِيلَةِ بِحُسْنِ ٱلْخُلْقِ وَٱلْخِلْقَةِ سَخِيًّا بِٱلْمَالِ فِي عَمَلِ ٱلْخَيْرِ مَعَ ٱلنَّاسِ ٱلضُّعَفَاءِ وَٱلْمَسَاكِينِ وَمَعَ ٱلْحُكَّامِ وَٱلْمُتَوَلِّينَ لِأَجْلِ جَاهِ دِينِ ٱلنَّصْرَانِيَّةِ . وَمَعَ ذٰلِكَ كَانَ مُرْتَاضًا بِٱلْعُلُومِ ٱلنَّحْوِيَّةِ وَٱللُّغَوِيَّةِ ٱلسُّرْيَانِيَّةِ وَٱلْعَرَبِيَّةِ وَٱلْعُلُومِ ٱلْحِكَمِيَّةِ . وَمِنْ جُمْلَةِ مَوْضُوعَاتِهِ كِتَابُ تَرَاجِيمِ ٱلْأَعْيَادِ ٱلسَّيِّدِيَّةِ وَخُطَبٌ وَمَوَاعِظُ كَثِيرَةٌ وَرَسَائِلُ كَثِيرَةٌ فِي إِثْبَاتِ ٱلْأَمَانَةِ وَٱلِٱعْتِقَادِ وَصِحَّةِ دِينِ ٱلنَّصْرَانِيَّةِ . وَدَبَّرَ ٱلْكُرْسِيَّ تَدْبِيرًا حَسَنًا وَٱسْتَنَاحَ يَوْمَ ٱلْخَمِيسِ ٱلثَّانِي عَشَرَ مِنْ نِيسَانَ . وَكَانَتْ مُدَّةُ رِئَاسَتِهِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً . وَعِنْدَ مَرَضِهِ ٱلَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ جَاءَ ٱلْآبَاءُ وَٱلرُّؤَسَاءُ إِلَى عِيَادَتِهِ فَأَخَذَ يَرْثِي نَفْسَهُ وَيُعَزِّيهِمْ وَفِي آخِرِ ذٰلِكَ قَالَ:

أَرُونِي مَنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقَامِي ... إِذَا مَا ٱلْأَمْرُ جَلَّ عَنِ ٱلْخِطَابِ
بِمَنْ تَسْتَصْرِخُونَ إِذَا حَثَوْتُمْ ... بِأَيْدِيكُمْ عَلَيَّ مِنَ ٱلتُّرَابِ

(ملخص عن كتاب المجدل لعمرو بن متّى)(*)

مشاهير اطباء النصرانية

٣٦٨ (جِيُورْجِيسُ بْنُ بَخْتِيشُوعَ ٧٧٠) . كَانَ ٱلْمَنْصُورُ فِي صَدْرِ أَمْرِهِ عِنْدَمَا بَنَى بَغْدَادَ أَدْرَكَهُ ضُعْفٌ فِي مَعِدَتِهِ وَسُوءُ ٱسْتِمْرَاءٍ وَقِلَّةُ شَهْوَةٍ وَكُلَّمَا عَالَجَهُ ٱلْأَطِبَّاءُ ٱزْدَادَ مَرَضُهُ . فَقِيلَ لَهُ عَنْ جِيُورْجِيسَ بْنِ

(*) ومن خطباء النصرانيّة خالد القسري (٧٤٥) وهو معدود من خطباء العرب المشهورين. ومنهم يوسف بن ايوب الهمداني الزاهد الربّاني (١١٤٦) صاحب المقامات والكرامات. عقد ببغداد مجلس الوعظ بالمدرسة النظاميّة وصادف بها قبولًا. ثم انقطع الى الله وتنصّر بالقسطنطينيّة

بَخْتيشُوع ٱلْجُنْدِيسابُورِيّ إِنَّهُ أَفْضَلُ ٱلْأَطِبَّاء فَتَقَدَّمَ بِإِحضَارِهِ فَأَنْفذَهُ ٱلْعَامِلُ بِجُنْدِيسَابُور بعدَ مَا أَكْرَمَهُ . فَخَرَج ووَصَّى ولَدَهُ بَخْتيشُوعَ بِٱلْبِيمَارِسْتَانِ . وَٱسْتَصْحَبَ معهُ تِلْمِيذَهُ عِيسَى بْنَ شَهْلَاثَا . ولَمَّا وَصَلَ إِلَى بَغْدَادَ أَمَرَ ٱلْمَنْصُورُ بِإِحْضَارِهِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى ٱلْحَضْرَةِ دَعَا لَهُ بِٱلْفَارِسِيَّةِ وَٱلْعَرَبِيَّةِ فَعَجِبَ ٱلْمَنْصُورُ مِنْ حُسْنِ مَنْطِقِهِ وَمَنْظَرِهِ . وَأَمَرَهُ بِٱلْجُلُوسِ وَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ أَجَابَهُ عَنْهَا بِسُكُونٍ . وَخَبَّرَهُ بِمَرَضِهِ فَقَالَ لَهُ جِيُورْجِيسُ : أَنَا أُدَبِّرُكَ بِمَشِيئَةِ ٱللهِ وَعَوْنِهِ . فَأَمَرَ لَهُ فِي ٱلْوَقْتِ بِخِلْعَةٍ جَلِيلَةٍ وَتَقَدَّمَ إِلَى ٱلرَّبِيعِ بِإِنْزَالِهِ فِي أَجْمَلِ مَوْضِعٍ مِنْ دُورِهِ وَإِكْرَامِهِ كَمَا يُكْرَمُ أَخَصُّ ٱلْأَهْلِ . وَلَمْ يَزَلْ جِيُورْجِيسُ يَتَلَطَّفُ لَهُ فِي تَدْبِيرِهِ حَتَّى بَرِئَ مِنْ مَرَضِهِ وَفَرِحَ بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا . وَكَانَ ٱلْمَنْصُورُ أَمَرَ أَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْجَوَارِي ٱلرُّومِيَّاتِ ثَلَاثٌ فَرَدَّهُنَّ جِيُورْجِيسُ . فَلَمَّا ٱتَّصَلَ ٱلْخَبَرُ إِلَى ٱلْمَنْصُورِ أَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ : لِمَ رَدَدْتَ ٱلْجَوَارِيَ . قَالَ : لَا يَجُوزُ لَنَا مَعْشَرَ ٱلنَّصَارَى أَنْ نَتَزَوَّجَ بِأَكْثَرَ مِنِ ٱمْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ مَا دَامَتِ ٱلْمَرْأَةُ حَيَّةً لَا نَأْخُذُ غَيْرَهَا . فَحَسُنَ مَوْقِعُ هٰذَا مِنَ ٱلْخَلِيفَةِ وَزَادَ مَوْضِعُهُ عِنْدَهُ وَهٰذَا ثَمَرَةُ ٱلْعِفَّةِ . ثُمَّ مَرِضَ جِيُورْجِيسُ مَرَضًا صَعْبًا وَلَمَّا ٱشْتَدَّ مَرَضُهُ أَمَرَ ٱلْمَنْصُورُ بِحَمْلِهِ إِلَى دَارِ ٱلْعَامَّةِ . وَخَرَجَ مَاشِيًا إِلَيْهِ وَتَعَرَّفَ خَبَرَهُ فَخَبَّرَهُ وَقَالَ لَهُ : إِنْ رَأَى أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْذَنَ لِي فِي ٱلِٱنْصِرَافِ إِلَى بَلَدِي لِأَنْظُرَ أَهْلِي وَوُلْدِي وَإِنْ مُتُّ قُبِرْتُ مَعَ آبَائِي . فَقَالَ ٱلْمَنْصُورُ : إِنَّنِي مُنْذُ رَأَيْتُكَ وَجَدْتُ رَاحَةً مِنَ ٱلْأَمْرَاضِ ٱلَّتِي

تعتادُني . فقالَ جيورجيس : أنا أخلِّف بين يدي أميرِ المؤمنين عيسى تلميذي فهو ماهِرٌ . فأمرَ لجيورجيس بعشرةِ آلافِ دينارٍ وأذنَ له في الانصرافِ . وأنفذ معه خادمًا وقالَ : إن ماتَ في الطريقِ فاحمِلهُ إلى منزلِهِ ليدفنَ هناكَ كما أحبَّ . فوصلَ إلى بلدِهِ حيًّا

٣٦٩ (بختيشوعُ بنُ جيورجيس ٧٩٨) . قيلَ إنَّ الرشيدَ في خلافتِهِ مرِضَ من صُداعٍ لحِقَهُ . فقالَ ليحيى بنِ خالدِ بنِ برمكٍ . هؤلاءِ الأطبَّاءُ ليسوا يفهمونَ شيئًا وينبغي أن تطلبَ لي طبيبًا ماهرًا . فقالَ له عن بختيشوعَ بنِ جيورجيس . فأرسلَ البريدَ في حملِهِ من نيسابورَ . ولمَّا كانَ بعدَ أيامٍ وردَ ودخلَ على الرشيدِ فأكرمَهُ وخلعَ عليهِ خلعةً سنيَّةً . ووهبَ له مالًا وافرًا وجعلَهُ رئيسَ الأطبَّاءِ . ولمَّا كانَ في سنةِ خمسٍ وسبعينَ ومائةٍ (٧٩٠) مرِضَ جعفرُ بنُ يحيى . فتقدَّمَ الرشيدُ إلى بختيشوعَ أن يخدمَهُ ولمَّا أفاقَ جعفرٌ من مرضِهِ قالَ لبختيشوعَ : أُريدُ أنْ تختارَ لي طبيبًا ماهرًا أُكرمُهُ وأُحسنُ إليهِ قالَ بختيشوعُ : لستُ أعرفُ في هؤلاءِ الأطبَّاءِ أحذقَ من ابني جبريلَ . فقالَ له جعفرٌ : أحضرنيهِ فلمَّا أحضرَهُ شكا إليهِ مرضًا كانَ يخفيهِ . فدبَّرهُ في مدَّةِ ثلاثةِ أيامٍ وبرأَ فأحبَّهُ جعفرٌ مثلَ نفسِهِ

٣٧٠ (حُنينُ بنُ إسحاقَ ٨٠٩ ـ ٨٧٤) . في أيامِ المتوكِّلِ اشتهرَ حُنينُ بنُ إسحاقَ الطبيبُ النصرانيُّ العباديُّ . ونسبتُهُ إلى العبادِ وهم قومٌ من نصارى العربِ من قبائلَ شتَّى اجتمعوا وانفردوا عن

ٱلنَّاسِ فِي قُصُورٍ ٱبْتَنُوهَا بِظَاهِرِ ٱلْحِيرَةِ. وَتَسَمَّوْا بِٱلْعِبَادِ لِأَنَّهُ لَا يُضَافُ إِلَّا إِلَى ٱلْخَالِقِ وَأَمَّا ٱلْعَبِيدُ فَيُضَافُ إِلَى ٱلْمَخْلُوقِ وَٱلْخَالِقِ. وَيُنْسَبُ إِلَيْهِمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ الشَّاعِرُ ٱلْمَشْهُورُ. وَكَانَ إِسْحَاقُ وَالِدُ حُنَيْنٍ صَيْدَلَانِيًّا بِٱلْحِيرَةِ. فَلَمَّا نَشَأَ حُنَيْنٌ أَحَبَّ ٱلْعِلْمَ فَدَخَلَ بَغْدَادَ وَحَضَرَ مَجْلِسَ يُوحَنَّا بْنِ مَاسَوَيْهِ وَجَعَلَ يَخْدِمُهُ وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ. ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى بِلَادِ ٱلرُّومِ وَأَقَامَ بِهَا سَنَتَيْنِ حَتَّى أَحْكَمَ ٱللُّغَةَ ٱلْيُونَانِيَّةَ وَتَوَصَّلَ فِي تَحْصِيلِ كُتُبِ ٱلْحِكْمَةِ غَايَةَ إِمْكَانِهِ. وَعَادَ إِلَى بَغْدَادَ بَعْدَ سَنَتَيْنِ وَنَهَضَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى أَرْضِ فَارِسَ. وَدَخَلَ ٱلْبَصْرَةَ وَلَزِمَ ٱلْخَلِيلَ ٱبْنَ أَحْمَدَ حَتَّى بَرَعَ فِي ٱللِّسَانِ ٱلْعَرَبِيِّ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ. قَالَ يُوسُفُ ٱلطَّبِيبُ: دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى جِبْرِيلَ بْنِ بَخْتَيْشُوعَ فَوَجَدْتُ حُنَيْنًا وَجِبْرِيلُ يُخَاطِبُهُ بِٱلتَّبْجِيلِ وَيُسَمِّيهِ ٱلرَّبَّانَ. فَأَعْظَمْتُ مَا رَأَيْتُ وَتَبَيَّنَ ذٰلِكَ جِبْرِيلُ مِنِّي. فَقَالَ: تَسْتَكْثِرُ هٰذَا مِنِّي فِي أَمْرِ هٰذَا ٱلْفَتَى. فَوَٱللهِ لَئِنْ مُدَّ لَهُ فِي ٱلْعُمْرِ لَيَفْضَحَنَّ سَرْجِيسَ. وَسَرْجِيسُ هٰذَا هُوَ ٱلرَّأْسَ عَيْنِيُّ ٱلْيَعْقُوبِيُّ نَاقِلُ عُلُومِ ٱلْيُونَانِيِّينَ فِي ٱلسُّرْيَانِيِّ. وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ حُنَيْنٍ يَقْوَى وَعِلْمُهُ يَتَزَايَدُ وَعَجَائِبُهُ تَظْهَرُ فِي ٱلنَّقْلِ وَٱلتَّفَاسِيرِ حَتَّى صَارَ يَنْبُوعًا لِلْعُلُومِ وَمَعْدِنًا لِلْفَضَائِلِ. وَٱتَّصَلَ خَبَرُهُ بِٱلْخَلِيفَةِ ٱلْمُتَوَكِّلِ فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ. وَلَمَّا حَضَرَ أَقْطَعَهُ إِقْطَاعًا سَنِيًّا وَأَحَبَّ ٱمْتِحَانَهُ. فَٱسْتَدْعَاهُ وَأَمَرَ أَنْ يُخْلَعَ عَلَيْهِ. فَشَكَرَ حُنَيْنٌ هٰذَا ٱلْفِعْلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ بَعْدَ أَشْيَاءَ جَرَتْ: أُرِيدُ أَنْ تَصِفَ لِي دَوَاءً يَقْتُلُ عَدُوًّا نُرِيدُ قَتْلَهُ. وَلَيْسَ

يمكن إعلان هذا ونزيده سراً . فقال حنين : ما تعلمت غير الأدوية النافعة ولا علمت أن أمير المؤمنين يطلب مني غيرها . ثم رغبه وهدده وأحضر سيفاً ونطعاً . فقال حنين : قد قلت لأمير المؤمنين ما فيه الكفاية . قال الخليفة : فإنني أقتلك . قال حنين : لي رب يأخذ لي حقي غداً في الموقف الأعظم . فتبسم المتوكل وقال له : طب نفساً فإننا أردنا امتحانك والطمأنينة إليك . فقبل حنين الأرض وشكر له . فقال الخليفة : ما الذي منعك من الإجابة مع ما رأيته من صدق الأمر منا في الحالين . قال حنين : شيئان هما الدين والصناعة . أما الدين فإنه يأمرنا باصطناع الجميل مع أعدائنا فكيف ظنك بالأصدقاء . وأما الصناعة فإنها موضوعة لنفع أبناء الجنس ومقصورة على معالجاتهم . ومع هذا فقد جعل في رقاب الأطباء عهد مؤكد بأيمان مغلظة أن لا يعطوا دواء قتالاً لأحد . فقال الخليفة : إنهما شرعان جليلان . وأمر بالخلع فأفيضت عليه فخرج وهو أحسن الناس حالاً وجاهاً (لأبي الفرج الملطي)

٣٧١ (إسحاق بن حنين ٨٣٠ـ٩١١) . هو أبو يعقوب إسحاق بن حنين ابن إسحاق العبادي الطبيب المشهور كان أوحد عصره في علم الطب . وكان يلحق بأبيه في النقل وفي معرفته باللغات وفصاحته فيها . وكان يعرب كتب الحكمة التي بلغة اليونانيين إلى اللغة العربية كما كان يفعل أبوه . إلا أن الذي وجد من تعريبه في كتب الحكمة من كلام أرسطاطاليس وغيره أكثر مما يوجد من تعريبه لكتب

ٱلطِّبِّ . وَكَانَ قَدْ خَدَمَ مِنَ ٱلْخُلَفَاءِ وَٱلرُّؤَسَاءِ مَنْ خَدَمَهُ أَبُوهُ . ثُمَّ ٱنْقَطَعَ إِلَى ٱلْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ ٱللهِ وَزِيرِ ٱلْإِمَامِ ٱلْمُعْتَضِدِ بِٱللهِ . وَٱخْتَصَّ بِهِ حتى إِنَّ ٱلْوَزِيرَ ٱلْمَذْكُورَ كَانَ يُطْلِعُهُ عَلَى أَسْرَارِهِ وَيُفْضِي إِلَيْهِ بِمَا يَكْتُمُهُ عَنْ غَيْرِهِ لَهُ . وَلِأَبِيهِ ٱلْمُصَنَّفَاتُ ٱلْمُفِيدَةُ فِي ٱلطِّبِّ . وَلَحِقَهُ ٱلْفَالِجُ فِي آخِرِ عُمْرِهِ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ (لابن خلكان)

٣٧٢ (يُوحَنَّا بْنُ مَاسَوَيْهِ ٨٥٧) . وَمِنْ أَطِبَّاءِ ٱلرَّشِيدِ يُوحَنَّا بْنُ مَاسَوَيْهِ ٱلنَّصْرَانِيُّ ٱلسُّرْيَانِيُّ وَلَّاهُ ٱلرَّشِيدُ تَرْجَمَةَ ٱلْكُتُبِ ٱلطِّبِّيَّةِ ٱلْقَدِيمَةِ . وَخَدَمَ ٱلرَّشِيدَ وَمَنْ بَعْدَهُ إِلَى أَيَّامِ ٱلْمُتَوَكِّلِ . وَكَانَ مُعَظَّمًا بِبَغْدَادَ جَلِيلَ ٱلْقَدْرِ وَلَهُ تَصَانِيفُ جَمِيلَةٌ . وَكَانَ يَعْقِدُ مَجْلِسًا لِلنَّظَرِ وَيَجْرِي فِيهِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ ٱلْعُلُومِ ٱلْقَدِيمَةِ بِأَحْسَنِ عِبَارَةٍ وَكَانَ يُدَرِّسُ وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ تَلَامِيذُ كَثِيرُونَ . وَكَانَ فِي يُوحَنَّا دُعَابَةٌ شَدِيدَةٌ يَحْضُرُهُ مَنْ حَضَرَ لِأَجْلِهَا فِي ٱلْأَكْثَرِ . وَكَانَ مِنْ ضِيقِ ٱلصَّدْرِ وَشِدَّةِ ٱلْحِدَّةِ عَلَى أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ بْنُ بَخْتِيشُوعَ . وَكَانَتِ ٱلْحِدَّةُ تُخْرِجُ مِنْ يُوحَنَّا أَلْفَاظًا وَهِيَ مُضْحِكَةٌ . فَمِمَّا حُفِظَ مِنْ نَوَادِرِهِ أَنَّ رَجُلًا شَكَا إِلَيْهِ عِلَّةً وَكَانَ أَشَارَ عَلَيْهِ بِٱلْفَصْدِ . فَقَالَ لَهُ : لَمْ أَعْتَدِ ٱلْفَصْدَ . قَالَ لَهُ يُوحَنَّا : وَلَا أَحْسَبُكَ ٱعْتَدْتَ ٱلْعِلَّةَ مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ (لابي الفرج)

٣٧٣ (ٱبْنُ ٱلتِّلْمِيذِ ١١٦٥) . وَهُوَ أَبُو ٱلْحَسَنِ هِبَةُ ٱللهِ بْنُ ٱلتِّلْمِيذِ ٱلنَّصْرَانِيُّ ٱلطَّبِيبُ ٱلْمُلَقَّبُ بِأَمِينِ ٱلدَّوْلَةِ . شَيْخُ ٱلنَّصَارَى وَٱلْأَطِبَّاءِ وَسُلْطَانُ ٱلْحُكَمَاءِ مَقْصِدُ ٱلْعَالَمِ فِي عِلْمِ ٱلطِّبِّ بُقْرَاطُ عَصْرِهِ

وَجَالِينُوسُ زَمَانِهِ . خُتِمَ بِهِ هٰذَا ٱلْعِلْمُ وَلَمْ يَكُنْ فِي ٱلْمَاضِي مَنْ بَلَغَ مَدَاهُ فِي ٱلطِّبِّ . عُمِّرَ طَوِيلًا . وَعَاشَ نَبِيلًا جَلِيلًا . وَرَأَيْتُهُ وَهُوَ شَيْخٌ بَهِيُّ ٱلْمَنْظَرِ حَسَنُ ٱلرُّوَاءِ عَذْبُ ٱلْمُجْتَلَى وَٱلْمُجْتَنَى لَطِيفُ ٱلرُّوحِ ظَرِيفُ ٱلشَّخْصِ بَعِيدُ ٱلْهَمِّ عَالِي ٱلْهِمَّةِ ذَكِيُّ ٱلْخَاطِرِ مُصِيبُ ٱلْفِكْرِ حَازِمُ ٱلرَّأْيِ رَأْسُ ٱلنَّصَارَى وَقِسِّيسُهُمْ وَرَئِيسُهُمْ . وَلَهُ فِي ٱلنَّظْمِ كَلِمَاتٌ رَائِقَةٌ وَحَلَاوَةٌ جَنِيَّةٌ وَغَزَارَةٌ بَهِيَّةٌ . وَذَكَرَ فِي أُنْمُوذَجِ ٱلْأَعْيَانِ مِنْ شُعَرَاءِ ٱلزَّمَانِ أَنَّ ٱبْنَ ٱلتِّلْمِيذِ ٱلْمَذْكُورَ كَانَ مُتَفَنِّنًا فِي ٱلْعُلُومِ ذَا رَأْيٍ رَصِينٍ . وَعَقْلٍ مَتِينٍ . طَالَتْ خِدْمَتُهُ لِلْخُلَفَاءِ وَٱلْمُلُوكِ . وَكَانَتْ مُجَالَسَتُهُ أَحْسَنَ مِنَ ٱلتِّبْرِ ٱلْمَسْبُوكِ وَٱلدُّرِّ فِي ٱلسُّلُوكِ . وَكَانَ يُتَعَجَّبُ فِي أَمْرِهِ كَيْفَ حُرِمَ ٱلْإِسْلَامَ مَعَ كَمَالِ فَهْمِهِ وَغَزَارَةِ عَقْلِهِ وَعِلْمِهِ . وَكَانَ إِذَا تَرَسَّلَ ٱسْتَطَالَ وَسَطَا . وَإِذَا نَظَمَ وَقَعَ بَيْنَ أَرْبَابِ ٱلنَّظْمِ وَسَطًا . وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَوْحَدِ ٱلزَّمَانِ هِبَةِ ٱللهِ ٱلْحَكِيمِ ٱلْمَشْهُورِ تَنَافُسٌ وَكَانَ هٰذَا يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ فِي آخِرِ عُمْرِهِ . وَأَصَابَهُ ٱلْجُذَامُ فَعَالَجَ نَفْسَهُ بِتَسْلِيطِ ٱلْأَفَاعِي عَلَى جَسَدِهِ فَبَالَغَتْ فِي نَهْشِهِ فَبَرِئَ مِنَ ٱلْجُذَامِ . فَعَمِلَ فِيهِ ٱبْنُ ٱلتِّلْمِيذِ شِعْرًا :

لَنَا صَدِيقٌ يَهُودِيٌّ حَمَاقَتُهُ ... إِذَا تَكَلَّمَ تَبْدُو فِيهِ مِنْ فِيهِ
يَتِيهُ وَٱلْكَلْبُ أَعْلَى مِنْهُ مَنْزِلَةً ... كَأَنَّهُ بَعْدُ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ ٱلتِّيهِ

وَكَانَ ٱبْنُ ٱلتِّلْمِيذِ مُتَوَاضِعًا وَأَوْحَدُ ٱلزَّمَانِ أَبُو ٱلْبَرَكَاتِ مُتَكَبِّرًا فَعَمِلَ فِيهِمَا ٱلْبَدِيعُ ٱلْأَسْطُرْلَابِيُّ شِعْرًا :

أَبُو ٱلْحَسَنِ ٱلطَّبِيبُ وَمُقْتَفِيهِ ... أَبُو ٱلْبَرَكَاتِ فِي طَرَفَيْ نَقِيضِ

فَهٰذَا بِٱلتَّوَاضُعِ فِي ٱلثُّرَيَّا وَهٰذَا بِٱلتَّكَبُّرِ فِي ٱلْحَضِيضِ

وَتُوُفِّيَ ٱبْنُ ٱلتِّلْمِيذِ سَنَةَ سِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَقَدْ نَاهَزَ ٱلْمِائَةَ مِنْ عُمْرِهِ (١١٦٥) . وَلَمْ يَبْقَ بِبَغْدَادَ مِنَ ٱلْجَانِبَيْنِ مَنْ لَمْ يَحْضُرِ ٱلْبِيعَةَ وَلَمْ يَشْهَدْ جَنَازَتَهُ . وَلِٱبْنِ ٱلتِّلْمِيذِ فِي ٱلطِّبِّ تَصَانِيفُ نَافِعَةٌ فِي بَابِهَا مِنْهَا كِتَابُ أَقْرَابَاذِينَ وَحَوَاشٍ عَلَى كُلِّيَّاتِ ٱبْنِ سِينَا (الخريدة للعماد الاصبهاني)(*)

مشاهير المؤرخين والكتّاب والفلاسفة من اهل النصرانية

٣٧٤ (أَبُو ٱلْفَرَجِ ٱلْمَلَطِيُّ ١٢٢٦-١٢٨٦) . جَمَالُ ٱلدِّينِ غَرِيغُورِيُوسُ أَبُو ٱلْفَرَجِ بْنُ حَكِيمَا (*) أَلطَّبِيبُ ٱلْمَعْرُوفُ بِٱبْنِ ٱلْعِبْرِيِّ تَاجُ ٱلْفُضَلَاءِ . مُحَلِّلُ ٱلْمُشْكِلَاتِ ٱلْخَفِيَّةِ مِنَ ٱلْكَلِمَاتِ ٱلْإِلٰهِيَّةِ . وَحِيدُ ٱلْعَصْرِ وَفَرِيدُ ٱلزَّمَانِ . رَئِيسُ رُؤَسَاءِ ٱلْأُمَّةِ ٱلنَّصْرَانِيَّةِ . وَخُلَاصَةُ نُضَارِ ٱلْمِلَّةِ ٱلْيَعْقُوبِيَّةِ . كَانَ كَثِيرَ ٱلِاطِّلَاعِ وَحَصَّلَ عُلُومًا شَتَّى وَأَتْقَنَهَا وَٱنْفَرَدَ بِٱلطِّبِّ فِي زَمَانِهِ حَتَّى شُدَّتْ إِلَيْهِ ٱلرِّحَالُ بِأَرْضِ

(*) وممن اشتهر ايضاً بين النصارى في الطب سعيد بن ماري صاحب المقامات الستين . ويوحنّا بن بطريق ترجمان الخليفة المأمون . ومنهم ابن العطّار متطبب القاهر . ومنهم كُتَيفات خدم البساسيريّ . ومنهم ابن المقشر المصري طبيب العزيز . ومنهم ابن بطلان ولهُ تصانيف جليلة في الطب انقطع في آخر عمرهِ للعبادة . ومنهم حَسْنون الرّهاوي خدم سيف الدين وزير قلج ارسلان . ومنهم يعقوب بن صقلان الملكيّ المقدسي اجتمع بالملك المعظَّم ابن الملك العادل وعالجهُ وارتفعت عنده حالهُ . ومنهم صاعد بن هبة الله وابو الخير الاركيذياقون أَخَوَا الجاثليق ابن المسيحي . ومنهم صاعد بن توما البغدادي الملقَّب بامين الدولة استوثقهُ الامام الناصر

(*) وأَخبر في تاريخهِ قال : في سنة أَربعين وستمائة (١٢٤٣) لمَّا سمع أَهل مَلَطية ما فعل التاتار بقيسارية هلعوا وجزعوا أَفحش الجزع طالبين حلب . فأمسك والدي عن الخروج واجتمع بالمطران دينوسيوس وتشاورا في مرابطة المدينة . وجمعا المسلمين والنصارى في البيعة

ٱلْمَغْرِبِ . وَأُقِيمَ أُسْقُفًا عَلَى مَدِينَةِ مَلَطْيَةَ وَأَخَذَ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنْ فُضَلَاءِ ٱلْمُسْلِمِينَ . وَمِنْ تَصَانِيفِهِ كِتَابُ تَأْرِيخِ مُخْتَصَرِ ٱلدُّوَلِ وَهُوَ مِنْ أَشْهَرِ ٱلتَّوَارِيخِ وَشَرْحُ قَانُونِ ٱبْنِ سِينَا وَبُقْرَاط وَدِيُوسْقُورُس وَكِتَابُ دَفْعِ ٱلْهَمِّ وَدِيوَانُ شِعْرٍ فِي ٱلْإِلٰهِيَّاتِ وَغَيْرُهَا (*)

٣٧٥ (ثَابِتُ بْنُ قُرَّةَ ٨٣٦ــ٩٠٢) . أَبُو ٱلْحَسَنِ بْنُ كَرَايَا ٱلْحَاسِبُ كَانَ فِي مَبْدَإِ أَمْرِهِ صَيْرَفِيًّا بِحَرَّانَ ثُمَّ ٱنْتَقَلَ إِلَى بَغْدَادَ . وَٱشْتَغَلَ بِعُلُومِ ٱلْأَوَائِلِ فَمَهَرَ فِيهَا . وَكَانَ ٱلْغَالِبُ عَلَيْهِ ٱلْفَلْسَفَةَ وَلَهُ تَآلِيفُ كَثِيرَةٌ فِي فُنُونٍ مِنَ ٱلْعِلْمِ مِقْدَارُ عِشْرِينَ تَأْلِيفًا . وَأَخَذَ كِتَابَ أُقْلِيدِسَ ٱلَّذِي عَرَّبَهُ حُنَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ ٱلْعِبَادِيُّ فَهَذَّبَهُ وَنَقَّحَهُ وَأَوْضَحَ مِنْهُ مَا كَانَ مُسْتَعْجِمًا . وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ عَصْرِهِ فِي ٱلْفَضَائِلِ . وَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ مَذْهَبِهِ أَشْيَاءُ أَنْكَرُوهَا عَلَيْهِ فِي ٱلْمَذْهَبِ . فَرَافَعُوهُ إِلَى رَئِيسِهِمْ فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ مَقَالَتَهُ وَمَنَعَهُ مِنْ دُخُولِ ٱلْهَيْكَلِ فَتَابَ وَرَجَعَ عَنْ ذٰلِكَ . ثُمَّ خَرَجَ مِنْ حَرَّانَ وَنَزَلَ كَفَرْتُوثَا وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً إِلَى أَنْ قَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى مِنَ

الكبيرة وتحالفوا أن لا يخون بعضهم بعضاً ولا يخالفوا المطران في جميع ما يتقدَّم اليهم من مداراة التاتار والقيام بحفظ المدينة والبَيتوتة على أسوارها وكفّ أهل الشرّ عن الفساد . فنظر الله الى حسن نيآتهم ودفع العدوّ عنهم ووصلوا بالقرب من ملطيــة ولم يتعرَّضوا اليها . وفي إحدى وأربعين (١٢٤٤) غزا شاورنوين بلد الشام واجتاز بملطية وخرَّب بلدها وأخذ غلاتهــا . ثمَّ رحلـــ عنها وطلب طبيباً يُداويهِ عن مرضٍ عرض لهُ . فخرج اليهِ والدي وسار معهُ الى حَرَّتْ بَرْتَ فدَّبرهُ حتى برأَ . ثم جاء ولم يُطل المقام بملطية ورحل بنا الى أنطاكية فاسكنَّاها

(*) ومن مؤرّخي النصارى سعيد بن البطريق بطرك الاسكندريَّة وجرجس بن العميد مكمّل تاريخ الطبري . ومنهم ابن الراهب وابو البركات وابن المسيحي وكثيراً ما يستشهدهم ابن خلدون في تاريخهِ . ومنهم عمرو بن متّى (١٣٤٠) نقل عنهُ العلاّمة السمعاني

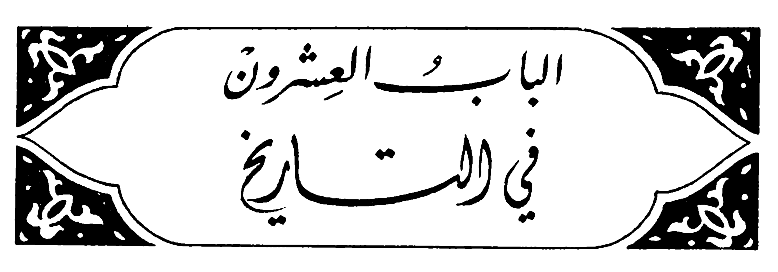
بِلَادِ ٱلرُّومِ. فَٱجْتَمَعَ بِهِ فَرَآهُ فَاضِلًا فَصِيحًا فَٱسْتَصْحَبَهُ إِلَى بَغْدَادَ وَأَنْزَلَهُ فِي دَارِهِ وَوَصَلَهُ بِٱلْخَلِيفَةِ. وَعَقِبُهُ بِهَا إِلَى ٱلْآنَ. وَلَهُ وَلَدٌ يُسَمَّى إِبْرٰهِيمَ بَلَغَ رُتْبَةَ أَبِيهِ فِي ٱلْفَضْلِ وَكَانَ مِنْ حُذَّاقِ ٱلْأَطِبَّاءِ. عَالَجَ مَرَّةً ٱلسَّرِيَّ ٱلرَّفَّاءَ ٱلشَّاعِرَ فَأَصَابَ ٱلْعَافِيَةَ فَعَمِلَ فِيهِ وَهُوَ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي طَبِيبٍ:

هَلْ لِلْعَلِيلِ سِوَى ٱبْنِ قُرَّةَ شَافِي ... بَعْدَ ٱلْإِلٰهِ وَهَلْ لَهُ مِنْ كَافِي
فَكَأَنَّهُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ نَاطِقًا ... يَهَبُ ٱلْحَيَاةَ بِأَيْسَرِ ٱلْأَوْصَافِ
يَبْدُو لَهُ ٱلدَّاءُ ٱلْخَفِيُّ كَمَا بَدَا ... لِلْعَيْنِ رَضْرَاضُ ٱلْغَدِيرِ ٱلصَّافِي

٣٧٦ أَلْكِنْدِيُّ (٢٤٦ هـ) (٨٦٠م). هُوَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ ٱلْكِنْدِيُّ ٱلنَّصْرَانِيُّ. وَكَانَ شَرِيفَ ٱلْأَصْلِ بِصْرِيًّا وَكَانَ أَبُوهُ إِسْحَاقُ أَمِيرًا عَلَى ٱلْكُوفَةِ لِلْمَهْدِيِّ وَٱلرَّشِيدِ. وَيَعْقُوبُ هٰذَا أَوْحَدُ عَصْرِهِ فِي فُنُونِ ٱلْآدَابِ وَشُهْرَتُهُ تُغْنِي عَنِ ٱلْإِطْنَابِ. وَكَانَ لَهُ ٱلْيَدُ ٱلطُّولَى بِعُلُومِ ٱلْيُونَانِ وَٱلْهِنْدِ وَٱلْعَجَمِ مُتَفَنِّنًا عَالِمًا بِٱلطِّبِّ وَٱلْمَنْطِقِ وَتَأْلِيفِ ٱللُّحُونِ وَٱلْهَنْدَسَةِ وَٱلْهَيْئَةِ وَٱلْفَلْسَفَةِ. وَلَهُ فِي أَكْثَرِ هٰذِهِ ٱلْعُلُومِ تَآلِيفُ مَشْهُورَةٌ وَلَمْ يَكُنْ فِي ٱلْعَرَبِ مَنِ ٱشْتَهَرَ عِنْدَ ٱلنَّاسِ بِمُعَانَاةِ عِلْمِ ٱلْفَلْسَفَةِ حَتَّى سَمَّوْهُ فَيْلَسُوفًا غَيْرَ يَعْقُوبَ. وَكَانَ مُعَاصِرًا لِقُسْطَا بْنِ لُوقَا ٱلْفَيْلَسُوفِ ٱلْبَعْلَبَكِّيِّ ٱلنَّصْرَانِيِّ وَٱسْتَوْطَنَ بَغْدَادَ وَأَخَذَ عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ ٱلْبَلْخِيِّ. وَمِنْ أَنْسِبَاءِ يَعْقُوبَ هٰذَا عَبْدُ ٱلْمَسِيحِ بْنُ إِسْحَاقَ ٱلْكِنْدِيُّ وَلَهُ رِسَالَةٌ مُشْتَهِرَةٌ فَنَّدَ فِيهَا ٱعْتِرَاضَاتِ ٱبْنِ إِسْمَاعِيلَ ٱلْهَاشِمِيِّ عَلَى ٱلنَّصْرَانِيَّةِ. ذَكَرَهَا أَبُو رَيْحَانَ ٱلْبِيرُونِيُّ فِي تَأْرِيخِهِ

٣٧٧ (أَلصَّابِئُ ٩٣٤–٩٨٣) أَبُو ٱلْحَسَنِ إِبْرٰهِيمُ بْنُ هِلَالِ بْنِ إِبْرٰهِيمَ ٱبْنِ زَهْرُونَ بْنِ حَبُّونَ ٱلْحَرَّانِيُّ ٱلصَّابِئُ صَاحِبُ ٱلرَّسَائِلِ ٱلْمَشْهُورَةِ وَٱلنَّظْمِ ٱلْبَدِيعِ وَكَانَ كَاتِبَ ٱلْإِنْشَاءِ بِبَغْدَادَ عَنِ ٱلْخَلِيفَةِ وَعَنْ عِزِّ ٱلدَّوْلَةِ بَخْتِيَارِ بْنِ مُعِزِّ ٱلدَّوْلَةِ ٱبْنِ بُوَيْهِ ٱلدَّيْلَمِيِّ. وَتَقَلَّدَ دِيوَانَ ٱلرَّسَائِلِ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. وَكَانَتْ تَصْدُرُ عَنْهُ مُكَاتَبَاتٌ إِلَى عَضُدِ ٱلدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ بِمَا يُؤْلِمُهُ فَحَقَدَ عَلَيْهِ. فَلَمَّا قُتِلَ عِزُّ ٱلدَّوْلَةِ وَمَلَكَ عَضُدُ ٱلدَّوْلَةِ بَغْدَادَ ٱعْتَقَلَهُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ. وَكَانَ قَدْ أَمَرَهُ أَنْ يَصْنَعَ لَهُ كِتَابًا فِي أَخْبَارِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلدَّيْلَمِيَّةِ فَعَمِلَ ٱلْكِتَابَ ٱلتَّاجِيَّ. فَقِيلَ لِعَضُدِ ٱلدَّوْلَةِ إِنَّ صَدِيقًا لِلصَّابِئِ دَخَلَ عَلَيْهِ فَرَآهُ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ مِنَ ٱلتَّعْلِيقِ وَٱلتَّسْوِيدِ وَٱلتَّبْيِيضِ فَسَأَلَهُ عَمَّا يَعْمَلُ فَقَالَ: أَبَاطِيلُ أُنَمِّقُهَا وَأَكَاذِيبُ أُلَفِّقُهَا. فَحَرَّكَتْ سَاكِنَهُ وَهَاجَتْ حِقْدَهُ وَلَمْ يَزَلْ مُبْعَدًا فِي أَيَّامِهِ. وَكَانَ مُتَشَدِّدًا فِي دِينِهِ. وَجَهَدَ عَلَيْهِ عِزُّ ٱلدَّوْلَةِ أَنْ يُسْلِمَ فَلَمْ يَفْعَلْ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَسَنٍ مِنَ ٱلْمَنْظُومِ وَٱلْمَنْثُورِ (*) (لابن خلكان)

(*) وقد اشتهر كثير من الكتّاب والمصنفين بين النصارى نستغني بذكر بعضهم فمنهم ابن المقفَّع الكاتب المشهور صاحب الرسائل البديعة والدرَّة اليتيمة ومعرِّب كتاب كليلة ودمنة. ومنهم زكريا الافريجي المنطقي نزيل بغداد. ومنهم قسطا بن لوقا البعلبكي توفي سنة ٩٠٨ الحاسب الفيلسوف عرَّب كتبًا كثيرة منها كتاب الفلاحة. ومنهم القديس قزما المنشىء ومنهم القديس يوحنا الدمشقي يعرفهُ العرب بابن منصور وكان ابوهُ من اعيان الدولة الاموية خرَّجهُ في العلوم والمعارف على القديس قزما الشيخ فبلغ منها المبلغ الطائل حتى صار مشكاة للآداب. ودافع عن اكرام الصور فردَّت لهُ العذراء يده المقطوعة بدسائس الملك لاون الايزوري. ثم انقطع الى الله في بلاد فلسطين وألَّف عدَّة تآليف فلسفيَّة ولاهوتيَّة فلُقِّب بمجرى الذهب وتوفي سنة ٧٨٠. وقد اشترت اليسوعيَّة داره بدمشق من عهد قريب وموقعها قرب باب توما



صاحب الشريعة الاسلامية محمد بن عبد الله

٣٧٨ ذَكَرَ ٱلنَّسَّابُونَ أَنَّ نِسْبَتَهُ تَرْتَقِي إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرٰهِيمَ ٱلْخَلِيلِ ٱلَّذِي وَلَدَتْ لَهُ هَاجَرُ أَمَةُ سَارَا زَوْجَتِهِ. وَكَانَ وِلَادُهُ بِمَكَّةَ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ لِلْإِسْكَنْدَرِ وَلَمَّا مَضَى مِنْ عُمْرِهِ سَنَتَانِ بِٱلتَّقْرِيبِ مَاتَ عَبْدُ ٱللهِ أَبُوهُ وَكَانَ مَعَ أُمِّهِ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ سِتَّ سِنِينَ. فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ أَخَذَهُ إِلَيْهِ جَدُّهُ عَبْدُ ٱلْمُطَّلِبِ بِحِيَاطَتِهِ وَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَكَفَلَهُ. ثُمَّ خَرَجَ بِهِ وَهُوَ ٱبْنُ تِسْعِ سِنِينَ إِلَى ٱلشَّامِ. فَلَمَّا نَزَلُوا بُصْرَى خَرَجَ إِلَيْهِمْ رَاهِبٌ عَارِفٌ ٱسْمُهُ بُحَيْرَا مِنْ صَوْمَعَتِهِ وَجَعَلَ يَتَخَلَّلُ ٱلْقَوْمَ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَيْهِ فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ: سَيَكُونُ مِنْ هٰذَا ٱلصَّبِيِّ أَمْرٌ عَظِيمٌ يَنْتَشِرُ ذِكْرُهُ فِي مَشَارِقِ ٱلْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا. وَلَمَّا كَمَلَ لَهُ مِنَ ٱلْعُمْرِ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً عَرَضَتْ عَلَيْهِ ٱمْرَأَةٌ ذَاتُ شَرَفٍ وَيَسَارٍ ٱسْمُهَا خَدِيجَةُ أَنْ يَخْرُجَ بِمَالِهَا تَاجِرًا إِلَى ٱلشَّامِ وَتُعْطِيَهُ أَفْضَلَ مَا تُعْطِي غَيْرَهُ. فَأَجَابَهَا إِلَى ذٰلِكَ وَخَرَجَ. ثُمَّ رَغِبَتْ فِيهِ وَعَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ فَتَزَوَّجَهَا وَعُمْرُهَا يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ سَنَةً. وَأَقَامَتْ مَعَهُ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَتْ بِمَكَّةَ ٱثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً. وَلَمَّا كَمَلَ لَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً أَظْهَرَ ٱلدَّعْوَةَ. وَلَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ عَمُّهُ وَمَاتَتْ أَيْضًا خَدِيجَةُ زَوْجَتُهُ أَصَابَتْهُ قُرَيْشٌ بِعَظِيمٍ مِنْ أَذَى

فَهَاجَرَ عَنْهُم إِلَى ٱلْمَدِينَةِ وَهِيَ يَثْرِبُ . وَفِي (ٱلسَّنَةِ ٱلْأُولَى) مِنْ هِجْرَتِهِ إِحْتَفَلَ ٱلنَّاسُ إِلَيْهِ وَنَصَرُوهُ عَلَى ٱلْمَكِّيِّينَ أَعْدَائِهِ. وَفِي (ٱلسَّنَةِ ٱلثَّانِيَةِ) مِنْ هِجْرَتِهِ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ خَرَجَ بِنَفْسِهِ إِلَى غَزَاةِ بَدْرٍ وَهِيَ ٱلْبَطْشَةُ ٱلْكُبْرَى وَهَزَمَ بِثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ أَلْفًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ٱلْمُشْرِكِينَ. وَفِي هٰذِهِ ٱلسَّنَةِ صُرِفَتِ ٱلْقِبْلَةُ عَنْ جِهَةِ ٱلْبَيْتِ ٱلْمُقَدَّسِ إِلَى جِهَةِ ٱلْكَعْبَةِ. وَفِيهَا فُرِضَ صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ . وَفِي (ٱلسَّنَةِ ٱلثَّالِثَةِ) خَرَجَ إِلَى غَزَاةِ أُحُدٍ وَفِيهَا هَزَمَ ٱلْمُشْرِكُونَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَشُجَّ فِي وَجْهِهِ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ. وَفِي (ٱلسَّنَةِ ٱلرَّابِعَةِ) غَزَا بَنِي ٱلنَّضِيرِ ٱلْيَهُودَ وَأَجْلَاهُمْ إِلَى ٱلشَّامِ . وَفِيهَا ٱجْتَمَعَ أَحْزَابٌ شَتَّى مِنْ قَبَائِلِ ٱلْعَرَبِ مَعَ أَهْلِ مَكَّةَ وَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى ٱلْمَدِينَةِ . فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَلِأَنَّهُ هَالَ ٱلْمُسْلِمِينَ أَمْرُهُمْ أَمَرَ بِحَفْرِ خَنْدَقٍ وَبَقُوا بِضْعَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ . وَفِي (ٱلسَّنَةِ ٱلسَّادِسَةِ) خَرَجَ بِنَفْسِهِ إِلَى غَزَاةِ بَنِي ٱلْمُصْطَلِقِ وَأَصَابَ مِنْهُمْ سَبْيًا كَثِيرًا . وَفِي (ٱلسَّنَةِ ٱلسَّابِعَةِ) خَرَجَ إِلَى غَزَاةِ خَيْبَرَ مَدِينَةِ ٱلْيَهُودِ وَيُنْقَلُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ عَالَجَ بَابَ خَيْبَرَ وَٱقْتَلَعَهُ وَجَعَلَهُ مِجَنًّا وَقَاتَلَهُمْ . وَفِي (ٱلثَّامِنَةِ) كَانَتْ غَزَاةُ ٱلْفَتْحِ فَتْحِ مَكَّةَ وَعَهِدَ ٱلْمُسْلِمِينَ أَنْ لَا يَقْتُلُوا فِيهَا إِلَّا مَنْ قَاتَلَهُمْ . وَأَمَّنَ مَنْ دَخَلَ ٱلْمَسْجِدَ وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَى نَفْسِهِ بَابَهُ وَكَفَّ يَدَهُ وَمَنْ تَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ ٱلْكَعْبَةِ سِوَى قَوْمٍ يُؤْذُونَهُ . وَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ وَهُوَ عَظِيمُ مَكَّةَ مِنْ تَحْتِ ٱلسَّيْفِ . وَفِي (ٱلسَّنَةِ ٱلتَّاسِعَةِ) خَرَجَ إِلَى غَزَاةِ تَبُوكَ مِنْ بِلَادِ ٱلرُّومِ وَلَمْ يَحْتَجْ فِيهَا إِلَى

حَرْبٍ. وَفِي (ٱلسَّنَةِ ٱلعَاشِرَةِ) حَجَّ حِجَّةَ ٱلْوَدَاعِ. ثُمَّ وَعِكَ وَمَرِضَ وَتُوُفِّيَ يَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ صَفَرٍ وَكَانَ عُمْرُهُ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً. وَلَمَّا تُوُفِّيَ أَرَادَ أَهْلُ مَكَّةَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ رَدَّهُ إِلَيْهَا لِأَنَّهَا مَسْقَطُ رَأْسِهِ. وَأَرَادَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ مِنَ ٱلْأَنْصَارِ دَفْنَهُ بِٱلْمَدِينَةِ لِأَنَّهَا دَارُ هِجْرَتِهِ وَمَدَارُ نُصْرَتِهِ. ثُمَّ دَفَنُوهُ بِٱلْمَدِينَةِ فِي حُجْرَتِهِ حَيْثُ قُبِضَ (*) (لابي الفرج)

ذكر الخلفاء الراشدين (٦٣٢ ـ ٦٦١)

خلافة ابي بكر (٦٣٢ — ٦٣٤)

٣٧٩ ثم اجتمع المهاجرون والأنصار للمبايعة فارتفعت الأصوات وكثر اللغط. فلمَّا أشفق عمر الاختلاف قال: إنَّا والله ما وجدنا أمرًا هو أقوى من مبايعة أبي بكرٍ ثم قال لأبي بكرٍ: ابسط يدك فأبايعك. فبسط يدهُ فبايعهُ وبايعهُ المهاجرون وبايعهُ الأنصار. ولما بويع أبو بكرٍ ضرب بعثًا على أهل المدينة ومن حولهم. وأمَّر أُسامة بن زيدٍ فقال لهُ الناس: إنَّ هؤلاء جُلّ المسلمين على ما ترى نجم فيهم النفاقُ وانتقضوا بك. فليس ينبغي لك أن تُفرّق عنك جماعة المسلمين. فقال: والذي نفس أبي بكرٍ بيده لو ظننتُ أنَّ السباع تخطفني لأنفذتُ بعث أُسامة الى الشام. ولو لم يبقَ في القرى غيري لأنفذتهُ. ثم خرج أبو بكرٍ الى البعث حتى أتاهم. فأشخصهم وشيَّعهم وهو ماشٍ وأُسامة راكبٌ. فقال لهُ أُسامة: يا أمير المؤمنين والله لتركبنَّ أو لأنزلنَّ. فقال: لا نزلتَ ولا أركبُ وما عليَّ أن أُغبّر قدمي في سبيل الله ساعةً (تاريخ الملوك للطبري)

خبر الاسود العنسي ومسيلمة الكذابَين (٦٣٤)

٣٨٠ كان الأسود هذا غلب على صنعاء ومفازة حضرموت الى عمل الطائف الى البحرين. وادَّعى النبوءة وطابقت عليهِ اليمن وجعل يستطير استطارة الحريق. فبعث أبو بكرٍ رجالًا لمحاولتهِ أو مُصاولتهِ. فدخلوا على أزاد وهي امرأتهُ فقالوا لها: يا ابنة العم قد عرفتِ بلاء هذا

(*) وصفهُ عليّ بن ابي طالبٍ قال: كان راجح العقل يكثر الذكر ويقلّ اللغو دائم البِشر مطيل الصمت لا ينفر احدًا. وكان ليس بالطويل ولا بالقصير ضخم الراس كثّ اللحية مشربًا وجههُ حمرةً وقيل: كان ادعج العينين سَبط الشعر سَهل الخدَّين. واختُلف في ازواجهِ قال ابو الفداء: تزوج بخمس عشرة امرأة وولد لهُ سبعة اولاد كلهم من خديجة الّا ابرهيم ابنهُ فانهُ من مارية القبطية التي بعث بها المقوقس ولم يعش منهم بعدهُ الّا فاطمة فتوفيت بعد ابيها بثلاثة اشهر

الرجل عند قومكِ قتل أَباكِ وطأطأ في قومك القتل وسفَّل بمن بقي منهم فهل عندكِ من مما لأةٍ عليهِ . فاجابت أزاد الى قولهم . ولما جنَّ الليل أَدخلت الرجال في مقصورة الأَسود زوجها . وهو يغطُّ فألجموهُ بمِلاة وأمروا الشفرة على حلقهِ . فخار خوار الثور . فابتدر الحرسُ البابَ وهم حول المقصورة : ما هذا ما هذا . فقالت المرأَة : النبي يوحى اليهِ . ولما قُتِل الأَسود وأَراح الله الإِسلام من شرّه تراجع الامراء واعتذر الناس (الآداب السلطانية للفخري)

ثم ظهر مُسيلِمة الكذَّاب . وأَوقع أَعظم فتنةٍ في أَهل اليمامة وكان يؤذّن لهُ ويُشهد لهُ بالرسالة . وكان يسجع لقومهِ باسجاعٍ يزعم أَنَّها قرآنٌ يأتيهِ ويأتي بمخارق يزعم أَنَّها معجزاتٌ فيقع منها ضد المقصود . فامر أبو بكرٍ خالدَ بن الوليد بالمسير الى محاربتهِ . وكان بينهما وقعات واشتدَّ الحرب بين الفريقين . واقتحم المسلمون باجمعهم الى مسيلمة وأَصحابهِ . فقاتلوهم حتى احمرَّت الأَرض بالدماء . ونظر عبدٌ أَسود اسمهُ وحشيٌّ الى مسيلمة فرماهُ بحربةٍ فوقعت على خاصرتهِ فسقط عن فرسهِ قتيلًا (الطبري)

فتح العراق (٦٣٢) والشام (٦٣٣ — ٦٣٨) وموت ابي بكر (٦٣٥)

٣٨١ ومن هناك توجه خالد الى أَرض العراق فزحف الى الحيرة ففتحها صلحًا . وكان ذلك أَوَّل شيءٍ افتتح من العراق . وقد كان ابو بكر وجَّه قبل ذلك أَبا عُبَيدة بن الجرَّاح في زهاء عشرين الف رجل الى الشام . وبلغ هرقل ملك الروم ورود العرب الى أَرض الشام . فوجَّه اليهم سرجيس البطريق في خمسة آلاف رجل من جنودهِ ليحاربهم . وكتب أَبو بكرٍ الى خالدٍ عند افتتاحهِ الحيرة يأمرهُ أَن يسير الى أَبي عُبَيدة بارض الشام . ففعل والتقى العرب والروم باجنادين فانهزم الروم . وقُتل سرجيس البطريق وذلك أَنَّهُ في هربهِ سقط من فرسهِ . فركَّبهُ غلمانهُ فسقط فركَّبوهُ ثانيًا فهبط ايضًا وقال لهم : فوزوا بانفسكم واتركوني أُقتَل وحدي . وفي سنة ثلاث عشرة للهجرة مرض أَبو بكرٍ خمسة عشر يومًا ومات رحمهُ الله يوم الاثنين لثمانٍ خلون من جمادى الآخرة . وهو ابن ثلاثٍ وستين سنةً وكانت خلافتهُ سنتين وأَربعة أَشهرٍ

خلافة عُمر (٦٣٤ — ٦٤٤) فتح دمشق (٦٣٦) فارس (٦٣٢) مصر (٦٤٢)

٣٨٢ ثم قام بالأَمر بعدهُ عُمَر بن الخطَّاب بويع لهُ بالخلافة في اليوم الذي مات فيهِ أَبو بكرٍ . فقام بعدهُ بمثلِ سيرتهِ وجهادهِ وثباتهِ وصبرهِ على العيش الخشن والقناعة باليسير وفتح الفتوحات الكبار والأَقاليم الشاسعة . وهو أَوَّل مَن سُمّي بامير المؤمنين فأَرَّخ التاريخ ودوَّن الدواوين ومصَّر الأَمصار وشهد بدرًا . وهو اوَّل مَن عسَّ في عملهِ لحفظ الدين والناس . وهابهُ الناس هيبةً عظيمةً وزاد في الشدَّة في مواضعها واللين في مواضعهِ . ولمَّا ولي الأَمر لم يكن لهُ همَّةٌ إِلَّا العراق . فعقد لأَبي عُبَيد بن مسعود على زهاء الف رجلٍ وأَمرهُ بالمسير الى العراق فعبروا اليها . فزحف اليهم العجم فتناجزوا من وقت الزوال الى أَن توارت الشمس بالحجاب .

فحمل العرب حملة رجلٍ واحدٍ وقتلوا مهران قائدهم . فانهزم العجم لاحقين بالمدائن . ثم ولّى يزدجرد عظيماً من عظماء مرازبته لهُ سنٌّ وتجربةٌ يقال لهُ رستم . وعقد ايضاً لرجلٍ آخر يُسمّى الهُرمزان في جنودٍ كثيرة . وعند الالتقاء قُتِل هذان المرزبانان ومرّت العرب في أثر العجم يقتلون مَن أدركوا منهم (تاريخ ابن خلدون)

وفي خلافة عُمَر فتح أبو عُبَيدة وخالدٌ دمشق بعد حصار سبعة اشهرٍ فخرج اهل دمشق وبذلوا الصلح لأبي عُبيدة . فأمنهم وصالح اهل طبريّة وقيسارية وبعلبكّ . وعلى يد عُمَر انتهى الفتح الى حمص والرها وماردين وطرابلس وعسقلان وما يليها من الساحل وبيت المقدس . وفتح عمرو بن العاص مصر عنوةً وفتح الإسكندريّة صلحاً . حتى هاب عُمَر ملوك فارس والروم . ومع ذلك كلّهِ بقي على حالهِ كما كان قبل الولاية في لباسهِ وزيّهِ وافعالهِ وتواضعهِ يسير منفرداً من غير حرسٍ ولا حجابٍ . لم تغيّرهُ الإمرة ولم يستطِل على مسلم بلسانهِ . ولا حابى احداً في الحقّ . وكان لا يطمع الشريف في حيفهِ ولا ييأس الضعيف من عدلهِ . ومات عُمَر يوم الاربعاء لخمسٍ بقينَ من ذي الحجّة . وقتلهُ ابو لؤلؤة المجوسيّ وكان عمرهُ ثلاثاً وستين سنةً . وكانت خلافتهُ عشر سنين وستة اشهر . ولما فتح عمرو بن العاص مصر طلب منهُ يوحنا النحويّ النصرانيّ كتب الحكمة التي في الخزائن الملكيّة . فكتب عمرو الى الخليفة يستأذن امير المؤمنين . فكتب اليهِ عُمَر : الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنهُ غنى . وان كان فيها ما يخالفهُ فلا حاجة اليهِ فتقدّمْ باعدامها . فشرع عمروٌ في تفريقها على حمّامات الاسكندريّة واحراقها في مواقدها . فاستيقدت في مدّة ستة اشهرٍ (لابن العميد)

عثمان بن عفّان (٦٤٥—٦٥٧)

٣٨٣ بُويع لهُ بالخلافة في اوّل يومٍ من سنة اربعٍ وعشرين . وكانت لهُ شفقةٌ ورأفةٌ بالرعيّة . وافتُتحت في ايامهِ أفريقية وغزا معاوية قبرس وأنقُرة فافتتحها صلحاً. وانتزع عثمانُ عمرو ابن العاص عن الاسكندريّة فأمَّر عليها اخاهُ لأمّهِ . ثم ان الناس انكروا على عثمان اشياء منها كَلَفهُ باقاربهِ . فحنقت العرب على ذلك وجمعوا الجموع ونزلوا فرسخاً من المدينة . وبعثوا الى عثمان من يستعتبهُ ويقول لهُ : إمّا أن تعتدل او تعتزل

وكتب عثمان اليهم كتاباً يقول فيهِ : اني انزع عن كل شيءٍ انكرتموهُ وأتوب الى الله . فلم يقبلوا منهُ ثم اشتدّ عليهِ الحصار عشرين يوماً حتى تسوَّر محمد بن أبي بكر مع رجلين حائط عثمان فضربهُ احدهم بمشقصٍ في اوداجهِ . وقتلهُ الآخر والمصحف في حجرهِ . وكانت خلافتهُ اثنتي عشرة سنةً . وعمرهُ نيِّفٌ وثمانون سنةً (للدميري)

عليّ بن ابي طالبٍ (٦٥٧ — ٦٦١)

٣٨٤ ولمّا قُتِل عثمان اجتمع طلحة والزُبير والمهاجرون والأنصار وأتوا عليّاً يبايعونهُ

فأبى . وقال : أن اكون وزيرًا لكم خيرٌ من أن اكون اميرًا ومَن اخترتم رضيتهُ . فالحّوا عليهِ وقالوا : لا نعلم أَحقَّ منك حتى غلبوهُ في ذلك . ثم ادَّعى الزُبَير بن العوَّام وطلحة الإكراه بعد ذلك وعالأا على نقض إمارة عليّ . فلحق عليٌّ بهم وناجزهم الحرب وقتل الزبير وطلحة . وسمّيت هذه الوقعة وقعة الجمل . ولمَّا بلغ معاوية خبر الجمل دعا اهل الشام الى القتال . فخرج عليّ من الكوفة واقتتلوا قتالًا شديدًا في صِفّين . ثم تهادنا وافترقا . ثم تعاهد شبيب وابن الملجم على قتل عليّ وكمنا لهُ في المسجد . فلمَّا خرج عليّ ونادى بالصلاة علاهُ شبيبٌ بالسيف وضربهُ ابن الملجم على مقدَّم راسهِ . فدعا عليّ قبل موتهِ الحسن والحسين ابنيهِ ووصَّاهما وقال : أُوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما . ولا تأسفا على شيءٍ ذوى منها عنكما . وقولا الحقَّ وارحما اليتيم وكونا للظالم خصمًا وللمظلوم ناصرًا . ولا تأخذكما في الله لومة . ولمَّا حضرتهُ الوفاة كتب وصيَّتهُ العامَّة ثم قُبض . وصفهُ ضرار بن ضمرة قال : كان عليّ بعيد المدى شديد القوى يتفجَّر العلمُ من جوانبهِ . وتنطق الحكمة من نواحيهِ . يستوحش من الدنيا وزهرتها . ويأنس بالليل ووحشتهِ . غزير العبرة . طويل الفكرة . يعجبهُ من اللباس ما خشن . ومن الطعام ما جشب . وكان فينا كأحدنا . يجيبنا اذا سألناهُ ويأتينا اذا دعوناهُ . ونحن مع تقريبهِ لا نكاد نكلّمهُ هيبةً لهُ . لا يطمع القوي في باطلهِ ولا ييأس الضعيف من عدلهِ (لابن خلدون)

الحسن بن عليّ بن ابي طالبٍ (٦٦١ — ٦٦٢)

٢٨٥ ولمَّا قُتِل عليّ اجتمع اصحابه بالكوفة فبايعوا ابنهُ الحسنَ . وبويع معاوية بالشام . فسار الحسن الى المدائن واستقرَّ بها خمسة اشهرٍ . ولمَّا رأَى المناوشة بين اصحابهِ قال : لا حاجة لي في هذا الأمر وقد رأَيتُ أَن أُسلّمهُ الى معاوية فيكون في عنقهِ تباعتهُ واوزارهُ . فقال لهُ الحسين اخوهُ : أُنشدك الله أَن لا تكون أَوَّل مَن عاب اباهُ ورغب عن رأيهِ . فقال : لا بدَّ من ذلك وقد اخترتُ العار على النار . وبعث الى معاوية بتسليم الأمر اليهِ واشترط عليهِ شروطًا . فاجابهُ معاوية الى ما التمسهُ منهُ . فسلّم الأمر الى معاوية وبايع لهُ لخمسٍ بقينَ من ربيع الأوَّل . وذلك لانهُ رأَى المصلحة في جمع الكلمة وترك القتال (لابي الفداء)

دولة الامويين (٦٦٢ ـ ٧٤٦)

خلافة معاوية (٦٦٢ — ٦٨٠)

٢٨٦ ولمَّا بويع بالخلافة استقام لهُ الملك وصفت لهُ الولاية . وكان معاوية مليح الشكل عظيم الهيبة وافر الحشمة يلبس الثياب الفاخرة ويركب الخيل المُسوَّمة . وكان كثير البذل والعطا ، محسنًا الى رعيتهِ . وهو اوَّل من اتخذ المقاصير واقام الحرس والحجَّاب واوَّل من مشى بين يديهِ صاحب الشرطة بالحراب ولهُ في الحلم اخبار كثيرة . واعلم ان معاوية كان مربي

دولٍ وسائس أُمم وراعي ممالك ابتكر في الدولة اشياء لم يسبقهُ احد اليها . منها انهُ وضع البريد لوصول الاخبار بسرعة . واخترع ديوان الخاتم فصارت التواقيع تصدر منهُ مختومةً لا يتمكّن احد من تغييرها . وفي سنة خمسين سيَّر جيشًا كثيفًا الى القسطنطينيَّة فاوغلوا في بلاد الروم وحاصروا القسطنطينيَّة ولم يدخلوها . وفي ايامهِ بُنيَت القيروان وكمل بناؤُها في خمس سنين . ولمَّا حضرتهُ الوفاة جمع اهلهُ فقال : أَلستم اهلي . قالوا : بلى فداك الله بنا . قال : فهذه نفسي قد خرجتْ من قدمي فردّوها عليَّ ان استطعتم . فبكوا وقالوا : ما لنا الى هذا سبيل . فرفع صوتهُ بالبكاء ثم قال : فلا تغرّكم الدنيا بعدي . وتوفي بدمشق في مستهلّ رجب سنة ستين (للفخري)

خلافة يزيد بن معاوية (٦٨٠—٦٨٣)

٣٨٧ بويع لهُ بالخلافة يوم مات ابوهُ . وكان يزيد بحمص فقدم منها وبايعهُ الناس . ولم يبايعهُ الحُسين بن عليّ بن ابي طالب ولا عبد الله بن زُبَير . فسيَّر جيشًا الى محاربة الحسين فادركوهُ فحملوا عليهِ واصحابهُ واحتزُّوا راس الحسين . اما عبد الله بن زُبَير فلحق بمكَّة وتحصَّن في المسجد الحرام . فسار اليهِ الحصين بن نمير ونصب المنجنيق على ابي قبيس ورمى بهِ الكعبة فحُرقت استارها . وبينما هم كذلك اذ ورد الى الحصين الخبر بموت يزيد بن معاوية . فارسل الى ابن زُبَير يسألهُ الموادعة فاجابهُ الى ذلك . وتوفي يزيد في شهر ربيع الاوَّل سنة اربع وستين . وكان آدمَ جعدًا احور العينين . بوجههِ آثار جُدَري حسن اللحية خفيفها طويلاً . وكان موفَّر الرغبة في اللهو والقنص . تعلم الفصاحة ونظم الشعر في بادية بني كلب (لابي الفداء)

معاوية الثاني (٦٨٣) ومروان بن الحكم (٦٨٤)

٣٨٨ ثم قام بعدهُ بالامر معاوية ابنهُ ولم تكن ولايتهُ غير ثلاثة اشهر . ثم تخلى بالعبادة ومات بالطاعون . واما عبد الله بن زُبَير فلمَّا مات يزيد دعا الناس الى البيعة وادعى الخلافة . فظفر بالحجاز والعراق وخراسان واليمن ومصر والشام الَّا الاردنّ . ثم بويع بالاردن لمروان بن الحكم وكان كاتب السرّ لعثمان . ثم دخل الشام فاذعن اهلها لهُ بالطاعة . وسار اليهِ من قبل عبد الله بن زُبَير الضحّاك بن قيس . فاقتتلوا بغوطة دمشق فقُتِل الضحَّاك . ومات مروان بدمشق مخنوقًا . وكانت مدَّة خلافتهِ تسعة اشهر

عبد الملك بن مروان (٦٨٥—٧٠٥)

٣٨٩ بويع سنة خمس وستين بالشام . وامَّا ابن الزُبَير فبعث اخاهُ مُصعَبًا على العراق فقدم البصرة واعطاهُ اهلها الطاعة . واستولى المصعب على العراقَين فسار اليهِ عبد الملك بن مروان . فالتقوا بسكن وقتل مصعب واستقام العراق لعبد الملك . وكان الحجَّاج بن يوسف الثقفيّ على شرطهِ فرأى عبد الملك من نفاذه وجلادتهِ ما أُعجب بهِ . فبعثهُ الى عبد الله بن زُبَير فقتلهُ وسلخ جلدهُ وحشاهُ تبنًا وصلبهُ . وتوفي عبد الملك سنة ست وثمانين وكان حازمًا عاقلاً

فقيهًا عالمًا وكان ديّنًا . فلمَّا تولى الخلافة استهوتهُ الدنيا فتغيَّر عن ذلك (لابي الفرج)

الوليد بن عبد الملك (٧٠٥ — ٧١٥)

٣٩٠ هو سادس خلفائهم وكان مغرمًا بالبناء واستوثقت لهُ الامور . ومن بناياتهِ المسجد الاقصى واعطى المجذمين ومنعهم السؤال الى الناس . واعطى كل مقعدٍ خادمًا وكل ضرير قائدًا . ومنع الكتَّاب النصارى من ان يكتبوا الدفاتر بالروميَّة ولكن بالعربيَّة . وفي ايامهِ اجاز طارق الى الاندلس فنهض لذريق ملك القوط وزحف الى طارق فالتقوا بفحص شريش فهزم الله لذريقَ واذعنت الاندلس لامر الوليد . وفتحت في ايَّامهِ الفتوحات الكثيرة من ذلك ما وراء النهر . وتغلغل الحجَّاج في بلاد الترك . وتغلغل مسلمة بن عبد الملك في بلاد الروم ففتح وسبى . وفتح محمد بن القاسم الثقفي بلاد الهند . وفي سنة ثمان وثمانين امر الوليد ببناء جامع دمشق * وكان فيهِ كنيسة فهدمها . فانفق عليهِ اموالًا كثيرة تجلّ عن الوصف . وفي ايامهِ توفي الحجَّاج وقيل انهُ أُحصي من جملة الذين قتلهم الحجَّاج فكانوا مائة الف وعشرين الفًا . ومات الوليد سنة ست وتسعين (للدميري)

سليمان بن عبد الملك (٧١٥—٧١٧) عمر بن عبد العزيز (٧١٧—٧٢٠)

٣٩١ ثم قام بالامر بعدهُ اخوهُ سليمان وهو سابعهم . واحسن السيرة وردّ المظالم وآوى المهجَّرين واخرج المحبوسين . وكان غيورًا شديد الغيرة نهمًا واتخذ ابن عمهِ عمر بن عبد العزيز وزيرًا وجهز اخاهُ مسلمة لغزو القسطنطينيَّة . ونزل سليمان في مرج دابق فشتَّى مسلمة على قسطنطينيَّة وزرع الناس بها الزرع واكلوهُ . واقام مسلمة قاهرًا قسطنطينيَّة حتى جاءهُ الخبر بموت سليمان متخمًا . وكانت خلافة سليمان سنتين وثمانية اشهر واستخلف وزيرهُ عمرَ بن عبد العزيز

كان عمر عفيفًا زاهدًا ناسكًا عابدًا تقيًّا . وهو اوَّل من فرض لابناء السبيل . وابطل في الخُطَب سبَّ عليّ . وكان اليهِ المنتهى في العلم والفضل والشرف والورع والتألف ونشر العدل . وتوفي عمر بدير سمعان وكان موتهُ بالسمّ عند اكثر اهل التاريخ . فان بني أُميَّة علموا انهُ ان امتدَّت ايامهُ اخرج الامر من أَيديهم وانهُ لا يعهدهُ بعدهُ الَّا لمن يصلح للامر فعالجوهُ وما امهلوهُ . وكانت خلافتهُ سنتين وخمسة اشهر . وكان في وجههِ شجَّةٌ من رَمح دابَّة . وكان يُدعَى بالاشجّ . وكان متحريًا سيرة الخلفاء الراشدين . وكانت نفقتهُ كل يوم درهمين . وفي ايامهِ تحركت دولة بني هشام وكان كثيرًا ما يتمثل بهذه الابيات :

نهارك يا مغرور سهوٌ وغفلةٌ وليلك نورٌ والردى لك لازمُ
يغرُّك ما يفنى وتفرح بالمُنى كما غُرَّ باللذَّات في النوم حالمُ
وشغلك فيما سوف تكرهُ غبَّهُ كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ

(*) راجع مقالة ابن جبير في وصف دمشق وجامعها في وجه ٢٢٦ من هذا الجزء

يزيد الثاني (٧٢٠—٧٢٤) هشام (٧٢٤—٧٤٣)

٣٩٢ ثم قام بالامر بعدهُ يزيد بن عبد الملك . وكان ابيض جسيماً مليح الوجه خرج في ايامهِ يزيد بن المهلَّب فارسل عليهِ اخاهُ مسلمة فقاتلهُ وظفر بهِ . ثم توفي يزيد لاربع سنين من خلافتهِ بعد ان عهد بالخلافة الى اخيهِ هشام . بويع لهُ بالخلافة يوم مات اخوهُ . وكان حازماً عاقلاً صاحب سياسة حسنة ابيض . وكان ذا راي ودهاء وحزم وفيهِ حلم وقلّة شره وقام بالخلافة اتمَّ قيام . وكان يجمع الاموال ويوصف بالبخل والحرص . يقال انهُ جمع من الاموال ما لم يجمعهُ خليفة قبلهُ . وفي ايامهِ غزا المسلمون بلاد الترك فانتصروا وغنموا شيئاً كثيراً . وقتلوا من الاتراك مقتلة عظيمة وقتلوا ابن خاقان ملك الترك . وكان المتولي لحربهم اسد بن عبد الله القسري . وفي ايام هشام ايضاً خرج زيد بن زين العابدين ودعا الى نفسهِ فاسرعت اليهِ الشيعة . وكان الوالي على الكوفة من قبل هشام يوسف بن عُمَر الثقفي . فجمع العساكر وناوش زيداً القتال فاصاب زيداً سهم في جبهتهِ فحُمِل من المعركة فمات ودُفِن . فلمّا اصبحوا استخرجهُ يوسف من قبرهِ فصلبوهُ . ومات هشام بالرصافة سنة خمس وعشرين ومائة . وكان مرضهُ الذبحة

الوليد الثاني (٧٤٣—٧٤٤) يزيد الثالث (٧٤٤—٧٤٤)

٣٩٣ كان الوليد مقيماً في البادية فلما مات هشام سار من فورهِ الى دمشق واقام في الخلافة سنة واحدة وكان اكمل بني أُميَّة ادباً وفصاحةً وظرفاً واعرفهم باللغة والنحو . وكان جواداً مفضالاً . ومع ذلك لم يكن في بني أُميَّة اكثر ادماناً للشراب والسماع ولا اشدّ مجوناً وتهتكاً واستخفافاً بامر الامَّة من الوليد بن يزيد . فاجمع اهل دمشق على خلعهِ وقتلهِ لاشتهارهِ بالمنكرات وتظاهرهِ بالكفر والزندقة . فلم يلبث الَّا اياماً يسيرة حتى قُتِل شرّ قتلة وصُلِب راسهُ على شُرافات قصرهِ ثم على اعلى سور بلدهِ . ولمَّا قُتِل اضطربت البلاد واستنصر على بني أُميَّة اعداؤُهم ولم تقم لهم قائمة بعدهُ . ثم تولى يزيد الثالث ابن الوليد وابن عم الوليد بن يزيد وسمي الناقص فتفاءل بنو أُميَّة بولايتهِ فاقام في الخلافة والامور مضطربة عليهِ . وكان مظهراً للنسك محمود السيرة مرضي الطريقة ويتخلّق باخلاق عمر بن عبد العزيز . وكان ذا دين وورع الَّا انهُ لم يمتَّع وبغتتهُ المنية

ابرهيم بن الوليد (٧٤٥) مروان الثاني (٧٤٦)

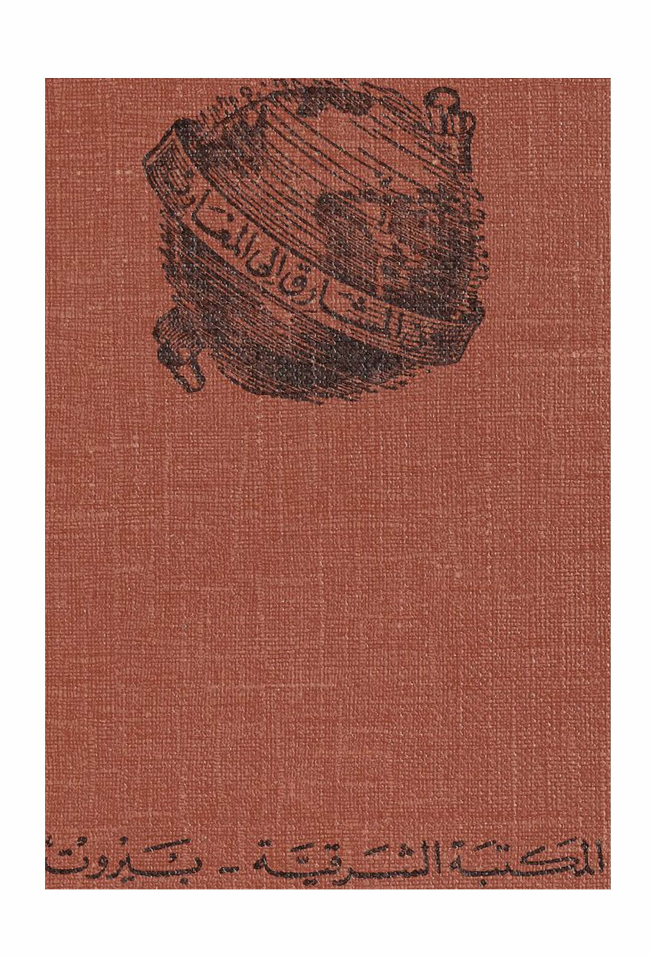
٣٩٤ ثم بويع اخوهُ ابرهيم فلم يثبت لهُ امر . ومكث سبعين يوماً فسار اليهِ مروان بن محمد . فبرز اليهِ الخليفة وعسكر بظاهر دمشق فخذلهُ جندهُ وحاصروا عليهِ بعد ان انفق عليهم الخزائن واختفى امرهم فبايع الناسُ مروان واستوثق لهُ الامر وخلعوا ابرهيم . وظهر السفّاح بالكوفة وبويع لهُ بالخلافة . فجهز جيشاً لقتال مروان بن محمد فالتقى الجمعان قرب الموصل . فهزم مروان وقُتِل في هربهِ وظهرت دولة بني عبَّاس وانقرضت دولة بني أُميَّة (لابي الفداء)

تمَّ بحولهِ تعالى

فهرس الجزء الرابع من كتاب مجاني الادب

تمّ طبع هذا الكتاب على مطابع
المطبعة الكاثوليكية في بيروت
في الخامس من شهر نيسان ١٩٥٦

٥ – ٢٤٥١ / ٥ – ٤ – ٥٦


المكتبة الشرقية - بيروت